



مع تحياتي : علي مولا

نيقولاى غوغول

# الأنفوس الميتة

رواية

ترجمة د . عبد الرحيم بدر  
راجع الترجمة واكمل الناقص منها  
مخائب طعمة فرمان



دار رادوغان،  
موسكو

## غوغل اللغز

حين أصدر غوغل المجلد الاول من «الانفس الميتة» ، وهى اروع عمل له ، فى عام ١٨٤٢ كتب الناقد الروسى الشهير فيساريون بيلينسكى : «دلونا ، اين تلك الروح التاريخية العالمية فى اعمال غوغل ، اين ذلك المحتوى المشترك بقدر واحد بالنسبة لجميع الشعوب والقرون ؟ دلونا ماذا سيحصل لاي عمل من اعمال غوغل اذا ما ترجم الى اللغة الفرنسية او الالمانية او الانجليزية ؟»

كان بيلينسكى معجباً متحمساً بغوغل ، وجد فيه كاتباً روسياً عظيم الشأن ، ومع ذلك فحتى هو كان يعتبر اهمية مبدع «الانفس الميتة» ، و«المفتش العام» و«المعطف» مقتصرة على روسيا وحدها .

ونحن اليوم واثقون من ان الامر ليس كذلك . فقد ترجم غوغل ويترجم الى اللغة الفرنسية والالمانية والانجليزية واليابانية والى الكثير من لغات العالم الاخرى . وتنشر المقالات والكتب المكرسة لغوغل فى جميع انحاء المعمورة . وتقام مناقشات ولقاءات علمية حوله .

## Николай Гоголь МЕРТВЫЕ ДУШИ Поэма

На арабском языке

© حقوق الترجمة الى اللغة العربية والمقدمة والملاحظات محفوظة لدار وراذوغا ، ١٩٨٩ .

طبع فى الاتحاد السوفيتى

Н. В. Гоголь. Мертвые души. Поэма.  
На арабском языке.

Редактор Л. Ф. Чеботкевич.

Перевод осуществлен по изданию:

Н. В. Гоголь. Сочинения в 2-х томах.  
Москва, «Художественная литература», 1973, т. 2.



ولعل صفة «اللغزى» أكثر ما يتردد من بين الصفات التى تطلق الآن عن ابداع هذا الكاتب . فكثيراً ما يقال : «غوغول اللغز» .

وقد تجلّت صفة «اللغزى» ، بالطبع ، فى فرادة المآل الذى صار اليه غوغول بعد الوفاة ، وفى اطراد تنامي صيته العالمى . ولكن ليس هذا وحسب . فان كلمة «اللغزى» تتضمن انعكاساً لحياة الكاتب ، وصورة لخصائص طبعه السايكولوجى والروحى ، وطبعاً لخصائص طريقته فى الابداع ايضا .

نحن لا نستطيع ، طبعاً ، أن نحدد كم ستكشف الملاحظات العالية من هذه الخصائص ، والى اى حد من الكمال . ولكننا سنحاول الاشارة اليها على الاقل ، وتقديم المعلومات الاكثر ضرورية عن حياة الكاتب وابداعه .

• • •

ولد نيقولاى فاسيليفيتش غوغول فى الاول من نيسان (فى ٢٠ آذار حسب التقويم القديم) عام ١٨٠٩ فى الجزء الجنوبى الغربى من الامبراطورية الروسية ، فى اوكرانيا ، فى منطقة «فيليكه سوروتشينتسى» . وكان والداه من ملاكى الاراضى المتوسطين . وكان لهما حوالى ٤٠٠ قن من الفلاحين وضيعة صغيرة باسم «فاسيليفكا» (لها اسم آخر هو يانوفشينا) تقع غير بعيد عن فيليكه سوروتشينتسى فى نفس ولاية بولتافا . وقد قضى كاتبنا المقبل اعوام طفولته فى فاسيليفكا .

كان الاقليم غنياً بالاساطير والنوادر والحكايات العجيبة التى حفزت مخيلة الصبى الحساس العصبى . عندما بلغ غوغول الثانية عشرة ارسل الى مدرسة العلوم الرفيعة ، وهى مؤسسة تعليمية عالية فتحت حديثاً فى مدينة نيجين الصغيرة فى ولاية تشيرنيغوف المجاورة . وقضى «نيكوشا» الصغير هناك سبعة اعوام ، ولم يؤخذ الى بيت والديه فى فاسيليفكا الا فى العطل المدرسية ، وما عدا ذلك ابقى بين جدران المدرسة فى وسط من الاولاد متنوع الطوائف جامع ، حاد المزاج .

لم تكن علاقة غوغول بزملائه بسيطة . فكانوا يسمونه بالغريب واللغز فى هذه الازمنة ايضا . وقد كتب غوغول الى امه قبل بضعة اشهر من تخرجه فى المدرسة : «انا اعتبر لغزاً لدى الجميع ، ولا احد حلّنى اطلاقاً» . واضاف : «ولك ان تعتبرينى ما تشائين . . فقط ان تصدقى بان العواطف النبيلة تملأ نفسى دائماً ، واننى لم احط من قدر نفسى ، واننى طوال حياتى كنت الى جانب الخير» .

فى سن مبكرة جداً ، منذ السادسة عشرة من عمره ، اخذ يعد نفسه لنشاط اجتماعى . ولم تكن لغوغول بعد فكرة عن الاشتغال فى الكتابة ، رغم انه بدأ يكتب وهو فى المدرسة ، بل وبعض المعلومات تشير الى انه بدأ الكتابة فى سن ابكر ، وهو ما يزال صبياً صغيراً جداً . وكان «المجال» الذى ذكره غوغول فى رسالته الى امه ، والذى اراد ان يندر له نفسه كلياً هو الخدمة فى



مؤسسة من مؤسسات الدولة ، والادق مجال القانون ، العمل في ميدان القضاء والتشريع . «لقد رايت ان العمل في هذا المجال سيكون الاكثر . . . ان الجور القضائي ، التعاسة العظمى في الدنيا ، كان يمزق قلبي اكثر من اى شىء آخر» .

ولكن حدث ما لم يكن في تصور غوغول . فبعد انهائه المدرسة ، ووصوله الى بطرسبورج في نهاية ١٨٢٨ حاول بالفعل ان يبنى مستقبله في الخدمة ، وكان وقتا ما يشغل منصب موظف صغير ، ولكنه لم يستطع ان يقوم باى اعمال مهمة في ميدان القضاء . والخدمة في مؤسسة الدولة التي كانت تسلم غوغول الى خيبة امل متنامية ساعة بعد اخرى ، اخذت تتراجع امام نشاطات اخرى ، هي النشاطات الادبية والتعليمية . وصار غوغول مدرّساً في معاهد بطرسبورج التعليمية - المعهد الوطنى ، وبعد ذلك جامعة بطرسبورج . وهنا ، ولا سيما في الاعمال الادبية ، قد حقق غوغول نجاحات مثيرة مباشرة دفعة واحدة تقريباً .

واذا كان كتاب غوغول الصغير الاول - وهو القصيدة العاطفية «هانز كيوخيلفارتن» التي صدرت عام ١٨٢٩ تحت اسم مستعار ، هو ف . الو ف . قد اثار مخريات الصحفيين ، فان الكتاب التالى - وهو مجموعة «امسيات في قرية قرب ديكانكا» من مجلدين صدرتا ١٨٣١-١٨٣٢ - رفعت مؤلفه الى عداد الكتاب الروس الافذاذ . وقد كسب غوغول راساً المهارة والنضج واصالة الطريقة . لقد جسّد فنياً التجربة التي حصل

عليها من تربة ارضه - معرفته الرائعة في الاساطير الاوكرانية ، ومعيشة الشعب ، والعادات . وقد حبيب غوغول ، بالمعنى الحرفى للكلمة ، اوكرانيا الى الآف والآف من القراء الروس .

وقد كتب الكسندر بوشكين تحت تأثير الجزء الاول من كتاب غوغول هذا : « . . . الآن اتممت قراءة «امسيات قرب ديكانكا» . وقد اذهلنى . ذلك هو المرح الحقيقى الصافى ، الصادق ، بدون تكلف ، ولا تحفظ . وفى بعض الاماكن شعر ، واى شعر ! اى رهافة حس ! كل ذلك غير اعتيادى فى ادبنا العالى ، بشكل ما زلت مذهولاً به» .

وخلال ذلك كان فى انتظار القراء مفاجأة جديدة . فى الروايات القصيرة التي اعقبت «امسيات» وجمعت فى مجموعتين هما «ميرغورد» و«منمنمات» (كلتاهما صدرتا فى عام ١٨٣٥) لم يعد غوغول رومانسياً ملهماً ، بل كاتباً اجتماعياً صارماً ، محللاً بصفاء ذهن للوضاعة والحقارة الحياتية (رغم ان الاساس الشعارى العميق فى هذه الروايات القصيرة وفى كل ابداع غوغول احتفظ بقوته) . وفى بعض الاعمال ، مثل «كيف تشاجر ايفان ايفانوفيتش مع ايفان نيكيفوروفيتش» نظر غوغول من زاوية نظر جديدة الى الحياة الريفية التي عرفها منذ الطفولة ، الى اوكرانيا الحبيبة . وفى اعمال اخرى ، وهي ما اطلق عليها «قصص بطرسبورج» («شارع نيفسكى» ، «مذكرات مجنون» الى آخره) عكس بصفاء ذهن بالغ وبلا رافة حياة العاصمة الروسية . وقد اعطت القدرة على



الملاحظة ، وتصوير التناقضات الاجتماعية العادة ،  
وتعارضات العلم والواقع ، وفنطازية النكهة غير القابلة  
للمحاكاة ، والشاعرية العميقة المروى فيها طابعاً حياتياً  
غير مألوف ، ونمطية لتصوير غوغول لبطرسبورج .

وفى مجموعتي «ميرغورد» و«منمنمات» تكشف كل  
حجمها موهبة غوغول الهائلة وغنى سخريته والقها .  
وعندها ، وحسب اعترافه ، اتخذ هذا القرار : «إذا كنت  
تريد أن تضحك فمن الأحسن أن تضحك بقوة ومما  
يستاهل الضحك العام بالفعل» («اعترافات مؤلف»)  
وهكذا انضمت الى فكرته فى أن يكون «فى خدمة  
الدولة» فكرة الاشتغال فى مجال الكتابة . وتوصل  
غوغول الى استنتاج حاسم حدد كل مستقبله : يجب  
البحث عن المنفعة الاجتماعية غير بعيد عن طريق  
الكاتب ، لكن لا فى العمل الوظيفى ، بل يمكن ايجاد  
هذه المنفعة فى عمل الكاتب نفسه ، والكاتب المعاصر ،  
الكوميدي ، بشكل خاص .

فى عام ١٨٣٦ ظهرت كوميدى «المفتش العام»  
منشورة وممثلة على خشبة المسرح ، وقد صورت  
بوضوح ، وكأننا من خلال عدسة مكبرة ، حياة بلدة  
صغيرة اقليمية . وكانت صورة هذه البلدة المتخيلة  
واضحة للعيان عميقة المعانى وفى نفس الوقت تكاد  
تكون من كثرة الدلالات الرمزية مما جعلها تترك أثراً  
قوياً جداً على المعاصرين ، وجلبت لمؤلفها لا استحسان  
الأصدقاء فقط ، بل السباب الغفل من قبل المعرضين .  
ورغم انزعاج غوغول الشديد من هذه الشتائم ، إلا أنه

لا يحيد عن الطريق الذى سلكه ، ويبدأ بتحقيق مشروع  
أكثر ضخامة ، وهو قصيدة «الانفس الميتة» التى بدأها  
فى وقت مقارب لبدنه فى «المفتش العام» أى حوالى  
١٨٣٥ ، فضلاً عن أن موضوعى هذين العاملين هما من  
أبناء الكسندر بوشكين .

قضى غوغول الفترة ما بين حزيران ١٨٣٦ ونيسان  
١٨٤٨ خارج روسيا (فى ألمانيا ، وسويسرا ، وفرنسا ،  
وبلجيكا ، ولكن معظم هذه الفترة قضاء فى إيطاليا) .  
ولا يعود الى روسيا إلا لفترة قصيرة ، لا تتجاوز بضعة  
شهور ، مرة فى عام ١٨٣٩ لترتيب أمور اخواته  
اللواتى تخرجن من المعهد الوطنى ، ومرة أخرى فى  
عام ١٨٤١ للقيام بنشر المجلد الاول من «الانفس  
الميتة» (نشر فى عام ١٨٤٢) .

وكان غوغول قد صرح فى عام ١٨٣٦ بأن «الانفس  
الميتة» ستكون من عدة مجلدات . وقد شبّه الكاتب  
المجلد الاول بـ«مقدمة» القصر الذى أشيده» (من رسالة  
مؤرخة فى ١٧ آذار ١٨٤٢) . وحين صدر المجلد الاول  
عرف القارى من الفصل الحادى عشر أن القصيدة مكونة  
من ثلاثة مجلدات («الجزءان الكبيران يتبعان . . .»)

ورغم أن غوغول فى الأربعينات نشر أعمالاً جديدة  
(من بينها نفانس كقصيدة «المعطف» والعاملين المسرحيين  
«خطوبة» و«المقامرون») إلا أن حياته كلها كانت مكرسة  
للعمل الرئيسى ، وهو اكمال «الانفس الميتة» ومن  
جديد ظهرت الصفتان «اللفز» و«السر» ، وكأننا ، فى  
هذه المرة ، تعودان الى قصيدة غوغول هذه ، لأن



«الانفس الميتة» كانت موكلة بالكشف عن سر الحياة الروسية ، ورسالة روسيا في التاريخ المعاصر . وبذل غوغول جهداً هائلاً فوق الطاقة الانسانية في العمل على هذه القصيدة . وفي صيف عام ١٨٤٥ ، احرز مخطوطة المجلد الثاني ، تعبيراً عن عدم رضاه عما انجزه .

ويكتب غوغول ، وهو يتحدث عن اسباب حرق المخطوطة : «ثمة ساعات لا يمكن فيها ان تحت المجتهد او وحتى جيلاً كاملاً الى الرائع الجميل ، الا اذا اظهرت كل عمق وضاعته الراحنة . ثمة ساعات لا ينبغي فيها حتى التحدث عن الرفيع والرائع دون ان تشيـر بوضوح ، كوضوح النهار ، الى السبل والطرق التي يسلكها كل انسان اليه . وكانت هذه الناحية الاخيرة قليلة وضعيفة التطور في المجلد الثاني من «الانفس الميتة» ، بينما كان يجب ان تكون الرئيسية او تكاد . ولهذا احرقته» . («اربع رسائل الى اشخاص مختلفين بشأن «الانفس الميتة» ، الرسالة الرابعة) وبهذا الشكل كانت الصعوبات الناشئة مرتبطة بالهدف الرئيسي للمجلد الثاني . فقد كان يجب الاحتفاظ بـ«جسام» الشخصيات ، وتحاشي الافتعال والمثالية في ذات الوقت ، والاقتراب من «الرفيع والرائع» في وعـم القارى .

في عام ١٨٤٨ وبداية ١٨٤٩ عمل غوغول عملاً مكثاً في صيغة جديدة للقصيدة . وبعد سبعة اعوام ، في بداية ١٨٥٢ انفجرت ازماً

جديدة . في ليلة ١١ على ١٢ شباط يحرق غوغول في البيت الذي كان يسكنه في بولفار نيكيتسكي الصيغة النهائية للمجلد الثاني . وبعد عدة ايام ، في صباح ٤ آذار (٢١ شباط في التقويم القديم) فارق غوغول الحياة .

واخذ الكاتب معه الى القبر «سر» بقية القصيدة ، ومحتواها الذي تروى فيه المؤلف بسعة واستيعاب . والفصول التي سلمت من الجزء الثاني نشرت لأول مرة في عام ١٨٥٥ ، على شكل مجلد اضافي الى الطبعة الثانية لمؤلفات غوغول (الطبعة الاولى للمؤلفات صدرت في عامي ١٨٤٢-١٨٤٣) : «مؤلفات نيقولاى فاسيليفيتش غوغول التي وجدت بعد وفاته . مغامرة تشيتشيكوف او الانفس الميتة . قصيدة ن . ف . غوغول . المجلد الثاني (٥ فصول) ، موسكو ١٨٥٥» .

وجوهر ما يؤلف «لغزية» غوغول هو انه في ظاهره يبدو كاتباً بسيطاً جداً ، بينما هو ، في داخله ، في باطنه الخفى ، معقد جداً . يجب ان يقرأ غوغول في غاية الاهتمام ، دون التوقف عند الموضوع والحدث ، نافذين الى اصغر الدقائق والتفاصيل . كان الكاتب والشاعر الروسى الشهير والباحث الادبى اندريه بيلي يقول ان المحتوى الغوغولى غارق في التفاصيل . وهذا بالطبع ، ينطبق ، بالدرجة الاولى على «الانفس الميتة»



اعتقد اعمال غوغول . والطريق الى الطبقات العميقة  
لمحتوى هذا العمل يمتد ايضا خلال ادق التفاصيل  
والدقائق .

ولكن لصورة غوغول معنى مختلف تماماً . فهل من  
المصادفة ان الجسر الذى يتخيله مانيلوف غير قائم  
على نهر ، بل على بركة لا تحتاج له طبعاً ؟ ومعنى ذلك

ان الباعة والمشتريين (الفلاحين ، وهذا تفصيل آخر  
ليس قليل الاهمية عند غوغول) يجب ان يمشوا على  
الجسر خصيصاً ، ليقوموا بمشترياتهم . والجسر الضخم  
المقام على البركة (مانيلوف يريد ان يبنيه من  
الصخر ! ) هو فى مغزاه الجمالى منظر سخيف وغير  
معتول . وبهذه الطريقة يصير مغزى جسر مانيلوف بلا  
غاية محددة ، وبلا معنى .

والموضع الذى اشرنا اليه يميز بناء القصيدة كلها .  
بل يمكن القول ان هذا جوهر اسلوبها ، لانه قد ثبت  
عمدا نوعان من انعدام الهدف فى عالم مانيلوف  
وتشيتشيكوف : اقتصادى صرف (عمل) وجمالى . وهما  
فى «الانفس الميتة» ينبعان كتيارين ، واحياناً يتحدان  
سوية .

ولنضرب مثلاً فى انعدام الغاية الاقتصادية (العمل)  
فى بيت مانيلوف نفسه ، على الاقل ، ذلك البيت المقام  
على «مرتفع منعزل مكشوف ، تضرب فيه الرياح من اى  
ناحية هبت» . ومنال انعدام الغاية الجمالى هو بيت  
مالك آخر ، هو سوباكيفيتش . فان كل شىء فى هذا  
المبنى مريع وراسخ ، ولكن على حساب الجمال  
والتناسق «فقد فشلت جهود المهندس القوية فى جعل

فصل المخصص للمالك مانيلوف توجد هذه  
العبارة : «وقد كان فى الواقع يقف ، فى بعض الاحياز  
فى الشرفة وينقل بصره من الساحة الى البركة ويقول  
لنفسه ، كم يكون رائعا فى الحقيقة لو ان معراً شق  
تحت البركة ، وان ينصب جسر حجرى فوق البركة  
فجأة ايضا ، وان تقوم فى لمح البصر حوانيت ، فيها  
جميع مستلزمات الفلاحين الضرورية» .

اذن ، جسر حجرى فوق البركة ! يمكن ان يتصور  
المرء (مثل هذه الاعتقادات موجودة بالفعل فى ادب  
غوغول) ان هذا التفصيل الصغير قد اوحى به للكاتب  
انطباعاته الواقعية عن الحياة الايطالية - قنطرة  
«ريالته» فى البندقية او «بونته فيكو» فى فلورنسا .  
الا ان الامر ليس كذلك ، فان السطور الواردة قـ  
كتبها غوغول قبل سفره الى ايطاليا .

ان لوصف غوغول معناه الفريد الخاص به ، وهذا  
المعنى قائم على محتوى القصيدة كلها .  
وفى حقيقة الامر ان لجسرى البندقية وفلورنسا  
المذكورين غاية معينة قائمة بذاتها . فالجسر القائم على  
نهر (او قناة) هو مركز اتصالات . وساكن المدينـ  
يعبر هذا الجسر مرة فى الاسبوع (وربما فى اليوم)  
وتلفت انتباهه الدكاكين الموجودة على جانبيه . ثم

ان لوصف غوغول معناه الفريد الخاص به ، وهذا  
المعنى قائم على محتوى القصيدة كلها .  
وفى حقيقة الامر ان لجسرى البندقية وفلورنسا  
المذكورين غاية معينة قائمة بذاتها . فالجسر القائم على  
نهر (او قناة) هو مركز اتصالات . وساكن المدينـ  
يعبر هذا الجسر مرة فى الاسبوع (وربما فى اليوم)  
وتلفت انتباهه الدكاكين الموجودة على جانبيه . ثم



اضافية . بينما سيرهم تشيتشيكوف في مجلس  
الرعاية باعتبارهم احياء ويحصل على مبلغ كبير من  
المال .

ولكن الحقيقة ان كل ما يجرى في القصيدة - وحدنها  
المركى (التلاعب الاحتيالى بالنفوس الميتة) متزعزع  
ومشكوك فيه بما فيه الكفاية . وهو مشكوك فيه  
ليس فقط فى المعنى الرفيع للخير الاجتماعى (طفيلية  
تشيتشيكوف لا تثير اى شك) بل ومن وجهة نظر  
المنفعة الشخصية ايضا ، من وجهة نظر النجاح الفردى  
للنصاب . فان «متاجرة» تشيتشيكوف على مدى القصيدة  
المنظورة لم تؤدى الى النجاح المرتجى . فهو يغادر  
البلدة على عجل عانداً من حيث اتى ، ولو انه لم  
يفضح . وكانت فى انتظاره فى المجلدين التاليين ،  
حسب المعلومات المتوفرة ، آنام جديدة بل وخيبات  
ساحقة جديدة . ومهما يكن المبلغ الذى ينزع  
تشيتشيكوف من حين لآخر فان الهدف الاساسى يبتعد  
عنه اكثر فاكتر ، مثل سراب فى صحراء رامضة ، وهذا  
السراب قرين لمنشأة مانيلوف الفنتازية .

وغوغل يرتفع الى التعميمات القصوى ، وهو يبسط  
صيغة السحابة الغروتسكية التى اكتشفها لتشمل  
معيشة الانسان نفسها . وهكذا نجد سطوراً فلسفية  
مريرة عن ضلالات الانسان وضياعاته : «فكم من الطرق  
المعوجة المسدودة ، الضيقة ، المنعجة المنحرفة بعيداً  
اختارتها الانسانية فى سعيها للوصول الى الحقيقة  
الازلية . . . . . وكس من مرة ، حتى بعد ان تزودوا

قمة الهرم فوق مركز البناية لان المالك ازال احدى  
اعمدها الاربعة الاساسية» .

وكلا المبنين مشترك فى السحابة . والشاعريّة  
الغروتسكية للسحابة شائعة فى «الانفس الميتة» الى حد  
الدقة المبالغ فيها ، الى حد الكمال الفنى البالغ .

ويصير المظهر الخارجى للاشياء ، أحداث السفر ،  
وتأملات الشخصيات واقوالها مجالات لظهور اللامعقولة  
والسحابة . وحماقة الانسان ، وغياب الفهم الاولى بل  
والمنطق البدائى تحرز النصر تلو النصر . حين يستنتج  
مدير البريد (الفصل العاشر - اجتماع عند مدير  
الشرطة) ان تشيتشيكوف هو الكابيتين كوبيكين ، غافلاً  
تماماً ان كوبيكين هذا بلا رجل ولا يد ، بينما اطراف  
تشيتشيكوف كلها ، فى مكانها ، والحمد لله ، فان  
بذلك اقام مبنى ذهنياً غير معقول يشبه جسر مانيلوف .  
ان شاعرية السحابة مرتبطة اوثق الارتباط بالحدث  
والموضوع - شراء وبيع «الانفس الميتة» .

(يجب التوضيح هنا ان الفلاح فى ظل قانون القنانة  
فى روسيا كان يمكن ان يباع ويشترى كشيء ، كملكية  
غير منقولة . والى جانب ذلك كان عدد الفلاحين -  
«النفوس المسجلة» - تثبت بقوائم خاصة توضع وتقدم  
مرة كل بضعة أعوام . وفى الفترة بين تسجيل وتسجيل  
يعتبر الفلاحون الموتى احياء ، بل وان ملاكها ملزمون  
على دفع ضرائب للسلطة . وعلى هذا الاساس بنيت  
حسابات تشيتشيكوف . فان المالك يتخلل له برحابة  
صدر عن الفلاحين الموتى حتى لا يدفع عنهم نفرداً

# الأنفوس الميتة

## رواية

بالرسالة المنزلة من السماء ، زاغوا وانحرفوا عن  
السبيل ، ووقعوا من جديد وفي وضع النهار في منازل  
ناحية مسدودة ، وانزلوا من جديد غشاء العمى على  
عيون بعضهم البعض ، منجذبين الى السراب الخادع ،  
ووصلوا الى حافة الهاوية ، ليسال بعضهم بعضاً فيما  
بعد : اين المخرج ، اين الطريق ؟ . . .

وتتكشف علاقة مباشرة ، توافق مباشر بين الصور  
الصغيرة التي ينتسب اليها وصف جسر مانيلوف ،  
وتراكيب هذا العمل الرئيسية . وتتكشف الفكرة  
الاصيلة الصادقة لتصيدة غوغول كلها ، وهي العلم  
الملتهب بطريق حقيقى نزيه للانسانية وفضح شديد  
للخطوات الكاذبة السمجة ، لكل ما يؤدي الى انحراف  
مهلك عن هذا الطريق .

لقد وفي غوغول الكاتب بالكلمة التي اعطاها فر  
بداية حياته : « . . . صدقيني ، لقد كنت طوال حياتي  
الى جانب الخير » .

يورى مان



# المجلد الاول

## الفصل الاول

انسابت الى باب فندق في مدينة «ن» عاصمة الولاية  
عربة انيقة ، متوسطة الحجم ذات لوالب من النوع الذي  
يقتنيه العزاب : الضباط المتقاعدون من ذوى الرتب  
المتوسطة والضباط الصغار والملاك الذين يمتلك الفرد  
منهم قرابة مئة نفس ، وباختصار ، كل الاشخاص الذين  
يكونون الطبقة الوسطى . كان يجلس في العربة سيد  
ليس بالجميل ولا بالقبيح ، ولا هو بالكثير السمينة ولا  
بالكثير النحول ، ومع انه غير بالغ الكبر الا انه لم يكن  
بالغ الصغر ايضا . ولم يثر وصوله ضجة في المدينة  
ولم يحدوه حدثا خاصا ، سوى ان فلاحين كانا يقفان  
صدفة امام حانة في الجانب المقابل من الفندق ، تبادلوا  
بعض الحديث بشأن العربة لا بشأن الرجل الجالس  
فيها . قال احدهما «انظر الى هذه العربة ، انظر انها  
بهذه العجلات تستطيع من الوصول الى موسكو ؟» -  
فاجاب زميله «اظن ذلك» . وسال الاول «انا لا اظنها  
ستصل الى قازان ، ايه ؟» فقال الثانى : «لن تذهب  
بعيدا حتى قازان» . وبهذا انتهى الحديث . وعندما كانت  
العربة تقترب من الفندق ، قابلها شاب يرتدى سراويل

قطنية بيضاء ضيقة جدا ، قصيرة جدا ، ومعطفا طويلا على الطراز الحديث ، وقميصا معلق فيه دبوس برنزي على شكل مسدس . وادار الشاب رأسه عندما مر بالعربة ونظر اليها نظرة فاحصة ، رفع يده بعدها ليمسك قبعته (فقد كادت الريح تقذف بها عن رأسه) واستأنف السير في طريقه .

وعند وصول العربة باب النزول وجد راكبها خادم الفندق واقفا لاستقباله ، وكان هذا خفيف الحركة سريعها لدرجة يتعذر على المرء فيها ان يتبين طابع ملامحه . وهروا حاملا على يديه فوطه ، بمعطف مقسوم من أسفل المؤخرة يغطي ظهره النحيل حتى اعلى عنقه ، وهز خصل شعره الى الوراء ، ورافق السيد الى الطابق العلوى عبر رواق خشبي ، ليريه غرفة النوم التى انعم الله به عليها . وكانت الغرفة المذكورة ذات منظر عادي جدا ، اذ ان الفندق كان من نوع الفنادق التى تعج بها عواصم الولايات والتى يستطيع المسافر فيها ، مقابل روبلين فى اليوم ان يستحصل على غرفة تطل فيها الصراصير ، النسببية باجاص مجفف من جميع اركانها ، وذات باب مستور كالعادة بدولاب ويؤدى الى الغرفة المجاورة التى يسكن فيها جار صامت ، مرخيا اذنيه يتحرق شوقا لسماع كل هنة عن القادم الجديد . وكان مظهر الفندق الخارجى يدل على مظهره الداخلى : كان طويلا يتألف من طابقين : نصفه السفلى خلو من التبييض ، مما جعل الطوب الاحمر القاتم الذى كان مكثدا فى الأصل ، يزيد اكمدادا تحت تأثير التغيرات

الجوية ؛ اما النصف العلوى من العمارة فقد كان مطليا بالدهان الاصفر العادى الذى لا يبهت ؛ وكان فى الطابق الاول حوانيت تبيع لجم الخيل والحيال والكعك المدور . وفى نافذة الحانوت الواقع فى الزاوية اطل بانع العسل المخمر بوجهه الاحمر وبالقرب منه سماور نحاسي ، حتى يخيل الى من ينظر اليهما عن بعد ان فى النافذة سماورين ، لولا ان لاحدهما لحية سوداء كالقار .

وبينما كان المسافر يتفحص الغرفة ، احضرت امتعته اليها . احضرت اول الامر حقيبة من الجلد الابيض تدل رنائتها على انها قامت بعيد من الاسفار . وكان يحمل هذه الحقيبة رجلان : احدهما ميليفان ، حوذى السيد (وهو رجل صغيرة فى معطف فرو) ، والآخر بيتروشكا ، وصيف السيد ، وهو شاب فى حوالى الثلاثين من العمر ، يرتدى سترة مشعثة بالية ، يتضح انها كانت لصاحبه . وكان له انف كبير وشفتان غليظتان وكان صارما قليلا . وتلا الحقيبة صندوق للمراسلات مصنوع من الخشب الاحمر مزين الاطراف ، ثم صندوق احذية ، ودجاجة مشوية ملفوفة بورقة زرقاء . وبعد ان تم ايداع كل هذه الاشياء ، انصرف السائق للعناية بخيوله ، وانصرف الوصيف الى مخدع صغير منزو مظلم كجحر الكلاب ، حيث كان قد اعد لنفسه عبادة لها راعتها الخاصة وكيسا مملوا بالثياب وركن الى الحائط . واقام السرير الضيق ، وغطاه بقطعة زهيدة من حشية - قطعة كالفطيرة فى رقتها وتفاقتها (وربما



في دهنها ايضاً) - لتلك التي تمكن من استجدائها  
من صاحب النزل .

وبينما كان الاتباع يدبرون امورهم نزل السيد الى  
قاعة الاستقبال العامة . وهذا النوع من قاعات الاستقبال  
معروف لكل من يقوم بالاسفار . فلها جدران مطلية  
دائماً ، يعلو الاسوداد قسمها العلوى من اثر دخان  
التبغ ويكتسب القسم السفلى لمعانا من احتكاك ظهور  
الزبائن به ، وخاصة ظهور اولئك التجار المحليين  
الذين يدابرون على اللجوء الى نزل البلدة ايام السوق ،  
واحتساء كوبين معهودين من الشاي فيه . وقاعات من  
هذا القبيل ايضاً ، لها في العادة سقف قذرة ، وثريات  
بالقدارة نفسها تتدلى منها علاقات تثب وتقرقع كلما  
هرول الخادم فوق البساط الزيتى البالى ، حاملاً معه  
طبقاً مليئاً بالكؤوس (وتبدو الكؤوس كأنها سرب من  
الطير جائم على شاطئ بحر) ، ثم نفس المجموعة من  
الصور الزيتية . وبابجاز ، هناك اشياء معينة يراها  
المرء في كل فندق . اما في حالتنا هذه فقد كان ابرز  
ظاهرة في الغرفة صورة زيتية لعمورية برزت اثناءها  
بحجم لا يمكن ان يرى القارىء مثله في حياته . تصوير  
مائل للطبيعة نراه في الصور التاريخية التي حملها  
الينا في روسيا من ايطاليا في وقت ما اناس مجهولون  
بل ووجهاء في بعض الاحيان يدعون انهم خبراء فنى  
الفن : وذلك ان الوجهاء المشار اليهم اشتروا ما اشتروه  
بناء على ارشادات الدليل الذي كان يرافقهم في السفر .  
خلع مسافرنا قبعته ، ونزع عن عنقه لفافاً صوفياً

ملوناً ، من ذلك النوع الذى تحبكه الزوجة لزوجها  
بيديها وحينما تعطيه اياه توصيه وصايا معتبرة عن  
كيفية طيه . والواقع ان العزاب ايضاً يلبسون لفافات  
مائلة ، لكنهم في حالتهم هذه لا يعلم الا الله من الذى  
حاكها لهم ! فانا لم البسها قط . وطلب السيد الغداء  
بعد ان نزع اللفاف ، وبينما كانت الصحن المختلفة  
رهن التحضير : حساء الكرنب وفطيرة لها من العمر  
بضعة اسابيع ، وصحن من منخ مع بازلاء ، وصحن من  
المقاتق مع الكرنب ، ودجاجة مشوية ، وبعض الخيار  
المملح ، والكمكة التي تكون دائماً في محلات كهذه  
تحت الطلب - اقول ، بينما كانت هذه الاشياء تسخن  
او يجلب بعضها بارداً ، جر السيد الخادم الى التحدث  
عن نتف من الاخبار بشأن المالك الاخير للنزل ،  
وشخصية صاحبه العالى ، وكمية الدخل الذى يدره  
النزل . ورد الخادم على السؤال عن صاحب الفندق  
بجواب يرد به دائماً في حالات كهذه ، وهو «ان معلمى  
انسان نصّاب جداً يا سيدى» . ومن الغريب ان هناك  
كثيراً جداً من الناس من الطبقة المستنيرة في روسيا  
كما في اوربا المستنيرة لا يستطيعون ان يتناولوا  
طعاماً في فندق دون ان يثرثروا مع الخادم في الحديث  
بل ويمزحوا معه احياناً . ومهما يكن من امر ، فلم تكن  
جميع اسئلته بلا هدف . فقد سأل بدقة عن حاكم  
الولاية وعن رئيس المجلس المحلى وعن المدعى العام .  
وباختصار لم ينس موظفاً ذا مكانة . وراح يسأله  
ايضاً بمزيد من التدقيق ان لم يكن من التعاطف عن



الشؤون الخاصة جداً للملاكين في تلك الناحية .  
فسأله ايهم يملك اقنانا ، وكم نفساً يملك ؟ وعلى اية  
مسافة من المدينة يقطنون ؟ وما هي شخصية كل مالك ؟  
وهل له عادة التردد على المدينة ؟ واستفهم السيد مدققا  
عن الاوضاع العامة في المنطقة . وتساءل ان كانت  
هناك امراض كحُميات متفشية ، او برداء مميتة او جدري  
او ما الى ذلك . وكل ذلك بتفصيل ودقة تخرج عن حدود  
حب الاستطلاع المحض . الا انه ظل محتفظا بهيبته ،  
فكان بين الحين والآخر يتمخط بصوت غايبة في  
الارتفاع . وكان يقوم بهذه العملية بطريقة مذهشة  
جداً . فمع ان صوت انفه كان يشبه البوق في حدته ،  
الا ان هذا الصوت ، باقترانه مع الكبرياء الاصيلية ،  
كان يستثير احترام الخادم الشديد . وقد بلغ هذا  
مبلغا كبيرا جداً حتى ان الصوت لم يكذب يصل سمع  
الاجير حتى يهز هذا خصل شعره الى الوراء ويعتدل بكل  
احترام ، ويسال من جديد - مع احناء الراس ثانية -  
ما اذا كان عند السيد رغبة في شيء آخر . وبعد الغداء  
احتسى الضيف فنجان قهوة ، ثم جلس على الارىكة  
وخلفه احدى الوسائد المكسوة بالصوف ، والموجودة  
عادة في العانات الروسية ، والتي تشبه الطوب او  
الصوان . ثم اخذ يتنابذ وطلب ان يوصل الى غرفته ،  
حيث استلقى بطوله على الفراش ، ونام مدة ساعتين  
نوماً عميقاً . وافاق عندما دخل عليه الخادم طالباً اليه  
ان يكتب اسمه ولقبه ومركزه على قصاصة من الورق  
لارسالها الى الشرطة بحسب القانون ، ففعل . وانحنى

الخادم في الممر على قصاصة الورق ، وقرأ فيها ما  
يلي ، مقطعا مقطعا : بافيل ايفانوفيتش تشيتشيكوف -  
مستشار ، ملاك ، مسافر في مهمة خاصة . ولم يكذب  
الخادم ينهي قراءتها حتى انطلق بافيل ايفانوفيتش  
تشيتشيكوف الى المدينة ليستطلع امرها . ويبدو انها  
حازت على رضاه . وفي الحقيقة ، كانت على الاقل في  
المستوى العادي لعواصم الاقاليم . وحيث لم تسر  
مباني الحجر الاصفر عينيها ، كان يجد المباني الخشبية  
ذات اللون الرمادي الاكثر اتزاناً . وكانت البيوت من  
طابق او طابقين بعليات دائمة ، وهذا ما يغرم به  
مهندسو الاقاليم ، فكانت تظهر وكأنها ضائعة في  
الفسحة وفيما اختلط بينها من جدران لا نهاية لها .  
وفي اماكن اخرى كانت تبدو دلالات اكثر من ذلك على  
الحياة والحركة . وكانت البيوت هنا تتجمع فوق بعضها  
البعض ، وعليها لوحات اعلان متهرنة ابلتها الامطار ،  
منقوش عليها صور احذية او قطع حلوى او سراويل  
زرقاء ، وقد كتب عليها «ارشافسكي - خياط» او ما  
ماثل ذلك . وعلى محل صغير فيه مختلف القبعات كتب  
«فاسيلي فدروف - اجنبي» ، بينما علقت على ناحية اخرى  
لوحة رسمت عليها طاولة بلياردو ولاعبان - وهذان  
الاخيران يلبسان معطفين اسودين من النوع السذي  
يرتديه - عادة - الضيوف الذين يدخلون المسرح في  
نهاية الفصل الأخير . ومع ذلك فقد كان لاعبا البلياردو  
السابقان يصوبان الى الهدف في اهتمام شديد ، باذرع  
شديدة الالتواء ، وسيقان مائلة ادت لتوها حركات



راقصة في الهواء . وكان قد كتب في أسفل كل لوحة من هذا القبيل «هذا محل عال العال» . وفي بعض الأماكن في الشوارع موائد عليها اكوام من الجوز والصابون وكعك الزنجبيل (والاخير يصعب تمييزه عن الصابون) . وعلى جدران احد المطاعم بدت سمكة سمينة انغرزت فيها شوكة . ولكن اكثر ما كان يشاهد على الجدران هو النسر ذو الراسين ، شعار الدولة آنذاك (بهذه المناسبة ، قد تغير الآن هذا الشعار الى صورة مختصرة لحانة) . اما بشأن ارضية المدينة فقد كانت كلها على نسق واحد من السوء . واطل تشيتشيكوف على حدائق البلدية التي لا تحوى سوى بضع شجيرات بالنسبة سيئة النمو تسندها دعائم ثلاثية مدهونة بالدهان الزيتي الأخضر الجميل ، وليس لها ما تزهر به من الطول اكثر من يراع عادى . الا ان الجرائد المحلية نشرت في المدة الأخيرة على سبيل الاحتفاء بها تقول «الشكر للحاكم الادارى الذى اصبحت المدينة بمجهوده غنية بالاشجار الفليلة الممتدة الاغصان . فهي تفرغنا بالظللال الوافرة حتى في اشد الايام حرا . وكم هو جميل حقا ان نرى قلوب المواطنين تنبض بعرفان الجميل ، مثلما يترقق الدمع في عيونهم اعترافا بما قدمه حاكمهم في سبيلهم» . وبالتالي ، بعد ان سأل تشيتشيكوف شرطيا عن احسن السبل والوسائل للاعتناء الى الكاتدرائية والدوائر الحكومية والمعالم المحلية وحاكم الولاية ، فيما لو احتاج اليها ، ذهب لى يلقى نظرة على النهر الذى يخترق المدينة . وفي الطريق

نزع اعلانا ملصقا على عامود كى يتمكن من قراءته على راحته بعد رجوعه الى الفندق . وحدث ان كانت سيده ذات منظر بهيج تسير فى ممر خشبي جانبي بصحبة خادم يحمل لها متاعا ، فجاد عليها بنظرة طويلة ايضا . واخيرا التى نظرة شاملة حوله (كما لو كان يريد ان ينبت صورة المكان فى دماغه) وعاد الى مقره . وهناك ، بمساعدة الخادم اللطيفة ، صعد السلالم الى غرفته ، وشرب قدحا من الشاي ، وبعد ان جلس الى المائدة طلب شمعة . وما ان احضرت اليه حتى اخرج الاعلان من جيبه وقرّبه الى لهب الشمعة واخذ يدرس فعواه ، مغمضا عينه اليمنى بعض الاغماض . غير ان الاعلان لم يكن فيه شيء يستحق الاهتمام . فكل ما يتحدث عنه هو ان احدى روايات كوتزيو • تتمثل قريبا وان شخصا معيناً اسمه بوبلين سينفذ دورا فى الرواية . وهنا دور آخر ستأخذه المدموازيل زيا بلوفا ، اما الادوار الأخرى فسيأخذها آخرون اقل شأنا . ومع هذا فقد تتبع السيد الاعلان بكل عناية واهتمام ، بل ولم يهمل اسعار التذاكر . ولاحظ ايضا ان الاعلان مطبوع فى مطبعة حكومة الولاية . ومن ثم قلب الورقة على ظهرها ليرى اذا ما كان هناك شيء آخر للقراءة على الصفحة الأخرى . ولما لم ير شيئا فرك عينيه ووضع الورقة ثانية فى محفظته التى يضع فيها كل ما تقع عليه يده . وانهى يومه

• كوتزيو - مؤلف دراما المانى (١٧٦١-١٨١٩) .  
الناشر .



بقطعة من لحم العجل البارد وصحن شوربة من الكرنب  
المكبوس ونوم عميق .

وكرس اليوم التالى للزيارات ، فزار جميع وجهاء  
المدينة ، وزار حاكم الولاية زيارة بالغة الاحترام . وقد  
تبين ان حاكم الولاية يشبه تشيتشيكوف نفسه من  
حيث انه لم يكن بالسمين ولا بالنحيل . وكان يلبس  
حول عنقه شريطاً مع وسام آنا ، وقيل انه كان مرشحاً  
للحصول على وسام النجمة . وفيما عدا هذا كان طليبا  
كبير القلب . ولكن له عادة تتناوب احيانا وهى التسلى  
بتطريز الدنتلا . ثم زار تشيتشيكوف نائب حاكم  
الولاية ، فبيت المدعى العام ، ورئيس المجلس المحلى ،  
رئيس الشرطة ، ورئيس الجبابة ، فالمدير المحلى  
لمصانع الدولة . ان تذكر كل صغيرة وكبيرة فى عالمنا  
هذا ليس بالامر البسيط . ولكن زائرنا على الاقل اظهر  
منتهى النشاط فى عمله هذا بالقيام بالزيارات ، حتى  
انه ذهب الى مفتش دائرة البلدية الصحى والى مهندس  
المدينة المعمارى لتقديم واجبات الاحترام . وبعد  
ذلك جلس فى العربة لوقت طويل مفكرا غارقا فى  
التفكير فيمن تستحسن زيارته من غير هؤلاء . ومهما  
يكن من امر فهو لم يهمل وجيهاً واحداً ، وكان يجيبه  
الملق فى حديثه مع مضيفيه ، كل على حدة . وقد لمح  
لحاكم الولاية مثلاً بان الغريب اذا وصل الى ولايته  
يدرك انه وصل الى الفردوس بطرقه المخملية . وقد  
قال تشيتشيكوف «ان الحكومات التى توظف محافظين  
قديرين لتستحق اجزل فروض المديح» وكذلك ، ابدى

بطلنا فى حديثه مع رئيس الشرطة ملاحظة بشأن الشرطة  
المحلية كانت موضع عرفان الجميل . بينما اخطأ مرتين  
فى حديثه مع نائب حاكم الولاية ورئيس المجلس المحلى  
(وكلاهما موظف فى الدرجة الخامسة من الوظيفة) بان  
ناداهما «يا صاحب السعادة» ، فراق لهما هذا الخطأ .  
وكانت نتيجة هذا كله ان دعاه حاكم الولاية لزيارته  
ذلك المساء ، وتلاه بعض الموظفين فدعوه واحداً بعد  
الآخر ، احدهم للغداء والآخر لحفلة شاي ومسا الى  
ذلك .

على اية حال ، فان المسافر لم يتكلم عن نفسه الا  
القليل . واذا حدث ذلك ، فقد كان بصورة عامة  
وباعتدال شديد . وقد كان فى الواقع ، اذا ما تطرق  
الى هذا النوع من الحديث ، يتناوله بقالب ادبى .  
فكان يروى انه غير جدير باى تقدير من اترابه ،  
نظرا لكونه دودة لا يحسب لها حساب فى هذا العالم ،  
وانه مرّ بتجارب غريبة عديدة فى زمانه ، وانه بنى  
على ذلك قد عانى كثيرا فى سبيل الحقيقة . وان هناك  
اعداء كثيرين يطلبون حياته ، وانه - طلبا للراحة -  
يقوم الآن بالتفتيش على بقعة يستقر فيها . وحيث انه  
عثر على هذه المدينة والى نفسه فيها ، فقد رأى من  
واجبه العظمى ان يقدم احترامه الى السلطات المسؤولة  
فيها . كان هذا ولا شئ غيره هو ما عرفتة المدينة عن  
القادم الجديد فى تلك الآونة . ولم يضع - بالطبع -  
فرصة تقديم نفسه فى حفلة حاكم الولاية تلك الليلة .  
وقبل كل شئ ، على اية حال ، استغرق استعدادده



لهذه المهمة مدة تزيد على الساعتين ، واستلزم ان يعتنى بهندامه اعتناء قل ان يشاهد له مثيل . وتفصيل ذلك ، انه بعد اغفاءة قصيرة عقب العشاء ، طلب الماء والصابون وامضى وقتاً طويلاً فى دعك خديه اللذين كان بغية ذلك يدعمهما من الداخل بلسانه ، ثم فسى تجفيف وجهه الممتلى المستدير بفوطه تناولها عن كتف الخادم . وقد نخر فى وجه الخادم مرتين وهو يقبل ذلك ، ثم استقر اما المرأة ، ولبس قميصاً حقيقى المقدمة كاذب الجوانب والمؤخرة ، وثفت من انفه شعرتين بارزتين ، وخرج لابسا معطفا رسميا ذا لون احمر . ومن ثم ركب خلال الشوارع الواسعة الضئيلة الانارة ووصل بيت حاكم الولاية فوجده يتلألا نورا كما تعد البيوت للحفلات الراقصة . وعلى الباب كانت عربة مشتعلة المصابيح ، وشرطيان متهيئان ، ولغط السائقين وصياحهم . وكل ما يبعث الهيبة موجود كما يجب ان يكون . وما وصل الزائر الصالة حتى وجد نفسه مضطرا لاغلاق عينيه برهة وجيزة . فقد كان شديدا جدا ذلك البريق الخليط من المصابيح والشموع وملابس السيدات . كان كل شئ يبدو مخضباً بالنور ، والمعاطف السوداء فى كل مكان تبرق وتمرق - كما يحوم الذباب فى يوم من ايام الصيف القانظ حول قالب من السكر ، حين تجلس ربة البيت العجوز امام النافذة المفتوحة لتقطع القالب الى مكعبات صغيرة فيتجمع حولها اطفال البيت ليراقبوا حركات يديها الخشنتين وهما تهويان بالمدقة ، والذباب يدخل بنسجاعة وبملء

حريته فى اسراب جوية يحملها النسيم ، ويفتنم فرصة ضعف بصر العجوز وتوهج اشعة الشمس فى عينيه ، فينتشر على قطع السكر زرافات ووجدانا ، ومع ان وفرة المشهيات التى يجدها فى كل خطوة من خطواته تدعوه للدخول ، الا انه كان يدخل للتعريف بنفسه اكثر مما يدخل للاكل ، فيجرى استعراضا على القالب وهو صاعد نازل عليه ، ويفرك ارجله الخلفية وارجله الامامية بعضها ببعض ، وينظف جسده مما تحت الجناح ، او يفرك ارجله الامامية فوق الراس ومن ثم يطير من النافذة ليعود بأسراب نهابة اخرى . وقد كان تشيتشيكوف فى الحقيقة يبدأ بالنظر حوله حتى اخذه حاكم الولاية بالذراع ليقدمه الى زوجته ، الا ان ضيفنا الحديث الوصول احتفظ فى راسه بما يكفى لكى يختلق ويتمم بعض المعاملات ، وهو ما ينتظر تماما من رجل متوسط العمر ، من طبقة ليست بالرفيعة جدا ولا بالوضيعة جدا . وبالتالي ، حين تشكلت الأزواج للرقص وتراجع بقية الجمع الى العائط ، طوى تشيتشيكوف ذراعيه وراءه واخذ لدقيقتين يتفحص الراقصين باهتمام متزايد . كان بعض السيدات يلبسن لباسا جيدا من طراز حديث ، اما بقيةهن فكن يلبسن اخلاقا هى ما يهب الله عادة لعاصمة الولاية . وكان الرجال هنا ايضا - كما هم فى اى مكان آخر ينتمون الى صنفين مختلفين متمايزين : صنف يتألف من الرجال المشوقين الذين لا نكاد تميزهم ، عند تعويهم حول السيدات ، عن سكان العاصمة . فقد شذبت افوادهم فى منتهى العناية ومنتهى



الفن ، وفى غاية القبول بدت وجوههم البيضاوية الحليقة ، وكانت غاية السلاسة طريقتهم فى رعاية من يراقصونهن من السيدات ، وفى غاية الانطلاق حديثهم بالفرنسية حين يطرحون الاحاجى لصديقاتهم من النساء . كما فى بطرسبورج . اما الصنف الآخر فيتألف من الأشخاص السمان او الذين هم فى بنية تشيتشيكوف (اى ليسوا بالكثيرى السمعة ولا بالكثيرى النحول) . وهؤلاء تراجعوا او حادوا عن طريق السيدات واخذوا يحدقون هنا وهناك ليروا فيما اذا كان خدم حاكم الولاية قد اعدوا الموائد الخضراء للعبة الوست . كانت ملامحهم مليئة سميكة ، وكان لبعضهم نأليل ولم يكن اى واحد منهم بشعر اجمد او متموج او على الطراز الذى يسميه الفرنسيون «لياخذنى الشيطان» ، بل على العكس ، فقد كانت رؤوسهم اما طويلة او مشط الشعر عليها فعدت ملساء جداً . اما وجوههم فكانت مستديرة رصينة . وهذا الصنف يمثل اكثر الموظفين احتراماً فى المدينة . ويمكننى ان اذكر ، للأسف ، ان الرجال السمان فى هذه الدنيا يثبتون دائماً تفوقهم على اخوانهم النحاف فى شؤون الاعمال . فالنحاف تعهد اليهم مهمات خاصة فى الاكثر اذ يتقاضون رواتب على ذلك لا غير ويعملون ويتسكعون هنا وهناك ، وجودهم هوانى تافه هو خيبة الأمل المحضة . وزيادة على ذلك ، فالسمان لا يجلسون فى مقعد خلفى ، ولهم المقعد الامامى دائماً ، ويجلسون بثبات وثقة اينما كانوا ، ويأبون التحرك حتى لو تلسخ المقعد وهوى تحت ثقل اجسامهم . وهم

لجمال مظهرهم لا يكثرنون ابداً ، ولهذا لا يستريح المعطف على اكتافهم كما يستريح على اكتاف النحاف . الا ان السمان دائماً يجمعون الثروة الكبرى . اما النحيف ففى ثلاث سنوات لن تجد عنده فلاحاً لم يرمه . واذا نظرت الى السمين فستجد عنده قصراً فى الضاحية مسجلاً باسم زوجته ، ثم قصراً اكبر فى ضاحية اخرى ، ثم ضيعة قرب المدينة ، ثم قرية واسعة فيها الخير كله . اى ان السمين ، بأرضاء الله وأرضاء الدولة يحوز على احترام الجميع . وتكون نهايته ان يعتزل العمل ويعيد تنظيم حياته من جديد ، ويصبح سيداً لطيفاً يوزع الكرم ويحيا حياة بذخ ورخاء ، ويكون مصيره ان يخلّف ورثة نحافاً بعد موته ، يستولون على املاكه ويبعزقونها بسرعة على العادة الروسية . انا لا انكر ان ما سبق وصفه يمثل الى حد كبير خلاصة ما كان يدور فى مخيلة تشيتشيكوف عندما وقف يراقب الجمع . وكانت نتيجة هذه التأملات ان صمّم على الانضمام الى القسم الاسمن من الضيوف ، لا سيما وقد عرف بينها وجوها عديدة اليقة لديه ، منها وجه المدعى العام (وهو رجل بحواجب بارزة سوداء وغمزة ضعيفة فى عينه اليسرى وكأنها تغمز وتقول «تعال الى الغرفة المجاورة يا صديقى فعندى ما اقول لك» ، الا ان صاحبها غالباً ما يكون رجلاً مهيباً صموتاً) ، ومدير البريد (وهو شخص قصير الا انه ذكى وفيلسوف) ، ورئيس المجلس المحلى (وهو انسان على كثير من الوداعة) . حياً هؤلاء الرجال الثلاثة تشيتشيكوف وكأنه



احد المعارف القدماء ، ورد على تحياتهم بانحناء جانبية فيها الكثير من التاميل . وقد تعرف على ملاك شديد الالفة والتهذيب اسمه مانيلوف ، وعلى ملاك آخر اكثر خشونة اسمه سوباكيفيتش . وقد بدا الاخير بالتعارف بعد ان داس بشدة على قدم تشيتشيكوف ثم رجاء العفو . ودعى تشيتشيكوف بعد ذلك الى لعبة الوست فقبل الدعوة باحناء الراس اللطيفة المبهودة . وحين جلسوا الى المائدة الخضراء لم ينهضوا حتى موعد العشاء المتأخر . وفي هذه الفترة خيم الصمت على اللاعبين كما هي عادة الرجال عندما يكرسون اعصابهم لعمل خطير حقا . حتى ان مدير البريد الثرثار بطبيعته ، ما كاد يمسك الورق بيديه حتى بدا على وجهه التفكير العميق ، وزم شففيه ، وظل محافظا على هذه الصورة طيلة فترة اللعب . ولم يكن يتكلم الا اذا لعب لعبة رابعة ، عندئذ كان يضرب المائدة بقبضة يده ، واذا كانت الورقة الرابعة هي ملكة الورق يقول - «وبعد ، ايتها الكاهنة العجوز» ، اما اذا كانت الورقة الرابعة هي ملك الورق ، فيقول - «وبعد ، يا فلاح تامبوف» . وكان رئيس المجلس المحلي يرد دائما على هذه الصيحات ويقول - «آه ، امسكته من شاربيه ، امسكتها من شاربيه» . ومن حوالى المائدة كانت تتعالى صيحات تناسب مع اللعب ، تتخللها كنية او اخرى يطلقها المشتركون في اللعب على الاوراق المختلفة . ولا اظن بى حاجة الى القول بان اللاعبين تشاجروا في نهاية اللعب ، وان صاحبنا اشترك في الشجار . وقد فعل

ذلك بكل حنق ودراية بحيث جعل كل من رآه ، على الرغم من دوره الفعال في الشجار ، يعتقد انه قام بدوره هذا في اللف اسلوب مستطاع . فلم يكن يقول للاعبين قد «لقد لعبت الورقة الفلانية» . لا ، بل انه كان يستعمل جملا كالتالية - «لقد سمعت لنفسك بلعب الورقة الفلانية» ، ولقد ظل في الحقيقة محافظا على الوداد بينه وبين منافسيه ، يقدم لهم علبة السعوط المطلوبة بالفضة (وقد وضع في قعرها زهرتى بنفسج لرائحتها الجميلة) . وقد وجه القادم الجديد اهتمامه الى الملاكين مانيلوف وسوباكيفيتش المذكورين سالفا واستفسر عنهما في الحال حين تنحى برئيس المجلس ومدير البريد . ودلت الاسئلة التي وجهها الى هذين الملاكين لا على حب الاستطلاع وحسب ، بل على قدر من الذكاء العميق . فقد بدا بالتساؤل عن عدد الانفس التي يملكها كل منهما ، وكيف تسير امورها حاليا ، واخذ يستطلع عن اسميهما وعن عائلتيهما . وفي الحقيقة ، لم يستغرق وقتا طويلا حتى خلب عقول اصدقائه الجدد خلبا جميلا . اما مانيلوف بالذات - وهو رجل لا يزال في عتوانه وله عينان فسي حلاوة السكر تغمضان كلما ضحك - فقد وجد نفسه غير قادر على ابداء الكفاية من اعجابه ، فتوسل اليه - وهو يحتضن تشيتشيكوف احتضاناً طويلا - ان يشرفه بزيارة في بيته الريفي الذي قال انه يقع على بعد لا يزيد عن خمسة عشر فرستا . من حدود المدينة . واكد

\* قياس طول روسى يساوى ١٠٦ كيلومتر . الناشر .



له تشييتشيكوف رداً على ذلك (بانحناءه) هي في منتهى اللطافة ومصافحة توحى بغاية الاخلاص) انه ليس مستعداً لتنفيذ مشيئته وحسب ، بل انه يرى في تنفيذ هذه المشيئة واجباً مقدساً . وقال له سوباكيفيتش على طريقته الخاصة وبابجاز «اتزورنى؟» وراح يحرك حذائيه الكبيرين اللذين بلغت ضخامتهما درجة يصعب ان تجد زوجا بحجمهما - خاصة في هذه الايام التي اخذ فيها الابطال القصصيون الخرافيون في روسيا بالانقراض .

وفي اليوم التالي ذهب تشييتشيكوف ملبياً دعسوة عشاء وقضى المساء في بيت مدير الشرطة ، حيث جلس كل فرد فيه بعد العشاء منذ الساعة الثالثة للعبة الوست وظل في جلسته اياها حتى الساعة الثانية صباحا . وفي هذه الفرصة كان من بين من تعرف عليهم تشييتشيكوف ملاك يسمى نوزدريف ، وهو انسان مرح في الثلاثين من عمره . ولم يكده يتبادل معه ثلاث كلمات او اربعاً حتى راح يخاطبه بالضميم المفرد الثاني . ومع انه فعل الشيء نفسه مع مدير الشرطة والمدعى العام ، الا ان الجمع لم يكده يستقر في المقاعد على مائدة اللعب حتى بدا هذان الموظفان يراقبان لعب نوزدريف باهتمام ويدققان في كل ورقة يلعبها . وامضى تشييتشيكوف المساء التالي عند رئيس المجلس المحلي الذي استقبل ضيوفه برداء بيتي متسخ مع ان بين الضيوف سيدتين . وتبع ذلك مساء في بيت نائب حاكم الولاية ، وحفلة عشاء كبيرة في بيت رئيس الجبابة ، وحفلة اصغر

في بيت المدعى العام وهي حفلة كبيرة في الحقيقة ، وحفلة استقبال عند رئيس البلدية . وباختصار ، لم يجد تشييتشيكوف ساعة واحدة في اليوم يضطر الى قضائها في نزله ، ولم يعد رجوعه الى النزول ضروريا الا في ساعات النوم . وكيفما كان الامر فقد استقر به النوى ، وظهر في كل مكان على انه رجل حنكته الحياة . فقد كان دائماً يحافظ على ان يكون له نصيب في الحديث ، لا يعيقه عن ذلك مهما كان موضوع الحديث . فلو دار الحديث عن تربية الخبول ، فمن تربية الخبول خاصة فهو اهل للكلام . ولو دار عن الكلاب المدربة ، فله في الحال رأى جدى في هذا الموضوع . ولو تطرق الكلام الى محاكمة قضت فيها حديثا محكمة التمييز ، ففي التو يظهر انه غير جاهل في شؤون القانون . ولو ابدى رأى بشأن البلياردو ، فقد كان باستطاعته في هذا الموضوع ان يتحاشى اى خطأ . ولو اتبر حديث عن الفضيلة ، فمن الفضيلة يفيض بحديث يستنزف الدمع من كل عين . ولو كان موضوع الجدل عن تقطيع الخمر ، اجل ، فهذا امر عنده فيه العلم الصحيح . ولو ذكر احد موظفي الجمارك او احد المفتشين ، ففي اللحظة يسهب في الحديث كما لو كان موظفا في الجمارك او مفتشاً . الا انه كان عنده امر ملحوظ ، وهو قدرته على ان يجعل كل شيء جديا وكان يستطيع كبح جماح نفسه في اثناء الحديث ، وهو في سبيل ذلك يتكلم لا عالياً جدا ولا منخفضاً جدا ، ولا يزيد عما يكون مناسباً . بكلمة واحدة ، كان سيدا ذا طبائع متميزة ،



وكان كل موظف يفرح بوصول الوجه الجديد . وكان  
راى حاكم الولاية فى تشيتشيكوف انه رجل ذو اهداف  
سامية ، وراى المدعى العام انه رجل اعمال بارع ،  
وراى عقيد الدرك انه رجل مثقف ، وراى رئيس المجلس  
المحلى انه دمت الاخلاق مهذب ، وراى رئيس الشرطة  
انه انسان محترم ومتأدب ، ورات زوجة رئيس الشرطة  
ان ادب سلوكه لا يعادله الا حسن تربيته . بل ان  
سوباكيفيتش الذى كان من مبدئه ان لا يذكر الناس  
بالحسنى الا نادراً ، قال لزوجته الهزيلة عند عودته  
متاخرا من المدينة ، وبعد ان خلع ملابسه ليتمدد  
بجانبيه على الفراش «تناولت العشاء هذا المساء ، عند  
حاكم الولاية ، وذهبت الى بيت رئيس الشرطة ، وهناك  
قابلت من بين المدعوين شخصا اسمه بافيل  
ايفانوفيتش تشيتشيكوف ، وهو من متوسطى الاعيان ،  
وله شخصية محببة جدا .» واجابت زوجته على ذلك  
قائلة «مهم-م» ولكزته بقدمها .

هكذا كانت آراء المديح التى جناها القادم الجديد فى  
المدينة . وقد ظلت هذه الآراء على ما هى عليه حتى  
حدثت حادثة غريبة (سيعرفها القارى فيما يلى) اغرقت  
سكان المدينة فى بحر من الحيرة .

## الفصل الثانى

عاش الزائر فى المدينة ما يزيد عن اسبوع وسط  
الولائم والحفلات ، حيث امضى - على حد التعبير

الناس - وقتا ممتعا . وصمم أخيراً على ان يمد نطاق  
زياراته الى خارج حدود المدينة بالذهاب الى الملاكتين  
مانيلوف وسوباكيفيتش نظراً الى انه وعدهما بشرفه  
ان يفعل ذلك . الا ان ما دعاه فى الحقيقة الى هذا الامر  
قد يكون سبباً اكثر ضرورة وهدفاً اشد خطورة وغرضاً  
اقرب الى قلبه من السبب الذى ذكرت وسيحيط  
القارى علماً بهذا الغرض اذا كان لديه من الصبر ما  
يقرا به هذا الاستهلال القصصى الذى مهما بدا طويلاً  
الا انه قد يتسع ويزداد طولاً كلما قاربنا العقدة التى  
تدور ان يتوَّج بها هذا الكتاب . وعلى ذلك فقد  
تلقى الحوذى سيليفان ذات مساء أمراً باعداد الخيول  
فى وقت مبكر من صباح اليوم التالى ؛ بينما تلقى  
بتروشكا أمراً بالتخلف للعناية بالحقيبة والغرفة . وقد  
يرغب القارى هنا فى التعرف على الغادمين المذكورين .  
طبعاً لم يكونا من الشخصيات التى تستحق الذكر بل  
مجرد من يسميهم الناس شخصيات ثانوية ، او حتى  
اقل من ذلك شأنًا . وبالرغم من ان جوهر القصة  
ومحورها لا يعتمد عليهما بل سيمسهما مساً رقيقاً فقط  
او قد يشملهما احياناً - الا ان للمؤلف رغبته  
غراماً فى التفصيل ورغبة فى الدقة كما عند الالماني .  
فن الضرورى اذن ان نزيد قليلاً على ما عرفه القارى  
عن ان بتروشكا كان يرتدى عادة سترة بنية منبوذة  
اصلاً بحجم كبير عليه جداً ، وكان له ايضاً - كما هى  
عادة من هم فى صناعته - زوج غليظ من السفاء ،  
واثق بارز جداً . وكان بطبعه صموتاً اكثر منه نثراراً ،



وبه ميل الى تنقيف نفسه . اعني انه كان مغرمًا بقراءة الكتب وان لم يكن لديه فرق بين محتوياتها ، سواء منها كتب المغامرات البطولية او الحب او كتب الصرف والنحو او الكتب السماوية المقدسة . وكما اقول ، فقد كان يتتبع كل كتاب وقع بين يديه بالدرجة نفسها من الاهتمام ؛ ولو قدّم اليه كتاب في الكيمياء لقبله ايضاً . كان مجرد السلوى التي يستمدّها من فعل القراءة - لا الكلمات التي يقرؤها - هو ما يرتاح اليه عقله . على انه في اية لحظة قد تبرز له في الصفحة الواحدة كلمات شيطانية لا يفرّق فيها بين الراس والذنب . وكان في الغالب يقوم بمهمته هذه وهو مضطجع في مخدعه ؛ وهذا ما ادى بفراشه الى ان يصبح كالقطيرة الرقيقة . وبالإضافة الى حبه الانكباب على الكتب ، كان يزهر بعادتين هما ميزتان اخريتان اساسيتان في تكوين شخصيته : اولاهما عاداته في ان يأوى الى مضجعه بملابسه (اي بالسترة البنية السالفة الذكر) ، والاخرى في ان يحمل حيث ذهب جوه الخاص ورائحته الخاصة - رائحة بلغت من الاختصاص به مبلغاً كبيراً حتى انه ما يكاد ينسحب فراشه ويجلب معطفه الى مكان ما - حتى لو كان مسكناً جديداً لم يقطنه احد بعد - حتى تنبعث رائحة تدل على انه كان عامراً طوال السنين العشر الخوالي . ومع ان تشيتشيكوف رجل متائق - او بالاحرى سريع الانفعال - غير انه اذا التقطت خيائيمه هذه الرائحة مع اريج الصباح يقطب اساربره فقط ويهز راسه ويقول :

«الشیطان وحده يعلم ما بك . انك بلا شك تعرق كثيراً ، اليس كذلك ؟ وافضل ما يمكن ان تعمله هو ان تذهب فتستحم» . ولم يكن بتروشكا يجيب على هذا الكلام بشيء . ويحاول ان يشغل نفسه بعمل ما ، كان يقترب والفرشاة في يده الى حيث يكون معطف سيده معلقاً ، او يأخذ بترتيب شيء من الاشياء . بماذا راح يفكر في صمته هذا ؟ ربما كان يقول لنفسه «وانت ما اغربك ، الا تمل من اعادة هذا الكلام اربعين مرة» . لا يعلم ولا يرى كل شيء غير الله ، ولهذا فمن المستحيل اطلاقاً ان يعلم كائن بشري كل ما كان يدور في عقل الخادم عندما يعنفه سيده . ومهما يكن من امر ، فلا حاجة بنا مبدئياً الى زيادة في القول عن بتروشكا . اما من الناحية الاخرى ، فكان الحوذى سيليفان شخصاً آخر . . .

ولكني اودّ ان اذكر هنا اننى لا احب ان اشغل بال القارى بشؤون اشخاص هم من طبقة احط من طبقته ، فقد علمتني التجارب ان لا رغبة لهم في التعرف على الطبقات الدنيا ، وان من طبع الروسى العادى ان يعرف على اشخاص في درجات السلم الاجتماعى العليا . وفي الواقع فان تعرفه على امير او كونت ، حتى ولو بانحنائه لهما ، يعتبر في نظره اهم كثيراً من العلاقات المتينة بينه وبين الناس العاديين . ولهذا السبب نفسه فان مؤلف القصة يشعر بالخوف على بطله لا سيما وقد جعل هذا البطل من متوسطى الاعيان فقط - اي مجرد شخص قد يانس اليه كبار الاعيان ، ولكن من كانوا



برتبة جنرال سينظرون اليه نظرتهم الى كل من لا  
يتذلل تحت اقدامهم الجليلة . واسوا من ذلك ، فان  
اشخاصاً كهؤلاء ممن يحملون رتبة جنرال ، من المحتمل  
ان يعاملوا تشيتشيكوف باهمال مقصود ، والاهمال  
المقصود ينفت الموت للمؤلف . مهما يكن من امر ،  
وعلى الرغم من القنوط الذي توجيه الاحتمالات السابقة ،  
فقد حان الوقت لان اعود الى بطلي . فبعد ان املى على  
الخدم اوامره الليلية الضرورية ، نهض مبكراً واغتسل ،  
ودعك نفسه من الرأس الى القدم باسفنجة مبتلة (وهو  
امر كان يقوم به كل يوم احد فقط ، وقد حدث ان كان  
ذلك اليوم بالصدفة يوم احد) وحلق وجهه بعناية حتى  
اخذ خداه يشرقان اشراقه الحرير اللامع ، واصبحا  
ناعمين نعومته ، وارتدى اولاً معطفه الرسمي بلون  
التوت ، ومن ثم وضع معطفه المصنوع من جلد الدب  
وراح نازلاً على السلم وال خادم طوال هذه الآونة واقف  
على خدمته ودخل العربية . وبقرعة عالية انطلقت العربية  
من الفندق الى الشارع . ورفع كاهن قبعته اذ مرت  
العربية عليه ، واخذ بضعة من الصببية بملايس كنيبة  
يصبحون طلباً لشيء من الاحسان لليتامى . ولكن  
السائق لمح نذلاً منهم يوشك ان يتعلق برفرف العربية ،  
ففرق بسوطه فقفزت العربية بسرعة متزايدة على الارض  
المبلطة . واخيراً تنفس المسافر الصعداء عندما لمح  
عن بعد بداية الطريق الحصباء التي تبشره بنهاية  
الطريق المبلط ونهاية متاعب اخرى شتى . ولم يكده  
تشيتشيكوف يصدق ان يرى نفسه والعربية تدرج به

على الطريق المستوية بعد ان انخبط رأسه بصندوق  
العربة عدداً غير قليل من المرات . وما كادت المدينة  
تتباعد في الافق حتى اخذت جنبات الطريق تعرض  
مناظرها المختلفة من الاكمام المألوفة واشجار الشربين  
وخمائل الصنوبر الصغيرة والاشجار الهرمة ذات البذوع  
المجرحة وايكات العرعر البري ، وما مائل ذلك .  
وسرعان ما لاحت للابصار البيوت الريفية المتسلسلة  
التي كانت قريبة الشبه باكوام الحطب نظراً لدعاماتها  
المائلة وسقوفها الرمادية التي كانت تدلى من الجوانب  
كما تدلى الملاة على اطراف المائدة . وبالمثل فقد كان  
الفلاحون بمعاطفهم المألوفة المصنوعة من جلد المعزى  
يجلسون كالعادة متناهبين على مقاعد نصبت امام  
اكواخهم ، بينما اطلت نساؤهم ذوات التناطيع المثلثة  
والنهود المثلثة من الشبايبك العليا ، اما الشبايبك  
السفلى فقد بدا من احدها عجل متطلع ، ومن الآخر بدا  
فكا خنزير قبيحان . وباختصار ، كان المنظر من المناظر  
العادية المألوفة . وبعد ان مر تشيتشيكوف بالحجر  
الذي نقش عليه علامة الخمسة عشر فرسنا تذكر  
فجأة ان المسافة بين بيت مانيلوف الريفي وبين المدينة  
هي خمسة عشر فرسنا تماماً كما قال له مانيلوف  
بنفسه . لكن علامة الفرست السادس عشر مرت ايضاً  
دون ان يظهر أى اثر للقرية . وفي الحقيقة لو لم يقابل  
المسافر فلاحين في الطريق لذهبت مهمته من الرحلة  
عبثاً . ورداً على ما اذا كانت قرية زامانيلوفكا تقع في  
تلك الضواحي ، خلع الفلاحان قبعتيهما ، ومن ثم انبرى



احدهما ويبدو انه معتز بذكانه اكثر من زميله وله  
لحبة تشبه الاسفين ، وقال :

- ربما كنت تعنى مانيلوفكا - لا زامانيلوفكا ؟

- اجل ، اجل ، مانيلوفكا .

- مانيلوفكا ، اية ؟ عليك ان تتابع السفر فرستنا  
آخر ، وعندئذ ستراها امامك مباشرة الى اليمين .

فردد السائق الصدى يقول «الى اليمين ؟»

فاكد الفلاح قائلا «نعم الى اليمين . انك فى الطريق

الصحيح الى مانيلوفكا . لكن زامانيلوفكا - لا وجود

لمكان بهذا الاسم . فالقرية التى تعنيها تدعى مانيلوفكا

لان اسمها مانيلوفكا ، لكن لا وجود لقرية باسم

زامانيلوفكا . والبيت الذى تعنيه يقع هناك على تلك

الرابية ، وهو بيت مبنى من حجر ذو طابقين يعينى فيه

سيد ، اسمه مانيلوف . ولكن زامانيلوفكا غير موجودة

فى هذه النواحي ، ولم تكن موجودة فى يوم من الايام .

وهكذا شرع المسافرين فى التفتيش عن مانيلوفكا .

وبعد ان ساروا فرستين آخرين وصلا الى بقعة تشعب

منها طريق فرعية . غير انهم ساروا فى الطريق الفرعية

فرستين وثلاثة ثم اربعة قبل ان تلوح لهم اولى علامات

البيت الحجرى ذو الطابقين . عندئذ تذكر تشيتشيكوف

فجأة ان الصديق اذا دعا صديقه الى زيارته فى بيته

الريفى وقال له بان المسافة اليه خمسة عشر فرستا

وجب ان يفهم من ذلك ان المسافة لا تقل عن الثلاثين .

ان موقع قرية مانيلوف لا يعلو لكثير من الناس ، وكان

بيت السيد على مرتفع منعزل مكتشف ، تضرب فيه

الرياح من اى ناحية هبت . وعلى سفح المرتفع 'زرع'  
خشيش اخضر جار المقص عليه فى التقطيع ، بينما  
انتشر هنا وهناك حوضان او ثلاثة احواض من الزهور  
على الطراز الانجليزى فيها اصفات من البنفسج والطلح  
الاصفر . وكانت هناك ايضا خمس او ست من اشجار  
البتولا ذات ذرى هزيلة الاوراق . وتحت اثنتين من  
هذه الاشجار عريش بقبة مسطحة خضراء ودعائم خشبية  
مدهونة باللون الازرق ، ولوحة كتب عليها «هذا معبد  
التفكير الوحيدانى» . وعند اسفل السفح كانت بركة  
مطلبة باللون الاخضر - فالبرك ذات الطلاء الاخضر هى  
المنظر المألوف المتكرر فى حدائق الملاكين الروس  
وعند سفح المرتفع وفى بعض المواضع من منحدره  
تمتد سلسلة من الاكواخ المبنية من جذوع الاشجار ،  
والتي ابتدا بطلنا - لسبب لا يعلمه احد -  
باحسانها . وقد احصى مثنى او اكثر ولكنه لم يشاهد  
بينها عبقراً واحداً اخضر . كل ما كانت تقع عليه العين  
هو جذوع الاشجار التى بنيت منها تلك الاكواخ . لقد  
كان المنظر كنيباً حقاً لولا امرأتان فلاحتان رفعتا ذيل  
ملابسهما بشكل يسترعى الانتباه ، واخذتا تخوضان فى  
ماء البركة حتى ركبتيهما ، وهما تجران شبكة صيد  
متهرئة ذات مقابض خشبية وقد علق بين ثناياها  
سرطانان واسماك صغيرة نهريه بقشورها البراقة .  
ويبدو ان امرأتين كانتا على خصام شديد لسبب ما لان  
الجذل الحاد كان قائماً بينهما . ومع الاتفاق على احدى  
ناحيتى البيت كان يبدو شبح غابة الصنوبر الازرق



الاغبش . وحتى الطقس كان منسجماً مع تلك الظروف ، فلم يكن اليوم بالصافي ولا بالغائم ، ولكن السماء كانت مكسوة باللون الرمادي الذي نعهده في ملابس الجنود العرس الذين قضوا في الخدمة عهداً طويلاً وتعودوا السكر أيام الأحاد . واكتمالا للوحة التي وصفناها ، كان الديك نذير التقلبات الجوية ، موجوداً . ومع ان 'عرقه' كان عارياً ، نظراً الى ان الديوك الاخرى قد تنفتحه لأمور تتعلق بالشهامة ، الا انه رفرف بجناحين أجردين كبرقع قديم ، وزعق بالصوت عالياً . وما ان اقترب تشيتشيكوف من البيت حتى وقع بصره على مضيفه مرتدياً معطفاً رسمياً اخضر وواقفاً على الشرفة ، واضعاً احدى يديه على عينيه لكي يقيهما اشعة الشمس ، ويصبح في امكانه ان يستوضح العربة القادمة . وبالقدر الذي كانت فيه العربة تقترب من الشرفة كان يبدو الابتهاج في عيني المضيف وتزداد ابتسامته عرضاً .

وما كاد يقع نظره على تشيتشيكوف وهو يهبط من العربة حتى صاح قائلاً «بافيل ايفانوفيتش . لم يكن يدور بخلدي اننا سنخطر لك على بال» .

وتعانق الصديقان عناقاً حاراً ، ثم قاد مانيلوف ضيفه الى قاعة الاستقبال . وسوف اغتنم الفترة القصيرة التي سيتضيانها في اجتياز القاعة والغرفة الامامية وغرفة الطعام ، لاحاول ان اتحدث شيئاً عن رب البيت . ولكن امراً كهذا مليء بالمصاعب ، وهو اكثر سهولة من تصوير شخصية من الشخصيات البارزة التي لا تحتاج عنه

رسمها الا الى اخفاء شتى الالوان عليها ، كان نقول : العينان سوداوان ملتہبتان والحاجبان غليظان ناتئان والجبهة تعلوها التجاعيد والعباءة سوداء او حمراء قانية مرمية على الكتف ، وما الى ذلك . اجل ان ملاكي الاقنات الروس كثيرو العدد جداً ، ومتشابهون ، ومع ان دراستهم العميقة المتفحصنة ستبدي لنا خصائص غريبة عديدة للأفراد منهم ، الا ان وصفهم من الصعوبة بمكان عظيم . وعلى من اراد ذلك ان يستنزف جهده العقلي حتى آخر قطرة قبل ان يصبح في استطاعته معرفة ملامح الوجه الدقيقة التي لا تكاد ترى والتي تتميز بها هذه الطبقة . وباختصار ، يتعنم على المرء ، قبل ان يقوم بهذا العمل ، ان يسبر غور هذا الموضوع امداً طويلاً بفطنة حادة ونظر بعيد عميق .

الله وحده يعلم حقيقة شخصية مانيلوف . ان هناك فئة من الناس ينطبق عليها المثل القائل «لا هو في العير ولا في النغير» . لهذه الفئة يجب ان ننسب مانيلوف . كان مظهره الخارجي على قدر كبير من الوسامة لا ينتقصه شيء من اللطف ، ولكن هذا اللطف مضاف اليه قسم كبير من عنصر السكر ، بحيث اصبحت كل لمعة من لمعانه وكل وضع من اوضاعه تدل على رغبة في التعارف وشوق لربط اواصر الوداد .

كان ذا ابتسامة مغربة وشعر اشقر وعينين زرقاوين واذا ما بدا المرء بالحديث معه ، فان ابتسامته المحببة وضمره الكتاني وعينيه الزرقاوين تجعل المرء يقول عنه في اللحظة الاولى «يالاه من رجل لطيف محبوب» ، لكنه



في اللحظة التالية سوف يشعر بأنه غير راغب في أن يقول شيئاً ، أما في اللحظة التي تلي ذلك فلن يجد أمامه ما يقول إلا «الشيطان وحده يعلم ما هو هذا الانسان» . وإذا لم يسرع المرء بتركه لسبب من الأسباب فمما لا شك فيه أنه سوف يحس بذلك السام القاتل الذي يشعر به كل انسان اذا ما عرف أن ليس هناك من جديد أو طريف في وضع من الأوضاع وأن عليه ان لا ينتظر اية كلمة حية أو متعجرفة يتدفق من شفهي انسان آخر اكتشفت هوايته . ولكل انسان هواية . فهواية البعض تربية الكلاب ، وهواية آخر الاعتقاد بأنه محب للموسيقى وأن باستطاعته أن يسبر هذا الفن الى غوره ، وآخر أن يظهر بمظهر الخبير بأنواع المأكولات الطيبة ، وهواية آخر الطموح في أن يلعب في هذه الحياة دوراً اكبر من ذلك الذي خصصته له الطبيعة ، وهواية آخر (وهذا اقل طموحا) قد تكون في النوم ليحلم - انه يتنزه في الشوارع مع ضابط كبير امام ابصار اصدقائه وغير اصدقائه ، وقد تكون هواية آخر ان تصبح يده قادرة على خدش طرف الأس في اوراق اللعب ، وقد تكون هواية انسان آخر ان يضع الامور في نصابها ، ويتقرب من شخصية مدير محطة تبديل الخيول او الحوزية . وباختصار لكل انسان هواية وميل - الا مانيلوف ، فلم يكن له شيء من هذا القبيل . فقد كان في البيت قليل الكلام وكان ينفض القسم الاكبر من اوقاته في التفكير - اما مفسون هذا التفكير فلا يعلمه الا الله . ولا أستطيع ان اقول بأنه

كان يهتم بامور مزرعته لا في الكثير ولا في القليل ، لانه لم يذهب لتفقد ما قط ، وكانت المزرعة عملياً هي التي تدبر نفسها . واذا قال له مأمور املاكه يوماً «قد يكون من المستحسن ان نعمل الشيء الفلاني» اجابه قائلاً ، «نعم انها فكرة لا بأس بها» ثم يأخذ في تدخين غليونه - وهي عادة اكتسبها اثناء خدمته في الجيش حين كان اترابه ينظرون اليه على انه ضابط محترم مرفق رقيق الحاشية . ومن ثم يكرر قائلاً «نعم انها فكرة لا بأس بها» . واذا ما جاء يوماً فلاح واقترب منه وهو يحك مؤخرة عنقه وقال «سيدي ، اتسمح لي باجازة لكي اذهب واشتغل لنفسى حتى اجمع ضريبتى» كان يجيبه حالاً بقوله ، «اجل ، اذهب» ولن يتعب نفسه في التفكير عما اذا كان هدف الفلاح الحقيقي الذهاب للمسكر في العانة . وقد كان في الواقع يقف ، في بعض الاحيان في الشرفة وينقل بصره من الساحة الى البركة ويقول لنفسه ، كم يكون رائعاً في الحقيقة لو ان مرأ شق تحت البركة ، وان ينصب جسر حجري فوق البركة فجأة ايضاً ، وان تقوم في لمح البصر حوانيت ، فيها جميع مستلزمات الفلاحين الضرورية . وفي لحظات كهذه تبدو في عينيه علامات النصر وعلى ملامحه امارات الرضى العميق . غير أن هذه المشاريع لم تعد مرحلة التأمل اطلاقاً . وبالمثل ، ففي مكتبته كتاب مقلوب ابدأ على الصفحة الرابعة عشر . انه الكتاب الذي كان ولا يزال يقرأ فيه في السنتين الأخيرتين ! اما قصره الجميل فكان يبدو ان هناك شيئاً



ينقصه على وجه التعميم . فمع ان غرفة الاستقبال مثلا ، كانت مليئة بالاثاث الحريري الجميل الذى كلّف مبالغ غير قليلة ، فقد كان فيها كرسيان لا تغطيا . لمقعديهما بل حصيرة من ليف ، الا ان رب البيت كان قد اعتاد فى السنوات القليلة الماضية ان يحذر ضيوفه من الجلوس عليهما قائلا «لا تجلسوا على هذين الكرسيين ، لم يتم انجازهما بعد» . وهناك غرفة اخرى خالية من الاثاث ، مع انه فى الايام الاولى التى تلت عرسه قال لزوجته «غدا يا عزيزتى سوف نجلب بعض الاثاث لهذه الغرفة ، ولو كان اثاثا مؤقتا» . ففى كل امسية يضع الخدم على مائدة غرفة الاستقبال شمعدانا برونزيا لطيفا مزينا بالصفوف عليه ثالثو الجمال وشمعدانا عاديا عتيقا من نحاس تعلوه طبقة كثيفة من الاوساخ ، الا ان احدا لم يفكر فى هذا الموضوع . لا رب البيت ولا ربه ولا احد من الخدم . وفى الوقت نفسه كان مانيلوف وزوجته راضيين عن بعضهما البعض كل الرضى . فقد مر على زواجهما اكثر من ثمانى سنوات ، الا ان كل واحد منهما كان دائما وابدا يقدم للآخر قطعة من التفاح او الحلوى او الجوز ، وهو - او هي - يتمتع كلمات عاطفية صادرة من اعماق القلب . كانت الجملة التى يرددانها هى الجملة المحفوظة التالية «افتحى (او افتح) فمك يا عزيزتى (او يا عزيزى) ودعنى اضع فيه هذه القطعة» وعلى القارى ان يتأكد ان الفم العزيز كان يفتح بكل دلال . واذا جاء عيد ميلاد الواحد منهما كان الآخر يقدم له هدية المفاجأة ككيس

مزين بالخرز لحفظ تسليك الاسنان او ما مائل ذلك . واذا ما كانا يجلسان معاً على الديوان فانه ، فجأة وليسب غير معروف ، يضع غليونه جانباً وهى بدورها تلقى ما فى يديها من شغل الصوف (اذا حدث ان كان آنذاك بين يديهما) ويتعاقب الزوجان ليطلع كل واحد منهما على شفتى الآخر قبلة فاترة طويلة يستطيع المرء انئاما ان يدخن سيجاراً صغيراً . وباختصار ، كانا من النوع الذى يطلق عليه «زوجين سعيدين» . الا انه يجب ان نذكر هنا ان الزواج السعيد يتطلب امورا اخرى يهتم بها الزوجان غير المعانقة واعداد الهدايا المفاجئة . اجل ، فهناك اعمال يجب ان تحظى باهتمام الزوجين . فلماذا يظنّ مثلا ، بان اشراف ربة البيت على شؤون المطبخ امر معيب او ماس بالكرامة ؟ ولماذا لا يصرّف الاهتمام الكافى الى المخازن ومستودعات البيت لكى لا ينقص من مستلزماته شىء ؟ ولماذا تعطى الفرصة للقهرمانة فى البيت لكى تسرق ما فيه ؟ ولماذا يبقى فى البيت خدمه المهملون السكارى ؟ ولماذا يسمح لهم بالنوم والعريضة طول الوقت ؟ لكن لا شىء من هذه الامور جدير بالاهتمام فى عيني مدام مانيلوف لانها كانت قد تربت تربية راقية . والتربية الراقية - كما نعلم - موجودة فى المدارس الداخلية . والمدارس الداخلية - كما هو معروف لدى الجميع - ترى ان اساس الفضيلة تقوم على ثلاثة مبادئ رئيسية هامة ، اللغة الفرنسية (وهى امر لا غنى عنه للحياة الزوجية) ، والعزف على البيانو (وهو امر ضرورى لتسلية الزوج فى



«انى لن افعل ، فارجو عفوك . اننى لن اسمح لنفسى بان اتقدم على ضيف عزيز مهذب ، مثلك ، اطلاقاً» .  
«ولماذا تصفنى بالمهذب يا سيدى العزيز ؟ أرجوك ان تدخل» .  
«كلا ، لن يكون ذلك ، تفضل» .  
«ولماذا؟»

فابتسم مانيلوف ابتسامته الحلوة ، وقال «للسبب الذى ذكرت» .  
واخيراً دخل الصديقان سوياً بجانبيهما يزحم أحدهما الآخر بعض الشيء .

واستأنف مانيلوف حديثه قائلاً «اسمح لى ان اقدم لك زوجتى» . وقال لزوجته «هذا بافيل ايفانوفيتش يا عزيزتى !» وفى تلك اللحظة وقعت عينا تشيتشيكوف على سيدة كان قد سها عن رؤيتها حين كان يتبادل الانحناءات مع مانيلوف فى مدخل الباب . لم تكن قبيحة المنظر قط ، وكانت ترتدى ثوباً من الحرير الملون ، وعندما دخل الزائر الغرفة رمت من يديها الصغيرتين شيئاً على المائدة وامسكت بمنديل من الشيت قبل ان تنهض من على الديوان الذى كانت تجلس عليه . واخذ تشيتشيكوف يدها بغير قليل من الارتياح ، وراح يستمع اليها وهى تحدثه بلغة بسيطة فى اللفظ ، وتخبره انها هى وزوجها يشعران بالامتنان العظيم لمجيئته ، وان زوجها فى المدة الأخيرة كان يذكره كل يوم .

واكد مانيلوف هذا الحديث بقوله «وفى كل يوم

اوقات الفراغ) ، وذلك الفرع من التدبير المنزلى الذى يختص بحياكة المحفظات واعداد المفاجآت . على أية حال ، فقد بدأت الاصلاحات والتغييرات تحتل مكانها فى هذه المؤسسات فى الوقت الراهن لأن الامور فيها اصبحت تسير وفق رغبات القائمين عليها وحسب احوالهم الشخصية . وفى بعض هذه المعاهد مثلاً ، اصبح العزف على البيانو يحتل المرتبة الاولى والفرنسية تحتل المرتبة الثانية أما التدبير المنزلى المذكور اعلاه فيأتى فى المرتبة الأخيرة . بينما نجد فى معاهد أخرى ان حياكة هدايا المفاجآت تحتل الدرجة الاولى تليها اللغة الفرنسية ثم العزف على البيانو - الى هذه الدرجة بلغ الاختلاف فى الانظمة السائدة ! ومع ذلك فيمكن ان اقول ان مدام مانيلوف . . . لكننى يجب ان اعترف باننى اخشى دائماً ان اتحدث الكثير عن السيدات . وبالإضافة الى ذلك فقد حان الوقت لكى نعود الى بطلينا اللذين كانا واقفين فى الدقائق القليلة الماضية امام باب غرفة الاستقبال يتباريان فى تقديم بعضهما البعض فى السبق الى الدخول .

قال تشيتشيكوف «ارجو ان تتكرم بالدخول وان لا تزعج نفسك بسببى ، فسوف اتبعك» .  
فاشار مانيلوف الى الباب وقال «لا يا بافيل ايفانوفيتش ، لا ! انك ضيفى» .

فقال تشيتشيكوف «لا تجعل من هذه المسألة أمراً كبيراً ، أرجوك لا تجعل منها أمراً كبيراً وان تتفضل بالدخول قبلى» .



كانت تسألنى - ولماذا لم يطل علينا صديقك حتى الآن - وكنت دائماً أجيبها قائلاً - انتظرى قليلاً يا عزيزتى ، فلن يمر وقت طويل حتى يأتى - وها أنت قد جئت ، ها أنت قد شرفتنا بهذه الزيارة ، وها أنت قد اغدقت علينا البهجة الكبرى ، بهجة تجعل هذا اليوم عيداً ، أجل انه عيد ميلاد القلوب» .

وما ان سمع تشيتشيكوف أن المسألة قد تطورت بحيث أصبحت عيد ميلاد القلوب حتى اعتراه بعض الارتباك . فأجاب اجابة متواضعة بأنه لا يعتز بأصل ممتاز ولا برتبة ممتازة ، ولكن مانيلوف قاطعه بابتسامته الآسرة قائلاً ، «انك كذلك ، بل اكثر من ذلك» .

وتساءلت مدام مانيلوفا ، «وكيف رايت مدينتنا ؟ هل قضيت فيها وقتاً طيباً ؟» .

فأجاب تشيتشيكوف «أجل ، انها للطيفة جداً ، وقد أعجبنى فيها كرم أهلها» .

«وما رأيك فى حاكمنا ؟»

وأضاف مانيلوف «الا تراه شخصية عظيمة ساحرة ؟» فقال تشيتشيكوف «انه كذلك ، وهو فى الحقيقة رجل يستحق كل احترام . ويا للدقة التى يقوم بها بانجاز مهامه حسب ما يرشده اليه عقله النير ! ليت فى البلاد الكثير من امثاله !»

فابتسم مانيلوف وأغمض عينيه نصف اغماضة كالقطة التى يداعبها صاحبها من خلف أذنيها ، وقال ، «يا للروعة التى يقابل بها كل انسان» .

فاكد تشيتشيكوف هذا بقوله «تماماً . انه فى غاية الانس والوداعة . ويا له من فنان ! لم اكن اتصور انه يستطيع ان يعمل هذه الاشغال اليدوية المنزلية التى عملها ! ان بعض اشغال الابرة التى اطلعنى عليها لا تستطيع سيدة فى البلاد ان تجاريه فيها !»

وتسأل مانيلوف مغمضاً عينيه مرة أخرى «ونائب حاكم الولاية ، انه شخص لطيف . اليس كذلك ؟» فأجاب تشيتشيكوف «جداً جداً ! انه شخص عظيم حقاً» .

«وما رأيك فى رئيس الشرطة ؟ اليس هو فى الواقع انساناً طيباً خلوقاً جداً ؟»

«طيب ، خلوق بكل تأكيد . ويا له من انسان بارع واسع الاطلاع ، لقد لعبت معه ومع المدعى العام ورئيس المجلس المحلى لعبة الوست الى ان صاح ديك الصباح صبحاته الأخيرة . انه لشخص رائع .

وتساءلت مدام مانيلوفا «وما رأيك فى زوجته ؟ اليست شخصيتها من الفخامة على قدر كبير ؟» فوافق تشيتشيكوف قائلاً «انها من احسن من عرفت» .

ولم ينس الجمع فى حديثهم رئيس المجلس المحلى ومدير البريد ، حتى مروا بذكر موظفى المدينة كلهم . وقد تبين فى كل حالة من هذه الحالات ان هؤلاء الموظفين فى اسمى درجات الكفاءة .

ثم تسأل تشيتشيكوف قائلاً ، «وهل تقضى وقتك كله فى الريف ؟»

فأجاب مانيلوف «معظم الوقت ، مع اننا ايضاً نقوم

بزيارات للمدينة بغية الاختلاط مع الطبقة ذات النشأة  
الحسنة . ان المرء ليعلوه الصدا اذا ما سيحيا حياة  
العزلة» .

فوافق تشيتشيكوف قائلا «ان هذا لصحيح» .  
فتابع مانيلوف يقول «اجل هذا صحيح ، وفي الوقت  
نفسه سيكون الامر مختلفا فيما لو كان هناك جـار  
واع - اى ان يكون هناك صديق مثقف يستطيع  
الانسان ان يبحث معه فى الاخلاق والآداب او ان  
يتجادل معه فى فرع من فروع العلم ، لكى يحرك المرء  
عقله . لان هذه الامور تبعث الحيوية فى الانسان .  
ان ، ان . . .» ووجد نفسه ضائعا فى التفتيش عن  
كلمات يعبر بها عن مشاعره وأشار اشارة تدل على  
انه قد ذهب بعيدا فى الموضوع ، واستمر يقول «ان  
ما اعنيه انه لو كان ذلك الشئ موجودا ، فاننى سوف  
اجد متعة كبيرة فى العيش فى الريف . ولكن شيئا  
كهذا فى الواقع غير موجود ، وكل ما يستطيع عمله هو  
اننى فى بعض الاوقات اقرا مجلة «ابن الوطن» .  
وقد وافق تشيتشيكوف على هذه المشاعر موافقة  
كاملة ، و اضاف الى ذلك يقول بان من المبهج حقا  
للانسان ان يحيا حياة العزلة اذا ما استطاع ان يقضى  
اوقاته بين التأمل فى الطبيعة وقراءة الكتب .  
ولكن مانيلوف استدرك قائلا «ولكن هذا كله لن  
يساوى شيئا اذا لم يجد المرء صديقا يشاطره الحياة» .  
فوافق تشيتشيكوف على ذلك ايضا بقوله «حقا ،  
حقا ، فما قيمة كنوز العالم كلها بدون صديق . وقد

قال احد الحكماء - الكنز الثمين لا يغنيك عن الصديق  
الامين» .

هنا بدت على وجه مانيلوف اشراقة ليست حلوة  
وحسب ، وانما لها صفة المزيج الذى يخلطه الطبيب  
الحاذق بالدواء المر فيجعله حلوا عندما يريد ان يسقيه  
للمريض الوجع . وقال «اجل يا بافيل ايغانوفيتش ، لا  
اظنك تستطيع ان تتصور اى سعادة او على الاصح اى  
سعادة كاملة شاملة اغدقتها علينا هذه الفرصة العالية .  
فهى قد اتاحت لى ان احظى بسماع حديثك العذب وان  
استمتع بهذا الحديث» .

فاجاب تشيتشيكوف «انك تبالغ يا سيدى . اى  
حديث عذب ! ما انا الا انسان ضئيل ، اننى فى  
الواقع لا شئ» .

فصاح الآخر «كفى يا بافيل ايغانوفيتش ، اذا شئت  
ان اكون صريحا معك فاننى اقول لك باننى ساكون  
سعيدا لو اعطيت نصف ما املك مقابل ان احوز على  
قسم من مواهبك» .

«على العكس من ذلك ، فانا اعتبر ان اسمى شرف فى  
العالم . . .»

ولا يعلم الا الله طول المدى الذى كان سيمتد اليه  
هذا الحديث الروحاني المتدفق المتبادل لو لم يدخل  
احد الخدم ليعلمن لهما ان الغداء جاهز .

وقال مانيلوف «بكل احترام ادعوك لاصطحابنا على  
المائدة . وانى لالتمس منك المَعذرة لعدم استطاعتنا ان  
ننبش لك احتفالا مناسبا كما يفعلون فى المدينة او فى



العاصمة . فليس لدينا غير حساء الكرنب الروسى ،  
ولكننا نقدمه اليك من قلب مخلص . تفضل بكل  
احترام ، ارجوك» .

وبعد جدل طويل فى تقديم الواحد على الآخر فى  
الدخول الى غرفة الطعام ، اجتاز تشيتشيكوف الباب  
وهو يسير وجنبه الى الامام . ووجدا طفلين فى  
انتظارهما . كانا ولدي مانيلوف ، وهما فى سن يسمح  
لهما بالجلوس على الموائد ، اذا ما وضعت لهما الكراسى  
العالية الخاصة لهذا الغرض . وكان يقف الى جانب  
الصبيين معلمهما الذى ابتسم وانحنى للضيف بكل  
ادب . ومن ثم جلست ربة البيت امام طبق حسائها ،  
فاجلس ضيف الشرف بينها وبين رب البيت ، بينما اخذ  
احد الخدم يربط القوط البيضاء على عنقى الطفلين .  
وحدث تشيتشيكوف فى الصبيين وقال «يا لسحر  
هذين الطفلين ! كم عمرهما ؟»

فاجاب مانيلوف «الكبير فى الثامنة اما الصغير فقد  
اكمل السادسة امس» .

والتفت الاب الى الابن الأكبر ، وكان يجاهد فى  
تخليص ذقنه من الغوطه التى لفه بها الخادم ، وقال  
«ثيميستوكليوس» . وما ان سمع تشيتشيكوف هذا  
الاسم الاغريقى الصرف (الذى كان الاب لسبب غير  
معروف يضع فى آخره دائماً «يوس») حتى رفع حاجبيه  
قليلاً ، ولكنه سارع فى اللحظة التى قلتها الى استرجاع  
المظهر الملائم لملامحه .

وقال الاب «ثيميستوكليوس ، قل لى ما هى اجمل  
مدينة فى فرنسا ؟»

وعندما سمع المعلم هذا السؤال ركز اهتمامه على  
ثيميستوكليوس ، وكان يريد ان تقع عيناه على عينيه .  
ولم يبد على المعلم الهدوء الا عندما لفظ  
ثيميستوكليوس كلمة «باريس» فخفض رأسه .  
وعاد مانيلوف السؤال «وما هى اجمل مدينة فى  
روسيا ؟»

وعاد المعلم الى وضعه السابق من الاهتمام والتركيز  
الشديدين .

واجاب ثيميستوكليوس «بترسبورج» .

«وما هى المدينة الاخرى ؟»

فاجاب الصبى «موسكو» .

فالتفت تشيتشيكوف الى الاب وعلائم الدهشة على  
وجهه «يا للصغير البارع ! ويا لسعة معرفته فى سن  
ك هذه السن ! على ان اقول بان مواهب عظيمة تكمن  
فى هذا الطفل الصغير» .

فابتهج مانيلوف وقال «انك لا تعرفه معرفة صحيحة  
بعد ، فان حدة ذكائه تفوق التصور . ان اخاه الاصغر  
الكيد ليس فى هذه الحدة من الذكاء . اما الأكبر فان  
عينيه تكادان تخرجان من رأسه كلما رأى شيئاً ، مهما  
كان ذلك الشئ - سواء كان صرصاراً او جندياً او أى  
شئ آخر ، ويركض ليمسك بذلك الشئ ويتفحصه .  
انى اغدّم لمنصب دبلوماسى» والتفت الاب الى ابنه مرة  
اخرى وساله «هل تحب ان تكون سفيراً ؟»

فقال ثيميستوكليوس وهو يمضغ قطعة من الخبز ويحرك رأسه من جهة الى اخرى «نعم ، احب» .  
وفى هذه اللحظة انبرى الخادم الواقف خلف سفير المستقبل ومسح فمه بالقوطة . وقد احسن صنعا بعمله هذا ، فلولا ل زاد طبق الحساء الموجود امامه نقطة غير ظريفة الشكل ولا التكوين . وتحول الحديث بعد ذلك الى مباحث الحياة الهادئة ، لولا ان ربة البيت كانت تقاطعه بالحديث عن التمثيل والممثلين فى المدينة . وكان المعلم اثناء ذلك يركز بصره على وجوه المتكلمين ، واذا ما لاحظ ان الجمع على وشك الضحك فتح فمه واخذ يضحك بحماس . وقد يكون صاحب عرفان بالجميل اراد ان يكافئ مستخدمه على المعاملة الحسنة التى يلقاها فى منزله . مهما يكن من امر ، وفى فترة من الفترات علت وجهه امارات العيوس والتقطيب ، وسدد نظره على الولدين الجالسين امامه وقرع المائدة قرعة رصينة . حدث ذلك عندما راي ان ثيميستوكليوس عض الكيد من اذنه ، فقطب الكيد المذكور عينيه وفتح فمه استعدادا للبكاء بصوت يستدعى الشفقة . وما ان ادرك ان اجراء كهذا قد يترتب عليه حرمانه من طبق اكله حتى سارع الى اعادة فمه الى الوضع الطبيعى وراح ، والدموع تتساقط من عينيه ، ينهش قطعة من عظم سرعان ما غطى دهنها خديه . بينما كانت ربة البيت بين الأونة والأخرى تلتفت الى تشيتشيكوف قائلة «انك لا تاكل شيئا ، ان ما اكلته لقليل جداً» . ولكن الضيف كان يجيبها

دائماً بقوله «شكراً ، لقد اكلت فوق الكفاية . ان الحديث الطريف احسن من كل اطباق الطعام فى العالم» . ونهض الجمع اخيراً عن المائدة . وكانت معنويات مانيلوف عالية جداً ، وقد وضع يده على كتف تشيتشيكوف لكى يسير به الى غرفة الاستقبال عندما اعلن الأخير فجأة انه يريد ان يعادته فى موضوع هام جداً .

فقال مانيلوف «اذا كان الامر كذلك فاسمح لى ان ادعوك الى مكتبى» وسار به الى غرفة صغيرة تطل على الغابة الزرقاء ، واضاف قائلاً «هذا معتكفى» . قال تشيتشيكوف «يا له من معتكف رائع !» وراح يتنحس الغرفة بعناية .

والواقع انه لم يكن ينتقصها اى جمال . كانت الجدران مطلية بلون بين الازرق والرمادى ، وكان فيها من الأثاث اربعة كراسى ومقعد ومنضدة - وكان على الأخيرة بضعة اوراق بيضاء والكتاب الذى سنحت لى فرصة سابقة ان اتحدث للقارى عنه . ولكن اهم ميزة للغرفة بارزة فيها بشكل ملحوظ هى التبغ . فقد كان يبدو فيها بمظاهر مختلفة - محفوظة فى علب من الورق ، وفى اوان خزفية ، وعلى شكل اكوام منثورة على المنضدة . اما على حافة الشبايبك فقد صفت اكوام صغيرة من الرماد مرتبة بشكل لا يخلو من فن وفن صنفوف فيها شئ من الانتظام . من الجلى ان التدخين كان متعة يقضى فيها رب البيت اوقاتاً طويلة .



وقال مانيلوف «اسمح لى ان اقدم لك هذا المقعد لتجلس عليه . وسننعم بالهدوء هنا اكثر» .  
«ولكننى افضل الجلوس على هذا الكرسي» .

فاعترض مانيلوف قائلاً «اننى لن اسمح بذلك . فانى احتفظ بهذا المقعد خصيصاً للضيوف . وسواء حلا لك ام لم يحل ، فيجب ان تجلس عليه» .

وبناء على ذلك انصاع تشيتشيكوف .  
«ودعنى اقدم لك غليوناً» .

فاجابه تشيتشيكوف بكل ادب وبمظهر الأسف «اننى لا ادخن اطلاقاً» .

فتسأل مانيلوف بأدب وبأسف اصيل «ولماذا؟»  
«اننى اخشى ان اكتسب هذه العادة . ويقال انها تورث الرئتين الجفاف» .

«اذن فاسمح لى بان اقول لك بان هذا غير صحيح . بل استطيع ان اقول بان تدخين الغليون هو احسن للصحة من استنشاق الصعوط . لقد عرفت فى كتيبتنا ملازماً مهذباً ممتازاً كان لا يستطيع ان يرفع الغليون من فمه ، سواء كان على مائدة الطعام او كان ، إلا مواخذة ، فى محلات اخرى . انه الآن فى الاربعين ويتمتع بفضل الله بصحة لا يتمتع بها شخص آخر» .

فاجابه تشيتشيكوف بان هذا الشيء معقول ، لان الطبيعة فيها الغاز لا يستطيع اكبر عقل بشرى ان يجد لها تفسيراً .

ثم قال «اسمح لى ان اطرح عليك سؤالاً» وبدأ فى صوته نغم غريب او فى الواقع كان غريباً . ولسبب

غير معروف نظر من فوق كتفه . ولسبب غير معروف نظر مانيلوف من فوق كتفه ايضاً .

والقى الضيف سؤاله يقول «منذ متى قدمت للحكومة الاحصاء الأخير؟» .

«منذ مدة طويلة ، طويلة جداً . اننى لا اذكر فى الحقيقة متى كان ذلك» .

«ومنذ تلك الفترة ، هل مات الكثير من اقنانك؟»  
«لا اعرف . اذا شئت ان اتأكد لك من ذلك يجب

ان اسأل مأمور املاكى . ايها الخادم ، اذهب وناد مأمور الاملاك . كان لا بد ان يكون اليوم موجوداً هنا» .

وجاء مأمور الاملاك آخر الامر . كان يقارب الاربعين من العمر ، حليق الذقن ، يرتدى معطفاً رسمياً ، ويبدو على سيماه انه اليق الراحة . نظرا الى ان وجهه كان من ذلك النوع الممتلئ الناعم ، كان لون الجلد المحيط بعينيه الصغيرتين الشبيهتين بشقين شاحباً مما يدل على ان صاحب هذه الملامح اليسف فراش من ريش النعام . وفى لمحة البصر يدرك الانسان انه لعب فى الحياة الدور الذى يلعبه اضراجه المأمورون الآخرون .  
اى انه كان فى البداية قنّاً حاز على قسط من التعليم

• كان الملاكون يقدمون للحكومة لائحة باسماء الاقنان والفلاحين الموجودين لديهم ، وبناء على هذه اللوائح كانت توضع الضريبة التى تتقاضاها الحكومة . وكانت هذه اللائحة تقدم كل بضع سنوات . فاذا مات مثلا ، احد الاقنان ما بين الاحصائين فان المالك يدفع الضريبة عنه الى ان ينشط اسمه من اللائحة فى الاحصاء التالى . الناشر .

وتزوج وصيفة او خازنة اثيرة عند ربة البيت ، ومن ثم  
اصبح نفسه خازناً وارتقى تبعاً لذلك الى رتبة مأمور .  
وسار بعد ذلك على الطريقة التى يسير عليها ابناء  
عشيرته - اى انه وقف مع الاقنان الاقوياء فى المزرعة  
وجاراهم واضاف اسماء الفقراء المستضعفين منهم الى  
قائمة دافعى الضرائب الاضافية بينما كان هو نفسه  
يفادر الفراش فى التاسعة صباحاً ، ينتظر السماور  
وشرب الشاي فى هدوء بال .

وساله مانيلوف «اسمع ايها الرجل الطيب ، كم  
مات لدينا من الاقنان منذ الاحصاء الأخير ؟»  
«كم مات منذ الاحصاء الأخير ؟ عدد غير قليل» . وفاق  
ووضع يد على فمه .

فايد مانيلوف هذا الخبر بقوله «اجل ، هذا ما كنت  
اتصور ! فلقد مات عدد غير قليل منهم فى الواقع»  
والتفت الى تشيتشيكوف وكرر القول مرة اخرى .

فتساءل تشيتشيكوف «كم يبلغ الرقم مثلاً ؟»  
فردد مانيلوف صده قائلاً «نعم ، كم يبلغ الرقم ؟»  
فردد المأمور الصدى للمرة الثالثة «كم يبلغ الرقم ؟  
لا احد يعرف الرقم الصحيح ، لاننا لا نحفظ بسجلات  
لهذا الغرض» .

فقال مانيلوف «تماماً كذلك . انى اعرف معدل  
الوفيات عالية ولكنى اجهل الرقم الصحيح» .

فقال تشيتشيكوف «فهل لك ان تسدى لى معروفاً  
تهيى لى لائحة تفصيلية باسماء الموتى منهم ؟»  
فوافق مانيلوف «اجل ، سأفعل - لائحة تفصيلية» .

فقال المأمور «سمعا وطاعة» واحنى راسه وخرج .  
وبعد خروجه تساءل مانيلوف «ولاي غرض  
تريدها ؟»

ويبدو ان السؤال قد اخرج الضيف ، اذ ان ملامحه  
تغيرت واحمر وجهه كما لو كان يجاهد بغية التعبير  
عن امر ليس من السهل وضعه فى كلمات . وقد شاء  
القدر لأذنى مانيلوف ان تسمعا امراً غريباً عجيباً لم  
يطرق سمع انسان من قبل .

وراح تشيتشيكوف يقول «تسألنى لاي سبب اريد  
اللائحة ؟ ان غرضى منها هو هذا - هو اننى اريد ان  
اشترى بضعة اقنان» . قال ذلك وهو يقطع حديثه  
تقطيعاً .

عندئذ تساءل مانيلوف «ولكن هل لى ان اسألك  
كيف تريد ان تشتري الاقنان ؟ بالارض التى هم عليها  
ام تريد ان تنقلهم الى ارض اخرى - اى ان تشتري  
النفوس فقط ؟»

فاجاب تشيتشيكوف «لا اريد الاقنان الاحياء بل اريد  
الموتى منهم» .

«ماذا ؟ ارجو عفوك ، ان سمعى ثقيل بعض الشيء .  
ان كلماتك فى الواقع تبدو لى غريبة حقاً» .

فقال تشيتشيكوف «ان الذى اريد هو ان اشترى  
الاقنان الموتى الذين ورد اسمهم فى لوائح الاحصاء  
الأخيرة على انهم احياء» .

فاسقط مانيلوف غليونه على الارض وفتح فاه فترة  
من الزمن . ان الصديقين اللذين كانا قبل لحظة



يتطارحان عواطف الصداقة ومشاعر الوداد ، جلسا الآن ساكنين يحدّق أحدهما في الآخر كصورتين متشابهتين من تلك التي كان توضع منذ قديم الزمن على جانبي المرأة في صالات الاستقبال . وأخيراً ، انحنى مانيلوف لكي يلتقط غليونته عن الأرض ، ونظر من طرف خفي أثناء ذلك الى تشيتشيكوف ليرى فيما اذا كان هناك اثر لابتسامة على شفثيه ، اى فيما اذا كان الرجل يقصد المزاح . ولكنه لم يلمح اثراً لشيء من هذا القبيل . بل على العكس من ذلك ، رأى وجه تشيتشيكوف صارماً حازماً أكثر منه فى اى وقت مضى . وبالتالي ، اخذ مانيلوف يفكر فيما اذا كان ضيفه لسبب من الأسباب قد فقد عقله ، وراح بناء على ذلك يحدّق فيه فترة من الزمن بقلق شديد . ولكن عيني الضيف كانتا صافيتين هادنتين خاليتين من تلك الومضة النارية الغريبة التي تحوّم فى اعين المجانين . كان كل شيء طبيعياً كما يجب ان يكون . وبناء على ذلك ، وعلى الرغم من الاتجاه الذى سبحت فيه افكاره ، لم يجد افضل من ان يجلس نافثاً من فيه دخان التبغ على شكل عمود نحيف يخترق الهواء .

واكمل تشيتشيكوف يقول «وعلى هذا الاساس اريد ان اعرف فيما اذا كنت تنوى ان تسلمنى هؤلاء الاثنان - الذين هم فى الواقع موتى ولكنهم يحكم القانون احياء» .

كان مانيلوف فى حالة عميقة جداً من الاضطراب

النفسانى والبلبلية الفكرية بحيث لم يجد ما يفعل الا ان يحدّق فى معادته .

ولكن تشيتشيكوف لاحظ يقول «اظن انك سادر فى اضطراب لا لزوم له» .

فتمتم مانيلوف قائلاً «انا ؟ اوه . لا ! ابدأ ! انما ارجو عفوك . فانى لم افهمك تماماً . فانا لم ابلغ حدّاً من الثقافة اكتسب بها هذه الالعمية التي - كما يقولون - تتجلى فى كل حركة من حركاتك . حتى اننى لم اكن فى يوم من الايام قادراً على التعبير عما يجول فى نفسى بوضوح . وبناء على ذلك فقد يكون هناك احتمال بأن وراء الكلمات التي لفظتها معنى آخر لا استطيع ادراكه ، او من المحتمل ايضا ان تكون قد جررت هذا الحديث بغية جمال القالب الادبى الذى استلعت ان تضعه فيه» . فردو تشيتشيكوف مسرعاً «كلا ، كلا ، اننى افهم الوضع كما هو عليه ، بمعنى تلك النفوس التي ماتت بالضبط» .

كان مانيلوف الا يزال يحسّ بأنه ضائع ، ولكنه كان يشعر بأن عليه ان يعمل شيئاً ما - يجب ان يلقى سؤالاً ما . اما ما هو هذا السؤال ؟ فالشيطان وحده يعلم ! وانتهى آخر الامر الى الاكتفاء بنفث دخان التبغ ، لا من فمه وحسب كما كان يفعل من قبل ، بل من أنفه ايضا .

واستأنف تشيتشيكوف الحديث قائلاً «وعلى ذلك اذا لم تكن هناك عقبة تقف فى الطريق ففى امكاننا ان نعقد صفقة البيع» .

«ماذا ؟ بيع النفوس الميتة ؟»

«النفوس الميتة ؟ طبعاً لا يا عزيزي ! اننا سنكتبهم في العقد احياء لأن هذه هي حقيقتهم كما هي مدونة في سجلات الاحياء . اننى لا اسمح لنفسى اطلاقاً ان اتجاوز حدود القانون ، على الرغم من الاضرار التى لحقت بى فى الخدمة من جراء ذلك . ان ارتباط المرء بتنفيذ القوانين فى نظرى هو شئ مقدس . اننى امام القانون لا ابدى حراكاً» .

كان مفعول الكلمات الأخيرة فى نفس مانيلوف غير قليل ، ومع ذلك فان معنى القضية كلها لم يزل فى عينيه غير مفهوم . وانكب استجابة لذلك يسحب من غليونه بعنف شديد حتى بدأ الأخير يصدر صوتاً كالزمار . وكأنه يريد ان يستلهم منه الوحي ليدله على التصرف الصحيح فى هذه المشكلة التى لم يسمع بمثلها بشر حتى الآن . ولكن الغليون كان يزمر فقط ، ولم يكن ينزل من الوحي شيئاً .

وقال تشيتشيكوف «ربما لديك شك فى هذا العرض ؟»

فاجاب مانيلوف «لا ، ابدأ ! ولكن ، اجل ، اظن انك ستسمح لى اذا قلت وارجو ان الا تحمل قولى على انه انتقاد لشخصك او تعامل عليك بأن . . . وارجو ان تسمح لى . . . بأن ال . . . اى اقصد هذا المشروع . . . هذه الصفقة . . . قد . . . قد تفشل بالمرّة اذا ما وجد انها تخالف الانظمة والقوانين وتطور روسياً بالذات» .

وراح مانيلوف بهزة بسيطة من رأسه ينظر فى وجه تشيتشيكوف نظرة ذات معنى . وكان يبدو على ملامحه - بما فى ذلك شفتاه المطبقتان على بعضهما اطباقاً محكماً - مظاهر التفكير العميق الذى لا نراه على محيا انسان - اللهم الا اذا كان وزيراً فى الدولة ويناقش فى مسألة غاية فى الخطورة .

ومع هذا فقد اجابه تشيتشيكوف ببساطة بأن مشروع بيع الانفس الذى يبتغيه لا يتعارض بأى حال من الاحوال مع الانظمة والقوانين الروسية ، واضاف الى ذلك بأن الدولة نفسها سوف تنتفع من هذه الصفقة لانها سوف تتقاضى النسبة المئوية القانونية المعتادة .

فقال مانيلوف «وما الذى تراه الآن ؟»

«انى اعتقد بأن ذلك سيكون جيداً» .

وظهرت الآن على وجه مانيلوف امارات الاطمئنان الكامل ، وقال «اذا كان الامر كذلك فهذه قضية اخرى ليس لى عليها اى اعتراض» .

«اذن فلم يبق الا ان نتفق على الثمن» .

«الثمن ؟» - وقطع مانيلوف كلامه فجأة ، ثم استأنفه يقول «وهل أستطيع ان اتقاضى ثمناً عن نفوسى فى العدم . على الاقل من وجهة نظر معينة . ونظراً لوجود هذه النزوة الغريبة - اذا سمحت لى بأن استعمل هذا التعبير - المستحكمة فيك الى هذه الدرجة فاننى من ناحيتى على استعداد لتقديم هذه النفوس اليك دون قيد او شرط ، وسوف ادفع من جيبى كل النفقات اللازمة لاجراء المعاملة» .



وسوف يلومنى القارى\* اشد اللوم فيما لو اغفلت ان اذكر له ان تشيتشيكوف لم يكـد يسمع هذه الكلمات من فم مضيفه حتى تلالا وجهه بامارات الغبطة والارتياح . وعلى الرغم مما هو عليه من الاتزان والفتنة فقد بذل مجهوداً كبيراً جداً فى كبح جماح نفسه عن القفز من موضعه كما تفعل الشاة التى يعرف الجميع قفزتها العالية جداً فى الحالات التى تكون فيها نشوتها قد بلغت الذروة . على اية حال ، فان تشيتشيكوف ، بالرغم من ذلك كله ، تحرك حركة سريعة هى اشبه بالقفز ، مزق بها غطاء المقعد الذى كان يجلس عليه مما جعل مانيلوف يحدق فيه باندھاش . اما عرفان تشيتشيكوف بالجميل فقد قاده آخر الامر الى الانجراف فى تيار من الحمد والشكران ، تيار عنيف جداً مما اعاد البلبلة الى مضيفه وجعل خديه يتضرجان بحمرة النجل ودعاه ان يحرك راسه استعاذة من ان يكون قد عمل غير الواجب ، وان ينتهى الى التصريح بان هذا الاتفاق كله هو لا شىء ، وان رغبته الوحيدة هى فى ان يمثل لما يمليه عليه قلبه تجاه المغناطيسية النفسانية التى يحس بها نحو صديقه ، اى باختصار ، كان يرى ان النفوس الميتة شىء تافه لا يستحق الذكر .

فاجاب تشيتشيكوف «لا ابدأ» . وهز يده ضاغطاً عليها . وتنفس بعمق وقد شعر آنذاك بأنه فى وضع يستطيع فيه ان يبث مكنونات قلبه ، استمر يقول بصوت يفيض بالعاطفة «آه لو عرفت اى معروف اسديت بهذا الشىء الذى «لا يستحق الذكر» لشخص

تافه ، شخص وحيد حرمه الزمان من الادل والاقارب ! فإى مصيبة لم تصبني فى هذه الحياة ؟ لقد كنت المركب التافه فى خضم نوائب الحياة وويلاتها . واى ثبور واى خطب لم يمر بى ؟ واى حسرة لم اذق مراراتها ؟ ولماذا ؟ لاننى كنت دائماً وابداً اضع الحق نصب عيني . لاننى كنت دائماً وابداً ذا نية صافية وضمير طاهر . لاننى كنت دائماً امد يد العون للارملة الضعيفة واليتيم المحروم» . وبعد هذا السيل الجارف من العواطف الفياضة سحب تشيتشيكوف منديله ومسح دعة تترقق فى عينيه .

ولقد تحركت عواطف مانيلوف حتى اعماق الفؤاد ، فآخذ الصديقان يضغطان على ايدى بعضهما البعض مرة تلو الأخرى ، وهما فى صمت عميق يحدقان فى عيون بعضهما التى كانت تترقق بالدمع . وفى الحقيقة ، لم يكن مانيلوف بقادر على ترك يد بطلنا وانما كان يتشبث بها بحرارة حتى ان البطل المذكور وجد نفسه فى حيرة وهو يفتش عن احسن الوسائل لتخليص يده . ولكنه آخر الامر تمكن من سحبها بلطف وقال ان اكمال الصفقة بسرعة امر لا بأس به ، فيستطيع بناء على ذلك ان يعود الى المدينة لتسوية الامر . فتناول قبعته ونهض ليلقى تحية الوداع .

فعاد مانيلوف الى نفسه فجأة ، واحس بشىء من الرهبة ، وقال «ماذا ؟ انت ذاهب بهذه السرعة ؟» واذا بزوجه فى تلك اللحظة تخطر داخل الغرفة . «بافيل ايفانوفيتش يريد ان يتركنا يا عزيزتى



ليزانكا» - قال مانيلوف بشيء من التوسل .

فاجابت - «يبدو اننا اورثناه الملل» .

فقال تشيتشيكوف واضعاً يده على قلبه . «أبدأ يا مدام ، ففي هذا القلب سأحتفظ بذكرى جميلة للوقت الأنيس الذي قضيته معكم . ثقی بانى لا أجد نعمة أكبر من ان أعيش معكم تحت سقف واحد وعلى الأقل فى الجوار القريب» .

ويبدو ان هذه الفكرة رآقت لمانيلوف جداً ، فقال «حقاً ؟ كم يكون رائعاً لو جئت تعيش معنا فى بيتنا هذا . اننا سننتفياً ظل شجرة دردار ونجلس معا نتحدث فى الفلسفة ونبحث الاشياء من اصولها» .

فتنهّد تشيتشيكوف وقال «أجل ان هذا يكون جنات النعيم !» ومع ذلك صافح المدام ، «وداعاً ايها السيدة الكريمة» ، وصافح المضيف «وداعاً ايها الصديق العزيز . لا تنس طلبى اليك» .

فاجاب مانيلوف «تأكد اننى لن أنسى . وسوف نتقابل فى المدينة بعد يومين» .

وبهذا تحرك الجمع الى غرفة الاستقبال .

فوقعت عينا تشيتشيكوف على الصبيين وكانا يلعبان بجندى خشبى مجدوع الأنف مكسور اليد ، وقال لهما «وداعاً ايها الطفلان العزيزان ، وداعاً ايها الصغيران . اغفرا لى هذه المرة اننى لم احضر لكما هدايا ، فما كنت أعلم بوجودكما قبل زيارتى هذه . ولكنى عندما احضر المرة القادمة فلن أنسى ان احضر لكما الهدايا التى تليق بكما . سوف احضر ك سيفاً يا نيميستوكليوس» .

انت تحب السيف ، اليس كذلك ؟»  
«نعم» .

«وانت يا الكيد ، سوف احضر لك طيلاً ، اتحب الطبل ؟» قال هذا وادار رأسه واحناه نحو الكيد . فارجع الصبى رأسه ولنخ قائلاً «معهم ، تبل» . «أذن فليكن طيلاً ، واى طبل جميل سيكون . اذا ما قرعت عليه سيقول ترا ترا ترم ترم ترم . . . وداعاً يا صغيرى» . وقبل رأس الصغير ، ثم التفت الى مانيلوف وزوجته بابتسامة تدلّهما على مدى إعجابه بصغيريهما .

ثم خلا الثلاثة الى الشرفة وقال الأب «اطن من الافضل ان تبقى يا بافيل ايغانوفيتش ، انظر الى السماء انها متلبدة بالغيوم» .

فقال تشيتشيكوف «انها غيوم صغيرة لا ضير منها» . «وهل تعرف الطريق الى بيت سوباكيغيتش ؟»

«لا ، لا أعرفها ويسرنى لو دللتنى عليها» . «أذن دعنى اخبر السائق عن تفاصيل الطريق» . وهنا حضر سيليفان ، وكان مانيلوف رقيقاً جداً معه بحيث اخذ يخاطبه بضمير المخاطب الثانى .

وما سمع سيليفان ان عليه ان يتعدى منعطفين ثم يسير فى الثالث ، حتى قال «حسنًا يا سيدى ، سنصل الى هناك بسلام» . وانطلق تشيتشيكوف وسط عاصفة من التحيات والتهنئات وتلويح المناديل - كان يقوم بها رب البيت وربته ، وكانا يفعلان ذلك وهما يرفعان نفسيهما على رؤوس الاصابع من فرط الحماس .



### الفصل الثالث

كانت العربية تدرج على الطريق وتشيتشيكوف جالس فيها يشعر بأنه راض عن نفسه تمام الرضى . ولا بد ان يكون القارى قد ادرك من الفصل السابق ما انطوت عليه نفسه وما هو الغرض الرئيسى الذى يهدف اليه . فلا عجب اذن ، ان راينا ان ينغمس فى الموضوع بالروح والجسد انغماساً كلياً . كانت افكاره وحساباته ومشاريعه تنعكس على وجهه فتتشارك فى اسباح البشر والمرح عليه ، اذ ترك كل واحدة منها - ساعة تخطر - ابتسامة رضى خاطفة تتبع الابتسامة التى تركتها سابقتها . وقد كان فى الحقيقة مستغرقاً فى هذا الشأن بحيث لم يلحظ ان سائقه - الذى كان مزهواً بكرم خدم مانيلوف - كان يتكلم مع الحصان الأرقط ، احد الخيول الجانبية فى الترويكاف . كان هذا الأرقط حيواناً عليمًا ، فكان يتظاهر بالسُّعْب . بينما كان رفيقه ، الحصان الأوسط (وهو حصان احمر اللون) والحصان القريب (وهو بنى اللون) ويعرف بالمستشار لان الرجل الذى اشترى منه كان يحمل هذه الرتبة يعملان بشهامة وتظهر فى عيونهما الغبطة التى يستمدانها من اجهاد نفسيهما فى سبيل قيامهما بالواجب . كان سيليفان يرتفع عن مقعده ليضرب الحصان الكسول بالسوط وهو يقول «ايه ايها السافل ، ايه ايها

\* الترويكاف - عربية تجرها ثلاثة خيول . الناشر .

ووقف مانيلوف فترة طويلة من الوقت وهو يتبع العربية بنظراته . وقد استمر فى الواقع يتبعها بانظاره وهو يدخل غليونته حتى بعد ان اختفت وراء الأفق بمدة غير قليلة . ومن ثم عاد الى غرفة الاستقبال مرة اخرى وجلس على احد الكراسى مستسلماً للتفكير وكانت القضية التى ابتدا بالتفكير فيها فى الحقيقة ، هى فيما اذا كان قد قام نحو الضيف بما هو واجب عليه كمضيف . ثم سرح تفكيره الى امور اخرى لا يعلم الا الله الغيايب التى وصلت اليها . فكر فى مباحج الحياة ومسراتها ، وفى الصداقة ، وكم هو جميل ان يعيش الانسان مع صديق ، على شاطئ نهر مثلاً ، وان يقيم جسراً خاصاً له على النهر ، وان يبنى عمارة ضخمة جداً عالية جداً ، ببرج بحيث يرى الانسان من شرفتها العليا مدينة موسكو ، وسيجلس على تلك الشرفة هو وصديقه يتناولون شاي الأصيل فى الهواء الطليق ويتناقشون فى المواضيع الطريفة الشتى . ومن ثم ينطلقون بعد ذلك فى عربية انيقة الى منتدى يسعرون فيه الجميع بلطف تعاملهما حتى اذا عرف الامبراطور بصداقتهما خلع عليهما رتبة جنرال ، وما الى ذلك مما لا يعرفه الا الله . ولكنه احس فجأة ان طلب تشيتشيكوف الغريب قد قطع عليه جبل الاحلام . ووجد ان عقله اعجز من ان يهضم هذه القضية . فاخذ يقلبها على وجوه مختلفة شتى ، ولكنه لم يستطع ان يجد لها تفسيراً . واستمر جالساً فى موضعه يدخل غليونته ، حتى حان موعد العشاء .



النذل ، سوف أربّيك . انك تعرف جيداً ماذا تعمل ،  
أيها الصعلوك الالمانى ! ان الحصان الأحمر طيب القلب  
قائم بالواجب ، وسوف أزيده علفاً ، انه حصان جدير  
بالاحترام ، والمستشار طيب أيضاً ، اما انت . فلماذا  
تحرك اذنك ؟ انك غبى . عليك منذ الآن ان تأخذ  
حذرك عندما تتلقّى أمراً . هذه نصيحة منى اليك أيها  
الجاهل ، وانها لنصيحة خالصة . ايه ، انك تستطيع  
السير لو اردت . واهوى على الحيوان بضربة من سوطه  
وهو يقول « اذا كنت لعيناً فانا ألعن منك » ، وقال  
مخاطباً الخيول الثلاثة « هيا يا اعزائى » ومر بالسوط  
مروراً رقيقاً على ظهرى الحصانين الآخرين دلالة على  
الرضى لا العقاب . ثم عاد الى مخاطبة الارقط مرة اخرى  
« اتظن اننى لا ادرى ماذا تفعل ؟ انك تستطيع ان تسلك  
سلوكاً اكثر احتراماً فتجعل المرء يحترمك » وعندئذ  
راح يستعيد بعض الذكريات . وانشأ يقول « لقد كانوا  
قوماً كراماً ، أولئك الناس فى بيت السيد الذى هناك .  
انى اتوق الى مؤانسة الرجال الكرام اذا كانوا حقاً  
كراماً ، ومع امثالهم اترك النفس على سجيّتها . انى  
أحب ان اشاطرهم شرب الشاى وتناول الحلوى . ان  
المرء لا يستطيع الا ان يحترم الانسان المحترم .  
وسيدى مثل طيب على ذلك ، والكل يحترمه ، فقد كان  
فى خدمة الحكومة وهو الآن من الأعيان » .

وسرح وهو يحدث نفسه على هذه الوتيرة الى احلام  
اكثر بعداً ، ولو انصت اليه تشييتشيكوف لسمع  
تفاصيل غريبة بهذا الشأن تخصه نفسه . الا انه هو

الآخر كان مشغولاً عن كل شىء بموضوعه الخاص .  
ولكن انفجارية مدوية من الرعد ايقظته من احلامه ،  
فتلفت حوله . كانت السماء مغطاة كلها بالغيوم ،  
واخذت قطرات المطر تتناثر فوق الأرض المغيرة .  
ثم انفجر صوت آخر ، اقرب واعلى من  
سابقه ، وانهمر المطر صيباً مداراً كما لو كان من  
فومات القرب . كانت قطراته تضرب سقف العربة  
بانعراف ثم فى جانب ، وبعد ذلك تغير شكل هجومها  
وتصير مستقيمة وتنقر على الحوض فتتناثر مبللة  
وجهه ، بحيث اضطر الى سحب الستائر الجلدية  
(او كان فى الستائر فتحات مستديرة تمكنه ان يلمع  
منها جانبي الطريق) ، واضطر أيضاً الى الصياح على  
سيليفان حاثاً اياه ان يسرع الخطى . وارى السائق  
الذى قوطع فى منتصف خطابه ان لا يضيع الوقت  
سدى ، فسحب من تحت صندوق المتعد قطعة عباءة  
قديمة قذرة لفها على كفيه وامسك بالعنان وصاح  
بفرقتة الثلاثية (التي كانت تحت تأثير خطابه قد  
استرخت استرخاء كاملاً حتى اصبحت لا تكاد تقدم  
رجلاً على اخرى) . ولم يستطع سيليفان لسوء الحظ ان  
يتذكر فيما اذا كان قد تعدى منعطفاً او منعطفين . وما  
ان استجمع ذاكرته مراجعاً معالم الطريق حتى ادرك ان  
عدداً كبيراً جداً من المنعطقات قد مر عليه حتى الآن .  
وبما ان الروسى سريع فى اكتشاف احسن الطرق  
الواجب اتباعها فى اللحظات التى تستوجب سرعة البت  
فى الأمور ، فقد طرح سائقنا التساؤل جانباً ودار فى



المنعطف التالى الى اليمين وصاح «ايه يا جياى  
الحسان». فانطلقت خبياً ولم يدرك فى خلد له لحظة ان  
يفكر الى اين تقوده تلك الطريق .

الا ان المطر ظل يسقط طويلاً وبلا انقطاع حتى  
اختلط بتراب الطريق فصار اوحالاً عُلِقَتْ بالعجلات ،  
فاصبح معها جرّ العربى على الخيول امراً ثقيلاً . وبدأ  
تشيتشيكوف يحس بخيبة امل فى رؤية بيت  
سوباكيغيتش الريفى . اذ كان يجب ان يصل اليه بناء  
على حساباته منذ امد طويل . واخذ يجيل البصر فى كل  
ناحية ، الا ان الظلمة كانت اكثف من ان يخترقها  
بصر .

واطل من العربى وصاح «سيليفان ا»

فاجابه السائق «ماذا تريد يا سيدى ؟»

«هل ترى البيت الريفى فى ناحية ما ؟»

«لا يا سيدى» . ولوح بسوطه فى الهواء واخذ يفتى  
اغنية من ذلك النوع الذى لا نهاية له . كان فى تلك  
الاغنية موضع لكل شىء ، واعنى «بكل شىء» تلك  
الصيحات المشجعة التى يستحث بها عامة الروس  
خيولهم وتلك الصفات المختارة التى يلقونها خبط  
عشواء . ثم انتهى الامر به الى ان اخذ يسميها يا  
حضرات !

وبدا تشيتشيكوف يلاحظ ان العربى اخذت تتأرجح  
بشدة مما راح يسبب له بعض الصدمات ، واحس بناءً  
على ذلك بانها قد حادت عن الطريق الى حقل محروث .  
وخيم على عقل سيليفان احساس من هذا القبيل فامسك

عن الغناء . وسأله تشيتشيكوف «اى طريق سلكت  
ايها النذل ؟»

فاجاب السائق «لا ادرى ، فماذا يستطيع المرء ان  
يفعل فى وقت بلغت فيه حلقة الليل درجة لا يكاد يرى  
فيها سوطه ؟» وبينما كان سيليفان يتكلم مالت  
العربة الى جانب بحيث لم يعد خيار امام تشيتشيكوف  
الا ان يتعلق بيديه واسنانه . عندئذ عرف يقينا ان  
سيليفان كان سكران .

فصرخ عليه «قف ، قف والا انقلبنا !»

فاجاب سيليفان ، «لا ، لا يا سيدى ، كيف يمكن ان  
اقلبك ؟ ان قلب الناس خطأ ، اننى اعرف هذا جيداً ،  
ويستحيل على ان اسلك سلوكاً كهذا» . وهنا بدا يدير  
العربة قليلاً واستمر يفعل ذلك حتى انقلبت على جانبها  
انقلاباً كاملاً ، فهبط تشيتشيكوف فى الوحل على يديه  
ورجليه . وقد نجح سيليفان ، لحسن الحظ فى ايقاف  
الخيول مع انها كانت ستقف بنفسها بطبيعة الحال نظراً  
الى انها كانت قد اجهدت غاية الاجهاد . اما السائق -  
على ما يظهر - فقد ادهشته هذه الحادثة غير المنتظرة .  
فانزلق من مقعده على الارض ووقف امام العربى بينما  
كان تشيتشيكوف يتخبط ويتمرغ فى الوحل ، باذلاً  
جهداً عبثاً للخلاص منها . وقال سيليفان مفكراً ومخاطباً  
العربة «يا لك من عربى ، لم اكن اظن انك ستقلبيننا  
على هذا الشكل» .

فقال تشيتشيكوف متعجباً «انت سكران طينة ا»  
«لا ، لا يا سيدى . احقيقة انى سكران ؟ انا اعرف

ان السكر مرذول . انها مؤانسة مع صديق ، هذا كل ما حدث لى . ان كل امرئ يشعر بالانس اذا ما جلس مع رجل محترم . ليس فى ذلك اى خطأ . وقد تناولنا جرعة ايضاً . وليس فى تناول الجرعة اى خطأ - لا سيما اذا كانت مع رجل محترم» .

فقال تشيتشيكوف «ماذا قلت لك عندما لقيتكم سكران آخر مرة ؟ هل نسيت ما قلت لك ؟»

«لا ، لا يا سيدى . كيف يمكن ان انساه ؟ انسى اعرف مواضع الاشياء ، واعرف ان السكر غير صواب . وكل ما حدث لى هو مجرد مؤانسة مع انسان محترم . وذلك لان . . .»

«حسنًا ، فلو لففت السوط الآن حول عنقك لعرفت كيف تؤانس الانسان المحترم» .

فاجاب سيليفان موافقا «كما تشاء يا سيدى . اذا شئت ان تضربنى بالسوط فلك ذلك ، ولن اشكو منه . ولیم لا تضربنى اذا كنت استحق الضرب ؟ لك ان تفعل ما تشاء . وضرب السياط ضرورى احيانا ، فكثيراً ما يتمادى الفلاح فى هواه ، ويجب على المرء ان يحفظ النظام . فاذا استحققت فاضربنى ، ولیم لا تفعل ؟»

وقد ظهر ان هذا التعليل فى تلك اللحظة سليم لا يدحض ، فسكت تشيتشيكوف ولم ينبس ببنت شفة . وقد شاء القدر ان يكون به رحيمًا . فطرق سمعها من بعيد نباح بعض الكلاب . واستبشر تشيتشيكوف واصدر اوامره بتعديل العربة والسير بالخيول قدامًا .

وحيث ان للسائق الروسى ميزة واحدة على الأقل ، وهو انه يستطيع عند الضرورة ان يستعيض عن عينيه بعاسة طريق حادة ، وبارشادها يقود عربته اعتباطا ولكنه مع ذلك يصل الى مكان ما ، فقد افلح سيليفان وهو عاجز عن تمييز اى شئ ، فى ان يوجه خيوله الى بيت ريفى قريب . وقد كان احساسه قويا جداً حتى انه لم يوقف العربة الا لما اصطدم عامودها بجدار الحديقة وتبين ان التقدم خطوة اخرى عاد مستحيلا . وكل ما استطاع تشيتشيكوف ان يتبينه من خلال القناع الكثيف من المطر المنهمر هو شئ يشبه السقف . ولهذا ارسل سيليفان يفتش عن مدخل المكان . وكانت هذه العملية ستدوم مدة غير محدودة لو لم يقصرها شئ واحد وهو ان كلاب الحراسة فى روسيا كثيراً ما تحل محل الحارس . فبدأ عدد كبير من هذه الحيوانات يعلن قدوم المسافرين بصوت عال جدا حتى ان تشيتشيكوف اضطر الى اقفال اذنيه . وبالتالى سطم ضوء من احد الشبائيك وتسرب على شكل جدول رفيع الى جدار الحديقة ، وهكذا ظهر موضع باب الدخول . ومن ثم انهال سيليفان على الرتاج قرعا حتى سحب مزلاج الباب الداخلى وظهر منه شبح ملتف برداء متهدل .

وسمعا صوت امرأة عجوز ابج يقول «من ذا الذى يقرع الباب ؟ وما هذه الضوضاء الساعة ؟» فقال تشيتشيكوف «اننا مسافرون ايتها الام الطيبة . فنرجو ان تسمحى لنا بقضاء الليلة هنا» .



فتمتت العجوز «مستعجل ! وقت لطيف من الليل هذا  
الذى وصلتكم فيه ! ليس لدينا فندق ، نحيطكم علماً  
ان هذا بيت سيده» . «لكن ماذا نعمل يا اماء ، فقد  
اضعنا الطريق ولا نستطيع ان نقضى ليلتنا فى العراء  
فى طقس كهذا ؟»  
واضاف سيليفان «لا ، لا نستطيع فالليل مظلم  
بارد» .

فهره تشيتشيكوف قائلاً «أخرس يا أحمق» .

وتساءلت العجوز «من انت اذن ؟»

«نبيل أيتها الأم الطيبة» .

وقد ظهر ان كلمة نبيل - بشكل ما - كانت غذاء  
لتفكير العجوز ، فقالت «انتظر لحظة حتى اخبر  
سيدتى» .

وعادت بعد دقيقتين وفى يدها مصباح .

وفتحت الرتاج ، بينما تالت ضوء آخر من نافذة  
البيت . ودخلت العربى الساحة ووقفت امام بيت  
متوسط الحجم . ولم يكن الظلام يسمح بالملاحظة  
الدقيقة ، انما كان يلوح بأن البيت قد اضيئت نصف  
نوافذه فقط ، فكانت الاشعة تنعكس منها على بركة امام  
الباب . هذا بينما استمر المطر فى انهماره ، فكان يقع  
بصوت طنان فوق سطح خشبى ومن ثم يسمع صوته  
وهو ينصب من شؤبوب فى انا . كبير . اما الكلاب  
فلم تنقطع لحظة عن النباح بكل ما فى رئتها من قوة .  
واخذ احدها ينبج وهو رافع راسه الى اعلى بكل ما  
لديه من طاقة وباطول ما يستطيع من الوقت حتى

ليخيل الى ناظره انه يطمع فى كسب رهان ثمين .  
والثانى ينبج بسرعة وكأنه قندلفت ، بينما اخذ آخر  
له صوت جرو صغير ينبج بلا ملل بحيث يملأ صوته  
مقاطع صوت الكلب السابق ، وكأنه جرس ساعسى  
البريد . واخيراً ، انبرى كلب كبير ذو مزاج عنيف  
خاص واخذ يقوم بالرد عليهم وكأنه قائد جوقة يرد  
مع جوقة على المغنى الاصيل ، وكانت نبحاته تشبه  
مدير ذلك القائد حينما تكون الجوقة فى أوج ترديدها  
وحينما يرتفع المنشدون مع قائدهم على رؤوس الاصابع  
وهم يبذلون جهدهم فى رفع حدة النغم ، ويمد المرتلون  
رؤوسهم قبل بلوغهم الشاو ، ويلصق قائد الجوقة  
ذقنه الملتصية الى ياقته ويجمع نفسه فى حنكه حتى  
تحسبه جالساً على الارض القرفصاء ليخرج نغماً قوياً  
يهز الشبابيك ويرج الزجاج . وجوقة من ذوات الانياب  
كهذه الجوقة تدل بطبيعة الحال على ان القرية ليست  
صغيرة .

مهما يكن من امر ، فان بطلنا المبتل المرتجف بردا  
لم يعبر ذلك اهتماماً ، فقد كان يشغل عقله شئ واحد  
وهو الفراش . وفى الواقع لم تكد العربى تقف حتى قفز  
الى عتبة البيت ولم يكن بينه وبين الوقوع شئ كثير .  
وقد تصدّت لمقابلته سيده اصغر سنّاً من الاولى  
ولكنها تشبهها شنبها كبيراً . ولما دخل غرفة الاستقبال  
كانت لمعتان كافيتين لترياه ان الغرفة مكسوة بستائر  
قديمة مقلّمة وجدرانها مزينة بصور الطيور وبعض  
العرايا الاثرية الصغيرة - والاخيرة موضوعة فى اطارت

غامقة اللون عليها نقوش تشبه ورق الشجر . وقد الصق خلف كل مرآة خطاب او مجموعة قديمة من اوراق اللعب او بعض الجوارب ، بينما عُلقت على الحائط ساعة بميناء مرصعة بالازهار . ولم يستطع تشيتشيكوف ، على اية حال ، ان يتبين اكثر من ذلك لان جفونه كانت ثقيلة كما لو تلطخت بالعسل . وحضرت ربة البيت بنفسها حالا - وهى امرأة كبيرة السن تضع على رأسها غطاء (يظهر انها اسرعت فى ارتدائه) وتلف حول عنقها لغاما صوفيا .

كانت من طبقة الملاكات اللواتى يشكين دائما وابدا من اخفاق الموسم وما يترتب عليه من خسارة لهم ، من طبقة اللواتى يطاطن رؤوسهن يأساً وقنوطاً ومن كل الوقت يحشين النقود فى اكياس مقلمة ويكتنزنها فى ادراج الخزائن . فيحشين قطع الروبل فى كيس ونصف الروبل فى كيس آخر وقطع ربع الروبل فى كيس ثالث . والا يبدو من منظر الخزانة ان فيها شيئا سوى قطع القماش الكتانية وتياب داخلية وشملل من الصوف وقطعة القماش الرثة التى يقدر لها عادة ان تنقلب الى ثوب جديد فيما لو احترقت اطراف الثوب الحالى ايام الاحاد عند خبز الكعك والحلويات والطييات الأخرى ، او فيما اذا تهرأ الثوب من نفسه . ولكن الثوب لا يحترق ولا يتهرأ ابداً ، وذلك لان السيدة محتاطة كل الاحتياط حذرة كل الحذر . وعلى ذلك تظل قطعة القماش الرثة غير مشغولة الى ان يأتى الوقت لتوزيع التركة فيوصى

باعطائها - مع كمية اخرى من سقط المتاع - لابنة اختها .

واعتذر تشيتشيكوف على ازعاجه البيت بقدومه غير المنتظر .

فاجابت السيدة ، «لا ، ابدأ ، لا ابدأ ، ولكن فى اى طقس فظيع بعث الله بكم الى هنا ! اى ريع واى مطر هذا ! كان من المحتم ان تفضلا الطريق . نرجو المَعذرة اذ لا نستطيع فى هذا الوقت من الليل ان نهيب لكم الطعام» .

وقطع كلام المضيفة فجأة صوت ذو فحيح غريب ، صوت عال جداً أجفل الضيف منه خوفاً ، وزاد خوفه بازدياد الصوت الذى جعل الغرفة تبدو وكأنها ملأى بالافاعي . ومهما يكن من امر ، فقد استعاد سكينته حينما رفع بصره الى اعلى وادرك ان الصوت صادر عن الساعة التى كانت على وشك ان تدق . وتلا الفحيح شخير دل على ان الساعة تبذل منتهى جهدها حتى ضربت ضربتين كان لهما من القرقة ما للهرارة حين تهوى على قدر من حديد مكسور . وما ان تمت فعلتها هذه حتى عاد الرقاص الى تذبذبه من اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين .

وشكر تشيتشيكوف المضيفة بلطف وقال لها انه لا يحتاج الى شيء ، وان لا دواعى لازعاج نفسها ، فهو لا يريد غير الراحة وان كان يود ان يعلم ايضا اين وصل وفيما اذا كانت هناك مسافة كبيرة بينه وبين البيت الريفى للملاك سوباكيفيتش . واجابت السيدة على



ذلك بانها لم تسمع بهذا الاسم قط وليس صاحب هذا الاسم فى تلك النواحي .

واستمر تشيتشيكوف قائلا «ولكن تعرفين على الاقل الملاك مانيلوف ؟»

«لا ، من هو ؟»

«ملاك آخر يا مدام» .

«لم اسمع بهذا ايضا . ليس فى هذه النواحي ملاك كهذا» .

«فمن هم الملاكون المحليون اذن ؟»

«بوبروف ، سفينين ، كاناباتيف ، خريباكين - تريباكين ، بليشاكوف» .

«هل هم اغنياء ؟» - سال تشيتشيكوف .

«لا ، لا احد منهم . قد يملك احدهم عشرين نفساً ويملك الآخر ثلاثين ، اما من السادة الذين يملكون المئة فلا يوجد احد» .

فطن تشيتشيكوف الى انه فى منطقة ريفية نائية .

وتسأل «على اية حال ، هل المدينة بعيدة ؟»

«حوالى ستين فرستا . كم انا آسفة اذ ليس لدى ما

اطعمك ! اتحب ان تشرب الشاي ؟»

«شكرا ايها الام الطيبة . ولكنى لا اريد شيئاً عدا

الغراش» .

«اجل ، بعد رحلة كهذا لا شك فى انك بحاجة الى

الراحة . ستنام على هذا الديوان . فيتينيا ، يا فيتينيا ،

احضرى حشية ريش ومخدات وملاءات . اى طقس ارسل

لنا الله ! واى وعد مخيف ! ما زلت منذ مغيب الشمس

احرق الشمع امام الايقونة فى مخدعى . يا الهى ! ظهرك وجوانبك ملطخة بالوحل كالخنزير البرى . ماذا عملت حتى وصلت الى هذه الحال ؟»

«من حسن حظى ان لا يكون بى اكثر من التلطيف بالوحل ، فلو لا العناية الربانية لكنت مكسر الاضلاع» .

«يا الهى ! ان القلب ليحف ان خطرت به الاهوال التى مرت بك . اليس من الافضل ان امسح لك ظهرك ؟»

«شكراً ، شكراً ، لا داعى لازعاج نفسك . يكفينى منك ان تتلطفى فتقولى للخادم ان تنظف وتجفف ملابسى» .

كانت فيتينيا آنذاك - قد لحقت تدخل الغرفة وهى تجر حشية الريش يتطاير الريش منها ليملا جو المكان . فقالت لها ربة البيت . «اتسمعين يا فيتينيا ؟ خذى هذا المعطف وهذا الصدر ، وبعد ان تجففيهما امام النار - كما كنا نفعل بملابس المرحوم سيدك افركيهما فركاً جيداً واطويهما بعناية» .

فقالت فيتينيا وهى تضع الملاءات على حشية الريش وترتب الوسائد «سمعاً وطاعة يا مولاتى» .

فقالت ربة البيت لتشيتشيكوف «فراشك جاهز الآن . اسعدت مساء يا سيدى ، اتمنى ان تصبح على خير . الا تريد شيئاً آخر قبل ان اتركك ؟ ربما تعودت ان يدغدغ احد قدميك قبل النوم . ان زوجى المرحوم لم يكن يستطيع النوم بغير ذلك» .

كونوزوف • وصورة زيتية لرجل عجوز بملابس رسمية  
تزينها شرائط حمراء من النوع الذي كان يرتدى أيام  
الامبراطور بافيل • • • وفى تلك اللحظة فحت الساعة  
فحيها المعتاد ودقت عشر دقائق ، بينما اطل وجه  
امراة من شق الباب وانسحب حالا ، لأن تشيتشيكوف ،  
رغبة فى ان يستمتع بالنوم ما استطاع ، كان قد نضى  
كل ما عليه من ثياب . غير ان الوجه كان يبدو اليفاً  
لديه ، فاخذ يسترجع فى ذاكرته وجه من يكون .  
وتذكر اخيراً انه وجه مضيفته . ووجد ثيابه بالقرب  
منه جافة ونظيفة فارتداها واقترب من المرأة وعطس  
مرة أخرى عطسة عنيفة جداً ، حتى ان ديكاً هندياً  
كان قريباً من النافذة (التي لم تكن بدورها تعلو عن  
الارض كثيراً) فوقاً جملة قصيرة ، قد تعنى بلفظه  
الغريبة انه يحيى تشيتشيكوف تحية الصباح . ولكن  
تشيتشيكوف نعتة بالغباء ثم تقدم الى النافذة ليستجلى  
المنظر الذى تطل عليه . وتبين ان المنظر الرئيسى  
كان خملاً للدجاج . كانت الساحة ما بين الخم والنافذة  
- على اية حال - مليئة بأنواع الدجاج المختلفة بينها  
ديك يخطر ويتبختر بغطى متزنة ويثابر على هز عرقفه  
والالتفات براسه كما لو كان يتسمع الى شيء . والى  
أحدى جوانب الحظيرة جلست خنزيرة وعائلتها مما

ولكن الضيف رفض دغدغة الاقدام هذه ، وما كادت  
تتركه السيدة حتى سارع الى انتضاء ملابسها كلها ،  
العلوية والسفلية منها على السواء ، وتسليمها الى  
فيتينيا . وبعد ان حيته هذه تحية المساء اخذت  
الملابس المبتلة وانصرفت ، فوجد نفسه وحيداً . ونظر  
الى الفراش الذى يكاد يصل السقف علواً نظرة كلها  
رضى . من الجلى ان فيتينيا كانت فتاة عريقة فسى  
تنجيد فراش كهذا الفراش . وترتب على ذلك انه ما  
كان يصعد على احد الكراسى ليرمى بنفسه عليه ، حتى  
هبط به الفراش فكاد يدانى ارض الغرفة ، وانطلقت  
من فتحات صغيرة جانبية فى حوائط اسراب كثيفة من  
الريش اخذت تحلق فى سماء الغرفة وتملأ كل زاوية  
فيها . ولكنه على الرغم من هذا كله ، اطلقا المصباح ،  
وسحب على نفسه غطاء من التشيت تقوقع تحته ،  
واستغرق حالا فى نوم عميق . واستيقظ فى ساعة  
متأخرة من صباح اليوم التالى . كانت أشعة الشمس من  
النافذة تصب فى عينيه ، والذباب الذى كان يجثم فى  
الليل هادنا على السقف والجدران تنبه الآن لوجود  
الزائر . فاستقرت احدها على شفته واستقرت أخرى  
على اذنه وثالثة اخذت تحلق فوق عينيه كأنها تريد  
الهبوط فيهما ، اما الرابعة فقد جازفت بالرسو على  
منخره ، فاستنشقتها وهو فى حالة الوسن فعطس عطسة  
شديدة عادت به الى كامل وعيه . فنظر الى ما حوله فى  
الغرفة فوجد ان الصور ليست كلها صور طيور كما عهد  
فى الليلة السابقة ، بل كان بينها صورة للقائد

• كونوزوف - القائد الروسى الذى قاوم نابليون بشدة  
فى معركة بورودينو . الناشر .  
• • • اى فى اواخر القرن الثامن عشر . الناشر .



يضيء على المنظر رونقا وبهاء . كانت تحفر اول الامر فى كومة من القش ومن ثم اكلت فى طريقها فرخة صغيرة وبالتالي اخذت تقضم قطعاً من قشور البطيخ فى راحة وهدوء بال . وحول هذه الساحة الصغيرة اقيم سياج خشبي . وفيما وراء ذلك كانت حدائق البيت الكبيرة التى زرع فيها الكرنب والبصل والبطاطا والشمندر والخضروات البيتية الأخرى . وكان فى الحديقة أيضاً بضعة اشجار تفاح وفواكه مختلفة وضعت عليها شباك لكي تحفظ ثمارها من العصفور والعقرب . وكان من هذه الطيور اسراب تنطلق وتحوط حول الشباك من نقطة الى أخرى . وللسبب نفسه نصبت بضعة هياكل من مفرعات الطيور ، وعلى رأس واحد منها وضعت قبة كانت فى زمانها الغابر لربة البيت . ومما وراء الحدائق قام عدد من اكواخ الفلاحين . كانت الاكواخ مبشرة بدلا من أن تكون منتظمة فى صفوف بدت فى عيني تشيتشيكوف انها تضم سكانا فى سعة من العيش ، لمظاهر العناية البادية عليها والسقوف الخشبية المتعفنة عادة كانت هنا جديدة ، ولم يكن يظهر فيها بان منحرف او مخلوع ، ومظلات العربات المائلة امام عينيه كانت تدل ، على الأقل ، على وجود عربة او عربتين احتياطية زائدة جديدة تقريبا تقف تحتها .

فقال تشيتشيكوف فى نفسه «ان هذه السيدة تمتلك قرية غير فقيرة ابداً» ، ولهذا قرر آنئذ ان يتحدث فى الموضوع مع مضيفته وان يوثق معها اواصر المعرفة .

ونظر بناء على ذلك من شق الباب الذى اطل منه رأسها قبل قليل ، فرآها جالسة الى منضدة الشاي ، فدخل عليها وحيثما بابتسامة ملوذا البشر والمرح . فنهضت السيدة احتراماً وقالت :

«صباح الخير يا سيدى ، كيف كان نومك ؟» كانت ترتدى ملابس احسن من ملابسها فى الليلة السابقة . كانت ترتدى رداء غامق اللون ، وعلى رأسها قبة أخرى غير قبة الليلة الماضية ، وكان عنقها ملفوفاً بشىء ما ، يخفيه لفاع .

فقال تشيتشيكوف وهو يجلس على كرسي «لقد نمت نوماً هنيئاً جداً . وكيف حالك ايتها السيدة الطيبة ؟» «على غير ما يرام يا سيدى العزيز» . «ولماذا ؟»

«لأننى لا أستطيع النوم . ان الما يشد وسطى ويبتد الى ساقى مما فوق الكاحلين حتى اخال عظامى تنكسر» .

«لك الشفاء ، لك الشفاء العاجل باذن الله . يجب ان لا تعيريه كثير الاهتمام» .

«سمع الله دعائك . على أية حال فقد كنت افركه بالدهن والتربنتين . ماذا تريد ان تشرب مع الشاي ؟ لدى فى هذه العلبة بعض الروم» .

«عظيم جداً ايتها الأم الطيبة . اذن سأحتسى منه» . ومن المحتمل ان يكون القارى قد لاحظ ان تشيتشيكوف ، على الرغم من رقة قلبه الظاهرية ، اخذ يخاطب مضيفته الجديدة بنغمة مختلفة كل الاختلاف عن

نغمته التي يبدع فيها ؛ نغمة فيها الكثير من البشر وفيها  
ايضاً من الحرية ورفع الكلفة اكثر من تلك التي  
استعملها مع مانيلوف ولي هنا ان اؤكد بان الاجانب  
مهما كانوا يفوقونا - نحن الروس - في وجوه عديدة ،  
فاننا على الاقل نفوقهم في مواضع الكلام ولباقة الحديث .  
فاننا نستطيع في الواقع ان نضغى على مخاطباتنا  
واحاديثنا في المجتمع مختلف الظلال وان نصيغها  
بمسحات متعددة تتحدى كل حصر . فالفرنسي او الالماني  
يعجز عن تصور او فهم كل خصائص هذه الظلال او  
المسحات لان نغمته في مخاطبة صاحب الملايين لا  
تختلف الا قليلا جدا عن تلك التي يخاطب بها بائع  
التبغ الفقير ، هذا على الرغم من محاولته الشديدة في  
التذلل النفساني امام الاسبق . لكن الامور عندنا تختلف  
على اية حال . ففي المجتمع الروسي قوم ماهرون  
يستطيعون ان يتكلموا بنغمة معينة للملاك الذي يمتلك  
مئتي نفس وبنغمة اخرى لذلك الذي يمتلك ثلاثمائة  
وباخري لصاحب الخمسمائة ، وهكذا . اي ان الروس  
لديه من نغمات الخطاب المختلفة ما يستطيع ان يخصص  
منها لكل ملاك حسب درجته حتى ذلك الذي يمتلك  
مليون نفس . لنفرض ان هناك دائرة حكومية في مكان  
ما ، وفي هذه الدائرة رئيس . ارجو ان تتصوره ، ابها  
القاري جالسا بين موظفيه المطيعين . ان غطرسته  
سوف تمنعك من ان تنبس ببنت شفة ، فدلائل العظمة  
والكبرياء الظاهرة على وجهه اكثر من ان توصف . واذا  
شئت يوما ان ترسم له صورة في مخيلتك فلن تجد له

• بطل خرافي يوناني تحدى كبير الالهة زيوس واحضر  
النار لبني الانسان على الارض . الناشر .  
• شاعر روماني . الناشر .



«أقل من ثمانين بقليل ، يا سيدى العزيز . ولكن الزمان صعب قاس ، وقد فقدت الكثير فى قحط السنة الماضية» .

«ولكن فلاحيك رجال اقوياء اصحاء . هل لى ان اسالك عن اسمك ؟ ان وصولى المتأخر فى الليلة الماضية جعلنى أفقد الصواب» .

«كوروبوتشكا ، ارملة موظف فى الدرجة التاسعة» .

«شكراً جزيلاً ، واسمك الاول ؟»

«ناستاسيا بتروفنا» .

«ناستاسيا بتروفنا ! يا لها من اسماء جميلة ! ان لى

خالة بالاسم نفسه» .

«وما اسمك انت ؟ هل انت مختار • كما يبدو لى ؟»

فاجابها تشيتشيكوف بابتسامة «لا يا سيدتى ، لست مختاراً ، انما انا مسافر فى مهمة خاصة» .

«اذن يجب ان تكون ممن يشترون المنتوجات ؟ يا

للاسف لاننى بعت كل ما لدى من العسل لتجار آخرين

بشمن زهيد . ولو لا ذلك لبعته لك ايها السيد

العزيز» .

«لا ، لا اشترى العسل ابدا» .

«اذن ما الذى تشتريه يا الهى ؟ قنب ؟ عندى شئ

قليل منه ، نصف بود •• او اكثر بقليل» .

• مختار - شخص يختار للاشتراك فى اعمال مؤسسة

ما فى روسيا قبل الثورة . الناشر .

•• البود - ١٦٠٢٨ كيلوغراما . الناشر .

«لا يا سيدتى ، فانى اتعامل باشياء اخرى . قولى لى ،

هل مات فى السنين السابقة عدد كبير من فلاحيك ؟»

فتنهدت العجوز وقالت «اجل ، لا اقل من ثمانية

عشر ، وكلهم من الاقوياء العاملين . لقد نما غيرهم فى

الواقع ولكنى لا ارجو خيراً من الاحداث . انهم

طاشون . وعندما جاءنى المختار فى المرة الاخيرة رحى

ابكى امامه . كان على ان ادفع ضريبة عن رجالى

الاموات كما لو كانوا احياء . ومنذ اسبوع فقط توفى

عندى الحداد حرقا . لقد كان فى مهنته بارعاً ضليعاً» .

«ماذا تقولين ؟ هل شب حريق فى القرية ؟»

«لا ، لا ، وقانا الله شر ذلك ! ان الامر لم يكن بهذه

الدرجة من السوء . انما الحداد قد احرق نفسه بنفسه .

نقد اشتعلت النار فى امعائه من كثرة الشراب . نعم ،

نقد بدا فجأة منه لهب ازرق واخذ لونه يتحول الى

السواد شيئاً فشيئاً حتى اصبح وكأنه قطعة من فحم .

لكن اى فلاح بارع كان . ليس لدى الآن خيول تقود

العربة ، فلا احد فى القرية يستطيع حذوها» .

فتنهت تشيتشيكوف وقال «انها مشينة الله فى كل

شئ ، يا مدام . وليس لنا ان نرفض مشينته . اعطنى

اياهم يا ناستاسيا بتروفنا» .

«اعطيك ماذا ؟»

«الفلاحين الموتى» .

«ولكن كيف يتسنى ذلك ؟»

«الامر بسيط . بيعيهم لى ، وسوف اعطيك بدلا منهم

تقوداً» .

«لكن كيف ابيعهم لك ؟ انى لا اكاد افهم ما تعنى !  
هل تريدنى ان انبش قبورهم واخرجهم لك ؟  
فراى تشيتشيكوف ان العجوز فى بحر من الضياع ،  
وان عليه ان يوضح لها الامر . وعلى ذلك افهمها  
بيضعة كلمات ان بيع الانفس الميتة هذه او نقلها  
سوف يتم على الورق فقط ، وانها ستسجل كما لو كانت  
حية .

فحدقت ربة البيت بعينين شاخصتين وقالت «وما  
الفائدة التى سوف تجنيها منها ؟»  
«ان هذا من شأنى» .  
«ولكنها نفوس ميتة !»

«ومن قال انها غير ذلك ؟ انها مجرد نفوس ميتة  
تتألمين حزناً عليها وتضطرين الى دفع الضريبة عنها .  
وكل ما اريد ان اعمله هو ان اخلصك من هذه الاحزان  
وارفع عنك عبء دفع الضرائب . هل فهمت الآن ؟ ولن  
افعل ذلك وحسب وانما سوف اعطيك خمسة عشر روبلا  
عنها . هل اصبح واضحاً ما اقول ؟»  
«فالت المضيفة مترددة «نعم - لكن . . لا اعرف .  
فانا لم ابع ابداً نفوساً ميتة من قبل» .

«تماماً ، وسيكون مستغرباً لو فعلت . وهل توقنين  
فى قرارة نفسك بأن الانفس الميتة ذات فائدة ؟»  
«اوه ، طبعاً لا . وما جدوى الانفس الميتة ؟ انسى  
وائقة من عدم نفعها . انما الشئ الذى يحيرنى هو انها  
ميتة !»

فقال تشيتشيكوف فى نفسه «انها لعجوز عنيدة حقاً»

واضاف بصوت عال «انظرى يا سيدتى ، فكري جيداً .  
ولكنك ، بصريح القول ، ستجربين الخراب والدمار على  
نفسك بالاستمرار فى دفع ضريبة عن نفوس ميتة كما لو  
كانت حية» .

فقالَت السيدة «يا للهول يا سيدى ! لا تتكلم عنها !  
فمنذ اسابيع ثلاثة فقط دفعت مئة وخمسين روبلا  
للجايى ورشوته . . .»

«ها انت ترين بأم عينك ما يحدث لك . اليس  
كذلك ؟ تذكرى انك اذا اصغيت الى لن تضطرى فى  
المرّة القادمة الى رشوة الجايى ، لأننى انا الذى سادفع  
الضريبة عندئذ - لا انت - بل انا سوف اصبح مسؤولاً  
عنها كلياً ، بعد ان اصبح المالك لهذه النفوس  
بنقودى ، ومسؤولاً عن كل ما يترتب عليها . بل وادفع  
نقوداً لحق الامتلاك . هل فهمت اخيراً ؟»

«مهما يكن من امر ، فان نفس السيدة العجوز ظلمت  
تساورها . كانت ترى ان بيع النفوس فى مصلحتها ،  
ولكن القضية ذات طبيعة غريبة جداً حتى انها بدأت  
تتخسب من ان هذا المشتري يريد ان يخدعها . لقد  
جاء من حيث لا يعلم الا الله ، وهبط على البيت فسى  
ظلمة الليل ايضاً .

وقال تشيتشيكوف ناصحاً «هلا اتفقنا ؟»  
«ولكن لم ابع فى حياتى قوماً موتى ! لقد بعث الاحياء  
نقط . فمنذ سنوات ثلاث خلت بعث فتاتين للكاهن ،  
كل فتاة بمئة روبل ، وقد شكر لى ذلك شكراً جزيلاً ،  
فقد تبين له انهما عاملتان ماهرتان تصنعان الفوط» .



«نعم ، ولكن حديثنا لا يتناول الأحياء منهم - اطلال  
الله اعمارهم - انى اطلب اليك الموتى فقط» .  
«نعم ، نعم ، بالطبع . ولكنى خشيت بادی الامر ان  
تكون لى فى الصفقة خسارة - وان يكون قصدك ان  
تغلبنى يا سيدى العزيز . . . ربما تمن النفوس الميتة  
اعلى مما عرضت» .

«اسمعينى ايتها السيدة (كم صعبة انت ا) كيف يمكن  
ان يكون تمنها اعلى من ذلك ؟ فكرى بنفسك . انها  
رفات - رفات ، هل تفهمين ؟ خذى اى شىء تافه  
مهمل - كقطعة بالية متهرنة من القماش مثلاً ، ان لها  
تمنا ما ، فهى تباع على الاقل لصنع الورق . ولكن  
الانفس الميتة هذه - انها لا تصلح لشىء اطلاقاً . هل  
تستطيعين ان تذكرى لى شيئاً واحداً لها تفصح  
فيه ؟»

«لا ، لا ، انها لا تنفع لشىء . ولكن الذى يزعجنى هو  
انها ميتة» .

فابتدا تشيتشيكوف يفقد الصبر وقال فى نفسه «يا  
لها من مخلوقة غبية حقاً ، صعبة المراس لا مجال للاتفاق  
معه . لقد جعلتنى اتصيب عرقاً هذه العجوز اللعينة» .  
وهنا سحب من جيبه منديلاً ومسح العرق عن جبينه .  
بيد انه ما كان عليه ان يفعل الى هذا الحد . فان كثيراً  
من رجال السياسة اذا ما جوبهوا بقضية هامة يتكشف  
المرء مدام كوروبوتشكا اخرى . فاذا حمل فى راسه  
فكرة معنية فليس من سبيل الى نزعها او تغييرها . وقد  
تدلى له بالحجة تلو الحجة وبالبينة تلو البينة ، وكل

منها واضح وضوح الشمس الا ان حججك وبيناتك ترتد  
راجعة عن دماغه كما ترتد كرة من مطاط بعد ان تضرب  
فى قطعة من صخر . على اية حال ، فبعد ان مسح  
تشيتشيكوف عرقه قرر ان يكرر محاولته فى الوصول  
بالسيدة الى ما يريد عن طريق آخر . فقال «اسمعى يا  
سيدتى ، اما انك لا تفهمين ما اطلب اليك او انك  
تتحدثين لمجرد الحديث فقط . انا اعطيك نقوداً -  
خمسة عشر روبلاً ورقياً . . . هل تفهمين ؟ انها نقود ،  
وليست شيئاً يمكن ان تجديه فى قارعة الطريق . . .  
فولى لى ، بكم بعت عسلك مثلاً ؟»

«بائنى عشر روبلاً لكل بود» .

«ايه انك بهذه الكلمات يا سيدتى تكذبين على  
نفسك . لانك لم تبيعى العسل بائنى عشر روبلاً» .  
«بلى والله لقد بعت بهذا الثمن» .

«لا بأس ، لا بأس ، ان العسل هو العسل . ولكنك  
قد جمعته فى مدة طويلة من الزمن قد تكون سنة  
كاملة بذلت فيها من العناية والجهد ما لا نهاية له .  
كنت تهتمين بأمره وتروحين وتأتين اليه ، وحفظت  
النحل واطعمته فى خلاياه طيلة ايام الشتاء والبرد .  
ولكن النفوس الميتة التى اتحدث عنا لم تبدل فيها اى  
مجهود . مشينة الله هى التى وضعت حداً لحياتها على  
الارض وانقصت عدد الاقنان فى قريرتك . ففى الحالة  
الاولى ، استلمت اثنى عشر روبلاً لكل بود (كما تقولين)  
عن تعبك ومجهودك فى العسل . ولكن فى الحالة الثانية  
ستأخذين - لا اثنى عشر روبلاً - بل خمسة عشر .

وسوف لا اعطيها لك روبلات فضية ، بل روبلات من العملة الورقية \* .

لم يكن هناك شك لدى تشيتشيكوف في ان هذه الحجج الدامغة سوف تغري العجوز بالاستسلام بكل تأكيد .

فاجابت العجوز تقول «يا لغرابية الاعمال التي تعترضني وانا ارملة عديمة الحيلة ! قد يكون من الافضل لو انتظرت بعض الوقت فقد يمر بعض المشترين الآخرين وارى فيما اذا كانوا سيدفعون نمناً آخر ، واقارن عندئذ بين الاثمان» .

«يا للعار يا سيدتى ! يا للعار ! هل تفكرين فيما تقولين ؟ فمن هو الذى سيشتري هذه النفوس ؟ وای فائدة يمكن ان يجنيها انسان منها ؟»

فاخذت العجوز تفكر بصوت عال وتقول «اذا كان الامر كذلك فقد يتبين ان لها فائدة لى» . ومن ثم جلست تحدق في تشيتشيكوف بفهم مفتوح ووجه متوتر تنتظر ماذا سيكون رد الفعل عند محدثها .

فقال تشيتشيكوف متعجباً «فائدة ترتجى من الموتى في عقر بيت . ماذا ؟ ما الذى يمكن ان تفعله بهم ؟ تنصبينهم على اعمدة لتخيفى العصافير فى الحديقة ؟» فقالت وهى تصلب على نفسها «احفظلنا يا رب ! لكن ما هذا الذى تقول ؟»

\* كانت قيمة العملة الورقية اكثر من قيمة مثيلتها الفضية . الناشر .

«اجل ، ماذا ستفعلين بهم ؟ انهم اصبحوا الآن عظاما وقبوراً لا شىء آخر . وانتقالهم سيكون على صفحات الورق فقط . كفى ! كفى ! هيا اعطنى الجواب الاخير» . وراحت العجوز مرة اخرى تستشير نفسها . فقال تشيتشيكوف «ما الذى تفكرين به يا ناستاسيا بتروفنا ؟»

«انى لا اكاد اعرف ماذا سافعل . قد يكون من الافضل ان ابيعك تيل قنب ؟»

«وما الذى اريده من تيل القنب ؟ اسمح لى . . . عندما اقترح عليك اقتراحاً ، ارى انك تطنطنين لى بقصة تيل القنب . تيل القنب هو تيل القنب . وقد احتاج منه شيئاً فى زيارتى القادمة ، اما الآن فارىد ان اعرف ما هو رايك فى الاقتراح الذى هو موضع البحث» .

«اظن انها مساومة غريبة جداً ، فلم اسمع بشىء كهذا اطلاقاً !»

عندئذ فقد تشيتشيكوف ما تبقى لديه من الصبر ، فقلب الكرسي على الارض وقال لها ان تنصرف الى الشيطان . ولكن ذكر الأخير جعلها ترتجف هلعاً . فشجب لون وجهها وقالت «اتوسل اليك ، لا تذكره ! عفا الله عنه ! كانت الليلة الماضية ثالث ليلة يظهر لى فيها فى المنام . فبعد ان انهيت صلاة المساء ، خطر لى ان اعرف حظى فى ورق اللعب . يجب ان يكون قد ارسله الله لى عقاباً على ذلك . كان منظره مرعباً جداً وقرناه اطول من قرنى الثور !»



«لا أدري لماذا لا ترين عشرات من الشياطين فى أحلامك . قد يكون جاء عطفاً عليك ورافة بك يخبرك بأنك عجوز فقيرة سائرة فى طريق الدمار وستنتهين فى القريب العاجل الى العوز والفاقة . هيا - الى جهنم بك وبقريتك !»

فنظرت العجوز الى ضيفها برعب وهلع وراحت تقول «يا للاهانات !» فأكمل تشيتشيكوف قوله «لا أجد فى الحقيقة الكلمات المناسبة لأصفك بها . انك كالكلب المربوط الى الحذوَدِ ، لا يأكل العلف ولا يدع غيره يأكل منه . كل ما كنت أريده منك هو ان اشترى بعض المنتجات من قريتك ، لأننى متعهد للحكومة بمثل هذه الحاجات» .

ذكر هذه الفكرة الأخيرة ، عابراً ، لأنها مرت فى خاطره كفكرة حلوة دون ان يكون له من ورائها هدف بعيد . ولكن ذكر تعهدات الحكومة كان له تأثير قوى على ناستاسيا بتروفنا ، فسارعت تقول بنغمة متضرعة كأنها فى صلاة «ولماذا اشتد بك الغضب على ؟ لو كنت أعلم ان الغضب سيساورك من هذا الحديث لما ناقشتك فيه» .

«لا عجب ان غلا غضبى . ان الامر لتافه جداً ، ولكنه قد يصل بالانسان احياناً الى درجة الغليان» .  
«سوف اعطيك النفوس ، بخمسة عشر روبلاً ورقياً ، على ان تعدنى عند التعهدات ان تذكرنى فى اى وقت تحتاج فيه الى الحنطة والجويدار او الجريش واللحم المجففة» .

«لا ، لن انساك ابداً يا سيدتى» . واخذ يمسح عن جبهته ثلاثة جداول من العرق تصب على وجهه . ثم سألها اذا ما كان لها فى المدينة اى قريب او وكيل نستطيع ان توكل اليه التوقيع على الصفقة ، وان ينوب عنها فى كل ما تتطلبه العملية من اجراءات فى دوائر الحكومة» .

فاجابت السيدة كوروبوتشكا «طبعاً ، ابن قسيسنا الاب كيريل ، هو نفسه معام» .  
عندئذ رجاها تشيتشيكوف ان تكتب للرجل المذكور صيغة التوكيل ، وذهب بنفسه تيسيراً للامور فى التسو والساعة لكتابة التوكيل المطلوب .

بينما راحت السيدة تفكر فى نفسها قائلة «من المستحسن ان اغريه بشراء طحينى وحيواناتى لتعهدات الحكومة . وعلى ان اجد طريقة اشجعه فيها على ذلك . لدينا عجيب من الليلة الماضية . سأذهب الى فيتينيا واجعلها تقلى له بعضاً . ولا بأس ان اقدم له منها فطيرة بالبيض . اننا نحسن صنع هذه الاكلة هنا ، ومضى لا تأخذ وقتاً طويلاً» . وهكذا انطلقت تترجم افكارها هذه الى حيز التنفيذ ، ولكى تزيد على الفطير اشياء اخرى من محتويات المطبخ . اما تشيتشيكوف فقد عاد الى صالة الاستقبال - حيث قضى ليلته السابقة - ليحضر من صندوق رسائله اوراق الكتابة اللازمة . كانت الغرفة قد اعيد ترتيبها ورفع منها فراش الريش الضخم ووضعت منضدة امام الديوان . فوضع صندوق رسائله على المنضدة . ثم تنهد تنهدة

لطيفة عندما أحس انه مبلل بالعرق كما لو غطس في نهر . كانت كل ملابسه من القميص الى الجوارب تنقط عرقاً . وبعد ان استراح لحظة قال «اه» ، كم اتعبتني ، هذه الشمطاء اللعينة !» ثم فتح صندوق الرسائل . وقد يكون عند بعض قرائي ، على الاقل ، رغبة في معرفة محتويات هذا الصندوق والشكل الذي رتبته عليه . ولماذا لا البى هذه الرغبة ؟ كان اولاً في وسط الصندوق صحن لقطعة الصابون يحيط بها ستة او سبعة جيوب صغيرة لامواس الحلاقة ، وتلى ذلك قواطع مربعة الشكل لعلبة الرمل \* وللمحبرة وما بينهما قاطع مستطيل لربشة الكتابة ثم قاطع آخر لسمع الاختام وما احتاج الى مجال كبير واخيراً كانت قواطع اصغر للاشياء الصغرى كبطاقات الزيارة وشهادات الدفن ، وتذاكر المسارح وما احتفظ به تشيتشيكوف على سبيل الذكرى . وهذا القسم كله من الصندوق يمكن ان يرفع الى الخارج حيث يظهر تحته مكان للاوراق وصندوق سري صغير للنقود . والاخير يمكن ان يسحب من الجانب . وكان يفتحه ويسده بسرعة لكي لا يعرف احد كم لديه من النقود . وشرع تشيتشيكوف ينظف ريشة ليكتب بها واذا بالمضيضة تدخل عليه مبدية اعجابها بالصندوق ، وقالت وهي تجلس على مقعد مجاور «ما

\* كان الرمل يستعمل لتجفيف الحبر قبل وجود ورق النشاف . الناشر .

هذا الصندوق الجميل يا سيدى ؟ هل اشتريته من موسكو ؟»

فاجاب تشيتشيكوف دون ان يقطع حبل الكتابة «نعم ، من موسكو» .

«لقد عرفت ذلك ، فالمرء يستطيع ان يشتري اشياء جيدة من هناك . من ثلاثة اعوام اشترت اختى بعض الاحذية الجيدة لابنائها . وقد كانت بضاعة جيدة جداً ، الى هذا اليوم يلبسها الاولاد . اه ، كم لديك من الاوراق بشعار الحكومة ! (قالت هذا واخذت عينها تبصبان داخل الصندوق فوجدت كمية غير قليلة من الورق المذكور) . اتسمح لي باخذ ورقة منها ؟ ليس عندي منها شيء ، وعلى ان اقدم طلباً الى المحكمة وليس من شيء اكتب عليه» .

عندئذ اوضح لها تشيتشيكوف بان هذا الورق ليس من النوع الذى تبغى ، فهو مطبوع خاصة لبيع الاقنان ولا يصلح لتقديم طلبات اخرى . ومع ذلك فقد اعطاها بغية ارضائها ورقة عليها طابع بروبل واحد . ثم سلمها الرسالة لتوقعها ، وطلب اليها لقاء ذلك نسخة عن لائحة باسماء الفلاحين . ولكن لائحة من هذا القبيل ، لسوء الحظ ، لم تكتب في يوم من الايام ، والطريقة الوحيدة هي انها كانت تحفظ اسماءهم عن ظهر القلب . مهما يكن من امر ، فقد طلب اليها ان تملئ الاسماء عليه . وقد اندهش بطلنا من اسمائهم كما اندهش من بعض الالقاب ايضا . وقد وقف لحظة عندما سمع اسم - «بيتر سافيليف غير المحترم للطست» وقال لا ارادياً «اي



سلسلة من الاسماء هذه» . وكان لقب قين آخر  
«حجر البقرة» ولقب ثالث «عجلة ايفان» . على أية حال ،  
فقد اكمل اللانحة أخيراً وتنفس الصعداء . وفى عملته  
الأخيرة هذه التقط أنفه رائحة شهية لشيء مقلى  
بالدهن . فرفع رأسه وألقى نظرة على المائدة ، فإذا  
بها ملاءى بالفطر والفطير واللحوم المختلفة .

«ارجوك أن تتناول لقمة . جرب هذه الفطيرة الطازجة  
المقلية بالببيض» فامتثل تشيتشيكوف للأمر . وبعد أن  
أكل أكثر من نصف ما قُدمَ له أخذ يمدح الفطير  
مطناً . كان فى الواقع لذيق الطعم ، وقد يزيد من لذة  
طعمه أنه جاء بعد المجهود العنيف والمصاعب الهائلة  
التي مر بها مع مضيفته .

وقالت السيدة «وبضعة من الفطائر الصغيرة  
أيضاً ؟»

وردّاً على ذلك طوى تشيتشيكوف ثلاثاً مع بعضها  
البعض وغمسها فى صحن الزبدة ووضعها فى فمه دفعة  
واحدة ثم مسح يديه وفمه بالقوطة . وأعاد هذه العملية  
ثلاث مرات أيضاً ، ثم طلب من مضيفته أن ترسل  
لاعداد العربية . ولما طلبت السيدة من فيتينيا أن تذهب  
لتنفذ الأمر قالت لها أن تحضر معها عند عودتها طبقاً  
جديداً من الفطائر الساخنة . فأخذ تشيتشيكوف يقوم  
بمهمته فى الطبق الجديد عند وصوله وهو يقول «إنها  
عظيمة حقاً» .

فقالت السيدة «اجل ، اننا نتقن فى صنعها هنا . ولو  
لم يكن موسم الحصاد سيئاً هذا العام والطحين غير

جيد ، مما منعنى أن . . .» وراته يمد يده الى قبعته  
وقالت : «ولكن علّام تستحت الخطى يا سيدى ؟ ان  
العربة غير جاهزة بعد» .

«لكن هذا لا يستغرق وقتاً طويلاً ، وانى بحاجة الى  
دقيقتين كى احزم متاعى» .

«كما تشاء يا سيدى ، لكن لا تنسنى من تلك  
التمهيدات الحكومية» .

فهرع تشيتشيكوف مهولاً الى القاعة وهو يقول «لا ،  
لقد قلت لك اننى لن انسك» .

فتبعته مضيفته وهى تقول «الا تريد أن تشتري  
شيئاً من شحم الخنزير ؟»

«شحم الخنزير ؟ اوه ، طبعاً ، ولم لا ؟ انما . . . انما  
سأترك ذلك للمرة القادمة» .

«سيكون لدى قسم منه جاهزاً بعد عيد الميلاد» .  
«اجل ، اجل يا سيدتى . سوف اشترى آنئذ كل شيء» .

بما فى ذلك الشحم» .  
«وربما كنت بحاجة الى الريش ايضاً ؟ سيكون جاهزاً

عندى للبيع فى عيد القديس فيليب» .  
«حسناً جداً ، حسناً جداً يا سيدتى» .

وخرجاً الى الشرفة . فقالت «ها انت ترى ان العربية  
ليست جاهزة بعد» .

«ولكنها سرعان ما تجهز . الا انى ارجوك أن تدلينى  
على الطريق الرئيسى» .

«وكيف لى أن افعل ذلك يا سيدى ؟ ففى هذه الناحية  
عدد كبير جداً من المنعطقات . على أية حال ، سوف

ارسل فتاة تدلك عليها . تستطيع ان تجد لها موضعاً  
قرب مقعد السائق ، اليس كذلك ؟»  
«بلى ، بلى» .

«اذن سارسلها معك ، انها تعرف الطريق جيداً . انما  
لا تذهب بها بعيداً ، فقد فقدت احدى فتياتي اذ اخذها  
منى بعض التجار المتجولين» .

فطمان تشيتشيكوف روعها بهذا الشأن . فاطمات  
واخذت بناء على ذلك تتفحص الساحة . فوقع بصرها  
على احدى خادماتها وهي خارجة من مخزن المؤن تحمل  
في يديها إناء خشبياً مليئاً بالعسل ، ورات فلاحاً آخر  
يتلصقاً قرب الرتاج . وهكذا انغمست بنفسها شيئاً  
فشيئاً في شؤونها المنزلية واصبحت منهمكة فيها .  
ولكن لماذا نغير كوروبوتشكا اهتماماً ؟ تباً للارملة  
كوروبوتشكا ومدام مانيلوفا والحياة المليئة بالحياة  
الفارغة ! فمن ذا الذي يهتم بهذه الامور ؟ لكن في الدنيا  
من الغرابة شيئاً كبيراً . وان المرء اذا ما فكر في امر  
وابتسم له ، ما يكاد ينهي ابتسامته هذه ، حتى يكون  
فكره قد انتقل الى امر آخر قد يكون محزناً . الله وحده  
يعلم الافكار العديدة التي تبرز في ذهن الانسان في  
اللحظة الواحدة . وقد تفكر ايها القاري في لحظة  
كاللحظة التي نحن فيها فتقول - هل صحيح ان مدام  
كوروبوتشكا تقف في سلم الكمال الانساني على درجة  
منحطة جداً ؟ وهل هناك في الحقيقة هوة كبيرة تفصل  
بينها وبين اختها التي تقبع محسودة بين جدران اربعة  
في بيت فخم ارستقراطي ، مليء بالمطور ، ذي سلال من

حديد مزين بالتحف النحاسية مؤثت بالخشب النفيس ،  
مفروش بالسجاد ، تقضى معظم اوقاتها تتنأب خلف  
كتب لم تكمل قراءتها ، تنتظر زيارة شخص متميز  
اجتماعياً لكي تطلعه على قطنتها وتشرح له افكارها  
المحفوظة المعادة التي سبقت معرفتها والتي شغلت  
المدينة منذ اسبوع مضى والتي لا علاقة لها اطلاقاً  
بشؤونها المنزلية او شؤون مزرعتها اللتين دب فيهما  
الغوضي والخراب نتيجة جهلها بما هو هام في الحياة .  
انها تناقش الانقلاب السياسي الذي تنهيا فرنسا للقيام  
به ، والاتجاه الحديث الذي اخذت تسير فيه  
الكاثوليكية الجديدة . تباً لهذه الامور ! ولماذا نتكلم  
عنها ؟ ولكن لماذا يكون الانسان في لحظة من اللحظات  
سعيداً هنيئاً خالي البال والتفكير ويحس فجأة بموجة  
من الهم تمر عليه لا يعلم لها مصدراً ؟ ولا تكون  
الابتسامة قد فارقت ملامحه ويشعر فوراً ان هناك فرقاً  
بينه وبين زميله الذي يجلس معه ، ويشع وجهه  
باشعاع مختلف جداً .

ولما رأى تشيتشيكوف العربة تتقدم ببطء صاح «ها  
هي العربة» . ثم لسيليفان «يا للغبي ، لماذا تتلصق  
هكذا ؟ ارى ان خمرة الامس لم تتبخر من رأسك بعد» .  
ولم ينبس سيليفان ببنت شفة .

وخطب تشيتشيكوف السيدة قائلاً «وداعاً يا مدام .  
ولكن اين البنت ؟»

فصاحت «هاهي ، بيلاغيا» . وأشارت الى فتاة في  
العادية عشرة من عمرها ترتدي ملابس مفزولة ومصبوغة



والمستشار لم يكونا يشعران بالرضى لأنهما لم يسمعا النداء المألوف «أيها العزيزان» ، أو «أيها البطلان» . ثم اخذ الارقط يتلقى ضربات عنيفة على كفله العريض الواسع . فراح يهز اذنيه ويقول في نفسه «ما الذي غير من طبع سيدي ؟ انه يعرف جيداً اين يضربني . لا يضربني على الظهر ، انما يفتش عن المواضع الحساسة كالاذنين او البطن» .

ورأى سيليفان طريقاً موحلة تمتد على استقامتها ما بين الحقول الخضراء ، فأشار اليها وهو يسأل الفتاة «الى اليمين ، اليس كذلك ؟»

فأجابت «لا ، لا ، ساريك الطريق متى يحين الحين» .

وسارت العربة شوطاً ، وسأل الفتاة مرة اخرى «اي طريق اذن ؟»

فأشارت الى الطريق السالفة الذكر ، وقالت «هذه» . فقال السائق «عليك لعنة الله ، ولكن هذه ذاهبة الى اليمين ، انك لا تعرفين يمينك من شمالك» .

كان الطقس جميلاً ولكن الارض كانت موحلة جداً بحيث اكتست عجلات العربة بطبقة من الوحل كما لو كان لها غطاء من اللباد فوق عجلات الحديد ، وهذا ما زاد في ثقل العربة . ولم تستطع ان تتخلص من ضواحي القرية قبل حلول الظهيرة ، ولو لا مساعدة الفتاة ايضاً لكان العثور على الطريق مستحيلاً ، لأن عدداً كبيراً من الطرق يتفرع الى كل ناحية كسراطين مصادة طلعت من الكيس ولو لا المساعدة المذكورة لراح سيليفان يتصرف

في البيت ولها قدمان عاريتان يكسوهما الوحل الكثيف ، اذا نظر اليهما الانسان من بعيد يحسبها تنتعل خفّاً . «هيا يا بيلاغيا ، اذهبي ودلي السيد على الطريق» . وساعد سيليفان الفتاة فسي الصعود الى مقعده . فوضعت قدماً على الرفراف الذي يصعد عليه السيد وملأته بالوحل . ثم صعدت واحتلت مكانها المقرر قرب السائق . وحذا تشيتشيكوف حذوها (مما جعل العربة تميل من ثقله) واستقر في مقعده الخلفي وهو يقول «كل شيء على ما يرام ، وداعاً يا مدام» . وانطلقت الجياد خبيّاً .

كانت الجهامة ظاهرة على سيليفان ولكنه كان متنبهاً متيقظاً لعمله . وكانت هذه عادته الدائمة عندما يرتكب خطيئة او يسكر . وكان يبدو على الجياد ايضاً انها نظيفة اكثر من المعتاد ، فان طوق احدها كان مرتباً جداً ، مع ان في السابق الطوق نفسه بلغ درجة بعيدة في القدم بحيث اخذت حشوته تخترق الجلد وتبرز من خلال الثقوب . اما الصمت فكان يكون كاملاً . كان سيليفان يلوح بسوطه فقط ولم يكن يتكلم مع الجياد ، مع ان الارقط كان على استعداد - كما هي العادة - لسماع ارشاد طويل لا سيما وان الاعنة كانت رخوة في يد السائق الفصيح والسوط يجول جولات برينة فوق ظهر الترويكما بحكم العادة . مهما يكن من امر ، فان الانسان كان يستطيع ان يسمع من شفطي سيليفان الكنيبتين ، الصبيحة البذينة المعتادة «امشوا ايها الحيوانات . امشوا ايها الحيوانات» . حتى الكميث

بحكمته الخاصة . واخيرا اشارت الفتاة الى بناية بعيدة  
وقالت «تلك هي الطريق العامة» .

فسالها سيليفان «وما هي تلك البناية ؟»  
فقال «حانة» .

«اذن نستطيع السير وحدنا . انزلى وارجعى الى  
البيت» .

عندئذ اوقف العربية وساعدها على النزول وهو يقول  
«ايتها القنطرة ، ذات الاقدام السوداء» .

واضاف تشيتشيكوف الى هذا الكلام قطعة عملة  
نحاسية ، فانصرفت البنت مسرورة بركوبها فى عربية  
السيد .

## الفصل الرابع

واذ بلغ تشيتشيكوف الحانة عرج عليها . وقد  
دعاه الى ذلك سببان - احدهما انه كان يبغي إراحة  
الخيول ، والآخر انه كان نفسه بحاجة الى استعادة  
النشاط بتناول شئ خفيف من الطعام . ويجد المؤلف  
نفسه هنا ملزما بالاعتراف بأن شهية مثل هؤلاء الرجال  
وسعة بطونهم امران يحسدان عليهما . اما  
اولئك الناس من اهل موسكو وبطرسبورج ، الذين هم  
في يسر من العيش والذين يقضون اوقاتهم يحسبون  
ماذا سياتكلون فى الغد ، وماذا سياتكلون بعد الغد ،  
والذين لا يجلسون الى المائدة ابدا دون ان يجرعوا  
حبة دواء ، ثم يلتهمون المحار والسرطان وكمية اخرى من

المخلوقات الغريبة والذين يؤول امرهم الى الذهاب  
للاستشفاء فى كارلسباد او القوقاز - اما بشأن هؤلاء  
فليس للمؤلف فيهم الا رأى زهيد . اجل ليس هؤلاء  
بالقوم الذين يبعثون فى النفس الحسد . انما تلك الفئة  
من الطبقة المتوسطة ، الفئة التى تطلب قديد الخنزير  
فى نزل ، ولحم الخنزير المشوى فى نزل آخر  
وتطلب فى نزل ثالث شريحة من السمك او فطيرة  
مخبوزة مع البصل التى تستطيع بعد ذلك الجلوس الى  
المائدة فى اية ساعة كما لو انها لم تتناول وجبة طعام  
فى حياتها من قبل ، وتستطيع ان تلتهم جميع انواع  
الاكل وجميع اصناف السمك المختلفة وتمضغها بشكل  
تقصد منه زيادة الشهية ، هؤلاء اقول ، هم الجماعة  
الذين يتمتعون بنعمة السماء التى ما بعدها نعمة .  
وللبلوغ الى هذه النعمة السماوية العلوية نجد ان  
الجماعة العظام الذين ذكرتهم فيما سبق ، على استعداد  
للتضحية بنصف عبيدهم ونصف املاكهم . المرهونة  
وغير المرهونة ، بما ادخل عليها من اصلاحات اجنبية  
 واصلاحات وطنية ، فى سبيل الحصول على معدة كتلك  
التي تحظى بها الطبقة المتوسطة . لكن لسوء الحظ ، لا  
المال ولا الاملاك ، سواء ادخلت عليها التحسينات او  
لم تدخل ، بقادرة على شراء معدة كهذه .

كانت الحانة الخشبية الصغيرة بستارها الضيق -  
وان كان منظر مضياف - المعلق بصاريين منقوشين  
نقشاً غير مصقول كشعدانى كنيسة قديمين ، تلوح  
وكانها تدعو تشيتشيكوف الى الدخول . كانت البناية فى



«وفجل ابيض ولبن؟»

«نعم» .

«احضريها اذن» .

فانطلقت السيدة لهذا الغرض ، وعادت بطبق وفوطه (منشأة لدرجة اصبحت فيها كاللحاء المجفف) وسكين بقبض من عظم بدا يحول لونه الى الصفرة ، وشوكة بشعبتين فى رقة الرقاق ، ومملحة لا تقف معتدلة .

واتباعاً للعادة الجارية ، دخل بطلنا فى حديث مع المرأة ، وتساءل فيما اذا كانت هى التى تشرف على الحانة او اذا كان هناك مشرف آخر ، وكم هو مدخل الحانة ، وفيما اذا كان اولادها يعيشون معها ، وهل الاكبر اعزب او متزوج ، ومن هى تلك التى تزوجها الاكبر ، وهل كان المهر الذى دفعته كبيراً ، وهل كان ابو العروس راضياً ، وفيما اذا لم يشتك ابو العروس المذكور من صغر الهدية عند العرس . وباختصار ، طرق تشيتشيكوف كل نقطة يمكن ان تمرّ بالبال . وقد ابدى - بالطبع - رغبة فى معرفة الملاكين فى تلك الناحية ، وتأكد من اسمائهم فاذا بها بلوخين ، بوتشيتاييف ميلنوى ، العقيد تشيبيراكوف ، سوباكيفيتش . فقال «اذن تعرفين سوباكيفيتش؟» فاجابته بأنها لا تعرفه وحسب ، وانما تعرف ايضا مانيلوف الاكول اكثر من سوباكيفيتش ، فمانيلوف يطلب دائما فرخة مشوية وقطعاً من لحم العجل ولحم الخروف ثم يتذوق لقمة صغيرة من كل منها ويترك الباقي ، اما سوباكيفيتش فانه يطلب طبقاً واحداً فقط

الواقع كوخاً روسياً وحسب ، من الطراز العادى ، لكنها كانت كوخاً ذا ابعاد اكبر من المعتاد ، وقد رسمت ونقشت حول نوافذه وسقفه الهرمى افاريز من خشب بالوان زاهية خفت من عتمة ظلال الجدران وانسجمت انسجاماً كلياً مع الاخص ذات الزهور التى رسمت على دفات الشبايبك .

وصعد تشيتشيكوف السلم الخشبي الضيق الى الطابق العلوى فوصل الى فسحة متسعة ووجد نفسه امام باب ذى صرير وامرأة عجوز بدينة ترتدى رداء مقلماً طُبعت اقلامه طباعة . وقالت «هذه الطريق ، من فضلك» . فوجد تشيتشيكوف فى الغرفة المهيأة له اصدقاءه القدامى الذين يجدهم المرء دائماً فى الفنادق القائمة على جنب الطريق كهذا الفندق ، الا وهى - سماور اشيب ، واربعة جدران ملساء مخدشة من خشب الصنوبر الابيض ، ودولاب مثلث الزوايا فيه اكواب واباريق شاي ، واوان للبيض من الصينى المذهب واقفة امام ايقونات معلقة بأربطة حمراء وزرقاء ، وقطة انجبت حديثاً واصبحت لها عائلة ، ومراة تعكس للناظر فيها عيوناً اربعاً بدلاً من اثنتين وفطيرة بدلاً من وجه ، وبجانب الايقونات وضعت اضغاث من الاعشاب والقرنفل مغبرة ذابلة اذا حاول المرء شمها انطلق عاطساً .

وسأل تشيتشيكوف ربة البيت وهى واقفة امامه فى الانتظار «هل عندك لحم خنزير رضيع؟»  
«نعم» .

لكنه يأكله ثم يطلب طبقاً آخر من النوع نفسه وبالثلث نفسه .

وبينما كان تشيتشيكوف يتجاذب اطراف الخديت مع ربة النزل ويأكل لحم الخنزير الرضيع حتى لم تكد تبقى منه غير قطعة واحدة سمع صوت عربية تقترب . فرأى وهو يرنو من النافذة عربية خفيفة تجرّها ثلاثة خيول جيدة تقف بباب الحان . ونزل منها رجلان - احدهما طويل اشقر الشعر يرتدى معطفاً ازرق غامقاً والآخر هزيل البنية اسود الشعر ذو معطف مقلّم . ووقفت خلف العربية عربية اخرى ، لكنها فارغة مهملة ، تجرّها اربعة جياذ طويلة الوبر واطواق متهرنة لجمها من حبال . ولم يلبث الاشقر ان اتجه الى السلالم وراح يصعد عليها بينما ظل صاحب الشعر الاسود يتسكع حول العربية كأنه يفتش عن شيء فيها ويتكلم اثناء ذلك مع سائق العربية الواقفة الى الخلف ويؤشر للعربية خلفهم . وبدا لتشيتشيكوف ان صوت الرجل ذى الشعر الاسود اليف لديه . وبينما كان يلقي عليه من النافذة نظرة اخرى ليتأكد منه ، دخل صاحب الشعر الاشقر عليه الغرفة . كان القادم الجديد عالى البنية ذا شارب صغير احمر ووجه ذى بارز التقاطيع تعلوه حمرة تدل على ان لصاحبه صلة وثيقة حميمة ان لم تكن بدخان البارود فعلى الاقل بدخان التبغ . على اية حال ، فقد حيّا تشيتشيكوف بادب وردّ الأخير بانحناءة . وقد كاد الرجلان فى الواقع يدخلان معاً فى حديث ويتعارفان على بعضهما البعض (لا سيما وقد كان

يبدو عليهما الارتياح الى ان مطر الليلة السابقة قد رسّب الغبار على الارض فغدت سياقة العربات على الطرق لطيفة ممتعة) ، لو لا ان دخل ذو الشعر الاسود ورمى بقبعته على المنضدة وازاح من فوق جبينه خصله مشعثة سوداء من شعره الى الوراء . كان آخر الواصلين معتدل الطول مقداماً منسجم الشكل له خدان فى غاية الاحمرار واسنان فى بياض الثلج وفودان فى سواد الفم . كانت ملامحه فى الحقيقة غضة حتى تكاد تحسبها مكونة من الدم واللبن ، بينما كانت الصحة ترقص فى كل قسمة من قسماته . وصاح وقد تفتح للعناق عندما رأى تشيتشيكوف «ها ، ها ، ها . اى حظ ارسلك الى هنا ؟»

عندئذ عرف تشيتشيكوف نوزدريف - الرجل الذى قابله فى وليمة المدعى العام ، والذى اصبح فى ظرف دقيقة او دقيقتين من تعارفهما اليفاً جداً لزميله فى الضيافة حتى راح يخاطبه بالضمير المفرد الثانى على الرغم من ان تشيتشيكوف لم يعطه المجال لذلك . وسأله نوزدريف يقول «اين كنت اليوم ؟» ودون ان ينتظر جواباً استمرّ يقول «اما انا فعائد من السوق حيث نظفوا جيوبى . لم يحدث لجيوبى ان اصبحت خالية خاوية كهذه المرة . وهذا ما اضطرنى فى الواقع الى ان اعود بخيول الاجرة ! انظر من الشباك ترها بأم عينيك» . وادار رأس تشيتشيكوف بشدة الى الجهة المقصودة حتى كاد يصدمه بأطار النافذة . «هل رايت فى حياتك مثلها عجباً ؟ اننى لا اكاد اصدق ان هذه



الخيول التعيسة استطاعت أن توصلني إلى هذا المكان .  
والواقع أنني اضطررت في الطريق إلى الانتقال إلى عربة  
صاحبنا هذا» . وأشار إلى زميله بأصبعه .  
«بالمناسبة ، ألا تعرفان بعضكما ؟ انه ميجويف ،  
صهري . في صبيحة هذا اليوم كنت أكله عنك . لقد  
قلت له - سوف نقابل تشيتشيكوف اليوم ، وسأرى .  
يا آلهي ، كم هي جيوبى خالية الآن ! لم أخسر أربعة  
جياذ أصيلة وحسب ، بل خسرت ساعتى وسلسلتى  
أيضاً» . وقد لاحظ تشيتشيكوف في الواقع أن محدثه  
تنقصه الأدوات المذكورة ، كما لاحظ أيضاً أن أحد  
جانبي فودي نوزدريف كان قصيراً مشعثاً أكثر من  
الآخر . واستمر نوزدريف يقول «لو كان في جيبى  
عشرون روبلاً أخرى لاسترجعت كل ما خسرت ،  
ولربحت ثلاثين ألفاً . نعم ، أقسم لك بشرفى على  
هذا» .

فقال الرجل الأشقر «ولكنك قلت الشئ نفسه حينما  
قابلتك المرة الماضية ، واقترضتك خمسين روبلاً  
آنذاك وخسرتها كلها» .

«ولكنى لم أكن لأخسرها هذه المرة لو لم ارتكب  
جحافة ، حقاً ، ما كنت سأخسر . اننى أقول لك اننى لم  
أكن لأخسرها فلو سحبت الورقة الصحيحة لربحت كل  
النقود» .

فاجاب الأشقر «ولكنك لم تسحب» .

«نعم ، وذلك لأنى لم لعب الورقة الرابعة . ولكن  
كيف كان لعب صديقك الغالى حضرة الراند ؟»

«سواء كان لطيفاً أم لم يكن ، فهو على الأقل قد تغلب  
عليك» .

«يا للسخرية ! ولكنى سوف أتغلب عليه . دعه  
يلعب معى «بالثنائية» وسوف أريك أى لاعب هو ! ايه  
أيها الصديق تشيتشيكوف ، لقد قضينا وقتاً رائعاً أول  
الامر ، فقد نجحت السوق نجاحاً هائلاً جداً . كان التجار  
انفسهم فى الواقع يقولون بأن ازدهاراً كهذا لم يحدث  
فى سوق من قبل . أما من ناحيتى فقد دبرت بيع جميع  
منتجات املاكى بسعر محترم . يا لعظمة الوقت الذى  
قضيناه هناك ! تبا لى ، فأننى لا أستطيع إلا أن أفكر  
فيه ! لكن والاسفاه لانك لم تكن هناك ! تصور على  
بعد ثلاثة فرسعات من المدينة تعسكر فرقة من  
الفرسان ، ولا تكاد تستطيع أن تصدق عدد ما فيها من  
الضباط . هناك على الأقل أربعون ضابطاً يترددون على  
المدينة ويشربون فيها . وضابط الفرسان بوتسيلوف  
بالذات ، انه انسان عظيم حقاً ! كان عليك أن ترى  
ضاربه فقط ! أجل ، انه يسمى الخمر الفرنسى المعتقد  
سقط المتاع ! ويصيح على النادل يقول - هات بعضاً  
من سقط المتاع . والملازم كوفشينيكوف ، أيضاً ! انه  
غاوى ولأنه تماماً . لقد قضينا وقتنا كله معه . ولك  
أن تتصور تجارة الخمار بونوماريف . على أية حال ،  
فهو سافل كما تعرف ، ويجب أن لا يعامله أحد ، لأنه  
يضع جميع أنواع النفايات فى مشروباته - الخشب  
الهندي والفلين المحروق وعصير البيلسان . . . ذلك  
النذل ، ومع هذا كله دعه يحضر لك زجاجة مما يسميه

المخدع الخاص فستجد نفسك عندئذ في السما.  
السابعة . ويا للكميات الهائلة من الشمبانيا التي  
شربناها ! اذا قارنتها بمشروب حاكم الولاية حسبته  
شراباً عَفِفاً لا يذاق . لم نشرب خمرة الكليكات  
وحسب بل شربنا الكليكات. الماترادورا - اى كليكات  
مضاعفة المفعول . وقد احضر بونوماريف زجاجة من  
الخمير الفرنسي يسميها بون بون . وستسألني بالطبع  
عن رائحتها . كانت في رائحة ورد البستان او اى رائحة  
عطرة اردت . يا لعظمة الوقت الذي قضيناه ! وما كدنا  
نترك محل بونوماريف حتى وصل احد الامراء الى المدينة  
وارسل في طلب بعض زجاجات الشمبانيا . ولكن لم  
تكن هناك زجاجة واحدة ، لأن الضباط شربوها كلها !  
اجل ، فقد اتممت بنفسى سبع عشرة زجاجة في جلسة  
واحدة !»

فقال الاشقر «مه ، مه . ليس في وسعك ان تشرب  
سبع عشرة» .  
فتمتم نوزدريف قائلا «ولكنى فعلت . اقسم لك  
بشرفى» .  
«تخيل ما يحلو لك ، ولكنك لم تشرب حتى عشر  
زجاجات في الجلسة الواحدة» .

«اتراهن اننى سأفعل ؟»

«لا ، فما الفائدة من الرهان على ذلك ؟»

«راهن على الاقل بالبندقية التي اشتريتها» .

«لا ، لن افعل شيئاً من هذا القبيل» .

«ادخل في المراهنة كمجرد تجربة فقط» .

«كلا» .

«من الافضل ان لا تفعل لأنك ستخسر عندئذ البندقية  
والذخيرة معا . على اية حال ، ايها الصديق  
تشييتشيكوف ، فقد كان من المؤسف ان لا تكون هناك .  
انك لو كنت لوجدت نفسك غير قادر على مفارقة الملازم  
كوفشينيكوف . ستبلغان - هو وانت - من العظمة  
شاورها ! انه من جنس آخر يختلف كل الاختلاف  
عن جنس المدعى العام وموظفينا المدنيين البخلاء  
الآخرين الذين يرتجفون في احذيتهم قبل ان يصرفوا  
كوبيكا واحداً . انه على استعداد للعب بالورق - اية  
لعبة شئت وفي اى وقت اردت . لماذا لم تأت معنا ؟  
انت تستحق على هذه الفعلة ان اسميك خنزيراً او راعى  
ماشية \* . لكن لا عليك . ضمنى اليك . اننى احبك  
كثيراً . ميجويف ، هل ترى الطرافة التي انتهت اليها  
الامور ؟ ليس هناك من مصلحة تربطنا فتجمع بيننا ،  
ولكن القدر شاء ان نكون صديقين ، فهبط من حيث لا  
يعلم الا الله ونزل في البقعة التي انا فيها ! ولك يا  
صاحبى ان تعلم كم كان عدد العربات هائلا في السوق !  
لقد ذهبت هناك لكى لعب لعبة روليت فربحت فيها  
جرتين من المرهم العطري وابريق شاي صينياً وقيثارة .  
وقامرت بعدئذ باشياء اخرى ، كالمجنون ، وخسرتها

\* يقول نوزدريف لتشييتشيكوف انه حيوان على طريقته  
لى التحبب . المترجم .



كلها وخسرت فوقها ستة روبلات . اى زير نساء .  
كوفشينيكوف هذا ! قد اشتركتنا معاً فى حفلات الرقص  
كلها تقريباً وكانت ذات مرة فيها امرأة فاخرة الثياب -  
يا لها من ابهة ! لقد اكتفيت بان قلت لنفسى -  
ليأخذها الشيطان - ولكن كوفشينيكوف ، ذلك العاجز ،  
جلس بقربها وبدأ يسرد امامها سلسلة من المدائح  
بالفرنسية . مهما يكن من امر ، فانه لم يترك حتى  
السيدات العاديات - مع انه يسمى هذا العمل قطف  
التوت . واية اسماء عجيبة قدموا لنا بهذه المناسبة ،  
معى قطعة شهية من السمك . وهذا كل ما أعدته معى !  
لقد كنت فى الواقع سعيد الحظ اذ اشتريت هذه  
السمكة قبل ضياع نقودى . الى اين انت قاصد ؟

«انوى زيارة صديق» - قال تشيتشيكوف .  
«ومن هو هذا الصديق ؟ فليذهب الى الشيطان : تعال  
معى الى منزلى بدلا منه» .

«لا ، لا استطيع فان لى عملا اريد انجازه» .

«اوه : ويا له من عمل !»

«ان لى عملا يجب ان انجزه . انه عمل عاجل  
جداً» .

«اننى اراهن انك تكذب ، واذا لم يكن ذلك فاخبرنى  
من ستزور» .

«سوباكيفيتش» .

عندئذ انفجر نوزدريف فى ضحكة لا يستطيعها الا  
الرجل العفى السليم الذى لا يزال كل سن فى نفسه  
كالسكر فى بياض اللون . اعنى بذلك ضحكة الخدين

الراجلين ، الضحكة التى تجعل الجار النائم على بعد ثلاث  
غرف والذى يفصل بينه وبينها بابان يقفز من فراشه  
ويفرك عينيه ويقول «يا للكلب ! الفرحة تدغـدغ  
ضلوعه» .

فساله تشيتشيكوف وقد اعتراه شىء من الغضب  
«وما الذى يستدعى الفضحك ؟»

لكن نوزدريف راح يضحك غير مكبوح الجماع اكثر  
من قبل ويقول «اوه ! ارحمنا يا الله ! فالامر ممتنع  
جداً ، اكاد اموت منه !»

فردد تشيتشيكوف يقول «قلت لك ان لا داعى  
للضحك ، فانا ذاهب الى سوباكيفيتش رغبة فى الوفاء  
بوعده قطعتة على نفسى» .

«انك ستضيق ذرعاً بالحياة اذا ما وصلت الى هناك ،  
لانه ابخل مخلوق فى هذه الضواحي . اه ، لو عرفت !  
على اية حال ، اذا كنت تظن انك ستجد لديه لعبة ورق  
او زجاجة بون بون فانت على خطأ . استمع لى يا صديقى  
العزيز ، دع سوباكيفيتش يذهب الى الشيطان ! وتعال  
الى منزلى حيث ستجد على الاقل قطعة من السمك اقدمها  
لك فى عشائك . لقد قال لى بونوماريف وهو يودعنى -  
هذه هى القطعة التى تليق بك ، ولو رحلت تفتش  
السوق كلها لم تجد احسن منها . ولكنه بالطبع مخادع  
فظيع . اما انا فقد اجبته راساً ، وقلت له - انت  
وجايبى الضرائب اقذر مخلوقين فى الوجود . ولكنه ربّت  
على لحيته فقط ثم ابتسم . كنت اتناول فطورى كل يوم  
مع كوفشينيكوف فى حانوته ولكنى كدت انسى ان

اخبرك شيئاً . . . نعم ، اننى لن اتنازل لك عنه ، حتى  
ولا بعشرة آلاف روبل - اخبرك بذلك سلفاً . ولو كنت  
اعرف انك الآن لن تتخلي عنه .

وانطلق عندئذ يركض صوب النافذة ويصيح على  
خادمه (وكان هذا يمسك فى يد سكيناً وفى اليد  
الأخرى لقمة من خبز وقطعة من سمك - وقد تمكن من  
اختلاس الأخيرة بينما كان يفتش العربة عن شئ آخر)  
«أى بورفيرى ! احضر ذلك الجرو أيتها الوغد ! يا  
للجرو الرائع ! ان صاحب الفندق اللص لم يكن يريد  
ان يبيعه بأى ثمن ، مع اننى وعدته ان اعطيه المهرة  
السمرء التى قايضت عليها خفوستيريف - كما تذكر» .  
غير ان تشيتشيكوف فى الواقع لم يكن قد رأى فى  
حياته المهرة السمرء ولا خفوستيريف مطلقاً .

وتساءلت ربة المنزل وهى تدخل «هل تريد شيئاً  
للاكل يا سيدى ؟»

«لا ، لا شئ أبداً . ايه أيتها الصديق تشيتشيكوف !  
أية اوقات قضينا ! نعم أيتها العجوز اعطينى كأساً من  
الفودكا . قولى لى أى نوع لديك ؟»

«ذات اليانسون» .

«اذن هات لى كأساً منها» .

وأضاف ذو الشعر الأشقر يقول «وواحدة أخرى لى  
أيضاً» .

واستمر نوزدريف فى حديثه قائلاً «وفى دار التمثيل  
كانت هناك ممثلة تغنى ، المحتمالة ، كالعصفور  
الكنارى . وقال لى كوفشينيوكوف وكان يجلس بجانبى -

من الأفضل لك يا عزيزى ان تذهب وتقطف تلك  
التوتة . اما أجنحة التمثيل التى اقيمت فى السوق فلا  
اتجاوز الحقيقة ان قلت لك بأن عددها قد بلغ  
الخمسين . فيناردى الجمبازى ظل يدور اربع ساعات  
كالرعى . وعند هذه النقطة من حديثه توقف ليتناول  
كأس الفودكا من ربة المنزل ، التى انحنت شكراناً له على  
عمله هذا . وفى اللحظة نفسها دخل بورفيرى ، وهو  
رجل يرتدى مثل سيده (أى معطفاً مبطناً متمسحاً بالدهن)  
وكان يحمل الجرو بين يديه .

فامر نوزدريف قائلاً «انزل الحيوان هنا على  
الأرض» .

فوضع بورفيرى الحيوان على الأرض حيث يلعب  
كعادة الكلاب .

وصاح نوزدريف «إليك هذا الجرو» . وأمسكه من  
ظهره ودفعه . فصاح الجرو صيحة تدعو للمرثاء . والتقى  
نوزدريف نظرة على بطن الحيوان واستمر يقول لبورفيرى  
«اننى أراك لم تعمل ما امرتك به . فقد نسيت ان تنظفه  
بالفرجون» .

فاحتج بورفيرى بقوله «لقد فعلت» .

«اذن من أين جاءت هذه البراغيث ؟

«لا أعلم . قد تكون قفزت اليه من العربة» .

«يا لك من كذاب ، لم يخطر ببالك ان تنظفه ، بل  
واظن انك ، يا غبى عبرت له بعض براغيثك . ومع  
ذلك ، انظر يا تشيتشيكوف الى هاتين الاذنين .  
المسهما فقط» .



«وما الداعى لذلك ؟ اننى ارى انه حسن المنبت دون ان افعل»

«وان يكن ، امسك اذنيه والمسهما» .

ففعل تشيتشيكوف ما طلب منه صاحبه مجازاة له وقال «اجل ، يظهر انه حسن الاصل» .

«والمس برودة انفه ! ضع يدك عليها فقط» . فلمس تشيتشيكوف الجرو راغباً فى عدم اثاره محدثه ، وقال «ستكون له فى يوم من الايام حاسة شم جيدة» .

«نعم ، اليس كذلك ؟ انه الانف المناسب لذلك . لقد كانت بى رغبة منذ امد طويل الى جرو كهذا . بورفيرى ، ارجعه ثانية» .

فرفع بورفيرى الجرو من جنبه وحمله الى العربية .

واستأنف نوزدريف الحديث قائلاً «اسمع يا تشيتشيكوف ، يجب عليك ان تاتى الى منزلى . انه يقع على بعد خمسة فرسات فقط ونستطيع ان نذهب الى هناك بسرعة الريح ، وتستطيع ان تزور سوبا كيفيتش فيما بعد» .

فاخذت نفس تشيتشيكوف تساوره - «اذهب الى منزل نوزدريف ام لا ؟ وهل فى الامكان ان يكون فيه خير اكثر من الباقين ؟ ان فيه على الاقل من الامل مثل ما فيهم . لقد خسر فى المقامرة مخاسر جلى ولم يابه لها . انه يفعل ما يحلو له ولا يبالي . وقد يعطينى ما اريد دون مقابل» . واضاف بصوت عال «حسن جداً»

سأتى معك ، ولكن لن نبقى طويلاً لان وقتى ثمين جداً» .

فصاح نوزدريف «عظيم ! عظيم ! سنذهب ثلاثتنا ، دعنى اقبلك على هذه الفكرة العظيمة» . ورمى بنفسه على عنق تشيتشيكوف .

فتدخل الرجل ذو الشعر الاشقر وقال «اما انا فارجو ان تعفينى من الذهاب ، لأن عليّ ان اعود الى بيتى» .

«كلام فارغ ! كلام فارغ ! لن اسمع لك» . «ولكن زوجتى ستثور عليّ . وعليكم ان تسافروا فى عربة السيد .»

«قلت لك ان الامر لا يحتاج الى التفكير . هيا بنا ، هيا بنا» .

كان الرجل ذو الشعر الاشقر من الناس الذين تلمح فى شخصيتهم لأول نظرة شيئاً من الجد والرزانة بحيث تجعلهم على استعداد لمناقشة كلمات المرء حتى قبل ان يلفظها . انهم يعترضون على كل شىء يمكن ان يتعارض مع رأيهم الخاص . فهم يرفضون مثلاً ، ان تسمى الحماقة حكمة ، ويرفضون الرقص على أى نغم غير نغمهم الذى يعزفون عليه . مهما يكن من امر ، فى شخصيتهم تظهر دائماً نقطة من الضعف ، بحيث يقبلون آخر الامر ما رفضوه فى اوله ويصفون ما هو احق بانه معقول ثم يرقصون احسن مما يفعل الآخرون ، على نغم لحنه غيرهم . باختصار ، هم يبدأون على العموم صواباً وينتهون دائماً على اسوأ ما يرام .

وقال نوزدریف جواباً على اعتراض آخر لصهره «كلام فارغ!»

وبالتأكيد لم يكذ نوزدریف يخبط قبعته على راسه حتى بدا الرجل ذو الشعر الأشقر يتبعه وزميله . فانبرت العجوز قائلة «ولكن السيد لم يدفع ثمن الفودكا» .

«أجل ، أيتها الأم الطيبة . اسمع يا صهرى ، ادفع لها اذا سمحت . فليس فى جيبى كوبيك واحد» . فسأله الصهر «كم تريدین؟» «ثمانین كوبيكا من فضلك» .

«هذا كثير ! أعطها نصف روبل ، فيه الكفاية» . فاحتجت السيدة قائلة «قليل يا سيدى» ، ولكنها أخذت النقود بامتنان وركضت الى الباب لتفتحه للسادة . ولم تخسر شيئاً فى حقيقة الامر ، فقد تقاضت اربع مرات زيادة عما تستحق الفودكا من ثمن . ومن ثم استقر المسافرون فى مقاعدهم . وقد كان فى امكان الرجال الثلاثة ان يتجاوزوا اطراف الحديث اثناء سيرهم ، لأن عربة تشيتشيكوف كانت تسير محاذية للعربة التى جلس فيها نوزدریف وصهره . وكانت عربة نوزدریف الصغيرة تسير خلفهم متأخرة دائماً بخيولها العجفاء وبورفيرى والجرو .

وبما ان الحديث الذى جرى بين المسافرين لا يعنى القارى فى شىء ، فمن الافضل ان اتحدث عن نوزدریف شيئاً ولو قليلاً ، لا سيما وهو سيلعب دوراً غير بسيط فى قصتنا .

سيكون وجه نوزدریف مألوفاً للقارى ، فمما لا شك فيه ان كل انسان قد قابل مثيلاً له . والناس من هذا القبيل ، حتى فى الصبا وايام المدرسة يشتهرون بأنهم رفاق طيبون (وهم مع ذلك يتلقون ضربات قوية) لأن وجوههم تبدي عنصراً من الصراحة والاستقامة والاقدام مما يشجعهم بسرعة على خلق الصداقات ، فيبدؤون بمخاطبتك بالضمير المفرد الثانى قبل ان يردد اليك طرفك . الا أنهم بينما هم يوطدون صداقات ابدية كهذه اثناء النهار ، تجدهم دائماً يبدؤون بالشجار فى الليلة نفسها ، لأنهم طيلة الوقت قوم رغبانون مشتتون محبّون للظهور ذوو معنويات عالية . وفى الحقيقة كان نوزدریف وهو فى الخامسة والثلاثين مثله تماماً وهو فى الثامنة عشرة او فى العشرين - كان مثله تماماً فى دعارته وانهماكه فى الملذات . ولم يغيّر زواجه بحال من الأحوال ، وقلّ اثر ذلك عنده عندما تركته زوجته الى الدنيا الأخرى وتركت خلفها طفلين لم تكن له بهما رغبة ولهذا عهد بهما الى مربية جميلة . ولم يكن يستطيع مطلقاً ان يبقى فى بيته أكثر من يوم واحد لأن حاسة الشم عنده كانت تتعدى فرستات عديدة وتكتشف الاسواق الموسمية التى ينتظر فيها الحفلات الراقصة والتجمعات البشرية . وبناء على ذلك يكون هناك فى لمح البصر ، مشاجراً خالفاً البلبلة على مائدة القمار (فهو كمن هم على شاكلته ، ذو ميل كبير للورق) . ولم يكن لعبه بالقدر جداً ولا بالنظيف جداً . ومع انه كان ارعن طائشاً الا انه كان فى الوقت نفسه



قديراً على القيام بسرقات خفية ووسائل معظورة أخرى . وكانت اللعبة تنتهى عادة بنوع آخر من التسلية مختلف تماماً . أى أنه إما أن يتلقى ضربات بالحذاء لا بأس بها ، أو أن يسحب أحد جانبيه لحيته الجزلة الرائعة الجمال . وتكون نتيجة ذلك أن يعود الى بيته فى بعض الأحيان ، واحد جانبيه لحيته منتوف بكل تأكيد . إلا أن خديه الممتلئين بالصحة والعافية كانا يتدفقان بالشباب والحيوية حتى أن الجانب المنتوف يبدأ حالا بالنمو محل القديم بل يفوق سابقه . وبالإضافة الى ذلك (وهذه ظاهرة خاصة بروسيا) ما يكاد ينقضى وقت قصير حتى يعود الى أصحابه القدامى الذين صفعوه منذ امد قريب ، وينخرط معهم كأن لم يكن بينهم شئ ، مطلقاً ، ولا يشير الى الموضوع اية اشارة ، ويلوذون هم بالصمت أيضاً .

باختصار ، كان نوزدريف رجل شغب ومشاكل . فلم يحضر اجتماعاً دون أن يشير فيه البلبلة ، وتكون النتيجة إما أن تستدعى الشرطة لطرده من المكان أو أن يقذف به اصداؤه الى الشارع . على أية حال ، فاذا لم يحدث أحد هذين الأمرين يكون قد قام بعمل لا يحدث لغيره . كان يسكر فى الحفلات بحيث يعجز ، إلا عن الضحك ، أو يكذب بشكل فظ يجعله ينجل من نفسه فى بعض الأحيان . وبالإضافة الى ذلك ، فإن الرجل يكذب دون أى داع الى ذلك الكذب . فيبدأ مثلاً بسرد قصة طويلة ينتهى فيها الى أنه يمتلك حصاناً ذا لون احمر أو ازرق ، حتى تجد مستمعيه فى النهاية

مضطرين الى تركه قائلين «ان قصتك جميلة ايها الشيخ !» وبالإضافة الى ذلك فإن رجالاً من أمثال نوزدريف بهم رغبة فى اهانة القريبين منهم دون سبب يدعوا الى ذلك (وفيما يتعلق بهذا الشأن ، فانك تجد رجلاً ذا مركز عال ومظهر محترم - رجلاً ذا نجمة على صدره مثلاً ، يتقدم اليك ذات يوم ضاغطاً على يدك ويبدأ بالحديث معك فى مواضيع تستحق التفكير ، إلا أن هذا الرجل يبدأ يشتمك فى وجهك بأسلوب يليق بكاتب بسيط لا برجل تحلى النجمة صدره . كل ما يستطيع المرء أن يفعله فى هذه الحالة هو أن يهز كتفيه هزة استغراب . وقد كان عند نوزدريف مثل هذا الضعف تماماً . فكلما ازدادت صداقته مع انسان أسرع فى توجيه الاهانة اليه وأصبح على استعداد لنشر الشائعات التى تمس سمعته وتؤدى الى تخريب حفلات الزفاف والصفقات التجارية المربحة . مع ذلك فهو يعتبر نفسه دائماً صديقاً للرجل المهان ، وإذا ما قابلته مرة أخرى حيّاه بالطف بأسلوب مستطاع وقال له «لماذا انقطعت عن زيارتى ايها السافل !» وهكذا ، فاننا اذا نظرنا الى نوزدريف من جميع الوجوه نجده شخصاً متعدد المظاهر ومتعدد الامكانيات . ففي مقولة واحدة وفى نفس المقولة يقترح عليك أن يذهب معك الى حيث تريد «حتى الى أبعد اطراف الدنيا لو اردت» أو أن يشترك معك فى أى مشروع من المشاريع أو أن يبادلك أى سلعة بأى سلعة أخرى ذكرتها . فالبنادق والخيول والكلاب كلها قابلة للمقايضة ليست للربح

منك . وهذه الخصال تكون فى الغالب نتيجة ثورة فى مزاجه ، وتظهر جليلة اذا ما قابل انساناً ساذجاً بسيطاً فى سوق موسمية وسلبه ، فانه ياخذ عندئذ بشراء اول ما تقع عليه يده من اشياء - لجم الخيل ، وولاعات السجائر ، وملابس لمربية اطفاله ، ومهر الخيل والزبيب والاباريق والقماش الهولاندى والحنطة والتبغ والمسدسات والسمك المجفف والصور والمشاهد الحجرية والاولوان الخزفية والاحذية وما الى ذلك حتى يستهلك آخر قطعة من النقود فى جيبه . الا ان هذه الاغراض نادراً ما كانت تصل الى بيته . اذ انه كان دائماً يخسرهما فى اليوم نفسه اذا ما قابل مقامراً ابرع ، ويخسر زيادة عليها غليونه والكيس الذى يحفظ التبغ فيه ومبسمه وعربته بخيولها الاربعة وسائق العربى . وتكون النتيجة ، وقد جرد من كل شىء ، ان يستدين من احد الاصدقاء اجرة عربى يعود فيها . هكذا كان نوزدريف . وقد يقول البعض ان شخصيات كهذه قد انعدمت ، وان لم يعد وجود لامثال نوزدريف فى يومنا هذا . يا للأسف ! ان قولاً كهذا هو عين الخطأ ، لأن اياماً عديدة سوف تنقضى قبل ان يختفى امثال نوزدريف عن ابصارنا . انهم فى كل مكان بيننا ، والفرق بين القديم منهم والجديد هو الفرق فى اللباس فقط . ويكاد ذوو النظرات السطحية ان يعتبروا الرجل الذى غير معطفه رجلاً آخر يختلف عما كان عليه .

ولنكمل الحديث . لقد درجت العربات الثلاث حتى

اعتاب بيت نوزدريف ونزل راكبوها . ولم يكن البيت على استعداد لاستقبال الضيوف ، وقد وقف فلاحان على مصعدين خشبيين فى منتصف قاعة الطعام يدهنان جدرانها بالجير ويستمرسلان فى اغنية لا نهاية لها ، بينما هما يلطخان الارض بالجير الذى يدهنان به . فامرهما نوزدريف ان يذهبا بمصعدهما بسرعة وذهب الى غرفة مجاورة ليلقى اوامر اخرى . وسمع المدعوون رنين صوته واضحاً جداً وهو يامر باعداد الطعام حتى ان تشيتشيكوف - وكان قد بدا يحس بالجوع مرة اخرى - استطاع ان يقدر ان اعداد اى نوع من الانواع التى يطلبها لن يتم قبل الساعة الخامسة . وعند رجوع نوزدريف دعا صديقيه لمشاهدة ما فى قريته . فرجها على كل شىء حتى لم يبق ما يستحق الفرجة فى قريته . وبدأت الرحلة بالقاء نظرة على الاسطبلات ، حيث كانت فرسان احدهما رمادية والاخرى سمراء وحسان كमित . وقال نوزدريف ان الحيوان الاخير - مع بعده الشاسع عن الجمال - قد كلفه عشرة آلاف روبل .

فقال صهره متعجباً «انك لم تدفع عشرة آلاف روبل فى هذه الدابة . انها لا تساوى حتى الالف» . فاكّد نوزدريف حديثه بقوله «قسماً بالله لقد دفعت عشرة آلاف !»

فقال الآخر «لك ان تقسم ما تشاء» .

فساله نوزدريف «اتراهن اننى لم افعل ؟» ولكن الصهر رفض العرض .

ومن ثم اخذ نوزدريف ضيفيه الى ناحية من الاسطبل



واراهما مرابط فارغة ادعى ان قد كان فيها خيول جميلة منذ امد وجيز . ورايا ايضا تيساً ما لا تزال الخرافة القديمة تعتبر وجوده ضرورياً في محلات كهذه مع انه لا نفع فيه ولا عمل له الا التبخر جينة وذهاباً امام الخيول كما لو كان سيد المحل . ومن ثم اخذ المضيف ضيفيه لمشاهدة ذنب صغير مقيّد بالسلاسل ، وقال موضعاً ، «اننا لا نطعمه سوى اللحم النيء . لأننى اريده على اشرس ما يرام» . ثم ذهبت الزمرة لرؤية بركة قال نوزدريف ان فيها سمكاً بحجم ضخم جداً فلا يستطيع حمل السمكة الواحدة منه الا رجلان قويان يتعاونان فى هذه المهمة . واستقبل الصهر هذه المعلومات باستهجان جديد . ولكن نوزدريف لم يعبا بذلك ، وراح يقول «دعنى الآن يا تشيتشيكوف اريك زوجا من الكلاب فخماً حقاً . صوفهما كالابر وصلابة عضلاتهما سوف تدهشك» .

وقادهما وهو يقول ذلك الى سقيفة صغيرة ، لكنها حسنة البناء ، تحيط بها اسيجة عالية من جميع نواحيها . وشاهد الزائران لما دخلا عددا من الكلاب من جميع الألوان والحجوم والانواع والاسماء . وبدا نوزدريف بينها كرب بيت بين عائلته . وبصصت الحيوانات اذناها - او «اصولها» كما يسميها هواة الكلاب . والقى عدد منها مغالبه على كتفى تشيتشيكوف . وقد دفعت الصداقة احد الكلاب فى الواقع ، الى ان يقف على رجله الخلفيتين ويلعق شفتى تشيتشيكوف مما اضطره الى البصاق . وبعد ان

تم ذلك شاهد الزائران زوج الكلاب الذى سبق ذكره وابديا دهشتها من متانة العضلات . وقد كانا فى الحقيقة حيوانين جميلين . وبالتالى رأت الزمرة الكلبة القرمية . التى كما يقول نوزدريف - رغم عماها واشرافها على الفناء - كانت كلبة رائعة حقاً منذ سنتين لا غير ، وعند فحصهم لها تبين انها عمياء بالفعل . ثم القيا نظرة على طاحونة الماء التى ينقصها موضع حجر الرحى اللولبى الذى كان يجب ان يدور فيه الحجر العلوى «مرفراً» - حسب التعبير الظريف الذى يصفه به الفلاحون الروس . وقال نوزدريف «لا عليكم من هذا ، ولنذهب الى محل الحدادة» . والى ذلك المكان سارت الزمرة . ولما اصبح المحل تحت انظارهم اشار نوزدريف الى حقل امامه وقال :

- فى هذا الحقل رايت عدداً من الارانب البرية غطى وجه الارض بحيث اخفاها عن البصر . والواقع اننى امسكت ذات يوم ارنبا بيدي من رجلينه الخلفيتين .

فعلق صهره قائلا «تمسك ارنبا بيديك من رجله الخلفيتين ؟ انك لم تفعل ذلك مطلقاً» .

واكد نوزدريف كلامه قائلا «ولكنى فعلت . مهما يكن من امر» والتفت الى تشيتشيكوف وقال «اريك الحد الذى تنتهى عنده ارضى» .

وبدا يقود ضيوفه وهو يقول ذلك ، عبر حقل يتكون

• نسبة الى شبه جزيرة القرم . الناشر .



غالبه من نتوءات حيث بدأت الزمرة تنتقى مواضع  
أقدامها بين أخاديد محروثة من الأرض وأخاديد مغطاة  
بالعشب الزخاف . وابتدا تشييتشيكوف يحس بالتعب  
لأن الأرض كانت منخفضة جداً حتى كان يُسمع صوت  
الماء يخفق تحت أقدامهم في مواقع عديدة . ومع أن  
الزائرَيْن ظلا برهة من الزمن وهما يراقبان مواطئ  
الأقدام وينقلان الخطى بحذر شديد ، إلا أنهما أدركا  
وشيكاً أن عملاً كهذا لن يجدى ، فانكفا كل منهما على  
وجهه دون أن يختار أو يتجنب المواقع التي قد يكون  
الوحد فيها عميقاً أو ضحلاً . وبعد لأي ، أي بعد أن  
قطع الجمع مسافة غير قليلة ، وقعت أنظارهم على  
صارية الحدود وخذق ضيق .

وقال نوزدريف «هذه هي الحدود . وكل ما تريان على  
هذه الناحية من الصارية هو لي ، بما في ذلك الغابة  
التي تقع على الناحية الأخرى وما وراء الغابة» .  
فسأله صهره «متى أصبحت هذه الغابة لك ؟ يظهر  
أنك اشتريتها حديثاً جداً ، لأنها لم تكن لك من قبل  
إطلاقاً» .

فقال نوزدريف «نعم ، لم يمر على شرائي لها أمداً  
طويلاً» .

«متى لعقت أن تشتريها بهذه السرعة ؟»  
«متى ! لقد اشتريتها منذ ثلاثة أيام ، والشيطان  
يعرف أني دفعت فيها ثمناً باهظاً» .

«حقاً ؟ لكنك منذ ثلاثة أيام كنت في السوق ؟»  
«يا للغباء ! ألا يستطيع المرء أن يكون في السوق

وان يشتري أرضاً في الوقت نفسه ؟ أجل ، كنت في  
السوق واشتري مأموري الأرض في غيابي» .  
فقال صهره وقد لاح الشك في محياه وهز رأسه  
«إيه ! مأمورك اشتراها !»

وعاد القوم من الطريق الواعرة التي جاءوا منها .  
وبعد أن وصلوا البيت قادهما إلى مكتبه الذي لم يكن  
فيه أثر لما يوجد عادة في غرف كهذه - كالكتب  
والورق . بل على العكس ، فالأدوات الوحيدة الموجودة  
فيها كانت سيفاً وبندقيتين أحدهما تبلغ قيمتها  
ثلاثمائة روبل والأخرى حوالي ثمانمائة . وتفحص الصهر  
الأدوات المذكورة وهز رأسه كالعادة . ثم شاهد  
الزائران خناجر تركية أصلية . حفر على أحدها النقش  
التالي خطأ «الصانع سافيلي سيبيرياكوف - سكان \*» .  
وجاءت بعد ذلك أرغن يدوية بدا نوزدريف يلعب عليها  
أحد الانغام . ولبرهة من الزمن لم تكن الانغام كثيرة  
الأزعاج ، لكن ظهر فجأة نوع من خطأ ، فصدرت نغمة  
«المازوركا» تلتها نغمة «المالبورغ ذهب إلى الحرب» ثم  
تبع هذه نغمة «فالس» معروفة قديمة . وزيادة على ذلك ،  
فقد كان أحد الأنايب الآلة ذا صوت حاد غير منجسم مع  
بقية الأنايب أثناء العزف فراح يصدر صغيراً جامحاً  
حسب ما شاء له الهوى حتى بعد أن أوقف نوزدريف  
إدارة المقبض بمدة طويلة . وتلا ذلك عرض غلايين  
التبغ - غلايين من الفخار ومن الخشب ومن طين

\* صانع السكاكين . المترجم .



الخفان ، غلايين مستعملة وغير مستعملة ، غلايين ملفوفة بجلد الشمو وغير ملفوفة ، ثم شبق ومبسمه من الكهرمان (وهو صفة ربحها حديثاً في الورق) وكيس للتبغ (ادعى ان كونتيهه وقعت في حبه في محطة قد شغلته له ، وكانت يداها كما يؤكد نوزدريف «الفيض السامي» - تعبير في القاموس النوزدريفي يدل على ذروة الاتقان) . واخيراً ، بعد ان اكلوا بعض الكوامخ من ظهور السمك ، واشرفت الساعة على الخامسة ، جلسوا الى المائدة . ولم يكن الطعام باى حال من الاحوال من الاشياء الرئيسية في حياة نوزدريف ، ولم يهتم بالطبخ نظراً الى ان بعض الاطباق كانت مطبوخة اكثر من النضوج وبعضها الآخر يبدو وكأنه لم يطبخ اصلاً . وكان من الواضح ان صانع الطعام كان يشق اكثر ما يشق بالايحاء - فكان يمسك بأول شيء تقع يده عليه ، فلو كان الفلفل اقرب شيء اليه فانه يضيف الفلفل بغير حساب . ولو حدث ان وقعت يده على قطعة من كرنب لحشرها بين اصناف الطعام . والشيء نفسه يقال عن اللبن ولحم الخنزير والفاصوليا . باختصار ، كان شعاره «اعمل طبقاً ساخناً من اى نوع كان ، فلا بد ان يكون له طعم هو اى طعم كان» . اما فيما عدا ذلك ، فقد انكب نوزدريف بشدة على احتساء الخمر . حتى قبل ان يقدم الحساء كان قد صب لكل ضيف كأساً من النبيذ واتبعها بكأس اخرى من شراب السوترن المفتخر (لم يكن شراب السوترن العادى يوجد في الاقاليم) . ثم طلب زجاجة من نبيذ

المادييرا - («اروع ما سكر به مارشال في الجيش») . ولكن كل ما فعلته المادييرا هو ان لذعت الحلوق ، وذلك لان صانعيها لمعرفتهم بأذواق ساداتنا الملاكين (الذين يتعشقون المادييرا الطيبة) يطعمونها دائماً اثناً صنعا بكميات كبيرة من الروم والفودكا القيصرية . املاً فسى ان تتحمسه المعد الروسية وبعد هذه الزجاجة جاء نوزدريف بزجاجة من صنف «خاص جداً» ادعى انه يتكون من خليط من البرغاندى والشمبانيا . وراح يصب كميات وفيرة منها في كأس تشيتشيكوف وصهره اللذين جلس احدهما عن يمينه والآخر عن شماله . وقد لاحظ تشيتشيكوف ان نوزدريف صب لنفسه في كأسه نزرأ يسيراً من الخليط فعزم بطلننا ان يكون على حذر ، ولهذا كان يفتنم كل فرصة كان فيها نوزدريف يصب كأس صهره ويتحدث معه ، فيقلب كأسه (اى كأس تشيتشيكوف) بما فيها فسى طبقه . ومن ثم احضرت الى المائدة قارورة نبيذ من حبوب غبيراء ادعى رب البيت ان طعمه يقارب طعم القشطة ، لكن - من الغريب ان طعمه في الواقع كان اقرب الى طعم الفودكا المصنوع في البيت . وبالتالي التهم الجمع نوعاً من المشروب غاب عنى الآن اسمه الحقيقى ، الا ان المضيف ذكر اسماً آخر في الفرصة التالية التى اعيد فيها ذكره مرة اخرى . وبعد ان انتهت

\* الفودكا القيصرية - خليط من بعض الحوامض المركزة يستعمل في الكيمياء . الناشر .

وجبات الطعام وجربت أنواع الخمر ظل الضيف جالسين في أماكنهم - وهو أمر سبب الارتباك لتشتيتشيكوف نظراً إلى أنه لم يكن يرد أن يعرض مشروعه الأثير أمام صهر نوزدريف الذي كان غريباً تماماً بالنسبة إليه . فهذا الموضوع يستدعى حديثاً ودياً خاصاً . ومع ذلك فقد لاح أن وجود الصهر لا ينفذ بخطر كبير لأنه كان قد تمادى في السكر وبدأ يغفو على مقعده . وادرك الصهر بنفسه بعد لاي أنه ليس في وضع أمين أبداً ، فنهض وبدأ يطلب الأذن بالرجوع إلى البيت بنغمة الناعس الوسنان حتى كاد ينطبق عليه المثل الروسي القائل "يشد الطوق على الحصان بالكلابة" .

فصاح نوزدريف "لا ، لا ! لن ادعك تذهب" .  
فاجاب الصهر "لكن يجب ان اذهب . لا تحاول ان تمنعني . انك تزعجني جداً" .

"كلام فارغ ! سوف نلعب لعبة المصرف" .  
"لا ، لا ، يجب ان تلعبا دوني ايها الصديقان . ان زوجتي تنتظرني في البيت . يجب ان اذهب واحدها بكل شيء عن السوق . يجب ان اذهب اذا كنت ساحافظ على رضاها . فلا تحاول ابقاني" .

"زوجتك ؟ لكن هل هنالك في الحقيقة شأن هام بينك وبينها ؟"

"لا ، لا ، ايها الصديق . فالسبب الحقيقي هو انها امرأة طيبة امينة تضحي كثيراً في سبيلي . ان الدموع تثب إلى عيني كلما فكرت في اخلاصها . فلا تحاول

ابقاني . اننى أقول لك قولة الرجل الشريف - يجب ان اذهب . وعليك ان تتأكد من صفاء نيتي" .

فتدخل تشيتشيكوف بهدوء يقول "ايه ، دعاه يذهب . فما الفائدة في بقاءه ؟"

فقال نوزدريف "اجل ، اجل ، لعنة الله على الذين يفقدون عقولهم" ثم التفت إلى صهره وقال "اذهب يا فيتوك" . إلى الشيطان بك وبزوجتك وبأحاديث النساء" .

فقال الصهر "لا داعي إلى الإهانات توجهها لي بلقب فيتوك . فاني أدين لها بحياتي ، وهي عزيزة عليّ ، أثيرة عندي ، اغدقت عليّ من عطفها الشيء الكثير - عطفاً لا اكاد اذكره حتى تغرورق عيني بالدموع . وهي ستسألني عما رايت في السوق وعليّ ان اخبرها بكل شيء ، لأنها غالية جداً ، عزيزة جداً" .

"اذن اذهب اليها بجعبة كذبك . اليك قبعتك" .  
"لا يا ايها الصديق الطيب ، لا تذكرها على هذا النحو . انك تسيء لي كثيراً بعملك هذا - فهي غالية جداً ، عزيزة جداً" .  
"اذن هيّا اليها ركضاً" .

"نعم ، ها انا ذاهب . فاعذراني لأنى لا استطيع البقاء . كان بودي ان اظل معكما ، ولكنى لا استطيع" . واستمر الصهر يردد معاذيره المرة تلو الأخرى دون

\* فيتوك - كلمة روسية يقصد بها الإهانة ، لأن الحرف الأول منها يرمز إلى كلمة أخرى شائنة . المترجم .



ان يلاحظ انه جلس في العربة وانها اجتازت به الباب  
وانه أصبح في الطريق العام . ويمكننا ان نفترض  
تجاوزاً ان زوجته استطاعت ان تلتقط منه نتفاً من  
الانبا، عن السوق .

وقال نوزدريف وهو واقف في الشباك يرقب العربة  
الراحلة «يا له من دنى ! الا ان حصانه الجانبي لا  
باس به . منذ امد طويل وانا اريد الحصول عليه .  
لكن ذلك مستحيل من هذا الرجل . نعم ، انه فيتوك ،  
فيتوك بكل ما في الكلمة من معنى» .

وبهذا عادا الى الصالة حيث وجدا بورفيرى يشعل  
الانوار ، وراى تشيتشيكوف مضيفه يعد رزمة من  
الورق .

وراح نوزدريف يضغط على جوانب الرزمة ويشننها  
قليلا حتى غدت تفرقع وطارت منها ورقة ، وقال «ما  
رايك في ان اكون امين اللعبة بثلاثمائة ؟»

فتظاهر تشيتشيكوف بأنه لم يسمعه ، ولكنه قال  
بلهجة الذى يتذكر شيئاً كان قد نسيه - «لقد غاب عن  
بالى ان لي طلباً اليك» .

«وما هو الطلب ؟»

«عدنى اولاً ان تلبيه» .

«ما هو اذن ؟ تكلّم» .

«اذن انت تعدنى باعطائه ؟»

«بكل تأكيد» .

«اقسم بشرقك ؟»

«اقسم بشرقي» .

«اذن هذا هو طلبي - اظن ان لديك عدداً كبيراً من  
الاقنان الموتى الذين لم تشطب اسمائهم من لوائح  
الاحياء الاخيرة ؟»

«اجل لدي ، ولكن لماذا تسأل عنهم ؟»

«لأننى اريد منك ان تحولهم على اسمي» .

«وما حاجتك بهم ؟»

«لا عليك . فلي مارب فيهم» .

«وما هو ذلك المارب ؟»

«امر يخصنى وحدي . موجز القول انى بحاجة  
اليهم» .

«يظهر ان عقلك قد تمخض عن مشروع لطيف جداً .  
التي به الآن ! ارنى ما فى جعبتك» .

«وكيف اتمخض عن مشروع كالذي تقول ؟ ان تفاهات  
كهذه لا تكون مصدر ايعاء للمشاريع العظيمة» .

«اذن لماذا تريد الاقنان ؟»

«ما هذا الفضول يا رجل ! اراك لا تكتفى بتلمس  
الشيء انما تود ان تحشر انفك فيه» .

«ما الذى يمنعك من ان تكشف عن مشروعك  
اذن ؟»

«وما جدوى معرفتك به ؟ انها مجرد نزوة تستولى  
على» .

«واذا لم تخبرني برايك لن احولهم الى اسمك» .  
«هذا كل ما فى الامر . وانت لست على حق فيما تفعل

الآن . فقد وعدتني بشرفك ، وما انت تحاول ان تنقض  
الوعد» .

«هذا ما تريد انت . وسأظل على رفضي حتى اعرف ما ربك» .

وراح تشيتشيكوف يفكر . «ما الذى سأقوله لهذا الانسان ؟» . وبعد فترة قصيرة من الزمن اخذ يقول له بان هدفه من وراء الحصول على الانفس الميتة هو ان يرفع من مركزه فى المجتمع لأنه فى الوقت الحاضر لا يمتلك اراضى واسعة ولذلك فهو يحتاج الى حفنة صغيرة من العبيد لا غير .

ولكن نوزدريف - حتى قبل ان يتم كلامه - قاطعه قائلا «انك تكذب ، نعم ، انك تكذب ايها الصديق المحترم» .

فادرك تشيتشيكوف ان دليله كان ضعيفاً وحجته كانت واهية . فاستجمع افكاره واضاف بصوت عال يقول لنوزدريف «سأطلعك على الحقيقة على ان لا تطلع عليها احداً . كل ما فى الامر هو اننى عازم على الزواج . ومن سوء حظى ان والد خطيبتى ووالدتها قوم اخذت منهم الفطرسة ماخذها فهم يشترطون ان يكون العريس مالكا لثلاثمائة نفس على الاقل ، وليس فى حوزتى غير مائة وخمسين ، وهو عدد غير كاف كما ترى» . «انك تكذب ايضاً» .

«اسمع يا هذا . اننى الآن لم اكذب حتى الى هذا الحد» . وأشار بقسم ضئيل من طرف اصبعه الاصغر . «ومع ذلك فاننى اراهن على راسى بانك كنت تكذب فى كل كلمة قلتها» . «كفى ! كفى ! هذا غير لائق منك . ولماذا اكذب ؟»

«لانى اعرفك ، واعرف انك وغد اصيل . اقول لك هذا بدافع الصداقة . ولو كانت لي سلطة عليك ، لسنقتك على اقرب شجرة» .

واستاء تشيتشيكوف من هذا القول . فقد كان يكره التعابير النابية التى تجرح الكرامة ، ولم يكن يسمح لاي امرى - باستثناء اصحاب النفوذ والمراكز العالية - ان يسلكوا معه سلوك الالفة التى تتجاوز الحدود . ولهذا بلغ استياؤه فى تلك اللحظة اشده . وراح نوزدريف يكرر كلامه ويقول «اي والله ، كان يجب ان اشنقك . وانا اقول لك هذا لا رغبة فى الاساءة اليك انما للصراحة التى فطرت عليها ، الصراحة التى يجب ان تكون بين الصديق والصديق» .

فاجاب تشيتشيكوف بجفاف «ان لكل شىء حداً ، واذا كنت تنوى ان تستعمل هذه التعابير فمن الافضل لك ان تعود الى ثكنات المعسكر» .

وسادت بينهما فترة من الصمت . تابع تشيتشيكوف بعدها قوله «اذا كنت لا تريد ان تهدينى العبيد فلماذا لا تبيعهم لي ؟»

«ابيعهم ؟ انى اعرفك ايها السافل ! انك لن تدفع فيهم شيئاً يستحق الذكر . اليس كذلك ؟»

«امر ظريف حقاً ! اصنع لي يا هذا . ما هى قيمتهم عندك . جواهر نفيسة على ما اظن ؟»

«هذا ما كنت اقدر . الم اقل لك انى اعرفك ؟» «ايه يا اخى ، هذه التطلعات اليهودية ، كان يتوجب عليك ان تهديهم لي» .



«على العكس مما تظن ، فليس فى نيتى ان استغلك ، ولكى اثبت لك ذلك فسوف لا اطلب حتى كوبيكا واحدا مقابلهم . كالم ما اطلب هو ان تشتري المهر الذى رايت وساعطيك العبيد فوق الصفقة دون مقابل» .

فقال تشيتشيكوف مندهشاً جداً للاقتراح «لكن ما حاجتى الى مهر ؟»

«ما حاجتك له ؟ مه . لقد اشتريته بعشرة آلاف روبل وانى على استعداد لكى اعطيك اياه بأربعة آلاف فقط» .

«دعنى اكرر سؤالى مرة اخرى - اى فائدة يمكن ان اجنيها من المهر ؟ انا لا اقتنى الجياد ولا احتفظ باسطبل لها» .

«يبدو انك لم تفهمنى . دعنى اهوّن الامر عليك . ادفع الآن مقدماً من الثمن ثلاثة آلاف روبل ، ولنؤجل الألف الأخرى الى ما بعد» .

«ولكنى قلت لك لا اريد ان اشترى ذلك المهر ، الله يحفظه» .

«اذن فاشتر المهر الشقراء» .

«لا ، حتى ولا هذه» .

«اذن اشتر المهر الشقراء والجواد الرمادى اللذين رايتهما فى الاسطبل بالفى روبل فقط» .

«لا حاجة بي للخيل مطلقاً» .

«ولكنك تستطيع ان تبيعها مرة اخرى . وباستطاعتك ان تحصل على ثلاثة اضعاف الثمن فى اول سوق تنعقد» .

«اذن بيعها بنفسك ما دمت واثقاً هذه الثقة من هذا الربح العظيم» .

«اجل ، سابعها فى اسرع وقت ، انما كنت اريدك انت ان تستفيد من هذه الصفقة» .

فشكر تشيتشيكوف معادته شكراً جزيلاً ، ولكنه صمم على رفض الحصان الرمادى والمهرة الشقراء .

ثم قال نوزدريف «اذن فاشتر بعض الكلاب . ساعطيك زوجاً منها ناعمة الاهداب منتصبه الاذان متملنة الصدر والارداف لم تقع على مثلها عين انسان من قبل . لها مخالب متجمعة اذا سارت عليها تحسبها لا تكاد تمس الارض» .

«وما فائدة الكلاب لي ، لست صياداً» .

«لكننى اريد ان تكون من هواة تربية الكلاب . لا ، اذا كنت لا تريد الكلاب ففى امكانك ان تشتري الآلة الموسيقية . انها آلة فخمة حقاً . اقسم لك بشرفى اننى اشتريتها عندما كانت جديدة بألف وخمسمائة روبل . خذها بتسعمائة» .

«مه ! مه ! وما الذى اعمله بها ؟ لست المانيا حتى احملها على كتفى واتجول بها فى الشوارع لكى استجدى بها الكوبيكات» .

«ولكن هذه آلة تختلف عن تلك التى يتجول بها الالمان . انها ارغن اصيل . اذهب وافحصها بنفسك . انها مصنوعة من اجود انواع الخشب . هيا معى لتلقى عليها نظرة اخرى» .

وامسك بيد تشيتشيكوف وسجبه الى الغرفة الأخرى

حيث اضطر الأخير - على الرغم من تأكيده لنوزدريف أنه على علم بجودة الأرغن - إلى الاستماع مرة أخرى إلى كيفية ذهاب مالبروغ إلى الحرب .

ثم راح نوزدريف يقول «إذا كنت لا تريد أن تعطيني نقوداً ، فاستمع إلى هذا الاقتراح . سوف أعطيك الآلة الموسيقية وكل ما لدي من الانفس الميتة وتعطيني مقابل ذلك عربتك وثلاثمائة روبل أخرى» .

«استمعوا للرجل ! وما الذي يبقى لي للانتقال من مكان إلى آخر ؟»

«أيه ! سأعطيك عربة أخرى . تعال معي إلى المراهب وسوف أريك التي أعني . إنها لا تحتاج إلا إلى الدهان لكي تصبح فاخرة جداً» .

«يا للشيطان الهانج غير مكبوح العنان» . قال هذا تشيتشيكوف لنفسه التي صمم في قراراتها أن يتخلص من صفقات العربات والآلات الموسيقية وكل أنواع الكلاب مهما كانت ممثلة الصدور والارداق أو متجمعة المخالب ومنتصبة الأذان .

وأعاد نوزدريف يقول «وستأخذ بدلاً منها هذه العربة والآلة الموسيقية وكل الانفس الميتة» . فقال تشيتشيكوف «كلا ، لا أريد» .

«ولماذا ؟»

«لأنني لا أريد ، هذا كل ما في الامر» .

«أنني أعرف أنك وغد سافل لا تعرف كيف تسير الامور بين الاصدقاء . ها أني أرى أنك رجل مزدوج» .

«ماذا تعنى هل أنا مجنون ؟ فكر في الامر بنفسك . كيف اشترى اشياء لا حاجة لي بها ؟»

«كفى ! كفى ! من فضلك . لقد عرفتك على حقيقتك . أنك وبش أصيل . ولكن استمع إلي» ، هل تلعب الورق ؟ أنتى على استعداد للمقامرة بالانفس الميتة والآلة الموسيقية إذا احببت» .

«لا ، فاللعب بالورق معناه أن يسلم الانسان نفسه للمجهول» كان يقول تشيتشيكوف وأخذ ينظر من طرف خفى إلى رزمة الورق التي كانت في يد نوزدريف . وقد خافه شيء من الشك عندما رأى الطريقة التي كان زميله يقطع الرزمة بها .

وسأله نوزدريف «وماذا تعنى بالمجهول ؟ ليس هناك شيء اسمه المجهول . إذا حالفك الحظ فستربح ما لا يعلمه إلا الشيطان . أيه ! يا للحظ ! يا للحظ ! انظر . ها هي وحدها . تلك التسعة الملعونة التي خسرت بسببها كل شيء في تلك الليلة . لقد احسست عندئذ أنها ستخدعني ولكني قلت لنفسي - هيّا ، أرني خيانتك . وليأخذك الشيطان» .

وبينما كان نوزدريف يتكلم ويلعب بالورق ، دخل بورفيرى يحمل زجاجة شراب أخرى . ولكن تشيتشيكوف رفض أن يشرب ويلعب .

فسأله نوزدريف «ولماذا ترفض اللعب ؟»

«لأنني لا أحس بالرغبة فيه . وبالإضافة إلى ذلك فأنا لا أحب اللعب» .

«ولماذا لا تحبه ؟»



فهو تشيتشيكوف كتفيه ، وقال «لأننى لا أحبه» .  
«انك لا تجيد شيئاً من الاشياء على ما اظن» .  
«وما العمل اذا كان الله خلقنى هكذا؟»

«انك فى الحقيقة فيتوك ، ولا شىء غير ذلك . لقد  
حسبتك انساناً معترماً من قبل ، ولكنى ارى انك لا  
تفهم اصول اللياقة ولا تعرف الآداب . ان المرء لا  
يستطيع ان يعتبرك صديقاً ولا ان يتكلم معك على هذا  
الاساس لانك عديم الصراحة ، عديم الاخلاص . انك  
سواء كيفيتش حقيقي بانس» .

«لاي سبب تطلق لسانك عليّ بالشتيم والمسبات ؟  
هل هناك من خطا اذا ما رفضت لعب الورق ؟ بعنى  
الانفس وحدها اذا شئت ان تكون دقيقاً فى تصرفك» .  
«لأأخذك الشيطان الاحمق ! كنت ساعطيك هذه  
الانفس بلا مقابل ، ولكنى لن اعطيكها الآن اطلاقاً ، ولو  
اعطيتنى ثلاث ممالك بدلاً منها . لم تعد اى رابطة  
تربطني بك ، ايها النذل القذر ! بورفيرى ، اذهب  
واخبر السانس ان لا يضع لخيول السيد شوفاناً ولا  
شعيراً ، تبنا فقط» .

لم يكن تشيتشيكوف يتوقع ان تتطور الامور الى هذا  
الحد .

واكمل نوزدريف يقول «وانت ، اغرب عن وجهي» .  
وعلى الرغم من ذلك كله فقد تناولا العشاء معاً -  
ولكن الخمر ذات الاسماء الرفيعة لم تكن تزيّن المائدة  
هذه المرة . كان كل ما هنالك زجاجة واحدة من النبيذ  
العادى جداً يشبه الخل اكثر مما يشبه النبيذ . وبعد

العشاء قاد نوزدريف تشيتشيكوف الى غرفة جانبية اعدّ  
له فيها الفراش وقال له «هنا ستنام ، ولا رغبة بي فى  
ان اتمنى لك ليلة سعيدة» .

واحس تشيتشيكوف ، بعد ان تركه نوزدريف ،  
انه فى حالة نفسانية لا يحسد عليها . فاخذ يلوم  
نفسه بمرارة ، وهو يغلي حقاً ، على مجيئه لرؤية هذا  
الرجل وصرف وقته الثمين سدى . ولكنه لام نفسه  
اكثر من ذلك لانه اطلعه على مشروعه ، فتصرف بذلك  
تصرف الاطفال والمجانين . فالمشروع بكل تأكيد ، ليس  
مما يُسرّ به لامثال نوزدريف الشخص التافه الذى  
قد يخلق الاكاذيب حوله ، ويزيد عليها الحواشى ،  
وينشر قصصاً لا يعلم الا الله مدى الفضائع التى  
تترتب عليها . واخذ يقول لنفسه «انه امر سيىء حقاً !  
ويا لى من غبى !» وقضى بناء على ذلك ليلة مؤرقة  
مضنية . وقد كان ضغثاً على ابالة ان انطلقت عليه  
اعداد غفيرة من حشرات لاذعة صغيرة تناولته باللذع  
والقرص حتى لم يكن يستطيع ان يعمل شيئاً الا ان  
يحك مواضعها ويقول «لأأخذك الشيطان انت  
ونوزدريف !» واستيقظ فى الصباح الباكر ، وكان اول  
عمل قام به (بعد ان لبس خفه ورداءه) ان اجتاز  
حظيرة البيت الى الاسطبل لكي يأمر سيليفان باعداد  
العربة . وبينما كان راجعاً من مهمته تلك ، تقابل مع  
نوزدريف مرتدياً رداءه وممسكاً بغليونه بين اسنانه .  
وحيناً رب البيت ضيفه كما يفعل الاصدقاء ، وسأله  
كيف كان نومه .

فاجاب تشيتشيكوف برنة عليها مسحة من جفاف «لا بأس به» .

فقال نوزدريف «اما انا يا اخي فاية افكار لعينة مقبلة للغاية ظلت تدور في راسي طوال الليل . وفي فمي طعم كريبه من شراب البارحة . وكنت احس من اثر ما عملناه في الليلة الماضية وكان فرقة من الجنود تعسكر على صدري حتى اننى حلمت باننى اجلد . ايه ! ومن تظن ذلك الذى حلمت بأنه يجلدنى ؟ لا اظنك ستعرف . انه الضابط بوتسيلوف وكوفشينيكوف ا»

فقال تشيتشيكوف لنفسه «ليت هذا الجلد كان حقيقة لا حلماً» .

واستمر نوزدريف يقول «وقد شعرت اننى مريض جداً . وما كدت انام حتى جاء شىء . ولسعنى . قد تكون البراغيت هى التى فعلت ذلك . والآن اذهب وارقد ملابسك وساكون عندك حالا . عليّ اولا ان اذهب الى المأمور السافل وازجره» .

وذهب تشيتشيكوف الى غرفته ليغسل وجهه ويرتدى ملابسه . وما ان اتسم هاتين العمليتين حتى دخل الى غرفة الطعام فوجد على المائدة معدات الشاي وزجاجة روم . كان من البلى ان مكنسة لم تمس المكان بعد ، فقد ظلت اثار الليلة السابقة من غداء وعشاء ماثلة على شكل فتات منتشرة على الارض ورماد تبغ على ملاءة المائدة . حتى رب البيت ، عندما دخل ، كان لا يزال يرتدى الرداء البيتى الذى كان يكشف عن صدر اشعث . وعندما جلس ممسكاً غليونه فى يده ، يشرب

الشاي من قدح فى اليد الاخرى كان نموذجاً صالحاً للرسامين الذين يحبون رسم غير المتأنقين ويكرهون رسم الرجال الذين ينهبون الى الحلاق ليمسح لهم شعرهم بالمشط والفرشاة ويضع عليه مختلف الروائح والطور .

وبعد فترة من الصمت اخذ نوزدريف يقول «ما رايك الآن ؟ ألا تحب ان تلعب معي على تلك النفوس ؟»

«لقد قلت لك اننى لا لعب الورق ابداً . فاذا كانت النفوس للبيع فانى ساشتريها» .

«اننى اربأ بنفسى ان ابيعها . فهذا شىء لا يليق بين الاصدقاء . اما اذا لعبنا عليها لعبة فان وجهه المسألة سيتغير . دعنى اقطع الورق» .

«لقد قلت لك اننى لن اللعب» .

«الا توافق على المبادلة ايضاً ؟»

«كلا» .

«اذن اصنع لي . ما رايك فى ان نلعب الداما ؟ اذا ربحت فالانفس لك . ان هناك كثيراً منها فى اللانحة اريد شطبه . بورفيرى ، احضر رقعة الداما» .

«انك تضيع وقتك . فلن اللعب الداما ايضاً» .

«ولكن لعب الداما يختلف اختلافاً كبيراً عن لعب الورق . فليس فيه مجال لا للحظ ولا للغش . ان كل شىء فيه يعتمد على المهارة . وعليّ ان ابلغك منذ الآن اننى لن استطيع ان اجاريك فى اللعب الا اذا سمحت لي بحركة او حركتين اسبقك بهما» .

وراح تشيتشيكوف يفكر . «وليم لا اللعب معه . لقد



كنت في وقت من الاوقات لاعباً ماهراً في الداما . وليس في هذه اللعبة فرصة للخديعة» .

واضاف بصوت عال يقول «حسناً ، هيّا بنا الى الداما» .

فقال نوزدريف «وستكون النفوس مقابل مئة روبل ؟»

«هذا كثير ! خمسون روبلا تكفى» .

«لا ، وما نفع الخمسين . ولكنى سأضيف مقابل الروبلات المئة جرو كلب لا بأس به . . او الافضل من ذلك سلسلة ذهبية لساعتك» .

فوافق تشيتشيكوف قائلا «حسن جداً» .

«اذن بكم حركة ستسمع لي ان اسبقك ؟»

«ولماذا ؟ طبعاً لن اسمح بشئ» .

«اسمح لي بحركتين على الاقل» .

«لا ، لن اسمح بشئ . فانا ضعيف فيها» .

فقال نوزدريف وهو يحرك قطعة منها «انى اعرفك واعرف لعبك الضعيف» .

فاجاب تشيتشيكوف وهو يحرك قطعة اخرى «منذ مدة طويلة لم تلمس يدي قطعة داما» .

فكرر نوزدريف وهو يحرك قطعة ايضاً «ايه ، انى اعرفك واعرف لعبك الضعيف» .

فحرك تشيتشيكوف بدوره قطعة وقال «اجل ، منذ مدة طويلة لم تلمس يدي قطعة داما» .

فقال نوزدريف للمرة الثالثة وهو يحرك القطعة الثالثة . «ايه ، انى اعرفك واعرف لعبك الضعيف» .

وفي الوقت نفسه ، بينما كان يقول ذلك كان كسم قميصه يحرك قطعة اخرى من موضعها .

بينما كان تشيتشيكوف يقول «اجل منذ مدة طويلة لم . . . هه ! ما هذا ؟ ارجع القطعة الى موضعها !»

«اية قطعة ؟»

«هذه» .

واشار الى القطعة التى هي موضع الجدل ، ولكنه وجد في الوقت نفسه ان هناك قطعة اخرى غيرها قد طلعت داما ، ولا يعلم الا الله ما الذى جاء بالقطعة الجديدة الى موضعها ذلك .

فنهض تشيتشيكوف عن المنضدة وهو يصيح «لا ، لا ، من المستحيل ان يلعب المرء مع رجل مثلك . فالناس لا يحركون ثلاث قطع دفعة واحدة» .

«كيف ، ثلاث قطع ! إنه مجرد خطأ بسيط ، فقد تحركت احدى قطعتي بالصدفة . واذا شئت سأعيدها الى حيث كانت» .

«ومن اين جاءت القطعة الثالثة ؟»

«اية قطعة تعني ؟»

«تلك التى طلعت داما» .

«هل نسيت حركة هذه ؟»

«لا ، لا ، يا صديقى . لقد حسبت كل حركة واستطيع ان اذكرها لك واحدة واحدة . وتلك القطعة قد اضيفت حديثاً الى الرقعة . هيّا ارجعها الى مكانها» .

«مكانها ؟ وما هو مكانها ؟ - واحمر وجهه احمراراً شديداً - اراك ملفقاً كبيراً !»

«لا ، لا ايها الأخ العزيز . انك انت الملق ، ولكنك ملق فاشل كما ارى» .

«ما الذى تعتقده في إذن ؟ اننى اغشك ؟ اليس كذلك ؟»

«انا لا اعتقد فيك شيئاً . وكل ما اقول هو اننى لن لعب معك» .

فاشتعلت ثورة نوزدريف وقال «ولكنك لا تستطيع ان تفعل . فاللعبة قد ابتدأت» .

«ومع كل هذا ، فلي الحق ان اترك اللعب ما دمت لا تلعب لعباً شريفاً» .

«انك تكذب ، وكيف تجرؤ على هذا القول ؟»

«انت الذى يكذب» .

«انا لم اغش . وبناء على ذلك لا تستطيع ان تترك . وعليك ان تكمل اللعبة الى نهايتها» .

فقال تشيتشيكوف ببرود «انك لا تستطيع ان ترغمنى على اللعب» . والتفت الى رقعة الداما ومر بيده عليها وخلط بين قطعها .

فاقترب نوزدريف من تشيتشيكوف وعلى محياه امارات الوعيد بحيث تراجع الاخير خطوتين الى الوراء .

وقال نوزدريف «سوف ارغمك على اللعب . ان خلط رقعة الداما لن يجديك شيئاً ، لأننى اتذكر كل حركة من الحركات . سوف نعيد القطع الى مواضعها كما كانت» .

«لا ، لا ، يا صديقى . لقد انتهت اللعبة ، ولن اللعب معك بعد» .

«تقول انك لن تلعب ؟»

«نعم . فانت ترى بنفسك ان امرأ كهذا اصبح مستحيلاً» .

«انت مصمم على هذا ؟ هيا قل مرة ثانية انك ترفض اللعب معي» . وتقدم نوزدريف عند قوله هذا من تشيتشيكوف خطوة الى الامام .

فقال تشيتشيكوف «اجل ، لا اريد» . وفى الوقت نفسه رفع يديه دفاعاً امام وجهه ، لأن سير الامور اصبح حامياً . والواقع ان عمله هذا كان له ما يبرره ،

لأن نوزدريف هجم عليه رافعاً قبضته . وكان من المحتمل ان يتلقى بطلنا على خده الممتلئ النضير لكلمة

لا تنسى لو لم يتجنبها بان هجم على ذراعي نوزدريف الذى كان يلوح بهما ، وامسك بهما بيده

يديه .

واخذ نوزدريف يصيح بجنون وهو يتهالك على تخليص يديه «بورفيرى ا بافلوشكا !»

وعندما سمع تشيتشيكوف هذا الصياح ترك يديه نوزدريف . وقد افلتهما فى الواقع لسبيين - اولهما

انه لم يحب ان يرى الخدم هذا المنظر الذى لا يشرف احداً ، وثانيهما ان الامساك بيدي نوزدريف لم تعد فيه

جدوى . وما كاد يفعل ، حتى دخل الغرفة بورفيرى ومعه بافلوشكا - عملاق من الاوباش ليس التعرض

له من الحكمة فى شيء .

فقال نوزدريف «هل تريد او لا تريد ان تكمل اللعبة ؟ اعطني الجواب حالا» .

فاجاب تشيتشيكوف وهو ينظر من النافذة «لا ، ليس



انها اللعبة بالمستطاع» . وراى ان العربة جاهزة فنى انتظار اشارة ، وسيليفان على اهبة الاستعداد ليتقدم بها الى سلم البيت . ولكن لم يكن من الغرفة مناص لان الخادمين العملاقين مائلان بالباب .

واعاد نوزدريف قوله وقد احمر وجهه كالنار «اذن انت لا تريد انها اللعبة ؟ اليس كذلك ؟»

«كنت اود انها لو لعبت لعباً شريفاً ، اما والحالة هذه فكللاً» .

«انك لن تستطيع ايها الوغد ! انك تترك اللعب لماً وجدت نفسك مغلوباً على امرك ، وعرفت ان الحظ قد تخلّف عنك ! اضرباه يا شباب !» وجه الجملة الاخيرة الى بورفيرى وبافلوشكا ، وسحب بنفسه قصبة من خشب الكرز . اما تشيتشيكوف فاصبح لونه كالملاء البيضاء . كان يحاول ان يقول شيئاً ما الا ان شفثيه كانتا ترتعشان دون ان تصدرا صوتاً .

وصاح نوزدريف للمرة الثانية «هيا اضرباه !» واندفع هاجماً وهو يتصبب عرقاً وقد اجتاحت نوبة عاصفة من الحماس تليق بالفارس المغوار عندما يهجم على حصن حصين . وصاح مرة اخرى «اضرباه !» بصوت الضابط المتهور الذى يبعث الحماس فى جنوده للهجوم على الهدف المعين بقوله «الى الامام ايها الرفاق !» لما عرف عنه رؤساؤه من تهور وطيش فصمموا على كف يده عن العمل اذا ما عاد الى طيشه وتهوره . مهما يكن من امر ، فان راس الضابط - وقد اجتاحت حمية المعركة ، - ياخذ باللف والدوران ، وتلوح امام عينيه صورة

البطل سوفوروف . . فيتقدم الجنود ويصيح بصوت مسعور «الى الامام ايها الشجعان !» غير حاسب للنتائج حساباً ، وغير مفكر فيما اذا كان عمله هذا سوف يخرب خطة الهجوم العام ، وغير عابى فيما اذا كانت فوهات ملايين البنادق مصوبة من كوى فى السور فنى انتظار الصيد المرقوب ، وغير مقدر ان يذهب هجومه ادراج الرياح وان تكون فى تلك اللحظة قد صدرت من فوهة احدى البنادق الرصاصة التى كتب لها فى اللوح المحفوظ ان تطبق على حنجرتة فتسكتها الى الابد . على اية حال ، فاذا كان نوزدريف يشبه ذلك الضابط اليائس العنيد الذى رسمناه هاجماً على الحصن الحصين ، فقد كان الحصن فى قصتنا بعيداً عن ان يكون حصيناً ولا يمت للحصن الذى سبق وصفه بأية صلة . وواقع الامر ان الرعب والهلع استوليا على حصننا فهوت روحه الى حذائه . قبل كل شىء ما كاد تشيتشيكوف (الحصن الذى نتكلم عنه) يمسك بكرسى لكى يدافع به عن نفسه حتى انتزعه من قبضته احد العبيد ، ومن ثم اطبق اجفانه ، وهو يحس بأنه اقرب الى الموت منه الى الحياة ، ليتلقى ضربة من عصا مضيئه . ولا يعلم الا الله ما الذى كان سيحدث لكتفيه وخصره وظهره لو لم يتدخل القدر الانقاذه بمعجزة من المعجزات . فعلى حين غرة ، ودون ان يتوقع ذلك احد ، سمع صوت رنين

\* سوفوروف - قائد روسى عظيم حاز على شهرة كبيرة فى حرب السنوات السبع . الناشر .

أجراس عربية وقرقة عجلات تقترب من مدخل البيت ،  
وما ان وقفت حتى سمع صوت لهاث الخيول ونخيرها ،  
وكان هذه الاصوات قد هبطت من السماء . فنظر الكل  
دون ارادة من النافذة وراوا رجلا ذا شوارب يلبس  
معطفاً عسكرياً وهو نازل من العربية . وبعد ان القى  
سؤالاً او سؤالين فى القاعة دخل الى غرفة الطعام فى  
اللحظة التى كان فيها تشيتشيكوف يكاد يغشى عليه  
من الهلع ، ويجد نفسه يمر فى اخرج المواقف التى يمر  
بها انسان فان .

لقى الرجل المجهول نظرة حائرة على الرجلين -  
نوزدريف (وهو لا يزال رافعاً عصاه فى يده)  
وتشيتشيكوف (الذى كان قد بدا يستجمع نفسه من  
الفعل التعييس) وتساءل قائلاً «أرجو كما ان تخبرانى  
ايكما هو السيد نوزدريف» .

فتقدم نوزدريف الى الضابط وقال له «أرجو ان  
تخبرنى من تكون» .  
«انا رئيس شرطة الريف» .

«وماذا تريد ؟»

«جئت اؤدى مهمة كلّفت بها . وهى ان ابغلك عن  
وضعك تحت الحراسة الى ان تقرر المحكمة مصير  
قضيتك» .

«هراء ! هراء ! واهى قضية هذه ؟»

«انت متهم بانك اعتديت وانت فى حالة السكر  
وباستعمال قضيب على الملاك ماكسيموف واحداثت فى  
جسمه اضراراً بليغة» .

«انك تكذب ! انى اقول لك فى وجهك ! طوال حياتى  
لم تقع عيناى على الملاك ماكسيموف» .  
«سيدى المحترم ، اسمح لى ان اذكرك باننى موظف  
حكومة . وهذا النمط من الكلام تستطيع ان توجهه  
لخدمك ، لا لى» .

وعند الكلمة الاخيرة سحب تشيتشيكوف قبعته ،  
ودون ان ينتظر جواب نوزدريف ، زلق من وراء ظهر  
الضابط ، واندفع الى المدخل ، وقفز فى العربية ، وامر  
سيليفان ان يسوق العربية بسرعة الريح .

## الفصل الخامس

ارتعب تشيتشيكوف بالتاكيد بكل ما فى الكلمة من  
معنى . فمع ان العربية كانت مندفعة فى سيرها لا تلوى  
على شىء حتى اختفى بيت نوزدريف خلف الروابى  
والاسيجة الا ان بطلنا ظل يتلفت وراءه بعصبية  
وانفعال كما لو كان ينتظر ان يرى خلفه مطاردة عنيفة  
بين الفينة والاخرى . كان يتنفس بصعوبة ولما وضع  
يده على قلبه شعر به يخفق كأنه طائر السلوى عندما  
يقع فى الشباك . وراح يخاطب نفسه ويقول «اى ضنى  
اورثنى هذا المخلوق» . بينما تخامر رأسه نزعات  
عارمة طاغية . وكانت التعابير التى فاه بها فى الواقع  
ابعد ما يمكن ان تكون عن الكياسة . ولكن ما العمل ؟  
لقد كان روسياً وعلاوة على ذلك خرج عن طوره . ولم  
يكن الامر بعد ذلك كله هزلاً . وخطر بباله : لو لا



رئيس الشرطة ما بقيت لي عينان تنظران ما خلق الله من ضوء النهار ولتلاشى وجودى كفقاعة فى غدیر ، وما تركت اثراً او ذرية او ملكاً او اسماً شريفاً يرثه احفادي (ويظهر ان بطلنا كان حريصاً جداً على ترك ذرية تخلفه) .

اما سيليفان فقد سرح فكره وهو يسوق العرببة ، وانشأ يقول «اى سيد سافل هذا ! لم ار فى حياتى سيداً مثله ! كم كنت اتمنى لو بصقت فى وجهه . اترك الرجل للجوع افضل من ان تحرم حصانه الطعام الذى يليق به . الحصان بحاجة الى شوفانه مثلما يحتاج الانسان الى طعامه والضرورة تقضى ان تقدم له ذلك دائماً» .

وقد ظهر ان الجياد كانت تشاطر سيليفان رايه الخاص فى نوزدريف . فلم يكن الكميت والمستشار وحدهما يعربان عن استيانهما وحسب ، بل كان الارقط ايضاً يتقمص روح الاشمنزاز . حقاً ، ان الارقط لم يكن يجد فى البيت علفاً غير اردا انواع الشوفان ، ولم يكن يعلفه سيليفان دون ان ينعته بالسافل ، لكن علفه على الاقل كان شوفاناً لا تبناً - كان مادة يستطيع ان يضيفها بشئ من اللذة . وهناك حقيقة اخرى ايضاً ، فقد كانت تسنح له بعض الاحيان فرصة يمد فيها بوزه الطويل الى مِذْوَدَى زميليه (خاصة عندما يكون سيليفان غائباً عن الاسطبل) ويتذوق علفهما . ولكن فى بيت نوزدريف لم يكن هناك غير التبن ! وهذا ليس من العدالة فى شئ . واحسنت

الخيول الثلاثة باستياء شديد .

ولكن تأملات الساخطين انقطعت فجأة بشكل عنيف لم يكن فى الحسبان . لقد اعادهم الى الواقع اصطدامهم اصطداماً شديداً بعربة تجرها ستة خيول ، بينما انهالت على رؤوسهم صرخات سيدات داخل العرببة وعاصفة من الشتائم والمسببات من سائقها . وصاح السائق قائلاً «ما الذى جرى لك ايها المجنون اللعين ! لقد صحت عليك بأعلى صوت ! ابتعد يا غراب الشؤم ، والزم يمينك هل انت سكران ؟» وادرك سيليفان انه كان السبب لانه كان عديم الاكتراث ، ولكن لان الروسى لا يقبل الاعتراف بخطائه بحضور الاغراب ، رد عليه بكبرياء «لماذا دخلت علينا ؟ هل تركت عينيك خلفك فى آخر حانة وقفت فيها ؟» وبذلك بدأ يسحب العرببة الى الخلف بغية ان يخلصها من اطواق العرببة الاخرى . ولكن ذلك لم يكن بالامكان ، لان العربتين كانتا قد اشتبكتا اشتباكاً لا رجاء فيه . وراح الارقط آنذاك يتشمم باستغراب معارفه الجدد الذين تسمروا على جانبيه . بينما راحت سيدتان كانتا داخل العرببة تتطلعان الى منظر الاصطدام وعلى وجهيهما سيماء الرعب والفزع . كانت احدهما عجوزاً والاخرى فتاة فى نحو السادسة عشرة . وسقطت خصلة من شعر الفتاة الذهبى برقة واناقة عن راسها الصغير وانحدرت على الوجه البضاوى الجميل . كان وجهها كالبيضة لا فى الانسجام وحسب ، بل فى لونها الابيض الشفاف الذى تراه ربة البيت حين تمسك بيديها بيضة وضعت

حديثاً وتضعها على عينها لترى أشعة الشمس وهي تتخلل قشرتها . وكانت المسحة نفسها تغطي على اذنيها اللتين كانتا توهجان تحت نور الشمس . باختصار ، وبما تفرق في عينيهما الواسعتين الأسرتين من دموع بدت صورة فاتنة جذابة جداً ، حتى ان بطلنا القى عليها نظرة اكثر من عابرة قبل ان ينتبه الى الجلبة التي كانت قائمة بين الجياد والسائقين . وصاح السائق الغريب «ارجع الى الخلف يا غراب البين !» فشد سيليفان الأعنة ، وحذا الآخر حذوه ، فتقهقرت الخيول قليلاً الى الوراء ، ولكنها عادت لتشتبك مرة ثانية . وقد بدا في الواقع ان الأرقط كان مسروراً جداً بأصدقائه الجدد حتى انه رفض ان يتحرك من مكانه الذي رماه فيه حظ خفى مشكور . والقى بخطمه تحبباً على عنق احد معارفه الجدد ، وبدا كأنه يهمس شيئاً في أذن ذلك الصديق - شيئاً على ما يبدو كان كله سخفاً وهراء لأن المهموس في أذنه راح يحرك أذنيه إستخفاً .

وعلى حين غرة تجمع فلاحون من قرية مجاورة للحادث واندمجوا في الورطة القائمة . وبما ان منظرأ كهذا المنظر عند الفلاحين الروس ممتع كصحيفة اخبارية او كاجتماع في ناد عند الالمان فسرعان ما أصبحت العربتان مركزاً لتجمع جمهور غفير ، وغدت القرية خلواً إلا من النساء والاطفال . وانفصل العمودان المتشابكان آخر الأمر ، وكانت بضغ صفعات على انف الأرقط كافية لتجعله يتراجع الى الخلف . وبعد ذلك رُتبت فرق الخيول وفصلت بعضها عن بعض . ومع

ذلك كله فقد رفضت الفرقة الغريبة ان تحرك ساقاً من موضعها رفضاً باتاً ، وقد يكون ذلك لمجرد العناد ، او قد يكون اسفاً على فراق الاصدقاء الجدد . فساططها سائقها ولكنها ظلت واقفة كما لو كانت مسمرة في الأرض . وبعد لاي ، ارتفعت جهود الفلاحين المشتركة الى درجة من الحماس لم يسبق لها مثيل . فبدأوا يصيحون جوقات ، بأوامر كالتالية «اسحب يا اندروشكا رأس الحصان الامامي الى اليمين ، بينما يركب العم متيائي الحصان الاوسط . انهض يا عم متيائي» . وعلى ذلك نهض العم متيائي وهو نحيل طويل أحمر اللحية وركب الحصان الاوسط وظهر في وضعه الجديد كأنه برج القرية او دولاب الناعورة . وساط السائق الجياد مرة اخرى . وثبت ان العم متيائي كان عديم الجدوى . وصاح الفلاحون ثانية «توقف ، توقف» . «اركب يا عم متيائي الحصان الامامي وليركب العم منيائي الحصان الاوسط» . «واسرع العم منيائي ، وهو فلاح ذو كتفين عريضين ولحية سوداء كالفحم وبطن كالسماور الضخم الذي يخمر فيه شاي العسل للتجار المحليين ايام السوق - اسرع بامتطاء الجواد الاوسط ، وكاد الأخير ان يهوى الى الأرض تحت ثقله . وصرخ الفلاحون «سيسيرون الآن سيراً حسناً ! اضربه حامياً ! اضربه حامياً ! اعط ذلك الحصان الاشقر ضربة سوط ، ودعه يتلوى كالافعى» . ومع هذا ، فلم تتقدم الامور بحال .

\* في الاصل وكما تتلوى الكورامورا ، وهي حشرة كالبعوض طويلة الجسم نسبياً كثيرة التلوى . المترجم .



من الاحوال . عندئذ وقد تبين ان لا فائدة من السوط ،  
لجأ القوم الى اسلوب آخر . فامتطى العمان متيأى ومنيأى  
الاشقر وجلس اندروشكا على ظهر الحصان الامامى ،  
وجد القوم فى العمل دون جدوى . بعد هذا كله فقد  
السائق الصبر ، فصرف العمين فى سبيلهما لأنه ادرك  
قبل فوات الأوان ان الخيول تلهث لهاثاً شديداً وكأنها  
قطعت شوطين دون استراحة . فاعطى الخيول برهة  
تستريح فيها . وما تم ذلك حتى تحركت بمسلـ  
اختيارها . وكان تشيتشيكوف طوال ذلك الوقت يعدق  
فى الفتاة المجهولة بانتباه شديد ، حتى انه جرب مرة  
او مرتين ان يدخل معها فى حديث ، لكن محاولته ذهبت  
ادراج الرياح . وعند ذهاب السيدتين كان فى الواقع  
كانه فى حلم ساهم البصر فى وجود الفتاة الانيس  
وتقاطيع وجهها الانيقة وقدما النحيل وهى تختفى عن  
انظاره . كان كانه فى حلم اذ عاد لا يرى امامه سوى  
نفسه والطريق والعربة والخيول الثلاثة وسيليفان  
والحقول الخالية الخاوية . فى كل ارجاء الحياة - من  
ابسط مراتب المجتمع واقدرها ، الى اعلى المراتب  
واوجدها - يقع الانسان على ظاهرة تختلف اختلافاً كلياً  
عن كل ما عهده فى حياته ، وتظهر فيه احساسيس تختلف  
اختلافاً كلياً عن كل احساس مر به حتى ذلك الحين .  
وفى كل مكان من هذا الوجود ، من خلال خيوط البؤس  
التي نسجت منها حياتنا ، قد يشع فجأة خيط لامع  
براق من الفرح والسرور . مثل ذلك مثل شارع قرية  
مسكينة بانسة اخنى عليها الدهر بكللكه ، لا تمر به

إلا عربة المزرعة البالية ، تظهر فيه فجأة عربة فخمة  
لماعة الدهان انيقة الخيول براقة الزجاج ، يقف الفلاحون  
لها فاغرى الافواه ساهمى الابصار وينسون ان يعيدوا  
قبعاتهم الى رؤوسهم الا بعد ان يتوارى الموكب عن  
انظارهم بزمان طويل . وهكذا ، فقد كان ظهور الفتاة  
ذات الشعر الذهبى فى قصتنا على غير انتظار ، كما كان  
اختفاؤها على غير انتظار ايضاً . ولو لم يكن صاحب  
الشان تشيتشيكوف ، وكان فتى ذا عشرين ربيعاً -  
فارساً او تلميذاً او اى رجل آخر فى ربيع الحياة -  
فاى فكر كان سيدور فى ذهنه وينبثق من نفسه  
وينطق فى اعماقه ؟ ولاى مدى من الزمن كان سيقف  
ذاهلاً معدقاً فى الآفاق ، ناسياً دواعى رحلته وما  
عليه من واجبات واحتمال ما يسببه التباطؤ من  
خسران ، ناسياً نفسه ومركزه والعالم وكل ما فيه ؟  
اما فى حالتنا هذه فقد كان البطل متوسط العمر ذا  
مزاج صلب على قدر من الحرص شديد . اجل ، فقد  
امعن النظر فى الامر امعاناً شديداً ولكن بشكل اكثر  
رزانة مما يفعل الشباب . فلم تكن تأملاته بالطائشة  
ولا بالرعناء . وفتح علبه السعوط ونشق منها وانشأ  
يقول لنفسه «كانت آنسة جميلة ، انما الأهم من ذلك ،  
هل هى آنسة لطيفة ايضاً ؟ هناك شىء واحد ظاهر من  
حسناتها ، اذ يبدو عليها انها قد تركت المدرسة حديثاً  
ولم يكن لها من الوقت ما تصبح به امرأة بالمعنى  
السيى . انها الآن كالطفل . كل شىء فيها ساذج  
بسيط . فهى تقول ما تفكر فيه وتضحك اذا احسنت



انها بحاجة الى الضحك . آتسة كهذه يستطيع المرء ان يصوغها في قالب الذى يشاء ، قد تغدو اعجوبة او تغدو تافهة مبتذلة لا قيمة لها . وأرجح الحالة الاخيرة ان كان لها ام ولوعة بها ورهط من العمات والخالات ومن لف لفهن - نسوة في مدى سنة واحدة يملان نفسها بأفكار النساء وخيالهن حتى لا يعود والدهما يعرفها . وسوف يصفن الى ذلك كله اصول التصنع وقواعد الكبرياء . وستبدا بمراعاة القوانين المتبعة ، وتجهد فكرها في كيف تتكلم وكى ولمن ومتى وما اشبه ذلك . وستجدها في كل لحظة متهيبة مبليبة خشية ان تكثر من الحديث . واخيراً تتطور فتصبح مراوغة حاذقة طوال حياتها وتنتهى الى ما لا يعلمه غير الشيطان !» وصمت هنيهة ثم استمر يقول «إلا اننى مع هذا كله اود ان اعرف من هى ، ومن أبوها وفيما اذا كان ملاكاً غنياً ذا مركز مرموق او مجرد وجيه نال ثروة من خدمة الحكومة . وهل سيتمنحها عند زواجها مهرأ ، ولنفرض مائتى ألف روبل ؟ انها ستكون صيداً ثميناً فى الواقع . وسيكون فى امكانها عندئذ ان تسعد حقاً أى رجل اصيل» . وقد كانت فكرة مائتى ألف روبل فى الحقيقة جذابة جداً ، وبدأت ترقص فى مخيلته ، وشعر بوخزة من اللوم فى قرارة نفسه لأنه لم يسأل السائق اثناء الجلبة عن المسافرين . ولكن رؤية بيت سوباكيفيتش الريفى شتت افكاره واضطرتة الى العودة الى موضوع تفكيره المستديم .

كانت قرية سوباكيفيتش ذات اتساع لا بأس به

وقد قامت على جانبيها مساحات من اشجار الصنوبر والبتولا الخضراء . كانت البناية الخشبية نفسها ذات جدران رمادية دكناء وسقف هرمى احمر لانها كانت من ذلك النوع من المساكن التى تبنيها روسيا عادة لرجال الجيش المتوطنين وللألمان المستعمرين . وكانت تبدو هناك ظاهرة جليلة واضحة وهى ان ذوق المهندس كان يختلف اختلافاً واضحاً عن ذوق صاحب الملك . اذ كان الاول متحذلقاً فى الانسجام ، راغباً فيه . بينما كان الاخير يطلب راحته فقط . وعلى ذلك فقد أغلق (اى صاحب الملك) كل النوافذ التى كانت فى احد جانبي العمارة ، وعمل بدلا منها كوة صغيرة قصد منها بلا شك اضاءة مخزن كان سيكون مظليماً لولاها . وبالمثل فقد فشلت جهود المهندس القوية فى جعل قمة الهرم فوق مركز البناية لأن المالك ازال أحد اعمدتها الاربعة الاساسية . من الجلى ان المتانة كانت موضع الاهتمام فى كل شىء . فالساحة كانت مُحاطة بسور خشبى متين عال جداً ، وكلا الاسطبلين ومراب العربات والمطابخ كانت تقوم على دعائم تكفل بقاءها قروناً طويلة - وحتى اكواخ الفلاحين الخشبية كانت مدهشة فى متانتها ، فلم يكن فيها جدار واحد املس ، وليس عليها اى رسم محفور او اية زخرفة اخرى . كان كل شىء على ما يرام . حتى ان بئر المنزل كان بابها من خشب البلوط الذى نعرف انه يستعمل عادة للسفن والمطاحن . وباختصار ، فحيثما وقعت عيننا تشييتشيكوف كانتا تريان كل شىء خلوا من الرثاءة مرتباً بمهارة



وعناية . واذا اقترب من سلم المدخل وقع نظره على وجهين يحدقان من نافذة . كان أحدهما وجه امرأة بقبعة وتقاطيع كالخيارة استطالة وضيقاً . أما الآخر فكان وجه رجل ذي تقاطيع عريضة جداً قصيرة جداً كالقرعة المولدافية (المسماة غورليانكي) التي تصنع منها البالالايك - وهي نوع من الآلات الموسيقية الخفيفة ذات وترين تكون مصدراً للسرور والكبرياء لفتى معراح في العشرين من عمره حين يجلس غامزاً مبتسماً لفتيات بيض الاعناق بيض الصدور وقد تجمعن حوله يتسمعن الى رنين صوته الشجي . وما القى هذه النظرة الفاحصة حتى انسحب الوجهان وظهر على سلم المدخل مأمور يرتدى سترة رمادية بياقة صلبة زرقاء ادخل تشيتشيكوف الى القاعة حيث قابله سيد البيت نفسه وسار به الى داخل البناية .

نظرة خفية على سوباكيفيتش تبين منها بطلنا ان مضيفه يشبه دبةً متوسط الحجم شبيهاً شديداً . واستكمالاً للمشابهة ، كان معطف سوباكيفيتش الطويل وسراويله المعببة بلون إهاب الدب بالضبط ، بينما تعمل ساقاه حركة تقاطع اذا ما دلف ماشياً على الارض . وله بالاضافة الى ذلك عادة لا تتغير ابداً وهي ان يدوس على قدم مرافقه . اما وجهه فكانت عليه تلك المسحة من الحمية والحرارة التي تجدها على البياتاك . اشخاص من هذا القبيل - اشخاص لم

\* عملة لحاسية قيمتها خمسة كوبيكات . الناشر .

تخصص الطبيعة قسماً كافياً من فكرها لصياغتهم ، ولم تستعمل في هندسة اشكالهم آلات دقيقة كالمنقشب والمبرد وما الى ذلك - ليسوا بالقليل الوجود . اشخاص كهؤلاء تنحتهم الطبيعة نحتاً سريعاً لا صقل فيه . ضربة بالبلطة واذا هناك انف ، وضربة أخرى بالمطرقة واذا هناك شفتان ، وغرztان بالمنقشب واذا هناك عينان . واخيراً تصدر هذا الانسان للعالم قائلة دون ان تكمل انجازه : «ليكن !» كان سوباكيفيتش على هذا القدر من الهلولة ، ذا شكل خلط ببعضه خلطاً . على ان المثال السابق ينطبق على نصفه العلوي اكثر مما ينطبق على نصفه السفلي . وكنتيجة طبيعية لهذا التكوين ، كان نادراً ما يدير رأسه لينظر الى من يحادثه ، بل كان في الغالب يصوب عينيه الى زاوية الموقد ، او الى الباب مثلاً . صوب تشيتشيكوف نظرة اخرى الى زميله عندما كان الضيف والمضيف يجتازان غرفة الطعام ، وقال لنفسه «انه الدب بعينه ولا يمكن ان يكون شيئاً آخر غير الدب» . ولم يكن في الواقع مناص من هذه المقارنة الغريبة . ومن عجيب الصدف ان الاسم الاول لسوباكيفيتش كان ميخائيل سيميونوفيتش . وقد اخذ تشيتشيكوف الحذر الشديد من عاداته في الدوس على اقدام الآخرين . ولهذا اخذ يحسب موضع قدمه ويترك مضيفه يمشي امامه دائماً . وقد تبين في الواقع ان سوباكيفيتش نفسه

\* الروس يسمون الدب المم ميخائيل . المترجم .

كان شاعراً بهذه المثابة ، اذ كان يقول بين الفترة والاخرى «ارجو ان لا اكون آلمتك ؟» فيجيبه تشيتشيكوف مع كلمة شكر بانه لم يصبه اذى بعد . وصلا قاعة الاستقبال بعد لاي ، فاشار سوباكيفيتش الى كرسي كبير دعا ضيفه الى الجلوس عليه . واخذ تشيتشيكوف يحدق باهتمام في الجدران والصور . كانت كلها رسوماً لشباب اصحاء وهم لجنرالات يونانيين امثال مافروجورداتو (مرتديا بدلة رسمية وسراويل حمراء) وميانولس وكنارس \* . وآخرين . وقد رسم كل هؤلاء الابطال بجبروت في الهيكل وغزارة في الشوارب تجعل الناظر اليهم يرتعش خوفاً . وقد حشرت بين هذه الصور - لسبب غير معروف وتنظيم غير معروف - صورتان . اولاهما صورة الامير باجراتيون \* . وهو طويل نحيف رسمت تحته مجموعة من الاعلام الصغيرة والمدافع ، وحشر كل ذلك ضمن اطار الصورة الضيق . وثانيتهما صورة البطلة اليونانية بوبيلينا التي بدت بساقين ضخمتين جداً - اضخم من اجسام جميع متانقي الصالونات في يومنا هذا . كان جلياً ان رب البيت ذا الصحة والعافية لم

\* مافروجورداتو - رجل السياسة اليوناني الذي وضع دستور سنة ١٨٢٢ . اما ميانولس وكنارس فهما قائدان من قادة الثورة اليونانية ضد الاتراك . الناشر .

\* الامير باجراتيون - احد الابطال الروس في معركة بورودينو ضد نابليون ، واستشهد في المعركة في عام ١٨١٢ . الناشر .

يكن يحب ان يزين غرفاته إلا برجال في قوته وضخامته . واخيراً ، كان قرب الشباك قفص معلق حذاء بوبيلينا ، الكتف بالكتف ، وكان يطل منه على فترات شعور ابيض الترقيط . كان ككل شيء في الغرفة ، شديد الشبه بسوباكيفيتش . وعندما كان الضيف ورب البيت قد بدأ الحديث مدة دقيقة او دقيقتين دخلت ربة البيت ، وهي سيدة طويلة بقبة مزينة بشرائط بيتية التلوين والصنع . دخلت بترو ورفعت رأساً مستقيماً كجذع النخيل .

وقال سوباكيفيتش «هذه زوجتي فيودوليا ايفانوفنا» .

فاقترب تشيتشيكوف منها وصافحها . ولما رفعت يدها الى مستوى شفثيه ادرك انها قد شطفتها ساعتئذ بزيث الخيار المخلل .

واضاف سوباكيفيتش «عزيزتي ، اسمحي لي ان اقدم لك بافيل ايفانوفيتش تشيتشيكوف . لقد كان لنا شرف التعرف عليه عند حاكم الولاية وعند مدير البريد» .

وعلى ذلك طلبت فيودوليا ايفانوفنا من ضيفها ان يجلس ، وارفقت هذه الدعوة بانحناءة من النوع الذي تفعله الممثلات اللواتي يلعبن ادوار الملكات . وبالتالي اخذت مجلسها على الصوفا وسحبت عليها شالها المصنوع من صوف المارينو \* ومكثت كذلك دون ان

\* الماعز الاسباني . المترجم .



تحرك ساكناً . اما تشيتشيكوف فرفع بصره ورأى للمرة الثانية كنارس بفخذه الغليظين وشاربيه اللذين لا حد لهما وبوبيلينا والشحورور الاسود . وخيم الصمت على الجميع خمس دقائق كاملة لم يكن يسمع فيها غير صوت منقار الطير وهو يقرع ارض القفص الخشبية اذ يحاول ان يلتقط حب القمح منها . وفي هذه الآونة تفحص تشيتشيكوف الغرفة للمرة الثالثة ، فرأى ان كل شيء فيها ضخم اخرق في اعلى درجات الضخامة والخرق ، وان كل شيء منسجم مع رب البيت انسجاماً غريباً . كان في زاوية من زوايا الغرفة مثلاً ، مكتب من خشب البنلق بارز البطن واقف على اربع ارجل ضخمة - صورة ناطقة عن الدب . وكانت الاخونة والكراسى على القدر نفسه من النشوز والغلظ . كانت كل اداة في الغرفة كأنها تصيح قائلة «انا ايضا سوباكيفيتش !» او «اننى نسخة طبق الاصل عن سوباكيفيتش !»

ولما رأى تشيتشيكوف ان احداً لم يفكر في البدء بالحديث قال «لقد مر ذكرك ذات يوم حينما كنت ازور رئيس المجلس المحلى . كان ذلك يوم الخميس الماضى . وكانت ليلة بهيجة حقاً» .

فاجاب سوباكيفيتش «نعم . فلم اكن هناك فى تلك المناسبة» .

«كم هو لطيف هذا الرجل !»

فتساءل سوباكيفيتش وهو ينظر الى زاوية الموقد «من ذاك ؟»

«رئيس المجلس المحلى» .

«وهل هذا هو رايك فيه ؟ ان هذا هو مظهره فقط ، اما فى الحقيقة ، فعلى الرغم من كونه ماسونياً إلا ان العالم لم يشهد له فى القباء مثيلاً» .  
فاجفل تشيتشيكوف قليلاً لهذا الانتقاد اللاذع القتالى ، ولكنه تما لك نفسه ثانية واستمر يقول :  
«بالطبع لكل رجل نقاط ضعف . إلا ان حاكم الولاية انسان ممتاز» .

«حاكم الولاية ممتاز ؟»

«نعم . اليس هذا رايك فيه ايضاً ؟»

«لا ، انه اكبر محتال على وجه البسيطة» .

«حاكم الولاية ؟ محتال ؟» وغدا تشيتشيكوف فسى حيرة من امره . اذ كيف يمكن ان يعتبر الموظف المذكور فى عداد اللصوص . واكمل يقول «لم اكن اتصور ذلك مطلقاً . واسمح لى ان اقول بان سلوكه لا يكاد يحتمل رايك فيه . انه يبدو فى الواقع لطيفاً جداً» . وذكر برهاناً على ذلك المحفظات التى حاكها حاكم الولاية واطنب فى الحديث عن لطافة ملامحه .

فقال سوباكيفيتش «ان له وجه اللص . ولو اعطيته سكيناً وأفلتته لحزّ عنقك بكوبيك . والشئ نفسه يذكر عن مساعده . انهما يا جوج وماجوج» .

فقال تشيتشيكوف فى نفسه «يلوح انه على غير وفاق معهما . من الافضل ان انتقل الى الحديث عن رئيس الشرطة ، فقد يكون معه على ونام» . واضاف بصوت عال بناء على حدسه هذا ، يقول «اما من ناحيتى الخاصة فانى افضل رئيس الشرطة . يا لطبيعتة الصريحة»

الفصيحة ! ويا لعنصر البساطة الذى يبدو فى ملامحه !  
فاجاب سوباكيفيتش «انه وضيع فى صميمه . يبيعك  
ويغشك وياكل على مائدتك . نعم ، اعرفهم كلهم واعرف  
ان كل فرد منهم لص مختلس . والمدينة وكر لسفلة  
مشغولين بسلب بعضهم بعضاً . وليس فيهم رجل الا  
وهو مستعد لبيع المسيح . لكن ، رويدك قليلا ، هناك  
انسان محترم واحد - هو المدعى العام . ومع ذلك ،  
فحتى هو ، اذا اردنا ان نقول الحقيقة ، لا يفضل  
الخنزير إلا قليلا» .

بعد هذا الاسهاب فى التقريظ والكيل فى المديح ،  
لم ير تشيتشيكوف فائدة من تكملة قائمة الموظفين ،  
لا سيما وقد رأى بأم عينه ان سوباكيفيتش لم يذكر  
حتى صديقه بالخير .

وتدخلت فيودوليا ايفانوفنا قائلة لزوجها «لنذهب  
الى الغداء يا عزيزى» .

وقال سوباكيفيتش «ارجوك ، تفضل» .

وتقدم الجمع اول الامر الى مائدة وضعت عليها  
الفودكا وبعض المشهيات . واحتسى الضيف والمضيف  
كاسى الفودكا وتناولوا من اطايب المشهيات المختلفة  
التي توضع عادة لفتح الشهية فى المدينة والقرية وفى  
جميع انحاء الامبراطورية الروسية الواسعة . ومن ثم  
دلفا الى غرفة الطعام تحت قيادة المضيضة التي كانت  
تبهر امامهما كأنها اوزة تسبح فى عرض البحيرة . كانت  
مائدة الطعام الصغيرة معدة لاربعة اشخاص . وكانت  
تجلس فى الكرسي الرابع انثى فى الثلاثين من عمرها ،

بدون قلنسوة وعلى كتفها لفاع مبرقش وكان من  
الصعب التكهّن بشخصيتها ومعرفة ما اذا كانت فتاة او  
امراة متزوجة او قريبة او خادمة او اى طفيلية اخرى .  
ان بعض الناس يعيشون فى هذا الوجود لا كشخصيات  
مستقلة قائمة بذاتها بل كالبقع واللطخ على شخصيات  
الآخرين . فتجدهم دائما فى الوضع نفسه ، جالسين فى  
المحل نفسه ، رافعين رؤوسهم بزاوية معينة لا تتغير ،  
حتى ليكاد المرء يحسبهم جزءاً من الاثاث ، ويتصور  
انهم منذ ان خلقوا لم ينبسوا ببنت شفة ، بينما هم  
فى حجرة الوصيفات او فى حجرة المؤونة صنف آخر  
تماماً .

والتهم سوباكيفيتش حسنه من «التشى» وقال «ان  
حساء الكرنب اليوم فاخر يا عزيزتى» ووضع فى طبقه  
كمية كبيرة من «النيانيا» - ويتكون من معدة الماعز  
المحشوة بالثريد والمخ والتوابل ، واضاف قائلا «اى  
نيانيا هذه ! لن تستطيع الحصول على مثلها فى المدينة  
حيث لا يعلم ما يقدم للمرء إلا الشيطان !»  
فقال تشيتشيكوف «ومع ذلك فان مائدة حاكم الولاية  
لا بأس بها» .

فغمغم سوباكيفيتش قائلا «نعم . لكن هل تعلم مم  
يصنع طعامه ؟ انك لو علمت لما مسستته» .  
«لست بالطبع فى وضع يمكننى من ان اقول كيف  
يحضر ، ولكن شرائح الخنزير والسماك المسلوق على  
الاقل كانت عظيمة» .

«ايه ! لك ان تظن ذلك . إلا اننى اعرف الطريقة



التي تشتري بها هذه الاشياء من السوق . يشتريها  
وغد يسمى طباعاً علمه رجل فرنسي ان يسلم السور  
ويقدمه على انه ارنب» .

فتدخلت السيدة قائلة «أوف ! ما هذه الفطاعة التي  
تقول ؟»

«أجل يا عزيزتي ، هكذا تجري الامور ، وليس الخطا  
خطاي ان كانت كذلك . وزيادة على ذلك ، فكل ما  
ترميته خادمتنا اكلوكا ، كل ما تقذفه (وارجو العفو  
لذكر ذلك) في سطل الاوساخ ، يستعمله هؤلاء الناس  
في صنع الحساء» .

فاعترضت شريكة حياته قائلة «انك على المائدة دائماً  
تبدا بهذا الحديث» .

فقال سوباكيفيتش «بالطبع ، يا روجي ، فلو كنت  
انا الذي صنعت هذا . ولكنني اقول لك بصراحة - انني  
لن آكل هذه القذارة . فمهما وضعت من السكر على  
الضفدع فلن اقدر ان امر به على شفتي» . ولن التهم  
مجاراً لانني اعرف ما الذي يشبهه المحار . لكن . . .  
تناول بعض لحم الخروف ايها الصديق تشيتشيكوف .  
انها كتف الخروف ، وهي تختلف جداً عن اللحم الذي  
يطبخ في مطابخ النبلاء - لحم كان يتارجع في الاسواق  
اربعة ايام او يزيد . كل هذه الانواع من الطباخ هي  
من اختراع اطباء الفرنسيين والالمان . كم كنت اتمنى  
لو اشنقهم كلهم جزاء عملهم هذا . فهم لا ينفكون  
يصفون الاغذية والعلاج بالصيام كان ما يناسب  
اعضاءهم الالمانية المترهلة يناسب المعدة الروسية .

لا ، لا ، ان هذه الوسائل لا خير فيها . . .» وهنا مز  
راسه علامة الاستياء . «واشخاص على هذه الشاكلة  
يتكلمون عن المدنية والتقدم . كما لو كان امر كهذا من  
المدنية في شيء ! أوف ! وربما كانت صيحة التعجب  
الاخيرة التي لفظتها اقوى من ذلك لو لم اكن جالساً الى  
المائدة . اما من ناحيتي فلن اذوق شيئاً كهذا ابداً .  
فعندما اريد ان آكل لحم الخنزير في طعامي يجب ان  
يقدم لي الخنزير كله ، وان كان لحم خروف فالخروف  
كله ، او لحم الاوز فالطير كله . طبقان افضل من  
الف اذا استطاع المرء ان ياكل منهما قدر ما  
يشتهي» .

وراح يضع النظرية موضع التطبيق بان اخذ نصف  
كتف الخروف ووضع في طبقه وراح يلتهمه حتى آخر  
قطعة من الغضروف والعظم .  
اما تشيتشيكوف فاخذ ينظر اليه ويقول في نفسه  
«قسماً ان للرجل لطاقة جبارة !»

وقال سوباكيفيتش وهو يمسح يديه بالفوط  
«طبعاً ، انني لن ارضى ان تكون حياتي كحياة ذلك  
الشخص المدعو بلوشكين الذي يمتلك ثمانمائة نفس  
بينما ياكل اسوا مما ياكل الراعي عندي» .

فتساءل تشيتشيكوف «ومن بلوشكين هذا ؟»  
«انسان بخيل ، بخيل لدرجة لا تستطيع ان  
تصورها . حتى المساجين في غياهب السجون يحيون  
حياة افضل من حياته . انه يعيش هو وخدمته  
يتصورون جوعاً» .

فصاح تشيتشيكوف باهتمام كبير «حقيقة ؟ هل تعنى  
اذن ان الموت 'يفقده' الكثير من فلاحيه ؟»  
«بالتاكيد . فلا ينفكون يموتون كالدباب» .  
«وعلى اى بعد يقطن من هنا ؟»  
«حوالي خمسة فرسات» .

فقال تشيتشيكوف متعجباً وهو يحس قلبه يخفق  
فرحاً «خمسة فرسات فقط ؟ وهل على المرء عندما يترك  
باب بيتك ان يتجه الى اليمين او الى الشمال ؟»  
فقال سوباكيفيتش «اننى آسف اذ ادلك على بيت  
انسان خسيس كهذا الانسان . من الافضل جداً للمرء  
ان يذهب الى جهنم من ان يذهب الى بلوشكين» .  
فاجاب تشيتشيكوف «تماماً كذلك . انما السبب  
الوحيد الذى سالتك من اجله عنه هو اننى احب ان  
اتعرف على اى نوع وعلى كل نوع فى هذه النواحي» .  
وتبع كتف الخروف فطائر كل واحدة منها اكبر من  
طبق ، وديك رومى محشو ببيض وارز ومعاليق وحجمه  
حجم العجل الصغير . وكل هذا اتخم معدة تشيتشيكوف  
اشد الاتخام حتى لما قام بعد انتهاء الغداء شعر وكان  
فى بطنه اربعين رطلا من الطعام . وفى غرفة الاستقبال  
ينتظره صحن مربى صغير من الفواكه المجهولة فلا هى  
بالاجاص ولا بالخوخ ولا باى فاكهة اخرى وكلها لم  
يمسسها ضيف ولا رب البيت ، اما ربه فخرجت لتضع  
المربى فى صحنون صغيرة اخرى . واغتنم تشيتشيكوف  
فرصة غيابها فالتفت الى سوباكيفيتش (وكان هذا  
منبطحاً على كرسي ذى متكأ ، ولم يعد فى استطاعته

بعد غدائه الثقيل إلا ان يتجشأ ويزفر انفاسه ، وكان  
يرسم اشارة الصليب ويضع يده على فمه كلما فعل  
ذلك) واسرّ اليه رغبته فى التحدث معه حديثاً خاصاً  
قصيراً فى شأن من الشؤون . وفى تلك اللحظة عادت  
ربة البيت .

وقالت «اليكما بعض الحلويات الاخرى ، تفضلاً  
وتناولوا شيئاً من الفجل المنقوع بالعسل» .  
فاجاب سوباكيفيتش «فيما بعد ، فيما بعد . لو  
تذهبين الى غرفتك ، اذ اود انا وبافيل ايفانوفيتش ان  
نخلع معطفينا ونغفو قليلاً» .  
وابدت السيدة عندئذ استعدادها لارسال فراش  
ووسائد من الريش ، ولكن زوجها قال إنه يفضل  
النوم على كرسي ذى متكأ ، وبهذا غادرت الغرفة . وما  
كادت تفعل ذلك حتى احنى سوباكيفيتش راسه  
استعداداً للاستماع الى مهمة ضيفه .  
وابتدا بطلنا الحديث بأسلوب مفكك ، بادئاً اول  
الامر بالاشادة بالامبراطورية الروسية ومدى ضنামتها  
قائلاً بان الامبراطورية الرومانية القديمة كانت اقل منها  
اتساعاً . بينما كان سوباكيفيتش يجلس مطاطى  
الراس وكله آذان صاغية . وبعد ذلك تطرق  
تشيتشيكوف الى القول بان من قوانين الامبراطورية  
الروسية (التى لا فخر فيها لأحد) ان الفلاحين الذين  
فارقوا الحياة تبقى اسماءهم مسجلة حتى وقت الاحياء  
الجديد فى اللوائح الجديدة كما لو كانوا احياء ، وهذا  
يضمن اراحة المكاتب الحكومية من هذه التفاهات فهى



تعقد ميكانيكية الدولة التي فيها الكفاية من التعقيد .  
وقال تشيتشيكوف بأن هذا القانون مهما حاولنا أن نعزو  
العدالة له ، فانه مجحف بالملاكين فعلاً لأنه يضطرمهم  
الى دفع الضريبة عن الانفس التي لا وجود لها كما  
يدفعونها عن الانفس الحية الاخرى . وبناء على ذلك  
(وهذا هو بيت القصيد) ، فانه (اي تشيتشيكوف)  
نظراً للاحترام الشخصى الذى يكره لسوباكيفيتش على  
استعداد لأن يخفف عنه العبء المشار اليه . ومن  
الواجب علينا أن نذكر أن تشيتشيكوف فى حديثه هذا  
كان يتكلم بمنتهى اللباقة وفى غاية الحذر . فلم يكن  
يستعمل كلمة الانفس الميتة بل كان يقول الانفس التي  
لا وجود لها .

كان سوباكيفيتش اثناء ذلك حانى الراس الى الامام  
منصتاً كل الانصات ، إلا أن المرء لا يستطيع أن يلح  
فى وجهه أثراً لاستجابة او انفعال . كان جسمه  
الساكن يبدو خالياً من الروح ، او اذا كانت له روح  
فيبدو انه كان يحتفظ بها فى محل آخر لا حيث يجب أن  
تكون ، بل كانت مدفونة تحت الجبال او مغلقة فى  
بروج مشيدة لن تحدث حركتها فى الاعماق اى رجة على  
الاديم .

وقال تشيتشيكوف بصوت لا يخلو من رعشة التهيّب  
للإجابة المنتظرة «والآن ؟»

فقال سوباكيفيتش بكل بساطة ودون أن يبدو فى  
صوته اى اثر للدهشة ، وكأنه يتحدث حديثاً عادياً  
عن الحنطة ، «إذن أنت تجرى وراء الانفس الميتة ؟»

فاجاب تشيتشيكوف «نعم» ثم قال بصوت اكثر نعومة  
«الانفس التي لا وجود لها» .

فقال سوباكيفيتش «انها موجودة ، ولِمَ لا ؟»  
«إذن ستكون مسروراً طبعاً بالخلاص مما قد يكون  
لديك منها ؟»

«نعم ، فلا مانع لديّ أن ابيعها» . ورفع رأسه  
قليلاً ، اذ خطر بباله أن الشارى لا بد أن تكون له  
مصلحة من ورائها بكل تأكيد .

فقال تشيتشيكوف فى نفسه «يا للشيطان ! انه  
يبيعها كاية بضاعة عادية حتى قبل أن يكون لي مجال  
اتكلم فيه كلمة واحدة» واضاف بصوت عال «وكم  
سيكون الثمن ؟ فهذه الاشياء ليست مما يعتدّ بها» .  
فقال سوباكيفيتش «لن اطلب غالباً ، هل يناسبك  
مائة روبل للراس ؟»

«ماذا ؟ مائة روبل للراس ؟» وحملق تشيتشيكوف  
فى مضيفه فاتحاً فمه مستريباً فيما اذا كان صحيحاً ما  
سمع او ان لسان سوباكيفيتش البطيء الحركة قد  
استعاض سهواً كلمة باخرى .

ولكن سوباكيفيتش بادره بالقول «نعم ، هل هذا  
كثير ؟» ثم اضاف «ما هو سعرك ؟»

«سعري ؟ اظن اننا لا نتفاهم الآن ، اذ لا شك انك  
نسيت ماعية البضاعة . اننى ويدي على قلبي اقول بأن  
ثمانين كوبيكاً لكل نفس ستكون سعراً مناسباً ،  
جداً» .

«ماذا ؟ ثمانون كوبيكاً ؟»



فى رأى ان عرضاً اعلى من هذا سيكون مستحيلاً» .

«ولكننى لست بانع احذية» .

«لا ، ولكنك نفسك توافق على ان هذه الانفس ليست مخلوقات حية» .

«اظن انك تنتظر ان تجد مجنوناً مستعداً لبيعك انفساً مسجلة فى لوائح الاحياء ، كل نفس بشمانين كوبيكاً؟»  
«ارجو عفوك . ولكن لماذا تجعل من تسجيلها فى لوائح الاحياء ميزة ترفع من سعرها ؟ فالانفس نفسها قد صعدت الى بارئها ولم تخلف وراءها غير اسمائها فقط . ولكي لا اجعل للجدل المزعج مكاناً فانى ادفع روبلاً ونصف الروبل لا اكثر» .

«يجب ان تخجل من ذكر سعر كهذا . فما دمت تتعامل فى هذه البضائع اذكر لى سعراً معقولاً» .

«لا استطيع يا ميخائيل سيميونوفيتش . صدقنى اننى لا استطيع . وما لا استطيع المرء ان يفعله فليس هو بفاعله» . واستمر الحديث بينهما الى ان زاد تشيتشيكوف نصف روبل اخرى للراس .

وقال سوباكيفيتش «ولكن لماذا تحرص كل هذا الحرص على نقودك ؟ فلست اطلب فى الحقيقة منك شيئاً كثيراً . قد يندعك سافل غيري بأن يبيعك انفساً قديمة بالية بدل الطيب الاصيل منها ، بينما انا على استعداد لاعطائك احسن ما لدى . انظر مثلاً الى صانع العجلات ميخيف . لم يوجد مثله انسان فى تركيب لوالب العربات . ولم يكن عمل يديه كما هو الحال

عندكم فى موسكو - اى ما يصلح لساعة فقط ، لا فقد كان يعمل كل شىء بنفسه ، حتى الطلاء» .

وفتح تشيتشيكوف فمه ليذكر بأن ميخيف المذكور ، مع كل هذا ، قد فارق الحياة منذ امد طويل ، إلا ان طلاقة لسان سوباكيفيتش كانت شديدة فى اندفاعها بحيث لم تكن تسمح بالمقاطعة .

واستمر رب البيت يقول «وانظر ايضاً الى بروبكا ستيبان النجار . اننى اراهن براسى انك لن تجد عاملاً مثله اينما فتشت . اى رجل قوى كان ! لو دخل الجندية لا يعلم إلا الله ماذا كان مصيره فيها . كان طوله يزيد على ثلاثة ارشينات» .

وحاول تشيتشيكوف ان يذكره بأن بروبكا ميت ولكن لسان سوباكيفيتش كان مندفعاً فى تيار من الثروة لم تكن له من حيلة امامها الا ان يستمع .

«وميلوشكين البناء ! كان يستطيع ان يبنى موقداً فى اى بيت شئت ! وماكسيم تيلياتنيكوف الحذاء ! يصنع احذية ونعم الاحذية مع انه لا يذوق الخمرة خلافاً لعادة الحذائين . ثم اريمي سوركوبليخين ، ايضاً ! كان احسن المجموعة كلها ، وكان يشتغل فى موسكو بتجارته الخاصة حيث كان يدفع خمسمائة روبل ضريبة . اجل فهناك تشكيلة من العبيد لك ! تشكيلة تختلف اختلافاً كبيراً عما سيبيعه لك بلوشكين !»

وقد ذهل تشيتشيكوف لهذا الطوفان العارم من

• ارشين - ٧١ سنتماً تقريباً . الناشر .



الثرثرة التي بدت بلا نهاية ، فقاطعه بسرعة يقول «لكن  
إسمح لي ، إسمح لي أن اتساءل عما يحدوك الى تعداد  
هذه المواهب في جماعة موتى . وما داموا كلهم موتى  
فلا معنى لهذا التعداد . والمثل يقول - لا يصلح الجسد  
الميت إلا لدعم السياج» .

فاجاب سوباكيفيتش «بالطبع هم ميتون» . وكان  
هذه الفكرة لم تخطر بباله إلا تلك اللحظة ، ولكنها  
اذكت من تفكيره في ناحية أخرى فقال «لكن قل لى  
الآن فما هى الفائدة حتى الفلاحين الباقين احياء وكانهم  
ذباب لا بشر» .

فقال تشيتشيكوف «اجل ولكن هم احياء اما الانفس  
الميتة فانها خيال لا غير» .

«لكن لا ، لا يمكن ان تكون خيالا . فلن تجد حيثما  
ذهبت عاملاً قديراً مثل ميخيف . وكان عملاقاً وقوته  
قوة الحصان فى ساعديه . وأين وجدت خيالا مثله» .  
وبهذه الكلمات التفت سوباكيفيتش تعريزا لكلامه الى  
صورة باجراتيون وكولوكوترونى ، كما يحدث عادة بين  
فريقين فى حمية الجدال حين يلجأ أحدهما الى  
الاستشهاد بشخص غريب ليس مجهولا لديه وحسب ،  
بل لا علاقة له بموضوع الجدل اطلاقا . وتكون النتيجة  
ان يتردد الخصم فى ان يجيب او يخلي له المكان .

وقال تشيتشيكوف «ومع ذلك فلن أستطيع ان  
اعطيك اكثر من روبلين للرأس الواحد» .

«حسناً ، بما اننى لا اريد منك ان تقول عني اننى  
طلبت غالياً ، وبما اننى لا اود ان اقابلك فى منتصف

الطريق ، فما رايك - لأجل الصداقة - ان تدفع خمسة  
وسبعين روبلا ورقاً؟»

فقال تشيتشيكوف فى نفسه «يا للسموات ! هل  
يعتبرنى هذا الرجل غيباً؟» واضاف بصوت عال «ان  
الامر ليدو لى غريباً كما لو كنت تمثّل كوميدياً على  
مسرّح . وما من تفسير آخر لهذا . لكنك تبدو رجلاً  
عاقلاً وعلى قسط من الثقافة . فالامر بسيط جداً .  
والسؤال الآن هو - ما قيمة الانفس الميتة ؟ وهل فيها  
فائدة لأي انسان؟»

«فيها فائدة لك ، والا لما كنت تشتريها .  
فعض تشيتشيكوف على شفثيه واسقط فى يده ان  
يجيب . وجرب ان يقول شيئاً عن العائلة والامور  
البيتية التى دعتة الى شراء الانفس الميتة ، ولكن  
سوباكيفيتش قاطعه قائلاً «لا رغبة لى فى معرفة  
شؤونك الخاصة ، ولا احب ان احشر نفسي فى هذه  
الامور . كل ما اعرفه هو انك بحاجة الى الانفس الميتة  
وانا على استعداد لبيعها . واطن انك ستندم إن لم  
تشتريها» .

فاعاد تشيتشيكوف قوله «سعري روبلان» .  
«مه ! مه ! لقد ذكرت هذا السعر من قبل ، وهما  
انت تعود الى ذكره من جديد . هيا قل سعراً لا غبن  
فيه» .

وقال تشيتشيكوف لنفسه «ليأخذه الشيطان ! على  
اية حال ، ساريزده نصف روبل» . وفعل .  
فقال سوباكيفيتش «حقيقة ؟ حسناً ، كلمتي الأخيرة

هي خمسون روبلا ورقاً . وهذا يعني مجرد خسارة لي ،  
لأنك لا تستطيع ان تحصل في العالم كله على انفس  
احسن مما لديّ» .

وقال تشيتشيكوف لنفسه «يا للعجز الجشع !» ثم  
اضاف بصوت منفعل «اصنع اليّ» ، فكان الامر مهم  
بالفعل . ان اي انسان غيرك سيكون شاكراً للتخلص  
من هذه الانفس . ولن يتمسك بها ، ويدفع الضرائب  
عنها غير غبي» .

«نعم ، لكن عليك ان تذكر (واقول هذا بمحض  
الصداقة) ان صفقات من هذا القبيل ممنوعة في العادة  
وان الناس سيقولون عمّن يتعاطى هذه الامور ان له  
قصداً يدعو الى الارتياح» .

فقال تشيتشيكوف لنفسه «الوغد يريد تخويفي» ثم  
اضاف بعدم اكتراث بالغ «انا لا اشتريها لأربح منها  
كما تحسب انت ، بل ارضاء لأفكار تعنّ عليّ . روبلان  
ونصف هو اكثر ما يستطيع ان ادفعه» .

وفكر سوباكيفيتش : «انه لا يغير رايه !» وقال :  
«اعطني على الاقل ثلاثين روبلا ورقاً ، وخذ الجميع» .  
«لا ، أرى أنك لا تنوى البيع ، وعليّ ان اقربك  
السلام» .

فقال سوباكيفيتش متلهفاً «انتظر لحظة ! انتظر  
لحظة !» وتشبث بيد ضيفه ، وداس في الوقت نفسه  
على قدمه بشدة جعلت تشيتشيكوف يشهق ويرقص من  
الآلم .

فقال سوباكيفيتش بسرعة «أرجو عفوك ، من الجلي

انني آلمتك ، فارجو ان تجلس مرة أخرى» . وفي هذه  
اللحظة اجلسه على كرسي بحداقة الدب الذي تدرب  
على مختلف الالعاب في السيرك .

«لا ، فاني اضيع وقتي لا غير . يجب ان اذهب» .  
«اوه ! اجلس لحظة أخرى فقط . لديّ قول يسرك» .  
واقترب من ضيفه وهمس في أذنه كما لو كان يروح  
له بسرّ وقال «ما رايتك في خمسة وعشرين روبلا ؟»  
فقال تشيتشيكوف متعجباً «لا ، لا ، لا ! لن اعطيك  
حتى ربع هذا المبلغ ! لن ازيد كوبيكاً واحداً» .

وظلّ سوباكيفيتش صامتاً برهة من الزمن ،  
وتشيتشيكوف ايضاً . ودامت هذه الحال مدة دقيقتين  
كان فيهما انف باجراتيون الاقنى مطلقاً من على الحائط  
كما لو كان يتتبّع المساومة .

وقال سوباكيفيتش فجأة «ما هو آخر سعر لديك ؟»  
«روبلان ونصف» .

«يظهر أنك تقدر النفس البشرية بسعر قطعة اللفت  
المغلّية . اعطني على الاقل ثلاث روبلات» .

«لا ، لا أستطيع» .

«أرجو عفوك . يظهر أنك رجل صعب المعاملة جداً .  
مهما يكن من امر ، ومع ان هذا يعني خسارة فادحة لي  
ومع أنك لم تظهر روحاً طيبة في هذا الشأن ، الا انني  
لا أستطيع الا ان ارضى صديقي . فمن الافضل ان  
نتخذ اجراءات البيع لكي نضع الامور في نصابها» .  
«طبعاً» .

«اذن يجب علينا لهذا الغرض ان نذهب الى المدينة» .



وانتهى امرهما الى الاتفاق على الذهاب الى المدينة في اليوم التالي لتدبير صفقة البيع . وبالتالي طلب تشيتشيكوف قائمة بالفلاحين ، فوافق سوباكيفيتش عليها فوراً . وذهب في الحقيقة الى مكتبه حيث بدأ يسجل قائمة لا بأسماء الفلاحين وحسب ، بل بمؤهلاتهم أيضاً .

ولما لم يكن لدى تشيتشيكوف ما يعمل فوقف ينظر في تلك الاثناء الى هيكل مضيفه الضخم . ولما حلق في ظهره العريض كظهر الحصان وفي ساقيه الضخمتين كالاعمدة الحديدية التي تقوم على جوانب الطرقات ، لم يتمالك ان هتف في نفسه ، «حقاً لقد جباك الله بالكثير ! مع انه حرملك اللطافة الا انه في اقوى صورة ما شاء ركبك ! واني لأعجب منك إن كنت قد ولدت دعباً بالوراثة او اكتسبت ذلك من خلال حياتك البالية بما فيها من فلاحه الحبوب والمتاجرة مع الفلاحين ! لكن ، لا اعتقد انك حتى ولو كانت لديك الثقافة المناسبة وكنت مندمجاً في المجتمع عشت في بطرسبورج لبقيت ذلك الكولاك • الذي هو انت . والفرق الظاهر في الحالين هو انك تستطيع هنا ان تزين مائدتك بكتف خروف ، اما في بطرسبورج فكنت ستاكل الكفتة بالصلصة . والفرق في الحالين أيضاً ان لك هنا عدداً من الفلاحين تحت إمرتك تعاملهم معاملة

• الفلاح الغنى . المترجم .

حسنة لأنهم ملكك وطوع بنانك ، اما في الحالة الاخرى فسيكون تحت إمرتك صغار الموظفين الذين كنت ستستبد بهم لأنهم ليسوا ملكك . وكنت ستتهب خزينة الدولة ايضاً ، لأن الكولاك دائماً نهاب للنقود . واذا علمت الكولاك شيئاً فسيزداد الأمر سوءاً . واذا حاولت ان تزيده شيئاً من العلم او ترفع مقامه رايته يضطهد المتبحرين بالعلوم حقاً ، ويصدر امراً يجعل اوضاعهم اسوأ . تلك هي طبيعة الكولاك !

وقال سوباكيفيتش ملتفتاً «القائمة جاهزة» .

«حقاً ؟ دعنى ارها من فضلك» . والقسى تشيتشيكوف نظرة على الوثيقة ولم يتمالك الا ان يندهش من ترتيبها ودقتها . فقد سجل فيها ، بالاضافة الى اسم الفلاح ، عمره ومهنته ونسبه وملاحظات على هامش الصفحة بشأن سلوكه واخلاقه . لقد كان النظر اليها متعة تسر النفس .

قال سوباكيفيتش «هل تسمح الآن وتعطينى عربوناً مقدماً ؟»

«نعم . ولكن لماذا تريد ذلك ؟ باستطاعتك تسليم المبلغ دفعة واحدة حالما نصل الى المدينة» .

«ولكنها العادة دائماً ، كما تعرف» .

«لن استطيع اتباعها الآن لانني لا احمل نقوداً . على اية حال اليك عشرة روبلات» .

«عشرة روبلات فقط ؟ كان عليك على الاقل ان تعطينى خمسين» .

وبدا تشيتشيكوف مرة اخرى ينكر انه يحمل

نقوداً ، ولكن سوباكيفيتش الح عليه بشدة وأكد له ان الامر غير ذلك (اى انه يكذب في انكاره النقود) حتى سحب الضيف خمسة عشر روبلا اخرى واضافها للعشرة الاولى .

وقال «ارجو ان تعطيني وصلا بالنقود» .

«وصلا ؟ ولیم اعطيك وصلا ؟»

«ذلك افضل حتى نتحاشى الالخطا» .

«حسن جداً ، لكن سلمنى النقود اولاً» .

«النقود ؟ ما هي معي . اكتب الوصل فتصير النقود لك» .

«ارجو عفوك ، ولكن كيف اكتب الوصل قبل ان اراها ؟»

فوضع تشيتشيكوف الاوراق المالية في يد سوباكيفيتش ، حينئذ اقترب المضيف من المكتبة واضاف الى قائمة الاقنان حاشية يقول فيها انه تسلم لقاء الفلاحين المذكورين في القائمة مبلغ خمسة وعشرين روبلا كمقدمة . وما كتب ذلك حتى اخذ يعد النقود مرة اخرى .

وامسك ورقة منها في الضوء وقال «هذه ورقة قديمة جداً ، وهي ممزقة ايضاً . على كل حال ، في الصفقات بين الاصدقاء لا يجوز التشدد كثيراً» .

ففكر تشيتشيكوف في محادثه وقال لنفسه «اى كولاك هذا ؟ واى مخلوق وحشى هو ؟»

وتسأل سوباكيفيتش «الا تريد انفساً من النساء ؟» «اشكرك ، لا» .

«اقدر ان اعطيك بعضها بسعر رخيص - ولنقل بيننا كاصدقاء - روبلا للراس ؟»

«لا ، لا حاجة لي بها» .

«اذا كان كذلك فليس لدى ما اقوله . لكل انسان ذوقه الخاص . والمثل يقول «واحد يحب الكاهن وآخر يحب زوجة الكاهن» .

ونهض تشيتشيكوف مستأذناً بالذهاب وقال «اطلب اليك مرة اخرى ان يظل الامر بيننا» .

«طبعاً ، طبعاً . فما يجرى بين الاصدقاء يظل كما يجب ، ما دامت الصداقة متبادلة . مع السلامة . اشكر لك زيارتك وارجو ان تحضر الى الغداء معنا كلما كان لديك متسع من الوقت . فقد نستطيع ان نقدم لسك خدمة اخرى» .

وما إن ركب تشيتشيكوف العربا حتى اخذ يناجى نفسه قائلاً «ما كنت قد جئت لو عرفت انما كنت قد جئت لو عرفت ان هذا الكولاك الوحش سيمتصر منى روبلين ونصف الروبل على النفس الواحدة !»

لقد شعر بعدم الارتياح والامتعاض من سلوك سوباكيفيتش . فمع ان الرجل صديق وقد التقيا عند حاكم الولاية وعند رئيس الشرطة الا انه سلك سلوك الغريب ، فاخذ النقود مقابل تفاهات لا قيمة لها .

واذ كانت العربا تترك الحظيرة تلفت تشيتشيكوف وراءه فلمح سوباكيفيتش لا يزال واقفاً في الشرفة . من الجلي انه وقف يراقب الطريق التى ستسلكها عربا الضيف .



وتتم تشيتشيكوف بين أسنانه «يا للوغد العجوز ا  
لا يزال واقفاً يراقب». ثم امر سيليفان ان يسير  
بالعربة بحيث تختفي عن رؤية صاحب البيت . وحقيقة  
الامر انه كان يهدف الى زيارة بلوشكين (الذي كانت  
اقتنائه على حدّ تعبير سوباكيفيتش تموت عادة  
كالذباب) ولم يكن يريد من مضيفه ان يعرف مرماه .  
وبناء على ذلك ، لم يكد يصل الى طرف القرية  
الاقصى حتى حيا اول فلاح قابله ، وكان يحمل على  
كتفيه جذع شجرة ضخماً ليسير به الى كوخه كما  
تسير النملة بحملها الى عش النمل ، وقال له :  
«ايه ا كيف يمكنني ان اصل الى بيت الملاك  
بلوشكين دون ان امر من امام المنزل الذي هناك ؟»  
فوقف الفلاح مرتبكاً امام السؤال .

وتساءل تشيتشيكوف «الا تعرف ؟»

فاجاب الفلاح «لا ايها السيد» .

«ماذا ؟ الا تعرف بلوشكين البخيل الذي يجيـح

اقتنائه ؟»

فقال الرجل «طبعاً أعرفه» . واضاف الى تعبيره هذا  
تعبيراً بديهاً لا يستعمل عادة في مجتمع مهذب . ولنا  
ان نقدّر ان التعبير كان ظريفاً لان تشيتشيكوف ظل  
يضحك في العربة حتى بعد ان اختفى الرجل عن نظاره  
بوقت طويل . ولغة الشعب الروسي في الواقع دائماً  
عنيفة في تعابيرها . فاذا ما خلع لقب على انسان ، فانه  
سيظل ملتصقاً به طوال حياته وينتقل الى خلفه ، وسيظل  
يجرجه في الخدمة ، وعند التقاعد ، وفي بطرسبورج ،

وفي آخر العالم . ومهما سيحاول فيما بعد التحايل  
واضفاء النبل على لقبه ، وحتى لو جعل الكتبة يرجعونه  
لقاء اجر معلوم ، الى سلالة اميرية قديمة ، فلن ينفعه  
شيء . فان هذا اللقب سينعق بكل عقيرته كاشفاً  
عن نفسه ، ويوضح بجلاء من اين طار الطير . فان  
الكلمة المنطوقة النابتة في موقعها كالكلمة المكتوبة لا  
يمكن ان تبتز بفاس . وما ارسخ كل ما يخرج من اعماق  
روسيا ، حيث لا يوجد المان ولا فنلنديون ، ولا اي  
قبيلة اجنبية اخرى ، بل كل شيء اصيل ، حي ، وعقل  
روسي ثاقب ، حيث لا تعوزه حكمة ، ولا يقعد عليها ،  
كما تقعد الدجاجات على بيضها ، بل ينحتها رأساً لتصير  
كالهوية طوال العمر ، وما من حاجة بعد ذلك الى ان  
يصف اي اتف لك او شفتين فبضربة واحدة رسمك  
من رأسك الى قدميك .

ومثلما يوجد عدد لا يحصى من الكنائس والاديرة  
بقبايا ورؤوسها وصلبانها متناثرة في انحاء روسيا  
المقدسة التقية يوجد ايضاً عدد لا يحصى من القبائل  
والاجيال والشعوب تتزاحم زاهية الالوان وتنطلق على  
وجه البسيطة . وكل شعب ينطوي على ضمان القوة ،  
ويعمل بقدرات الروح الخلاقة ، وخاصيته اللامعة  
وهبات الرب الاخرى ، يتميز عن كل شعب آخر في  
طريقته الخاصة بكلمته التي تعكس ، لدى تعبيره عن  
اي موضوع ، جزءاً من خلقه . إن كلمة يقولها بريطاني  
تفصح عن بصيرة قلب ومعرفة حكيمة في الحياة .  
وعبارة الفرنسي القصيرة الاجل تلمع مثل غندور خفيف



الدم ، تختضى . والالمانى يبتكر بعذاقة الكلمة الهزيلة  
بذكاها وغير مفهومة لكل انسان ايضاً . ولكن ما من  
كلمة طاغية ذرّبة ، نابضة من القلب ، جياشة زاخرة  
بالحياة تضاهي الكلمة التي ينطقها روسي .

## الفصل السادس

في زمن بعيد ، في سني صباي ، في سني طفولتي  
التي مرت خطفاً بلا عودة ، كنت اشعر بالفرح حين  
اقبل على مكان غريب لا اعرفه من قبل ، سواء اكان  
ذلك قرية صغيرة ، او بلدة بانسة هي مركز قضاء ،  
او دسكرة او حاضرة . فقد كان بصري الطفولي  
الفضولي يكتشف فيها الكثير من الاشياء الممتعة . فان  
كل مبنى ، كل شيء يحمل خاصية تلفت النظر ، كل  
شيء كان يجعلني اتوقف وانهر . وسواء اكان ذلك  
مبنى حكومياً حجرياً ، ذا معمار معروف ، ونصف واجهته  
مغطاة بنوافذ زائفة ، يقف بمفرده وسط بيوت صغيرة  
ذات طابق واحد من الروافد الخشبية غير المسحوجة ،  
او قبة مدوّرة منسّقة ، مصفحة كلها بصفائح حديدية  
بيضاء ، سامقة فوق كنيسة جديدة ناصعة البياض  
كالثلج ، او سوقاً ريفية ، او غندوراً ريفياً كان  
يتمشى وسط البلدة ، وما من شيء كان يفلت من  
انتباهي المرهف الغض ، فقد كنت اخرج انفي من  
عربتي السائرة ، واتطلع الى فتحة سترة لم تقم  
عليها عيني من قبل ، والى الصناديق الخشبية التي

تحتوي على المسامير او الكبريت الاصفر الذي كنت  
المعه من بعيد ، والزبيب والصابون ، وكل ذلك كنت  
المعه خطفاً من باب حانوت خضروات مع علب الملبّسات  
الموسكوفية الناشفة ، واتطلع الى ضابط مشاة يسير  
في ناحية ، والله وحده يعرف من اية ولاية جاء الى  
هذه البلدة الريفية المضجرة ، والى تاجر لاح بمعطفه  
السيبيري في عربة صغيرة ، فتحملني افكاري وراهم  
الى حياتهم البانسة . وما إن يمر بي موظف من موظفي  
الاقاليم حتى آخذ افكر الى اين ذاهب الآن ، لقضاء  
امسية مع رجال من صنفه ، او إلى بيته ليجلس عند  
مدخل البيت نصف ساعة ، حتى يشتد ظلام المساء ،  
ويقعد ليتناول عشاء مبكراً مع امه وزوجته واخت  
زوجته وكل العائلة ، وعم سيجري الحديث بينهم ،  
عندما تجلب الخادمة بقلادتها من قطع النقود المعدنية او  
الخادم بسترته السميكة شمعة على شمعدان قديم ، بعد  
الحساء . وحين كنت اقترب من قرية احد ملاكي الاراضي  
كنت انظر بحب استطلاع إلى برج الناقوس الخشبي  
العالي النحيل ، او الى الكنيسة الخشبية القديمة  
العريضة المظلمة . من بعيد كان يلوح لي في اغراء ومن  
خلال خضرة الاشجار بيت الضيعة بسقفه الأحمر ومداخنه  
البيضاء ، فكنت انتظر بنفاد صبر حدائقه تنداح  
متراجعة على كلا الجانبين . وينهض البيت بكل مظهره  
الذي لم يكن رغم تصوري مبتذلاً ابداً ، واحاول ان  
احس منه اي مالك ارض هو مالكة ، وهل هو سمين ،  
وهل له اولاد ، ام بنات ست لهن ضحك صبوي رنان ،



لحديقة خضروات او حقل كرنب محاط بسيياج واطلي محطم في بعض الاماكن . وتلك القلعة الغربية ، الطويلة طولاً هائلاً كانت تبدو مثل مريض مقعد ، وكانت من طابق واحد في بعض الاماكن ، ومن طابقين في اماكن اخرى . وعلى سطحها القاتم الذي تغلّي القدم عن حمايته في بعض المواضع برز مبنيان أحدهما يقابل الآخر ، وكلاهما متداع ايضاً ، انسلخ عنه الطلاء الذي كان يغطيه . وكانت جدران البيت قد سقط عنها الملاط في بعض الاماكن ، ولاحت التشبيكة التي اضرها كما يبدو ، مختلف أنواع سوء الطقس ، والامطار ، والعواصف والانقلابات الخريفية . وكان ثمة نافذتان مفتوحتان ، من بين كل النوافذ التي احكمت عليها صفقاتها بـلّ وسمرت بالالواح . وحتى هاتان النافذتان كانتا ، من ناحيتهما ، نصف مغلقتين الصق على احدهما مثلث من ورق السكر الازرق .

كان البستان القديم الواسع يمتد خلف البيت ، الى ما وراء القرية ، حتى يتصل في الحقل بعد ذلك ، وقد نما فيه العشب ، وظهر عليه الاهمال ، يضيف لوحده نضارة على هذه القرية الواسعة ، وكان وحده الشيء البهيح حقاً في رحابته الجميلة . وكانت ذرى الاشجار المتشابكة الممتدة في حرية تبدو مثل غيوم خضر وقياب شعث مهتزة الاوراق على خلفية السماء . وقد برز من هذه الخضرة الكثيفة جذع شجرة بتولا ضخّم أبيض ، بلا قمة ، وقد حطّمته عاصفة او زوبعة ووقف في الهواء مثل عمود مرمرى مدور متناسق لمّاع . وكان رأسه

المائل المنتهي به بمثابة تاج يلوح اسود ازاء بياضه الناصع ، وكأنه قبعة او طائر اسود . والحشائش التي كانت تغطي على اجسام البلسان ورماد الجبل وشجر البندق في الاسفل ، ترتقي بعد ذلك على قمة سيياج الاوتاد وتتسلق اخيراً الى الأعلى ، وتلتف حتى منتصف شجرة البتولا المقطوعة الرأس . وبعد ذلك تتدلى من هناك الى الاسفل ، وتأخذ بالتشبث بقمم اشجار اخرى او تتدلى في الهواء ، وتلتف لولبياتها الرقيقة المتشعبة لتصير حلقات يورججها الهواء قليلاً . وكانت الكثافة الخضراء المضاءة بالشمس تنفجر هنا وهناك ، ويظهر التجويف بينهما عميقاً مثل شلق قائم . والظل يسربله كله ، لا يكاد يلوح في قعره الداكن درب ضيق يختفي في مكان ما ، واسيجة محطمة ، وتعريشة صيف متداعية ، وجذع صفصافة متفسخة واجمة هرمة تخرج كشاء من وراء الصفصافة عساليجها اللدنة الكثيفة اوراقها ، وتتشربك وتلتف ، وتذبل بسبب حياتها الحمقاء الفظيعة في هذا المكان ، واخيراً غصن غصن لشجرة قيقب تمد من جانب اوراقها الخضراء ولا احد يعرف كيف تسرب ضوء الشمس تحت واحدة منها وحوّلها الى شفافة وهاجة تتألق بأعجوبة في ذلك الظلام الكثيف . وفي ناحية ، في احد طرفي البستان ، كانت بعض اشجار الحور العالية بشكل لا يناسب ارتفاع الاشجار الاخرى تحمل على ذراها المتمايلة او كاد غربان ضخمة . وكانت لاشجار اخرى اغصان مكسورة لم تنفصل بعد فكانت تتدلى الى الاسفل



مع أوراقها اليابسة . وباختصار كان كل شيء بديعاً لا تستطيع الطبيعة أن تبتدعه ولا الفن ، ولا يمكن أن يكون إلا حين يتحدان سوية ، حين تمرر الطبيعة إزميلها في لمسة نهائية على عمل الانسان المتراكم في غير نفع غالباً . وتخفف الكتل الضخمة ، وتقضي على التماثل المحسوس بشكل فظ ، والثغرات البائسة التي يلوح من خلالها المخطط عارياً لا يخفى ، وتمنح الدفء الرائع لكل ما خلق في النقاء الموزون والدقة .

بعد أن انعطفت العربة مرة أو مرتين وجد بطلنا نفسه امام البيت الذي بدا الآن اشد بؤساً . كان الطحلب الاخضر يغطي خشب الحظيرة والرتاج البالي . وكان على جنبات الحظيرة عدد من المباني المهجورة الخربة التي كانت على الأرجح في يوم من الايام مساكن للخدم والمخازن . كانت المظاهر تدل على أن حياة فخمة كانت تحفل في هذا المنزل في سالف الازمان ، اما في الآونة الحاضرة فكانت تبدو عليه مظاهر البؤس والتعاسة . لم يكن ثمة شيء يبهج النظر ، فلا ابواب مفتوحة ولا خدم يطلعون من مكان ما ، ولا امارات تدل على مشاغل البيت . كان الرتاج مفتوحاً لأن عربة محملة كانت تخرج منه . وراى تشيتشيكوف فجأة شخصاً غريباً كان على ما يبدو يتشاجر مع سائق العربة . ولم يستطع لفترة غير قصيرة ان يعرف هل ان الشخص رجل أم امرأة . كان يرتدى ملابس لا يستطيع المرء ان يعرف منها جنس هذا الشخص . الصوت وحده بدا له قوياً قليلاً بالنسبة لصوت امرأة . «آه ! إنها

امراة» - فكر مع نفسه ، واضاف راساً «لا ، لا يمكن !» واخيراً قال وقد تمنع أكثر «صوت امرأة بالطبع» . كما انها من جانبها امعنت النظر فيه . وبدا وكان الضيف ، بالنسبة لها ، ظاهرة عجيبة ، لأنها لم تجيل البصر فيه وحده ، بل في سيليفان ، وفي الخيول من الذيل حتى البوز . ومن المفاتيح التي كانت وراء حزامها ، وشمها الفلاح بكلمات مقدعة بما فيه الكفاية رجح تشيتشيكوف ان تكون خازنة المنزل . فتقدم اليها يسألها عن رب البيت .

ولكن قبل ان يتم تشيتشيكوف سؤاله اجابته قائلة «غير موجود» . واخذت تنظر اليه بحذر شديد ، ثم اكملت كلامها تقول «وماذا تريد منه ؟» «بعض الاعمال» .

«اذن اتبعنى» .

وادارت المرأة ظهرها فبدا معطفها البالي مشقوقاً من اسفله ملطخاً بالطحين من اسفله واعلاه . فتبعها الى قاعة كبيرة مظلمة باردة كالقبر ومنها الى غرفة مماثلة في الاظلام لا ينيّرهما الا ما يتسرب من اشعة الضوء من تحت الباب . ولما فتح الباب ودخل المزيد من الضوء ذهل تشيتشيكوف من الفوضى التي كانت تسود الغرفة . كان يبدو ان ارض الغرفة كانت تفصل ، وان الغرفة نفسها كانت مستودعاً لكل ما يمكن ان يخطر ببال مخلوق . فعلى منضدة وضعت بقايا كرسي مكسور وساعة لا بندول لها ، وكل ذلك مغطى بنسيج العنكبوت . وبالقرب من الحائط كان خوان مليء



بالاواني الفضية القديمة والزجاجية والصيني . وكان هناك منضدة للكتابة مرصعة بالصدف انتزع معظمه وترك موضعه فتحات صفراء قاتمة محشوة بالطين . وفوق المنضدة كانت رزمة من اوراق الكتابة ، وحاملة ختم من الرخام الذي استحال لونه الى الخضرة ، وكتاب بغلاف من جلد احمر الاطراف ، وحنة من الليمون جفت وانكششت قشرتها واصبحت بحجم حبة اللوزة ورجل كرسي مكسورة ، وقدر فيه حثالة من سائل وذبابات ثلاث (والكل مغطى بقطعة من الورق) ، وكومة من خرق بالية وقطعة من شمع الخطم وريشتان جافتان ملطختان بالحبر ومسواك للاسنان وصفاره يدل على ان صاحبه قد استعمله على الاقل قبل مجيء نابليون الى موسكو .

اما الجدران فقد علق عليها خليط من الصور . كان من بينها صورة طويلة مخفورة على الخشب ظهر فيها جنود بقبعات مثلثة الزوايا وهم يصيحون وطبول ضخمة وخيول غارقة وكانت الصورة عديمة الزجاج موضوعة في اطار برونزي على زوايا حلقا برونزية . وقد علقت بجانبها صورة زيتية كئيبة بدت فيها بعض الزهور والفواكه ونصف بطيخة ورأس خنزير والبطة الميتة المتدلية . وقد تدلت من السقف ثريا بغطاء هرمي علاه الغبار حتى تكاد تحسب الثريا دودة الحرير تخرج من شرنقتها . واخيراً ، في زاوية من زوايا الغرفة كانت كومة كبيرة من الادوات يبدو وكان لم يكن لها موضع على المنضدة . اما محتويات هذه الكومة فيصعب

التكهن به ، لان اى يد تمتد اليها ستخرج وكأنها لابسة قفازاً لما على الكومة من غبار . ولكن برز من الكومة شيان برونزا جليا ، احدهما عصا مجرفة والآخر اخمص حذاء اترى . ولم يكن يمر ببال انسان ان هذه الغرفة يدخلها احد لو لا قبة بيتية كانت موضوعة على طرف المنضدة . وبينما كان تشيتشيكوف يجيل البصر في هذه الفوضى الغريبة ، فتتح باب جانبي ودخلت منه الخازنة التي قادته اول الامر الى هذه الغرفة . ولكن تشيتشيكوف راي الآن ان هذه السيدة كانت رجلا لا امرأة ، فليس للنساء لحي ، ولكن الشعر قد نبت على خدي هذه وذقنها بشكل اصبحت فيه كالمحسة التي تستعمل في تنظيف الخيول . فوقف تشيتشيكوف وقفة المتسائل ينتظر ما يمكن ان يقوله الشخص الواقف امامه . ولكن الخازن فعل الشيء نفسه . ولما اندهش تشيتشيكوف من سوء التفاهم تسأل بعد لاي يقول .

«هل رب البيت موجود ؟»

«نعم» .

«اين هو اذن ؟»

«هل انت اعمى يا سيدى ؟ انا رب البيت» .

عندئذ لم يتمالك تشيتشيكوف الا ان يتراجع الى الورا واخذ يحدق فيه . كان بطلنا رحالة واخا سفر وقد راي اصنافا عديدة متنوعة من الرجال لم تتح رؤيتها لا للكاتب ولا للقارى ، ولكن البطل لم تقح عيناه على هذا النوع الغريب الجديد من قبل . لم تكن



في وجه الرجل المعجوز اية علامة مميزة . كان يعلموه الذبول كوجه اى عجوز متهرى . كانت ذقنه بارزة جدا الى الامام فكان مضطرا اذا ما تكلم ان يمسحها بمنديل مخافة ان يسيل لعابه عليها ، وعيناه الصغيرتيان اللتان لم يتطرق اليهما الغباء بعد ، كانتا تبرقان تحت حاجبيه البارزين بريق عيون الفيران عندما تطل براسها من الجحر ياذهنين منتصبتيْن وشاربين حساسين لترى فيما اذا كان هناك قط او صبي يعبت في الجوار ويتشمان الهواء بارتياح . لا ، ان مظهره المميز كان في ملابسه فقط . فلم تكن هناك من وسيلة لمعرفة نوع القماش الذى صنع منه معطفه لان اطراف المعطف واكمامه كانت متمزقة متسخة على صورة تتحدى كل وصف ، وبدلا من ان يكون في خلفه شق واحد يقسم ظهره الى قسمين ، كان هناك شقان اضافيان يقسمان مؤخرته الى اربعة اقسام تتدلى من تحتها قصاصة جريدة ممزقة . وحول عنقه يلتف شيء قد يكون جوربا او لفافة ساق او لفافة يطن ولكنه ليس ربطه عنق بكل تأكيد . وخلاصة القول ، ان تشيتشيكوف لو رآه امام باب الكنيسة لم يتردد في الاحسان عليه بكوبيك (فلكى ننصف بطلنا يجب ان نقول انه كان ذا قلب رحيم ولم يكن يتوانى في اعطاء الصدقات للمساكين) ، لكنه فسي حالتنا هذه لم يكن امام سائل شحاذ ؛ بل كان امام ملاك - ملاك يملك الف نفس بالتمام والكمال يفوق كل جيرانه الملاكين الآخرين بما لديه من حنطة وطحين وما

نضمه جدران المستودعات من اقمشة كتانية مغزولة وجلود الماعز التى دبغت ولم تلبس والاسماك المجففة وكل نتاج يستطيع ان يدركه العقل . فلو القى شخص نظرة إلى فنائه الشفيل ، حيث اعدت للاحتياط مختلف المصنوعات الخشبية وآنية لم تستخدم قط لتوهم انه في سوق الخردوات في موسكو ، حيث كل يوم الحموات والكنات العاذقات تتبعهن طبائحاتهن لشراء ما يحتجن اليه من الادوات المنزلية ، وحيث تتكس اكوام من مختلف الاخشاب المسحوجة والمسمرة والمقرة كالبراميل والاجانات والطناجر الخشبية باغطيتها ، والجفان الخشبية ، والاواني الخشبية ، والسلال من الخوص ، والسلال الخشبية التي توضع فيها الاشياء المملحة وكل ما تستخدمه روسيا الفنية والفقيرة . فما الذي احوج بلوشكين الى كل هذه الكمية الهائلة من المصنوعات ؟ لا اظنه سيحتاج الى استعمالها حتى لو كانت له ضيعتان من مثل ضيعته . ولكن حتى هذا بدا قليلا عليه . فكان يجوب شوارع قريته كل يوم في غير رضى يبصص تحت الجسور وتحت الواح الارصفة ، وياخذ كل ما يصادفه ، سواء اكان ذلك نعالا قديما ، او خرقة من سمل امرأة ، ومسمارا حديديا ، او قحف آنية خزفية ، ويحمل كل ذلك إلى بيته ليضمه الى الكومة التي لاحظها تشيتشيكوف في ركن في غرفته . وكان الفلاحون يقولون حين يرونه خارجا للقنص «ها هو الصياد قد خرج ثانية للاصطياد» . وبالفعل لم تكن هناك حاجة لكنس الشارع بعد خروجه .



فاذا ما صادف ان اضاع ضابط عابر سبيل مهمازه ، فان هذا المهماز سيجد طريقه في الحال الى تلك الكومة اياها . واذا ما نسيت امرأة جردلها وهي تهوم عند البئر ، فإنه سيستل الجردل منها . وعلى العموم ، إذا ظفر به فلاح ، متلبساً بذلك ، فان بلوشكين لن يحتاجه ، ويتغلى له عن الشيء الذي استولى عليه ، ولكن حين ينضم هذا الشيء الى تلك الكومة في حجرته فإن مسأله قد انتهت . فان بلوشكين سيقسم بان هذا الشيء ملكه ، اشتراه في التاريخ الفلاني ، من الشخص الفلاني ، او تركه له جده . وفي حجرته كان يرفع من الارض كل ما يجده هناك ، قطعة شمع ، قصاصة ورق ، ريشة ، ويضعها كلها على مكتبه ، او على افريز النافذة .

ذلك لان حيناً من الزمن مرّ كان فيه بلوشكين مديراً حريصاً على أمور ضيعته ! كان متزوجاً وصاحب عائلة ، يقصده أحد جيرانه ليتناول الغداء معه ، ويستمع اليه ، ويتعلم منه إدارة الأمور ، والاقتصاد الحكيم . وكان كل شيء يسير نشيطاً ، ويتم بطريقة موزونة . كانت طواحينه في حركة ، وكانت معامل الاجواخ ، والنجارة ، والفزل ، تعمل . وكانت عيّن صاحب العمل الثاقبة في كل مكان تراقب كل شيء . مثل عنكبوت مجتهد كان يجري مشغولاً ولكن بكفاءة في ارجاء شبكته العاملة . وكانت المشاعر القوية جداً لا تنعكس على ملامح وجهه ، ولكن الحصافة كانت تطل من عينيه . وكان كلامه مشبعاً بالخبرة ومعرفة الدنيا .

فكان الجار يرتاح حين يسمعه . وكانت زوجته المحتفية المحبة للكلام معروفة بحسن الضيافة . وكانت ابنتاه ، وكلتاها شقراء نظرة كوردة ، تخرجان لاستقبال الضيوف . كما كان يخرج ابنه ، وهو خفيف الحركة نشيط ، ويقبل الجميع ، دون ان يلتفت كثيراً الى ان ذلك يرضي الضيف او لا يرضيه . وكانت النوافذ مفتوحة في البيت كله . وكانت حجرات الطابق العلوي مسكناً للمعلم الفرنسي الذي كان يحلق وجهه بشكل رائع ، ويجيد الرماية بروعة . فكان دائماً يجلب دجاجة ارض او وزاً برّياً للغداء ، ولكنه في بعض الاحيان لا يأتي بغير بيض العصفير ، حيث يطلب ان يقبلى له ، لانه الوحيد الذي كان يأكل ذلك من بين اهل البيت جميعاً . وكانت تسكن معه في نفس الطابق ابنة وطنه ، مربية الابنتين . وكان رب البيت يأتي الى الغداء في سترة فراك لطيفة الشكل ، وإن كانت مستهلكة بعض الشيء ، غير ان الكوعين كانا سالمين خاليين من اية رقعة . ولكن ربة البيت الطيبة وافاها الاجل ، فانتقل الى رب البيت قسم من المفاتيح ، ومعه مشاغل صغيرة . وصار بلوشكين اكثر قلقاً ، واكثر ارتياباً وبخلاً ، مثل جميع الارامل . ولم يكن في امكانه ان يعتمد على ابنته الكبرى الكسندرا ستيبانوفنا في كل شيء ، وكان محقاً في ذلك لان الكسندرا ستيبانوفنا هربت بعد وقت قصير مع ملازم اول في فوج فرسان غير معروف ، وسرعان ما عقدت قرانها عليه في كنيسة قروية ، وهي تعلم ان اباها لا يحب فصيلة الضباط لاعتقاده القديم



بأن جميع العسكريين مقامرون ومبذرون . أرسل الأب اللعنات ، في أثرها ، ولكنه لم يتعب نفسه في ملاحقتها .

وصار البيت أكثر خواء . وصار البخل يظهر على المالك أكثر من ذي قبل ، ومع الشيب المصاحب الوفي للبخل ، صار يتلألأ في شعره ، وساعد على زيادة بخله . وأعفى المعلم الفرنسي من وظيفته ، لأن الابن وصل الى سن الوظيفة ، وطردت الفرنسية أيضاً لأنها لم تكن مبراة من مسألة هروب الكسندرا ستيبانونفا . وأرسل الابن إلى المدينة مركز الولاية ليحتل وظيفة في دائرة العدل التي هي حسب رأى أبيه ، خدمة حقيقية ، ولكنه بدلاً من ذلك الحق في وظيفة في فوج ، وكتب الى أبيه يخبره عن تعيينه ، طالباً النقود لحوائجه وملابسه . وطبيعي أنه تلقى على ذلك ما يسمى بالتعبير الدارج علقه . وأخيراً ماتت ابنته الأخيرة التي بقيت معه في البيت ، ووجد العجوز نفسه الحارس والحافظ والمالك الوحيد لثرواته . وأعطت حياة الوحدة زاداً دسماً للبخل الذي طبع عليه ، حسب ما هو معروف ، جوع الذئب ، وكلما التهم أكثر صار لا يشبع . والعواطف الانسانية التي لم تكن في الاصل عميقة في نفس صاحبنا صارت تضحل كل دقيقة ، فكان يتهاوى في كل يوم شيء في هذه الشخصية المحطمة . وفي مثل هذا الوقت حدث ، وكان ذلك تأكيداً متعمداً لارائه في العسكريين ، أن ابنه خسر فلوسه في القمار ، فبعث اليه من صميم قلبه لعنته الأبوية ، ولم يعد يهتم بأن

يعرف هل أن ابنه في الوجود ام لا . وفي كل عام كانت تسمّر نوافذ في بيته ، حتى لم يبق أخيراً غير نافذتين ، أحدهما ، الصق عليها الورق ، كما يعرف القارى الآن ، وفي كل عام كان المزيد والمزيد من الاقسام المهمة في ضيعته تفلت من بصره ، حتى صار بصره الضئيل لا يرى غير قصاصات الورق والريشات التي كان يجمعها في غرفته ، واخذ يزداد تصلباً مع المشتريين الذين كانوا يأتون اليه لشراء منتجاته . كان المشترون يماكسون ويماكسون الى أن يتخلوا عنه أخيراً قائلين ان هذا شيطان ، وليس انساناً . فكان التبن والحبوب تتعفن والمستودعات والشون تتحول إلى روث تماماً لا يصلح الا لتسميد الكرنسب ، وكان الطحين في الاقبية يتصلب كالبحارة فلا بد ان يكسر . وكان من الفظاعة أن تمس الاجواخ والانسجة القطنية والمواد المنزلية ، فانها ستتحوّل في الايدي إلى رفات . وكان هو نفسه قد نسي كم كان له من هذا الشيء او ذاك . ولم يعد يتذكر إلا موضع قارورة النقيع في الدولاب وقد علّم بنفسه على ما تبقى منه ، حتى لا يشرب منه أحد بطريقة لصوصية ، اضافة الى موضع الشمع والريشة . وخلال ذلك كان الدخل من المزرعة يجمع كما في السابق . الفلاح يأتي باللزّمة ، وكل امرأة ريفية تجلب الحصة المعتادة من الجوز ، وكل امرأة تعمل نساجة تجلب القدر المخصص من منسوجها . وكان كل ذلك يرمى في المستودعات ، ويتفسخ ويمتلئ بالثقوب ، والمالك نفسه قد تحوّل أخيراً الى



ثقب في جسم الانسانية . جاءت الكسندرا ستيبانونفا لرؤية ابيها مرة او مرتين ومعها ابنها الصغير وهي تحاول ان تحصل من ابيها على شيء ما . والظاهر ان حياة التجوال مع زوجها ضابط الفرسان لم تكن جذابة كما بدت عند الزفاف . وغفر لها بلوشكين ، على كل حال ، بل وسمح لحفيده الصغير بأن يلعب بزرر كان ملقى على الطاولة ، ولكنه لم يعطها اي شيء من النقود . وفي مرة اخرى جاءت الكسندرا ستيبانونفا مع طفلين ، وجلبت لابيها كمكاً ليؤكل مع الشاي ، وروباً جديداً ، لأن الروب الذي كان يلبسه بلوشكين كان مخجلاً بل ومعيباً . داعب بلوشكين حفيديه كليهما ، واجلس احدهما على ركبته اليمنى والثاني على اليسرى ، وهزهما ، وكانهما على صهوة حصان . وقبل الكعبك والروب ، ولكنه لم يعط لابنته اي شيء البتة . وبذلك عادت الكسندرا ستيبانونفا من حيث اتت .

ذلك هو المالك الذي وقف امام تشيتشيكوف ا ويجلر القول ان مثل هذه الظاهرة نادرة في روسيا حيث يحب الجميع ان يفردوا انفسهم اكثر من ان ينكمشوا ، ومما يزيد الدهشة انك يمكن ان تصادف بجوارك مالكا ينفق ممتلكاته على ما تشتهي النفس الروسية من مبادل وقصف ومجون ، ويؤجج لهب الحياة على حد التعبير السائر . ان المسافر غير المجرب سيقف في دهشة من امره ، حين يرى منزله ، ويسائل نفسه في حيرة من ذلك الأمير بالوراة الذي وجد نفسه فجأة وسط هؤلاء المالكين الصغار الغامضين . فان بيوته الحجرية

البيضاء بمدانها التي لا تحصي ، والبلفيدرات ، والمراوح التي تحدد اتجاه الريح ، والأجنحة الملحقة بالبيت ومختلف المباني للضيوف الوافدين تبدو قصوراً بالنسبة لما حولها من البيوت . ماذا يعوزه ؟ المسارح ، حفلات الرقص . الحديقة المنسقة مضادة طوال الليل تتلأل بالانوار والمسارج ، وتمتلئ بهدير الموسيقى . نصف سكان الولاية هنا في قشيب الثياب ، يتزعمون في مرج تحت الاشجار وما من أحد سيجد ما يثير استهجانه وخوفه ، في هذه الاضياء الباهرة ، حين يطلع من كثافة الاشجار ، وبشكل مسرحي ، غصن مضاء بضوء اصطناعي ، وقد تخلت عنه حضرتها الساطعة . والسماء الليلية في الأعلى اكثر قتامة ، وجفاء ، واخلر بمائة مرة ، والاشجار التي ترفرف اوراقها في الأعلى ، تتراجع اعرق فاعرق في الظلام الحالك ، معبرة عن استيائها من هذا اللالاء المبهرج الذي يضيء جذورها في الاسفل .

وظل بلوشكين مطبقاً فاه دقائق عديدة بينما كان تشيتشيكوف مذهولاً من مظهره ومن كل شيء آخر في الغرفة ، فلم يعد قادراً على البدء في الحديث ، بل راح يفكر في الكلمات المناسبة التي يفسر فيها الغاية من زيارته . كان يفكر فيما اذا كان من المناسب ان يقول له انه سمع الكثير عن كرمه ومزاياه فرأى من واجبه ان يقوم بهذه الزيارة لتقديم واجبات الاحترام . لكن حتى تشيتشيكوف رأى ان في هذا القول من المبالغة ما لا يحتمل . بعد ان القى نظرة اخرى على رب البيت



وعلى الغرفة ، وبناء على ذلك بدل جملة هذه الى جملة اخرى يتحدث فيها عن اقتصاده وحسن ادارته . وبعد ان اعد الجملة في عقله قال له انه سمع الكثير عن مواهبه الحازمة في ادارة املاكه وفي تنظيمه لسيير الامور فيها ورأى من الواجب عليه ان يتعرف عليه وان يهنئه بنفسه على ذلك . (ولأ حاجة بي الى القول بان تشيتشيكوف كان يستطيع ان يجد سبباً آخر اوجه من هذا الذى ذكر ، ولكن قريحته في تلك اللحظة لم تلد شيئاً آخر)

فرد بلوشكين على ذلك من بين شفتيه لخلو فمه من الاسنان بتمتة لم يفهم المقصود منها بالضبط الا ان آخرها كان يترك الحرية للشيطان لكي يأخذ تشيتشيكوف وتهانيه . على أية حال ، فان قواعد الضيافة الروسية لا تسمح حتى لتعيس بانس ان يخرقها ، ولذلك فان بلوشكين اضاف الى ما سبق دعوة ترحيب يطلب فيها من الضيف ان يجلس .

وراح يقول «منذ وقت طويل لم استقبل زائراً ما ، ولكنى يجب ان اقول اننى لا اشعر بفائدة من زيارتهم . فاذا ما بدأت عادة الزيارات اللعينة واخذ الناس يترددون على بيت فان ادارة الاملاك ستؤول الى الدمار ويضطر صاحب الملك الى علف خيوله بالتبن وحده . منذ مدة طويلة - طويلة جداً تناولت وجبة طعام مع ان مطبخى في حالة لا يحمد عليها ، لأن المدخنة اصبحت في وضع اذا احميت فيه زيادة عما تحتمل فانها سوف تشتعل كلها دفعة واحدة» .

فقال تشيتشيكوف في نفسه «يا للوحش ! لقد كنت حسن الحظ فقد تناولت كتف الخروف وطيبات الاكل عند سوباكيفيتش !»

واستمر بلوشكين يقول «وبالاضافة الى ذلك ، فاني اشعر بالخجل اذ اقول لك ان ليس في بيتى حفنة واحدة من العلف . ولكن كيف يمكننى ان احصل على العلف ؟ فاراضى صغيرة والفلاحون كسالى يكرهون العمل ولا يفكرون الا في الحانة . وستكون نهايتى بناء على ذلك ان اقضى بقية عمرى ضارباً في انحاء الارض لا أجد المأوى» .

فقال تشيتشيكوف «ولكنهم اخبروني انك تملك الف عبد او يزيد» .

«ومن قال لك ذلك ؟ ليكن من كان ، ولكن كان عليك ان تقول له انه يكذب . لا شك انه كان مهرجاً يريد ان يضحك منك . الف نفس ! احسب لنفسك الضرائب التى تدفع عنهم وما الذى يتبقى من وراء ذلك ! كانت الحمى الملعونة في السنوات الثلاث الاخيرة تقتل اقناني بالجملة» .

فتساءل تشيتشيكوف باهتمام كبير «تقول بالجملة ؟»

فاجاب الرجل «اجل ، بالجملة» .

«اتسمح لى اذن ان اسالك عن الرقم الصحيح ؟»

«ثمانون بالتام والكمال» .

«حقيقة ؟»

«هذا هو الواقع» .



«هل لي ان اسالك ايضاً ما اذا كان رقمك هذا منذ الاحياء الاخير؟»

«اجل منذ ذلك الاحياء ، لعنة الله عليه ! ومنذ ذلك التاريخ والضرائب تستنزف دمي عن مائة وعشرين نفساً.»

«حقيقة ؟ عن مائة وعشرين نفساً ؟» وبدا تشيتشيكوف في حالة من الدهشة والزهو حتى ظل بعد قوله هذا فاتحاً فاه .

«نعم يا سيدي . اننى طاعن في السن فلا اكذب عليك . فلقد تجاوزت السبعين منذ امد وجيز» .

مهما يكن من امر ، فقد شعر المضيق بالامتعاض للامح الفرحة التي بدت على تشيتشيكوف . ولكن الاخير تدارك الامر بان ارسل تنهدة عميقة واخبره بأنه يشعر بأن كل عواطفه معه في مصائبه تلك .

«ولكن العواطف ليست شيئاً يوضع في الجيب يا سيدي . انها لاتسمن ولا تغني من جوع . لي قريب مثلاً وهو نقيب يقض مضجعي باستمرار بامور كهذه . انه ضابط في الجيش ، لعنة الله عليه ، وليس له عمل طوال يومه الا ان يناديني «ايها العم العزيز» وينكب على يدي مقبلاً ويغمرني بسيل من عواطفه حتى اجدني مجبراً على اغلاق اذني . وجهه احمر تماماً وولعه بشرب الخمر شديد . اعتقد انه بعزق امواله اثناء خدمته في الجيش وجن جنونه باحدى الممثلات . ولا هم له الا الآن الا ان يغرقني بعواطفه الفياضة !» فسارع تشيتشيكوف الى القول بان عواطفه تختلف

اختلافاً اساسياً عن عواطف الضابط ، فهو لا يكتفي بكلمات طنانة وحسب ، وانما بالعمل الملموس . وهو مستعد - اثباتاً لما يقول ، وقطعاً للاخذ والرد ، ووضعاً للامور في نصابها - ان يتحمل منذ اللحظة عبء دفع الضرائب عن الاقنان المذكورين الذي وافاها الاجل المنكود فنقلها الى العالم الآخر . ولقد وقع هذا الاقتراح على بلوشكين وقوع الصاعقة ، فغفر فاه محملاً بعينيه . ولكنه تمالك نفسه بعد لاي وتسأل قائلاً ، «هل كان سيدي العزيز ضابطاً في الجيش في يوم من الايام ؟» «لا ، ولكنني كنت في خدمة الحكومة» .

فبدا بلوشكين يحرك شفتيه كما لو كان يمضغ شيئاً ، ثم قال «ايه ! في خدمة الحكومة ؟ وهل تعني ان تنفذ الاقتراح الذي قلت ؟ اي هل انت على استعداد لتحمل الخسارة التي تترتب عليه ؟» «نعم ، اذا كنت اعلم اني بذلك سادخل السرور الى قلبك» .

وصاح بلوشكين بسرور : «آه يا سيدي العزيز ، يا ولي نعمتي ! اي سلوى وضعتها في قلب شيخ عجوز !» ولم ينتبه الى سقوط قطعة سعوط من انفه وكان السعوط يشبه حثالة القهوة ، وان معطفه قد انفرج من المقدمة عن ثياب داخلية لا تسر النظر . «اي سلوى وضعتها في قلب شيخ عجوز ! والله على ما اقول شهيد !» ومضت هنيئة لم يكن يستطيع ان يقول فيها شيئاً . ولكن لم تكد تمر دقيقة واحدة حتى اختفت فجأة من ملامحه الخشبية تلك المشاعر الفياضة -



اختفت بالفجأة التي تجلّت بها . وعاد الى وجهه تعبير الضنى ، حتى انه مسح وجهه بمنديله ثم لف المنديل على شكل كرة واخذ يروح به ويغدو على شفقه العليا . ثم قال «ارجو ان لا ازعجك اذ اطلب منك ان تعيد الاقتراح مرة اخرى . هل تعنى انك على استعداد لدفع الضريبة المستحقة على هذه الانفس ، وان تقوم بدفع النقود لى او للخزينة ؟»

«اجل ، هذا هو ما ساعمل . سنكتب عقد بيع كما لو كانت هذه النفوس ما تزال حية وقمت ببيعها لى» . فانغمس بلوشكين في افكاره وراح يحرك شفتيه حركة المضغ ، وقال «اذن هكذا . عقد بيع . ولكن عملا كهذا سيَجَر نفقات ومصروفات معينة والمحامون لا ضمير لهم ! وهم في الواقع شرهون جشعون ، كانوا يطلبون من قبل نصف روبل وكيساً من الطحين اما الآن فحمولة عربية من الطعام اضافة الى النقود ، يا لهم من حب الفضة . من الغريب ان احداً من الكهنة لم يلتفت الى ظلم هذا النظام . موعظة على الاقل ، اذ لا يمكن الوقوف ضد كلمة الرب مهما يكن من شيء» .

ففكر تشيتشيكوف مع نفسه «اظنك ستقف ضدها» . عندئذ بين له تشيتشيكوف انه نظرا للاحترام الشديد الذى يكنه للمضيف سيقوم بتحمل نفقات البيع بنفسه .

وهذا ما ادى ببلوشكين ان يعتبره غيبيا لا ضمير له يدعى انه كان في خدمة الحكومة لكنه في الحقيقة كان ضابطا في الجيش يجرى وراء الممثلات ، وبناء على ذلك

لم يعد هناك داع للاخفاء سروره بل راح يصب دعات الرحمة على تشيتشيكوف وعلى ابنائه (ولم يكن قد سال تشيتشيكوف فيما اذا كان متزوجاً وله ابناء) . ومن ثم اسرع الى النافذة وقرع على لوح زجاجها وهو ينادى «بروشكا !» وسمع صوت اقدام تركض في القاعة وهي تخبط الارض خبطا ودخل شخص الى الغرفة . وكان الداخل بروشكا - فتى في الثالثة عشرة من العمر غاطس في حذاء واسع الابعاد يكاد يبتلع ساقه حتى الركبة اذا ما دلف ماشياً فيه . وسبب دخوله في هذا الحذاء هو ان بلوشكين كان قد خصص حذاء واحداً لجميع الخدم . كان هذا الحذاء العالمي راسيا دائما فسي القاعة ، فاذا ما استدعى خادم الى المنزل كان عليه ان يتهدى في طين الساحة حافي القدمين وينتعله ، حتى اذا قام ببعثته التي طلب اليها ، خلعه ووضعها في موضعه المعروف وخرج الى الساحة على طبيعته الحافية السابقة . ولو اتبع لانسان في يوم خريفى ان يلقي نظرة على الساحة ورأى خدم بلوشكين وهم يسيرون فيها لعرف انهم يقومون برقصات ترحلية رائعة لا يكاد يجاريهم فيها الراقصون المحترفون .

وقال بلوشكين لتشيتشيكوف وهو يشير الى بروشكا «انظر الى وجه هذا الغلام ! ان فيه الكفاية من الغباء . انما ضح شيئا من الاشياء على ناحية فستجده قد سرقه في لمح البصر . ايه ايها الشاب ، ماذا تريد ؟» وصمت لحظة او لحظتين ولكن بروشكا لم يحس جواباً .



واستمر الرجل العجوز يقول «هيا ! هيا جهز  
السماور ، ثم اعط ما فرا مفتاح غرفة المخزن ، اليك  
هو ، وقل لها ان تحضر شيئاً من الكعك الذى جلبته  
الكساندرا ستيبانوفنا مع الشاي . ما بك ايها المجنون ،  
انتظر لحظة اخرى . هل يدغدغ الشيطان قدميك حتى  
تريد ان تفرّ هارباً ؟ استمع الى ما ساقوله اليك . قل  
لما فرا ان اطراف الكعك قد اصابها بعض التلف ، وعليها  
ان تنزع القسم التالف بقشره بالسكين ، وقل لها ان  
لا ترمي القشر بل تضعه للدجاج . ويجب ان تفهم انك  
لن تدخل الغرفة والاّ ضربتك ضرباً لا تنساه . جرب ان  
تدخلها ، وسترى ما الذى سيحدث لك . سوف اراقبك  
من هذه النافذة . واضاف موجهاً كلامه الى  
تشيتشيكوف «ان المرء لا يستطيع ان يامن الى هذه  
الاشكال» .

وما كاد الحذاء وبروشكا يغادران الغرفة حتى اخذ  
بلوشكين يعدّق في ضيفه تحديق المستريب . كان  
كرم تشيتشيكوف غريباً يدعو للتساؤل . واخذ يقول  
لنفسه «ومن يكون الرجل بعد ذلك كله . لعله لص  
من اللصوص . يمنيك بالآمال الجسام لكي تنعم عليه  
بقدر من الشاي» . وانتهى بعد مناجاته هذه لنفسه بان  
قال لتشيتشيكوف بانه يفضل ان تجرى عملية بيع  
الانفس حالا ، فلا يجب ان يثق الانسان كثيراً بالآخرين ،  
ولا يدري من يعيش اليوم ان كان غدا سيموت .  
فوافق تشيتشيكوف على هذا الراى بملء رغبته ، انما  
طلب اولاً تزويده بلائحة الاسماء . وهذا ما اعاد

الطمانينة الى قلب بلوشكين عن نية ضيفه فاخرج  
مفاتيحه واقترب من خزان وفتح بابه واخذ يفتش بين  
ما فيه من كؤوس واكواب ثم قال :

«لا اظن اننى ساجدها الآن ، لكن كانت لدى زجاجة  
مشروب فاخرة . ربما شربها الخدم ، فهم لصوص  
اصيلون . لا ، ربما كانت هذا !»

فرح تشيتشيكوف بصره وراى بلوشكين يسحب  
دورقاً مغلى بالغبار .

واستمر الشيخ العجوز يقول «كانت زوجتى المرحومة  
هي التى صنعت المشروب . لكن هذه الخازنة السافلية  
رمت قسماً منه ، حتى دون ان ترجع غطاء الدورق الى  
موضعه . فدخل فيه بسبب ذلك بعض البق والحشرات  
الكريهة الاخرى . ولكنني نظفته ، وارجوك ان تتناول  
منه كأساً» .

كانت فكرة الشرب من اناء كهذا اكبر من ان يقبلها  
تشيتشيكوف فاعتذر بحجة انه صائم عن تناول الغداء .  
فقال بلوشكين «اذن فانت الآن صائم عن الغداء ؟  
هكذا يتكشف للانسان ان في العالم رجالاً محترمين . ان  
الشخص المحترم لا ياكل شيئاً اطلاقاً ويقول دائماً بانه  
سبق واكل . واسلوبه يختلف اختلافاً واضحاً عن  
اساليب الاندال الذين مهمما اطعمتهم لا يكتفون .  
والضابط مثلاً ، لا يزال يرجوني ان اطعمه ، يقول «يا  
عمي ، اعطني شيئاً آكله» وتسميته لي عمي لا تختلف  
عن تسميتي له جدى . وكما هو الواقع ، لا يكون في  
بيته لقمة من شيء فيزور البيوت الاخرى . ولكن كنت



تسألني عن لائحة الانفس التافهة ، كان لدى لائحة رائعة اعددتها للاحصاء القادم» .

ومن ثم وضع بلوشكين نظارته على عينيه وراح ينبش الاوراق في الخزان والغبار يتطاير اثناء جمع الاوراق مع بعضها حتى ان ضيفه انفجر عاطسيا . وانتزع آخر الامر ورقة كتب عليها اسماء الفلاحين الموتى بخط صغير محشور فوق بعضه حشراً كأنه غمامة من بعوض ؛ فقد كان فيها مائة وعشرون اسماً . فهمهم تشيتشيكوف فرحاً لرؤية هذه المجموعة . ثم دس الورقة في جيبه قائلاً ان اتمام الصفقة يستوجب الذهاب الى المدينة .

فقال بلوشكين «الى المدينة ؟ ولماذا ؟ وكيف استطيع ان اترك المنزل ما دام خدمني ما بين لص ووغد ؟ انهم يسرقون كل يوم شيئاً ، ولن يمضي طويل وقت حتى لا اجد معطفاً اضعه على كتفي» .  
«فهل لك اذن معارف في المدينة ؟»

«معارف ؟ لا . فكل الذين اعرفهم اما تركوني او ماتوا . لكن ، انتظر لحظة . اني اعرف رئيس المجلس المحلي . حتى اني شيخوختي جاء مرة او مرتين يزورني . فقد كنت واياه زميلين في المدرسة وكنا نتسلق الجدران معاً . اجل ، اياه اعرف . هل اكتب له كتاباً ؟»

«بلا ريب» .

«نعم ، اياه اعرف معرفة جيدة ، فقد كنا اصدقاء في المدرسة» .

واشرق من ملامح بلوشكين الخشبية شعاع من الدفء - شعاع ان لم يكن يعبر عن شعور فهو على الاقل صورة شاحبة لذلك الشعور . ظاهرة كهذه يمكن ان يراها المرء في لحظة خاطفة عندما يرى الغريق يبرز على صفحة ماء النهر فجأة ، وتصدر من حناجر الجماهير المصطفة على الشاطئ صيحة الامل راجية ان تمتد يدا الفريق اللتان اجهدهما الاعياء وتلتقطان الحبل الذي رموا به اليه . - تلتقطانه قبل ان يعود السكون الازلي المرعب الى سطح المادة الجارية . ولكن الامل يحيا لحظة خاطفة واليدان تختفيان . ويصمت كل شيء . وبعد ذلك يصير السطح الهادي اربابا واكثر إقفاراً . مثل هذا لاح في وجه بلوشكين ، فبعد ان اشرقت على وجهه بوادر الاحساس هنيهة اختفت سريعاً وعاد الى وضاعته وتبلده اكثر من ذي قبل .

واخذ يقول «لقد كان على المنضدة ورقة نظيفة للكتابة ، ولكن اين راحت ؟ لست ادري . كل هذا من الخدم ، فيا لهم من اوغاد !»

وبهذا اخذ يبحث تحت المنضدة ويصيح «مافرا ، مافرا !» ولبت النداء بعد برهة امرأة تحمل بين يديها طبقاً من الحلوى التي سبق ذكرها . وبدأ عندئذ الحوار التالي :

«ما الذي عملته بورقة الكتابة التي كانت هنا ، ايتها السارقة ؟»

«اقسم انني لم ار الورق هنا الا القطعة التي كنت تغطي الدورق بها» .



«ان وجهك ينطق بانك انت التي اخذتها» .  
«ولماذا آخذها ؟ انها ليست بذات فائدة لي . فانا  
لا اعرف القراءة ولا الكتابة» .  
«إنك لتكذبين ! لقد اخذتها الى القندلفت ليعبث  
بها» .

«اذا اراد القندلفت ورقاً ففي امكانه الحصول عليه  
بنفسه . ولكن ورقتك لم تقع عليها عيناي ولا عيننا  
القندلفت» .

«ان الله يهمل ولا يهمل ، ولسوف يشويك الشياطين  
يوم الحساب على سفافيد من حديد . هذا هو مصيرك» .  
«ولكن لماذا يشوونني وانا لم المس ورقتك ؟ قد  
اتهم بنقيصة نسائية اخرى اكثر مما اتهم بالسرقة» .  
«ان الشياطين سيشوونك بلا ريب ، وسيقولون لك  
«يا عجوز السوء ، لماذا كنت تسرقين سيدك ؟  
ويزيدون النار اواراً» .

«ولكنني مع ذلك ساظل اقول لهم «حرام ما  
تصنعون ، فانا لم اسرق في حياتي شيئاً» ولكن .. ها  
هي هناك على المنضدة ! لقد كنت تتهمني ظلماً  
وعدواناً !» والواقع ان الورقة كانت ملقاة امام عيني  
بلوشكين . فاخذ يمضغ شفتيه في هدوء ، ثم قال :  
«ولماذا تفتعلين هذه الضجة ؟ اذا قال لك المرء كلمة  
واحدة اجبته بعشر . اذهبي واحضري شمعة اختم بها  
كتاباً . واحترسى ان تحضري الشمعة المصنوعة من  
الشحم ، واحضري علبة نقاب» .  
ولما انصرفت مافرا جلس بلوشكين واخذ ريشة

وراح يقلب الورقة على وجهيها المرة تلو الاخرى كما  
لو كان يفكر في ان يقطع منها جزءاً . وراى آخر الامر  
ان من المستحيل ان يفعل ذلك ، فغمس الريشة في  
المزيج المكون من الحبر والذباب الذي تحتوي به  
المجبرة ، واخذ يكتب بحروف ظاهرة جداً كانها الرموز  
الموسيقية ، بينما كان بين الآونة والاخرى ينظر الى  
سرعة يده لنلا تندفع فتأخذ الكثير من الورقة ،  
ويزحف من سطر الى سطر زحفاً فعزل النادم على ترك  
بعض الفراغ في الصفحة .

ولكن الى هذا الدرك من التفاهة والحقارة والوضاعة  
يمكن ان ينحط الانسان ويتغير بهذا القدر ! وهل لذلك  
شبه بما يجري في الحقيقة ؟ نعم ، إنه كذلك ، كل  
شيء يمكن ان يحصل للانسان . إن شاباً ملتهباً من  
شباب اليوم سيتراجع رعباً لو ان احداً عرض له  
صورته ، وهو في شيخوخته . خذوا معكم اذن ، حين  
تنتقلون من اعوام الصبا الناعمة ، الى الرجولة  
المتقسية الصارمة ، خذوا في رحلتكم هذه كل المشاعر  
الانسانية ، ولا تتركوها في عرض الطريق ، فانكم لن  
تسترجعوها بعد هذا ! فان الشيخوخة الرهيبة المريعة  
التي تهددكم في المستقبل لن تعيد لكم شيئاً اخذته ا  
والقبر ارق قلباً منها ! فهم يكتبون عليه «هنا يرقد  
انسان !» ولكن لا شيء يمكن ان يقرأ في العلامع الباردة  
الغالية من العاطفة لشيخوخة غير انسانية .  
ولما انتهى منها طواها ، وسأل قائلاً «هل تعرف احداً  
بحاجة الى عبيد آبقين ؟»

فشيء تشيتشيكوف باهتمام كبير وقال «ماذا ؟  
عندك عبيد آبقون ايضاً ؟»

«بلا شك» . وقد ذهب صهرى وقدم الشكوى ضدهم  
الى الدوائر المختصة ، ولكنه يقول بان ملاحقتهم  
اصبحت فاترة . على اية حال فهو رجل عسكرى ايضاً  
ولا يصلح الا لركوب الخيل ، ولا نفع منه في تقديم  
قضية الى محكمة» .

«وكم عبداً هارباً لديك ؟»

«قراة السبعين» .

«صحيح ؟» .

«نعم بكل اسف . لا تمر سنة واحدة دون ان يفر  
عدد منهم . وهم مع ذلك جشعون كسالى ، لا عمل لهم  
الا الاكل وتكاد تنفجر بطونهم منه ، بينما انا نفسي  
لا اكاد اجد شيئاً يقيم الاود . ساقبل اى سعر تعرضه  
على لقاءهم . اخبر اصدقاءك ومعارفك عنهم فاذا ما  
وجدت بعضهم فستلقى تعويضاً حسناً ، لان ثمن العبد  
الحى في لائحة الاحصاء في هذه الايام يبلغ خمسمائة  
روبل» .

فقال تشيتشيكوف في نفسه «ربما كان ذلك ، ولكني  
لن ادع شخصاً يدس في هذا الشأن اصبغه» وقال  
لبلوشكين بان اصدقاء ومعارف من هذا النوع لا وجود  
لهم ، والمصاريف القانونية التى تتطلبها هذه العملية  
سوف تجعله يبيع معطفه قبل ان يتخلص من المعامين .  
واضاف تشيتشيكوف يقول «ومع ذلك ، وبما أنك  
في حاجة شديدة الى النقود ، وبما اننى شديد الاهتمام

بمصلحتك ، فاننى اشعر بدافع يدعوني الى ان ادفع  
لك ثمناً رمزياً تافهاً لا يستحق الذكر» .

فراحت يدا بلوشكين ترتعشان كقطرة الزئبق ، وقال  
موافقاً «وكم سيكون ؟»

«خمسة وعشرون كوبيكاً لكل نفس» .

«ماذا ؟ وهل ستدفعها فوراً ؟»

«نعم ، فوراً» .

«ومع ذلك ، ارجوك ان تنظر الى فقرى الذى انا  
فيه وتجعلها اربعين» .

«سيدي المحترم لو كان في استطاعتى ان ادفع لك  
لا اربعين كوبيكاً بل خمسمائة روبل لفعلت ، ولدفعت  
هذه القيمة بكل سرور . فلقد عرفت انك شيخ عجوز  
محترم يعاني الكثير بسبب قلبه الطيب» .

فرفع بلوشكين رأسه وحركه ببطء من جهة الى  
اخرى وقال «اى والله ، هذا هو الصحيح ، هذا هو  
الصحيح . وكل ما عملت في حياتي كان صادراً عن رقة  
القلب» .

«ها انت ترى كيف عرفت طبيعتك حالاً ! فيجب ان  
يكون واضحاً لديك الآن لماذا لا اقدر ان ادفع لك  
خمسمائة روبل للراس الهارب . ولا بد انك قد ادركت  
الآن اننى لست على قدر كبير من الغنى . ومع ذلك كله  
فانا على استعداد لزيادة خمسة كوبيكات ، بعبث  
يكلّفني كل عبد آبق في آخر الامر ثلاثين كوبيكاً» .  
«كما تشاء يا سيدي . لكن مطهاً قليلاً وزد كوبيكين  
آخرين» .



«تفضل . قلت كم عبداً لديك ؟ سبعون ؟»

«لا ، ثمانية وسبعون» .

«ثمانية وسبعون ، كل واحد سيكلف ثلاثين كوبيكا ، فيصبح المجموع» - ووقف بطلنا لحظة قصيرة فقط لأنه كان قوياً في الرياضيات ، ثم قال «فيصبح المجموع أربعة وعشرين روبلا وستة وتسعين كوبيكا» .

ثم طلب من بلوشكين ان يكتب له وصلاً وسلمه النقود . فتسلّمها بلوشكين بكلتا يديه ، وحملها الى خوان قريب بحذر شديد جداً كما لو كان يحمل بين يديه سائلاً يخشى كل لحظة ان يترشّش في وجهه ، ووصل الى الخوان ونظر حوله مرة أخرى ، وحشا النقود في احد الاكياس الخاصة بذلك ، حيث قدّر لها بسلاً شك ان تظل مدفونة هناك الى ان تأتي الساعة التي يقوم بها الأب كارب والأب بوليكارب (الكاهنان الموكلان بالقرية) بعملية دفنه وسط نشوة السرور الكبرى التي تجتاح ابنته وصهره (وربما «ابن أخيه» الضابط ايضاً) . وبعد ان قام بلوشكين بمهمة اخفاء النقود ، رجع وجلس على كرسيّ ذي مسند مرة أخرى وبدأ في حيرة من أمره لا يجد موضوعاً جديداً لحديث . ورأى

\* ومع ذلك فقد أخطأ تشيتشيكوف الحساب . فالمبلغ الحقيقي هو ثلاثة وعشرون روبلا وأربعون كوبيكا . وعلى هذا يكون تشيتشيكوف قد غشّ نفسه بروبل وستة وخمسين كوبيكا . المترجم .

تشيتشيكوف يتحرك حركة بسيطة في موضعه ، ومع انها كانت لمجرد اخراج منديل من جيبه الا أنه قال «هل تنوى الذهاب ؟» وكان سؤاله هذا كافياً لتذكير تشيتشيكوف بأن لم يعد هناك مبرر للتباطؤ .

فاخذ قبعته وقال «نعم ، عليّ ان اذهب» .  
«والنّسأى ؟»

«شكراً ، سأتناول شيئاً منه في زيارتي القادمة» .  
«ماذا ؟ مع انني قد طلبت اعداد السماور ؟ اننا نفسي لا اهتم كثيراً بالنّسأى ، واعتقد انه مشروب غال . وزيادة على ذلك فان سعر السكر قد ارتفع هذه الايام ارتفاعاً فاحشاً» . ثم نادى بصوت عال «بروشكا ، لا حاجة بنا الى السماور ، ارجع السكر الى مارفا وقل لها ان ترجعه الى موضعه مرة أخرى . لكن ، لا . مات السكر هنا وسأعيده بنفسى الى موضعه» . ثم وجّه الخطاب الى تشيتشيكوف يقول «وداعاً يا سيدي العزيز ، وليباركك الرب» . اعطى الكتاب الى رئيس المجلس المحلي ، ودعه يقرأه . فهو صديق قديم ، عرفنا بعضنا منذ ايام المدرسة» .

وبهذا القول ، سارت هذه الظاهرة الغريبة ، سار هذا الشيخ العجوز الذابل لمرافقة ضيفه الى رتاج الساحة ، وبعد ان انصرف الضيف امر باقفال الرتاج ودار دورة حول البناية ليتأكد من ان الحرس العديدين في مراكزهم الموجودين في كل زاوية يضربون بالعصى البراميل الفارغة بدلاً من قطع الحديد واطل برأسه في المطبخ (ودخله متظاهراً بالاشراف على طعام الخدم



ليكون كافيا ولكنه بهذه الحجة عمل لنفسه عشاء خفيفا من حساء الكرنب والثريد) وراح يشتم الخدم بلسانه البذي، شتما قاسيا لسرقاتهم وسوء سلوكهم ، ثم عاد الى غرفته . وجلس في وحدانيته يفكر في كرم ضيفه الذي لا حد له ، وكيف يمكن ان يعجزيه على ذلك وقال في فكره «سوف اهديه ساعة فضيصة جيدة الصنع ، وليست كالساعات الاخرى المصنوعة من المعادن الرخيصة . ومع ان فيها بعض العطب الا انه يستطيع اصلاحها بسهولة . والشباب بحاجة دائما الى ساعات يبرزونها لخطيباتهم» . وبعد تفكير اعمق مما سبق قال لنفسه «لا ، سوف اترك له الساعة في وصيتي كذكرى» .

اما بطلنا فقد كان اثناء ذلك يدرج على الطريق بمعنويات عالية . كانت غنيمة من الانفس الميتة ومن العبيد الابقين كهدية مرسلة من السماء وكلها بالمجموع لا تزيد عن مائتي نفس الا قليلا . وحتى قبل ان يصل الى قرية بلوشكين كان يتوقع ان يكون موفقا في مهمته ، ولكن لم يكن يتوقع التوفيق الذي حصل عليه في الواقع . وما إن تقدمت العربية قليلا في سيرها حتى اخذ يصفر ، ثم وضع يده على فمه على شكل بوق وانطلق يغني اغنية تسترعي الانتباه ، حتى ان سيليفان بعد ان استمع اليها برهة من الزمن طأطا رأسه وقال «يا آلهي ! سيدي يجيد الغناء» .

وفي الوقت الذي وصل فيه الراكب الى المدينة كان الظلام قد ارخى سدوله وتغيرت طبيعة المناظر التي

كانت تمر امام العين . كان الحاجز المخطط قد فقد لونه المحدد ؛ شاربا الجندي الذي في الحراسة لاحا وكانها على جبينه واعلى بكثير من عينيه ، اما انفه فبدا وكأنه غير موجود البتة . وكانت القرقعة والنطاط توحى بان العربية كانت تسير على درب مرصوف . مصاييح الشوارع لم توقد بعد ، ونوافذ البيوت وحدها كانت تنار هنا وهناك بينما كانت الأزقة والشوارع الخلفية مسرحا لمشاهد واحاديث لا تختلف عما يجري في مثل هذا الوقت ، في كل المدن التي يوجد فيها العديد من الجنود ، والحوزية ، والشغيلة ، والاصناف المعينة من المخلوقات على شكل سيدات في لفاعات حمراء ، واحذية بلا جوارب ، يمرقن كالغفافيش في مفارق الطرق . لم يلحظهم تشيتشيكوف ، بل ولم يلحظ مثل هذه الكثرة من الموظفين ذوي العصوات الذين كانوا ، على الأرجح ، يتنزهون وراء المدينة ، وهم الآن في طريقهم الى بيوتهم . ومن حين الى آخر كان يصل الى سمعه هتافات بأصوات نسائية ، كما يبدو : «هذا السكير ، يكذب ، وانا لم اسمع له قط ان يرتكب مثل هذه الفظاظة !» او «لا تضربني ، يا جلف ، تعال الى القسم بشرف ، وهناك سأعرف كيف اثبت لك !» وباختصار إنها نفس الكلمات التي تسمط شابا حالما في العشرين من العمر عاندا من مسرح ، يتخيل شارعا في اسبانيا ، ليلا ، وامرأة رائعة ذات خصلات تحمل قينارها . وما اكثر ما يتخيل هذا الشاب ، وهو محلق في السماوات ، عائدا من زيارة لشيللر ، واذا بمثل



هذه الكلمات المنحوسة تصدر فوق رأسه ، فيجد نفسه وقد عاد الى ارض الواقع ، وحتى الى ساحه مدينته ، بل وقريباً من حانة ، والحياة تسرى امامه من جديد في ثيابها الاعتيادية .

بدأت العربيه تتراقص على بلاط الطريق الحجري ، ثم انعطفت بعد لاي ودخلت ساحة النزل ، حيث كان بتروشكا في الاستقبال . وقد ساعد سيده على النزول من العربيه وهو يضم طرفي معطفه باحدى يديه (فقد كان يكره ان يرى طرفي المعطف متباعدين) . وهرول خادم النزل وهو يحمل في يده مصباحاً ويضع على كتفه فوطه . ومن المستحيل ان نقول فيما اذا كان بتروشكا مسروراً بعوده سيده ، او غير مسرور لكنه على أية حال تبادل غمزة عين مع سيليفان واشرق مؤقتاً مظهره الكئيب المألوف .

وقال خادم النزل وهو يضيء السلم «اذن كنت في سفر بعيد يا سيدي» .

«نعم ، وهل حدث شيء في هذه الآونة ؟»

فاجاب الخادم منحنيًا «لا شيء يا سيدي ، انما وصل الليلة السابقة ضابط ملازم ونزل في الغرفة رقم ستة عشرة» .

«ملازم ؟»

«نعم . جاء من ريازان ، بعربة ذات ثلاثة خيول لونها كميث» .

وقال تشيتشيكوف لخادم النزل :

«حسنًا ، تصرف كذلك في المستقبل» . وعندما

دخل تشيتشيكوف الى الغرفة وضع يديه على انفه وسال تابعه لماذا لم يفتح النوافذ قط . اجابه بتروشكا «ولكنني فتحتها بالفعل» . ومع ذلك فقد كانت هذه كذبة ، كما كان تشيتشيكوف يقدر ، الا انه لم يفتح باب الجدل لان تعبه كان شديداً . وبعد ان طلب عشاء خفيفاً من لحم الخنزير الرضيع واكله ، نضا ثيابه ، واندس في الفراش وغرق في نوم عميق لا يتمتع به الا المحظوظون الذين لا يقلقهم الباسور ولا البرغيث ولا عمل الفكر الشديد .

## الفصل السابع

سعيد ذلك المسافر الذي يرى ، بعد سفر طويل مضجر ببرودته ووحولته وحمته ، ومدراء محطات تبديل الخيول الناعسين وجلجلة اجراسه ، وتصليات عربته ، وتبادل الشتائم ، والحوذية ، والحدادين واوغاد الطريق على مختلف أنواعهم ، يرى أخيراً السطح الذي يعرفه ، والاضواء المقبلة عليه ، وتظهر امامه الحجرات المألوفة له ، والصيحة الفرحه للراكضين الى لقائه ، وضجيج وتراكم الاولاد ، والكلمات الخافتة المهدنة التي تتخللها القبلات الحارة القادرة على محو كل ما هو منغص من ذاكرته . سعيد رب العائلة الذي له مثل هذا المأوى ، ولكن الويل للأعزب !

سعيد ذلك الكاتب الذي يتعرف ، دون الالتزام بالشخصيات المضجرة المنفرة التي يصنعنا واقمها



المؤسسي ، على شخصيات تعكس كرامة الانسان الرفيعة ويختار من الدوامة العظيمة للشخصيات المتتابعة امامه كل يوم بعض الاستثناءات ، دون ان يخل ، ولو مرة واحدة ، بالنسق السامي لقيثارته ، ولا ينزل من عليائه إلى اخوانه في القلم البائسين التافهين ، وينغمس ، دون ان يمس الأرض ، في صورته المنقاة المرتفعة عنها كثيراً . إن قدره الرائع هذا محسود حسداً مضاعفاً : فهو بينهم كأنما بين أهله ، بينما مجده يطوف في الآفاق عالي الصدى . فقد غشى عينيه الانسانييتين ببخور نشوان ، وتالق بهما باعجاز ، مغطياً على ما هو محزن في الحياة مظهراً بهما الانسان الرائع . كل المجددين يلاحقونه ويندفعون وراء عربته المنتصرة . وينعتونه بالشاعر العالمي الكبير ، المحلق عالياً فوق جميع عباقرة العالم الآخرين ، تحليق النسر فوق جميع الطيور المحلقة الأخرى . إن مجرد ذكر اسمه يبت الرعشة في القلوب المشبوبة الفتية ، ويدرد دموع الاستجابة من كل العيون . . . انه منقطع النظير في قوته . إنه آله ! إلا ان ثمة قدراً مختلفاً ، ومصيراً آخر للكاتب الذي تجرأ على ان يكشف كل ما يظهر في كل لحظة امام الابصار ، ولا تراه العيون اللاإبالية ، كل الطفح المريع المذهل للصغائر التي تحيط بحياتنا ، كل عمق الشخصيات الباردة المهشمة التي نراها كل يوم ، والتي يحفل بها طريقنا الدنيوي ، المرير المضجر في اغلب الاحيان ، الكاتب الذي اقدم بما لإزميله الذي لا يهادن من قوة صلبه على ان يظهر هذه الشخصيات

بارزة ساطعة امام انظار الشعب كله . إنه محروم من كسب اطراءات الناس ورؤية دموع الامتنان ، والبهجة الشاملة تعم نفوسهم التي اثرت فيها . ولن تندفع نحوه فتاة في السادسة عشرة دّوارة الراس ، بطولية الحماس ، ولن يغيب في السحر الحلو للاصوات التي حركها ، كما لن يتخلص أخيراً ، من محاكمة معاصريه ، محاكمة معاصريه النفاقية الخالية من التعاطف ، والتي تمنع مخلوقاته المدللة من قبله بالتفاهة والوضاعة ، وتفرد له ركناً محترقاً في صف الكتاب الذين يهينون الانسانية ، وتخلع عليها صفات الأبطال التي صورها ، وتنزع منه القلب والروح ولهب الموهبة الالهية . لأن محكمة معاصريه لا تعترف بأن الزجاج الذي ترى من خلاله الشموس عجيب بمقدار ما هو عجيب الزجاج الذي ترى من خلاله حركات حشرات مجهرية ؛ لأن محكمة معاصريه لا تعترف بأن تصوير الحياة الوضيعة وتحويله الى لؤلؤة ابداع يحتاج الى عمق الشعور ودخيلة النفس ؛ لأن محكمة معاصريه لا تعترف بأن الضحك البهيج الرفيع جدير بأن يقف على صعيد واحد مع العاطفة الشعاعية الرفيعة ، وان هناك هوة شاسعة بين هذا الضحك والضحك التهريجي الرخيص ! إن محكمة معاصريه لا تعترف بذلك ، وتحول كل شيء الى تقريع وهزء . بالكاتب غير المعترف به . وسيبقى وحده على قارعة الطريق بلا مشاركة ، ولا استجابة ، ولا تعاطف ، كالصعلوك المتشرد . إن مهنته لشاقة ، ووحدته لمريرة . ولزمن طويل آخر كتبت على سلطة عجيبة ان اسير



يداً بيد مع ابطالي الغريبيين ، وان استعرض الحياة  
المندفة بكل جسامتها ، ان استعرضها خلال الضحك  
المرئي للعالم ، والدموع غير المنظورة وغير المرئية  
لهذا العالم . وما يزال بعيداً ذلك الزمن الذي سترتفع  
فيه زوبعة الإلهام المريعة بدفق آخر من رأس محاط  
بالألق والرعب المقدس ويشعر الناس بالهدير الجليل  
للكلمات الأخرى ، وهم في رعدة الارتباك .

فالى السفر ! الى السفر ! وسحقاً للغضون التي حفرت  
جباهنا ، وللظل الجهم المرتمي على الوجه ! ولننغمز في  
الحياة ، فجأة ودفعة واحدة بكل قرعتها المكتومة ورنين  
اجراسها ولنر ما سيفعله تشيتشيكوف .

لما استيقظ تشيتشيكوف تمطى فاستيقن انه نام  
نوماً هنيئاً . واضطجع على ظهره لحظة او لحظتين ومن  
ثم صفق يديه فجأة اذ تذكر انه أصبح الآن مالكا  
لحوالي اربعمائة تقس . وقفز حالا من الفراش ولم يذهب  
الى المرأة ليرى نفسه فيها ، اى انه خرق القاعدة التي  
لم يكن في غير هذا اليوم يمد اليها يد العبت . فقد  
كان دائماً شديد الاهتمام بقسمات وجهه ، وخاصة  
بالذقن التي كان يزيد اهتمامه بها اذا ما كان في جمع  
من الاصحاب ؛ واكثر من ذلك اذا ما دخل عليه شخص  
وهو مشغول بحلاقتها . كانت الجملة التي يستعملها في  
هذه المناسبة هي ان يقول «انظر» ما اشد استدارة  
ذقنى !» اما في الحالة الراهنة ، على اية حال ، فلم ينظر  
الى ذقنه ولا الى اية قسمة أخرى ، انما انتعل نعل  
المطرز بالزهور والمصنوع من الجلد المراكشي

(والفضل في ذلك لعب الروس حياة الراحة وقضاء معظم  
الوقت في الملابس البيتية فقد اصبحت مدينة تورجوك  
تقوم بصناعة ضخمة من هذه النعال) ، وارتدى قميصاً  
قصيراً لا غير على نمط الاسكتلنديين ونسي كبر سنه  
وكبرياه وقفز قفزتين ماسكا ظهره بكعبه . ولم يبدأ  
بعمله الا بعد ان أجرى كل ذلك . ومن ثم غرس  
نفسه امام صندوق المراسلات وفرك يديه ببعضهما  
البعض دلالة على الرضى العميق ، كما يفعل القاضى  
الرفي الذي لا شائبة تشوب سمعته حينما يؤجل  
جلسة المحكمة اذ يحل موعد الغداء . ومن ثم انتزع من  
الصندوق رزمة من الورق . وقرر ان لا يودع اوراقه  
هذه الى محام بغية الاسراع في الامور والتوفير في  
النفقات وراح بنفسه يرتب وينسخ كل المعلومات  
الضرورية في صفحات كهذه . ولما كانت لديه الخبرة  
الكافية في هذا الشأن فقد اخذ يكتب التاريخ بحروف  
كبيرة ، ثم اسمه ورتبته بحروف اصغر . وفي الساعة  
الثانية كان كل شيء ناجزاً . وما إن نظر الى الاسماء التي  
تدل على فلاحين غابرين كانوا قد حرثوا واشتغلوا  
اشغالا حرفية متنوعة وخذعوا اسيادهم وجلبوا وحملوا  
وسكروا (مع ان بعضهم قد يكون سلك سلوكاً حسناً)  
حتى طغى عليه احساس غريب لا تفسير له . وبدأ  
لعينيه ان كل قائمة من قوائم الاسماء هذه ذات طابع  
خاص بها . حتى الفلاحون فيها كأفراد ، كانوا يبدوون  
وكانهم اتسموا بصفات خاصة بهم . فان مدام  
كوروبوتشكا مثلاً ، كانت تلحق باسماء معظم اقنانها



القاباً واضافات اخرى . وكانت قائمة بلوشكين تتميزز بالدقة في الايضاح بحيث ان بعض الاقنان لا يستدل عليها الا بالاسم الاول واللقب ونقطتين وراهما . وكانت قائمة سوباكيفيتش مدهشة في اتساعها ودقة تفاصيلها ، بحيث لم تترك ميزة خاصة لاي فلاح دون ان تذكرها : كان تقول عن الفلاح الفقيد انه كان «رانعاً في فن التخشيب» او «رزين وشديد الانتباه الى عمله» . وفي قائمة سوباكيفيتش ايضاً سجلت ملاحظات عن والد الميت ووالدته وكيف كان سلوكهما . قن واحد فقط يدعى فيودوتوف سجل بالقرب منه ما يلي «الاب مجهول ، الام الخادم كاييتولينا . الاخلاق والامانة جيدتان» . هذه التفاصيل القت على الوثيقة روحاً من الجدة تشعير بان الفلاحين المذكورين كانوا احياء الى الامس فقط . واذا تفحص تشيتشيكوف القائمة طفت على روحه موجة ناعمة من الحنان فتهد وقال :

«ايه ايها الاصدقاء ! اي جمع منكم هنا ! وكيف قضيتم حياتكم يا اخواني ، وكيف غادرتم هذا العالم ؟» واذا كان يتكلم وقعت عيناه على اسم معين - هو بيتر سافيليف غير المحترم للطست ، الذي كان في يوم من الايام ملكاً لمدام كوروبوتشكا . فلم يتمالك ان يصيح متعجباً :

«اي سلسلة من الالقاب هذا ! انها تحتل سطرأ كاملاً ! بيتر سافيليف ، اني لأعجب منك ان كنت حرفياً او فلاحاً عادياً . واني لأعجب ايضاً كيف لقيت حتفك . في حانة ام عندما ذهبت لتنام في قارعة

الطريق فداستك قافلة من عربات الشحن . واني لأرى ايضاً اسم بروبكا ستيبان ، نجار ، وقور جداً . يجب ان يكون هذا هو البطل الذي يتمنى الحرس ان يخدم فيه . اني لأراه جيداً وهو يحوب في خلاء منطقته كلها وحذاؤه فوق كتفيه يعيش طوال يومه على ما يساوي بضعة كوبيكات من الخبز والسمك المجفف ، ثم يعود الى بيته حاملاً في محفظته قطعة من فنة المائة روبل ، اما قطعة الالف روبل فيخيطها في سراويله او يخبئها في حذائه ! على اي شكل وصلت اليك نهايتك يا بروبكا ستيبان ؟ اكنت سعيداً وراء الرزق تعلو سقالة عند قبة كنيسة القرية فجريت ان تتسلق على القبة فزلت قدمك عن لوح الخشب ف وقعت تهوى الى الارض ، ولم يشهد هذه الكارثة غير العم ميخاي - ذلك العم الطيب الذي حك قفاه وتمتم قائلاً «آه يا فانيا ، لقد كنت ماهراً جداً !» و ثم ربط نفسه بحبل وانتقل الى المحل الذي وقعت فيه حالا ؟ . . . ماكسيم تلياتنيكوف ، اسكاف . احقاً انت اسكاف ؟ يقول المثل «سكير كاسكاف» . اني لأعرف على اية شاكلة كنت ايها الصديق . واذا شئت انباتك بقصتك كلها . لقد التحقت بسيد الماني اطعمك واطعم ربك على مائدة واحدة ، وضربك بالسوط وسجنك كلما اتيت خطا ، وتكلم عنك لزوجته واصدقائه بأقوال لا تحسد عليها . واخيراً ، لما انتهت مدة التعاقد بينك وبينه قلت لنفسك «اننى سأنشىء نفسي بنفسى منذ الآن ، ولن



اجمع كوبيكاً من هنا وكوبيكاً من هناك كما يفعل  
الالمانى ، ولكننى ساغتني بسرعة» .

ومن ثم استأجرت دكاناً بأجرة مرتفعة ، واستحضرت  
بضاعة كثيرة وشرعت في العمل - تشتري الجلود  
المتعفن الذى تصنع منه زوج احذية بربيع مضاعف .  
ولكن زوج الاحذية تفلح في اسبوعين ، وجرى على  
راشك سيلاً عارماً من اللعنات . وكانت نتيجة ذلك  
ان خلا محلّك من الزبائن تدريجياً ، فانطلقت تتجول  
في الطرقات صانحاً «ان الدنيا لبائسة حقاً ! لا يستطيع  
الروسي ان يعيش والالمانى ينافس» . حسناً ،  
حسناً . . . اليزابيتا فوروبي ! لكن هذا اسم امرأة !  
كيف تسنى لها ان تكون فى القائمة ؟ لا بدّ ان يكون  
النذل سوباكيفيتش قد حشرها خلسة دون علمي . كان  
تشيتشيكوف على حق . كانت إمراة بالفعل ولا احد  
يعرف كيف جاءت الى هنا . ولكن اسمها قد كتب  
ببراعة ، بحيث كان الممكن من بعيد ان تعتبر رجلاً .  
ومع ذلك فان تشيتشيكوف لم ينظر الى ذلك بعين  
الاحترام . فشطب اسمها .

واستمرّ يقول «جريجورى رُحْ ولن تجي» . عجباً !  
ما اغرب اسمه ! اى نوع من الرجال كنت ؟ هل كنت  
حتملاً فاستطعت ان تعدّ عربة ذات مظلة بفرقة من  
ثلاثة خيول ، ثم تركت بلدك ومسكنك المتواضع الى  
الابد ورحت تشتغل في نقل بضائع التجار ؟ هل كنت  
سائراً على الدرب حين اسلمت روحك الى بارئها ، او  
كنت قبل ذلك قد وقعت فى حب زوجة احد الجنود وكانت

فتاة سمينة محمّرة الوجه وقتلوك نتيجة ذلك ؟ وهل  
استهوت عربتك احد قطاع الطرق لما رأى فرقتهما من  
الخيول المخشوشنة الممتلئة الاكفال ؟ ام كنت مضطجماً  
على فراشك المتواضع تفكر في امور الدنيا وتوسعها  
تفكيراً حتى رايت ان من الواجب عليك طوعاً او كرهاً  
ان تلجأ الى العانة تخبط فيها خبط عشواء ؟ ايه يا  
فلاحنا الروسي ! انك لن ترحب بالموت الطبيعى  
ابداً !

ثم التفت الى الورقة التى سجل فيها اقنان بلوشكين  
الفارين ، واخذ يقول «وانتم يا اصدقائي ! انكم لا  
تزالون احياء ، ولكن اية فائدة ترجى منكم ؟ انكم عملياً  
ميتون . واني لاعجب أين القت بكم عصا الترحال ؟ هل  
كنتم عند بلوشكين تتألمون من شظف العيش فأثرتم  
الفرار او ان طبيعة اهوائكم قادتكم الى تفضيل التجوال  
في البرارى والقفار وسلب من يعترضكم من  
المسافرين ؟ وهل انتم الساعة في السجون او تحرثون  
ارض اسياد آخرين ؟ ايرمي كارياكين ، نيكييتسا  
فولوكيتا ، وانطون فولوكيتا (ابن السابق) اذا حكمنا  
عليكم بالقابكم فسوف تكونون ذوى اصل جوال .  
بوبوف خادم في البيت . من المحتمل ان تكون رجلاً  
مثقلاً ايها الطيب بوبوف ، فتروح تسرق بادب ولباقة  
تتميز عن ذلك النوع الوحشي من السرقة الذى  
يصحبه حزن الحلاقيم . اني لاتصورك بام عيني ورئيس  
شرطة الريف يتحدّك لانك لا تحمل جواز سفر فتلقى  
كلّ ما في جعبتك دفعة واحدة . ويسألك الرئيس من



سيدك ؟ وقد يضيف الى سؤاله هذا كلمة قاسية  
 أخرى . فتقول عارما «الملاك الفلاني او الفلاني» ويستمر  
 الرئيس سائلا «وماذا تعمل هنا ؟» فيكون جوابك السهل  
 السياب ان تقول «لقد اخذت اذنا بالذهاب لاجمع  
 ضريعتي» «اذن أين جواز سفرك ؟» - «عند المواطن  
 بيمينوف» . - «بيمينوف ؟ لنستدع بيمينوف الى هنا !  
 اذن أنت بيمينوف نفسه ؟» «نعم ، أنا بيمينوف  
 نفسه» . - «هل اعطاك جواز سفره ؟» - «لا ، لم  
 يعطني جواز سفره» . فيصيح الرئيس عالياً «ما هذا ؟  
 ما هذا ؟ انك تكذب» . فيكون جوابك المستكلم «لا ، لا  
 اكذب ، لم استطع الليلة الماضية ان اعيد اليه جوازه  
 لأنني رجعت الى البيت متأخراً ، وعلى ذلك فقد سلمته  
 الى انتيب بروخوروف ، قارع الاجراس ليحفظه له» ، -  
 «قارع الاجراس ؟ حقاً ! هل هو الذي اعطاك جوازاً ؟»  
 «لا ، لم يعطني أي جواز» وهنا يضيف الرئيس مسبة  
 أخرى ، ويقول «ماذا ؟ كيف تجرؤ على الاستمرار في  
 الكذب ؟ أين جوازك الشخصي ؟» فتجيب بغضب «لقد  
 كان لي جواز ويظهر انه سقط مني في الطريق عندما  
 كنت آتياً» ويضيف الرئيس كلاماً وقحاً ويقول «وما  
 قضية معطف الجندي ؟ من أين حصلت عليه ؟ وما  
 قولك في خزانة الراهب والنقود النحاسية ؟» فتجيب  
 مستكلماً «لا أعلم لي بهذه الاشياء ، ولم ارتكب في حياتي  
 جريمة سرقة أبداً» - «اذن كيف تفسر وجود المعطف  
 عندك ؟» - «لا أعرف ! فمن المحتمل ان يكون قد  
 وضعه انسان هناك» . فيصيح الرئيس هازاً راسه

ورافعاً قبضته عليه «أيها السافل ! أيها السافل !  
 قيدوه بالحديد وخذوه الى السجن» فتجيب «بكل سرور»  
 وتخرج علبة السعوط من جيبك وتقدم منها للجنديين  
 اللذين يصفدانك ، وتروح تسألهما عن الوقت الذي  
 سرحا فيه من الجيش وفي أي الحروب اشتركا . وتظل  
 في السجن حتى ينظر في قضيتك . عندئذ يصدر القضاء  
 امره بنقلك من تسارييفوكشاييسك الى سجن كيت  
 وكيت . ثم يصدر قضاء آخر اوامر أخرى بنقلك الى  
 (فيسيجونسك) او الى محل غيره . وتروح متنقلاً من  
 سجن الى سجن ، وتقول كل مرة اذ ترى السجن الجديد  
 «كان السجن السابق انظف من هذا بكثير ، وكان  
 باستطاعة المرء هناك ان يلعب «البابكي» \* وان يمد  
 رجله وان يرى جمعا من الناس» .

وبعد صمت قليل استمر يقول «اباكوم فيروف ، ما  
 شأنك ايها الاخ ؟ أين تلهو الآن وبأي عزم تلهو ؟ هل  
 ذهبت الى شواطئ القولجا فاطبقت عليك حياة الحرية  
 فانضمت الى المراكبية ؟»

وهنا امسك تشيتشيكوف فجأة عن الكلام واستغرق  
 في تأملاته الصامتة . ما الذي كان يدور في فكره  
 آنذاك ؟ هل كان يفكر فيما جرى لأباكوم فيروف ام كان  
 يفكر كما يفكر كل روسي اذا ما انصرف ذهنه الى حياة  
 التحرر والانعقاد ؟ وبالفعل أين فيروف الآن ؟ انه  
 يتنظر مرحاً صغاباً في رصيف الحبوب ، يماكس

\* لعبة الكعاب . المترجم .



التجار . إن جماعة المراكبية كلها تخرج والزهور  
والاشربة على رؤوسها تودى معشوقاتها وزوجاتها  
الطويلات المشوقات ، يتحلين بالقلائد من قطع النقود  
والاشربة ! رقصات واغان ، الساحة كلها تمور  
بالحياة ، والجمالون في غضون ذلك ، ووسط الصيحات  
والشتائم والعجلة ، يفرزون خطاطيفهم في حولة  
تسعة بودات ويحملونها فوق ظهورهم ، ويدلقون الحمص  
والقمح بصخب في بطون المراكب العميقة ، او يكومون  
اكياس الشعير والذرة ، حتى ان اكوام الاكياس ترى  
بعيداً في ارجاء الساحة ، مصفوفة في هرم مثل قنابل  
المدافع ، وترسانة الحبوب كلها تبدو هائلة حتى تنقل  
الى بطون المراكب على نهر سورا ، ويتحرك الاسطول  
الهائل من المراكب مع اناسه المرحين ! عندئذ سيكون  
امامكم عمل كبير ، يا مراكبية ! ومثلما كنتم ترحون  
وتصخبون مجتمعين ، ستشمرون للعمل والعرق ساحبين  
المراكب على إيقاع أغنية واحدة لا نهاية لها كروسيما  
نفسها .

ثم نظر الى ساعته وتنهّد وقال «ايه ! لقد بلغت  
الساعة الآن الثانية عشرة . لماذا نسيت نفسي هكذا ؟  
لا يزال عليّ الكثير من العمل وانا منزو هنا مطلقاً  
لتفكيرى العنان ! اى غيبى انا !»

قال ذلك ونهض فابدل زيه الاسكتلندى (الذى  
يتكوّن من قميص واحد فقط) بزيّ ذى طابع اوروبى .  
ثم شد الصّدار على معدته الممتلئة ورشّ على نفسه  
ماء الكولونيا وزمّ اوراقه تحت ذراعه واخذ قبعته ذات

الفرو وانطلق شطّر مكاتب البلدية بغية اتمام تسجيل  
النفوس . ولم يكن اسرعه في الذهاب خوفاً من  
تاخره ، فهذا امر لا يكثرث اليه فتيلاً (لان رئيس  
المجلس المحلّى صديق حميم ، وباستطاعته كايّ  
موظف كبير آخر ان ينجز الامر بسرعة شديدة او ان  
يطيل فيه كما يشاء ، كما كان يفعل زيوس الذى جعله  
هوميروس قادراً على تقصير الليل والنهار او تطويلهما  
اذا اصبح من الضروري ان يضع حداً لقتال ابطاله  
المحبوبين او ان يترك لهم المتسع من الوقت لاكمال  
المعركة) ، لكنه كان يحسّ بأن عليه ان ينجز الامر  
باسرع ما في الامكان نظراً لان الامر كان شاقاً مقلقاً  
من بدايته الى نهايته . وبلاضافة الى ذلك ، لم يستطع  
ان يتخلص من فكرة يحملها وهي ان نفوسه شيء غير  
مادى . بناء على ذلك كان يفضل في هذه الظروف ان  
يزيح هذا العبء عن كاهله دون اى تاخير . ولبس  
معطفه القرفىّ اللون المخطط كجلد الدبّ وخرج . ولم  
يكّد يخطو الى الشارع مستغرقاً في التفكير حتى اصطدم  
بسيد يرتدى معطفاً وقبعة من الفرو لها عذبتان فوق  
الأذنين . عندئذ صاح الرجل صيحة تعجب . واذا به  
مانيلوف . طوت الصديقين ضمة عنيفة وظلاً ملتحمين  
على هذا الشكل خمس دقائق كاملة . وقد كانت القبلات  
التي تبادلها في الواقع شديدة جداً حتى انهما ظلّا  
يشكوان من ألم اسنانهما مدة كبيرة من ذلك اليوم .  
وبلاضافة الى ذلك ، فقد كان سرور مانيلوف في الأوج  
حتى لم يعد يظهر من وجهه غير الانف والشفيتين ،



واختفت عيناه اختفاء تاماً . وقضى بعد ذلك ربـح ساعة وهو ممسك بيد تشيتشيكوف يفرّكها بشدة .  
واخيراً ، اخذ ييوج لصديقه ، بافخر التعابير الممكنة واروعها ، بأنه كان في طريقه الى معانقة بافيل  
ايفانوفيتش . وتبع ذلك اطراء من النوع الذي يليق ان تغاطب به سيدة عندما يدعوها زميل لتشاركه في الرقص .  
وفتح تشيتشيكوف فمه للإجابة - لكنه شعر (حتى هو) بأنه ضائع لا يدري كيف يجيب على ما قيل ، الى ان انقذه مانيلوف بان اخرج من تحت معطفه رزمة من الورق مربوطة بشريط احمر .

وتساءل تشيتشيكوف «وما تلك ؟»  
«قائمة نفوس» .

«ايه !» وفتح تشيتشيكوف الوثائق ومرّر نظره عليها ، ولم يستطع الا ان يندهش لتلك الاناقة الرائعة التي كتبت بها .

وقال «ان الخط رائع جداً . ولا حاجة في الواقع الى نسخها . ولها هامش على الاطراف ! من عمل هذا الهامش الرائع ؟»

فقال مانيلوف «لا تسألني» .

«هل عملته انت ؟»

«لا ، زوجتي» .

«يا الهي ! يا الهي ! لم اكن اتصور ان ازعجها الى هذا الحد» .

«لا شيء يمكن ان يكون ازعاجاً اذا كان من اجل بافيل ايفانوفيتش» .

فانحنى تشيتشيكوف شكراناً . وبالتالي ، لما علم مانيلوف انه كان في طريقه الى دوائر البلدية لانجاز عملية النقل ابدى استعداداه لمرافقته . فاشيتيك الاثنان ذراعاً بذراع وانطلقا . وكان مانيلوف اثناء سيرهما اذا ما قابلا نثوا طفيفاً من الارض - حتى اقلّ تعرج او اختلاف في المستوى - يسند تشيتشيكوف بقوة تكاد ترفعه من قدميه ، ويرفق جميل صنعه هذا بابتسامة مضمونها انه لو لا مساعدته لكان وقوع بافيل ايفانوفيتش او انزلاقه امراً حتمياً . ومع ذلك فقد بدا هذا السلوك يخرج تشيتشيكوف إما لأنه لم يجد الكلمات المناسبة لاعترافه بالجميل او لأنه وجد هذا التصرف امراً متعباً . ولهذا احسّ بالراحة اذ اطلّ على ساحة مكاتب البلدية - حيث تقوم بناية مؤلفه من ثلاثة طوابق بيضاء كالطباشير ، قد ترمز بذلك الى طهر النفوس التي تقيم فيها . ولم يكن في الساحة اية بناية اخرى تضاهيها حجماً ، لان المباني الاخرى كانت تتكون فقط من مظلة للحارس وماوى لسائق او سائقين ولوحة طويلة للاعلانات تزّينها النشرات المألوفة والبيانات وتشبيجات اخرى بالطباشير والفحم . ولم يكن ثمة من شيء آخر في هذه الساحة المعزولة او الجميلة ، كما توصف عندنا . ومن نوافذ الطابقين الثاني والثالث كانت تطلّ بين الفينة والاخرى رؤوس كهنة تيميس . . . النزينة - تطل بسرعة وتنسحب بالسرعة

• تيميس (او طاميس) الهة العدل والقسطاس . المترجم .



نفسها ، وقد يكون سبب ذلك ان موظفاً كبيراً دخل  
الغرفة آنذاك . وكان الصديقان في هذه الآونة يصعدان  
السلم ، لا بل يكادان يطيران ، لأن تشيتشيكوف كان  
يسرع الخطى لكي يتخلص من ذراع مانيلوف التي  
تسندته ابدأ ، ومانيلوف يندفع الى الامام حتى يقسي  
صاحبه اى زلّة قد تزلتها قدماء وعلى هذا ، ما كادا  
يصلان اول دهليز حتى كادت تنقطع منهما الانفاس .  
ويمكن ان نذكر - عابرين - ان لا الدهليز ولا الغرف  
ابدت من النظافة والنقاء ما ابداه ظاهر العمارة ، لأن  
سجايا كهذه لا تسترعي الاهتمام في الداخل وكل ما  
كان متسخا ظل على ما كان عليه ، ولم يكن يتخذ مظهر  
الاحترام . كان كما لو ان تيميس تستقبل زائريها  
باهمال وهي ترتدى رداء البيت . وكان بودّ المؤلف ان  
يصف المكاتب المختلفة التي مر بها بطلنا لو لم يكن  
يخشى (اى المؤلف) الملاحظات القانونية . وحتى اذا  
صادف وان وجدهما في المع واحشم مظهر ، بارضيات  
ومناضد مصقولة ، فقد كان يحاول ان يمر بها بأسرع  
ما يمكن ، غاضباً ومخفضاً بصره الى الأرض بوداعة ،  
ولهذا السبب لا يعرف كلياً كيف اتخذت هذا المظهر  
اللامع الزاهر . إن ابطالنا راوا العديد من الاوراق  
مكتوبة وبيضاء ، والرووس المحنية على المناضد ،  
والاقفية العريضة ، وستر الفراك ، والجاككات من النمط  
الاقليمي ، وحتى جاكّة بسيطة رمادية فاتحة كانت  
العين تلتقطها بوضوح شديد ، وقد مالت الرأس الى  
جانب ، وكادت تمس الورق ، وهي تستنسخ بنشاط

وطريقة تلفت النظر محضراً عن اراض منزوعة الملكية  
او جرد ضيعة استولى عليها ملاك وديع ليقتضي فيها بقية  
حياته بهدوء ، وبينما تكون القضية معروضة فسي  
المحاكم ، يكون هو قد خلف الاولاد والاحفاد اثناء  
المحاكمة . ومن حين لآخر كانت تسمع عبارات مقتضبة  
منقطعة يطلقها صوت اجش «لو تتكرم ، وتعطيني  
الاضبارة رقم ٣٦٨ ، يا فيدوسي فيدوسيفيتش» -  
«دائماً انت تحشر غطاء قارورة حبر الدائرة في مكان  
ما !» واحياناً يصدر صوت اكثر مهابة ، هو ، بدون  
ريب ، صوت احد الرؤوساء ، قائلاً بلهجة أمرة «هاك .  
استنسخ . وإلا جعلتك تخلع جزمك وابقيتك هنا  
سنة ايام بلا طعام» . كان صريف الريش عالياً ، وكان  
عدة عربات محملة بالاغصان المقطوعة تمر في غابة  
تراكمت على ارضها اوراق الشجر اليابسة بعمق ذراع .  
واقترب تشيتشيكوف ومانيلوف من اول مكتب  
صادفه ورأى موظفين شابين كانا يجلسان خلفه ،  
وطلبا اليهما ان يتلطفا فيدلاً ، اين تتم عملية نقل  
الاقتان .

فالتفتا اليهما الشابان الموظفان وقالوا «ما هو نوع  
العمل الذي تريد ، بالضبط ؟»  
«اريد ان اقدم طلباً» .  
«بخصوص الشراء ؟»

«لكني اريد ان اعرف قبل كل شيء المكتب المختص  
بنقل الاقتان . هل هو هنا او في محل آخر ؟»  
«يجب ان نخبرنا أولاً عن الشيء الذي اشتريته ،



وعن شعره ، وعندئذ يسرنا ان نعطيك ما تبغى من معلومات» .

وأدرك تشيتشيكوف ان ما دفع الموظفين الى ذلك كان مجرد الفضول كما يحصل دائماً مع صغار الموظفين الذين يريدون ان يظهروا بشخصية اكبر اهمية واكثر وقفاً مما هم عليه .

فقال «اسمعا يا سيدى» . اننى اعرف ان نقل الاقنان مهما اختلفت قيمتها تجرى فى مكتب واحد . وبناء على ذلك اطلب اليكما ان تدلاني على ذلك المكتب . واذا لم تعرفا عملكما فاني ساسال غيركما بكل سهولة طبعاً» . ولم يجب الموظفان على هذا باكثر من اشارة الى احدى زوايا الغرفة حيث كان رجل عجوز مشغولاً فى تصنيف بعض الاوراق ، فانسل تشيتشيكوف ومانيلوف من بين المكاتب اليه . وازداد العجوز عندئذ انشغالا .

فساله تشيتشيكوف منحنيًا «هل تتفضل فتخبرني اذا كان هذا هو المكتب المختص بشؤون الاقنان؟» فرفع العجوز عينيه وقال بخشونة «لا ليس هذا مكتب شؤون الاقنان» .

«أين هو اذن؟»

«فى دائرة الاقنان» .

«واين تكون دائرة الاقنان هذه؟»

«فى عهدة ايفان انطونوفيتش» .

«واين ايفان انطونوفيتش؟»

فاشار الرجل العجوز الى زاوية من زوايا القاعة ، واليها وجه مانيلوف وتشيتشيكوف الخطى . واذا تقدما

الى ايفان انطونوفيتش التفت الى الورا ثم نظر اليهما متسائلا ثم عاود الكتابة بحمية متجددة .

وساله تشيتشيكوف منحنيًا «هل تسمح فتخبرني اذا كان هذا هو المكتب المختص بشؤون الاقنان؟» بدا وكان ايفان انطونوفيتش لم يسمع شيئاً ولهذا دفن راسه كلية بين اوراقه ولم يجر جواباً . وقد اتضح لهما من مظهره فوراً انه كان على الاقل فى سن الوقار وليس من اولئك الثرثارين الفارغين الطائشين . ومع ان شعره كان اسود كثيفاً الا انه قد تخطى الاربعين منذ امد بعيد . كان كل وجهه منحرفاً باتجاه انفه ، اى ما يشبه عادة بالجرة .

وكرر تشيتشيكوف كلامه قائلاً «هل تسمح فتخبرني اذا كان هذا هو المكتب المختص بالاقنان؟»

فقال ايفان انطونوفيتش «هذا هو» . واحنى راسه الذى يشبه الجرة مرة اخرى ، وعاود الكتابة .

«اذن اريد ان اجرى معاملة ، فقد اشترت من ملاكين مختلفين فى هذه المقاطعة عدداً من الفلاحين واريد ان انقلهم الى اسمى . هذه لائحة المشتريات ولا تحتاج الا الى التسجيل» .

«هل البائعون معك هنا؟»

«بعضهم معي ، ومعنى توكيل من الباقيين» .

«وهل لديك نص الطلب؟»

«نعم ، انما اريد ان اسرع فى اجراء المعاملة ، لامر ضرورى لي . هل يمكن انجازها كلها خلال هذا اليوم؟» «اليوم؟ لا يا عزيزى ! قبل اجراء ذلك يجب ان تقدم



لي ما يثبت ان لا اعتراضات على هذه المعاملة» .  
«اذن ، عليّ ان اخبرك ان ايفان جريجوريفيتش  
صديق حميم لي ، فارجو السرعة» .

فقال ايفان انطونوفيتش دون حماس «من المحتمل ،  
ولكن ايفان جريجوريفيتش ليس وحده مسؤولاً ، فهناك  
آخرون ايضاً» .

«نعم ، ولكن الآخرين لن يشعروا بالظلم . لقد  
كنت تقسي في الخدمة واعرف كيف تسير الامور» .

فاجاب ايفان انطونوفيتش بلهجة اكثر لطفاً «من  
الافضل ان تذهب وتقابل ايفان جريجوريفيتش . دعه  
يعطى امراً لمن يهمه الامر فباستطاعتنا ان ننجز  
المهمة» .

عندئذ سحب تشيتشيكوف من جيبه ورقة نقدية  
والقاها امام ايفان انطونوفيتش ، فرفع الاخير كتاباً  
بسرعة ووضعه فوقها . وحاول تشيتشيكوف ان يريها  
له مرة ثانية ولكن ايفان انطونوفيتش هزّ راسه دلالة  
على ان هذا غير ضروري .

واضاف قائلاً «سيوصلك احد الموظفين الى غرفة  
ايفان جريجوريفيتش» .

عندئذ تقدم منهم احد الكادحين في خدمة تيميس -  
متعصب ، قدّم لها توضيحات من صميم الفؤاد جعلت  
معطفه ينشقّ عند كوعيه وتنتثر بطانته - واوصل  
صديقنا (كما اوصل فرجيل دانتى ذات مرة) الى ديوان  
الحضرة الربانية . في هذا المكان المقدس انتصبت  
بضعة كراسي من ذوات المتكا ومنضدة عليها كتابان

سميكان ومراة كبيرة . واخيراً كان الرئيس يجلس الى  
المنضدة كالشمس في وحدانيتها ، على ما تدل عليه  
الظواهر . وما وصل فرجيلنا الجديد الى باب الغرفة حتى  
بدا كان الرعب استحوذ عليه ، فقف راجعاً دون ان  
يجرؤ على ادخال قدمه داخل الباب ، وبعمله هذا عرض  
ظهراً لامعاً كالصير علقته به ريشة طير في احدى  
نواحيه . وحالما دخل الصديقان الى الحضرة الربانية  
ادركا ان الرئيس لم يكن وحيداً بل كان يجلس الى  
جواره سوباكيفيتش الذي اختبأ هيكله حتى تلك  
الساعة وراء المرأة المعترضة . اما دخولهما فقد اثار  
عاصفة من صيحات مختلفة وتسبب في اندفاع كرسيين  
من كراسي الحكومة الى الورا بينما كان سوباكيفيتش  
ذو الاردان المععبية يقف بارزاً خلف المرأة . وتناول  
الرئيس تشيتشيكوف بالعناق ، ودوت الحضرة العلوية  
برمة من الزمن برنين القبلات واخذاً يتبادلان الاسئلة  
عن صحة بعضهما البعض . وقد تبين ان الاثنين كانا  
يعانيان من تلك المسة من الالم التي تصيب الانسان  
في اسفل الخصر والتي تسببها حياة الخمول . وقد تبين  
ايضاً ان الحديث بين الرئيس وسوباكيفيتش كان  
حول بيع النفوس اذ تقدم الآن يهنئ تشيتشيكوف على  
ذلك - وهو امر كان معرجاً لبطلنا احراجاً شديداً لان  
انين من البائعين مانيلوف وسوباكيفيتش ، ساوم كل  
واحد منهما في منتهى الكتمان ، كانا يقفان الآن امام  
بعضهما وجهاً لوجه . ومهما يكن من امر ، فقد شكر

تشيتشيكيوف الرئيس شكراً جميلاً ثم التفت الى سوباكيفيتش وسأله عن صحته .

فاجاب سوباكيفيتش «الحمد لله ، لست اشكو من شيء» . وقد اصاب كبد الحقيقة بقوله هذا ، لان قطعة من الحديد قد تصاب بالبرد والعطاس قبل ان يصاب هذا الانسان الجلف .

وتدخل الرئيس قائلا «كان لك دائماً صحة جيدة ، اليس كذلك ؟ ووالدك المرحوم كان في قوتك ايضاً» . فاجاب سوباكيفيتش «نعم ، حتى انه كان يخرج لصيد الدببة وحيداً» .

فاستأنف الحاكم يقول «اظن انك تقهر الدب ان خضت معه نزالاً ؟»

فقال سوباكيفيتش «اوه ، لا ، فقد كان والدي اقوى منى - وهنا تنهد ثم اكمل يقول - لكن هذه الايام خلو من امثاله من الرجال . حتى حياة كحياتي ، ما قيمتها ؟» فصاح الرئيس «اذن انت غير راض عنها ؟»

فاستأنف سوباكيفيتش هازئاً رأسه يقول «لا ، فالراحة بعيدة عني . ولك ان تحكم بنفسك على ذلك يا ايفان جريجوريفيتش . انا الآن في الخمسين من عمري ، ولم اصب في حياتي بمرض قط حتى ولا بدمل او بثرة عرضيين . وهذه علامة غير محمودة ، اذ يجب ان ادفع الحساب على ذلك ان عاجلاً او آجلاً» وطفئت عليه مسحة من الكأبة .

اما الرئيس وتشيتشيكيوف فقد راحا يقولان في

نفسيهما «استمعوا لهذا المخلوق ! من أي شيء يشكو في حياته !»

ثم صاح تشيتشيكيوف قائلا «ان لك معي كتاباً يا ايفان جريجوريفيتش» . واخرج من جيبه رسالة بلوشكين .

وتسأل الرئيس صائعاً وهو يفض ختم الرسالة «ممن ؟ ايه انها من بلوشكين ! انه لا يزال حياً ! اي عالم غريب هذا ، لقد كان انساناً لطيفاً ، موسراً والآن . . .»

فاكمل سوباكيفيتش قائلا «الآن هو انسان خسيس ، بخيل يجيع اقنانه حتى الموت» .

فقال الرئيس «اسمعوا لي لحظة» وقرأ الكتاب . ولما اكمله راح يقول «نعم ، انا على استعداد تام لكي اكون وكيل بلوشكين . متى تريد ان تسجل عقد البيع يا سيدي تشيتشيكيوف ؟ الآن او فيما بعد ؟»

فاجاب تشيتشيكيوف «الآن اذا سمحت . واني لأرجوك في الواقع انجاز المعاملة اليوم اذا كان ذلك في الامكان ، لاني ساترك المدينة غداً . وقد احضرت معي نماذج العقود ونص الطلب» .

«حسن جداً ، الا اننا مع هذا لن نتركك تغادرنا بهذه السرعة . ستكمل العقود اليوم ، انما يجب عليك ان تمدد اقامتك عندنا . ساصدر الاوامر الضرورية الآن» .

قال ذلك وفتح باب المكتب العام حيث ظهر الكتبة



كانهم اسراب النحل حول قرص من عسل (اذا صح لي ان اشبه اعمال الحكومة بهذه المادة) .

وسال الرئيس «هل ايفان انطونوفيتش هنا ؟»  
فاجاب صوت من الداخل «نعم» .

«اذن ارسله الي» .

وعلى ذلك ظهر في العمر ايفان انطونوفيتش ذو الوجه الجرة ، وانحنى .

فقال الرئيس «خذ هذه العقود يا ايفان انطونوفيتش ، وليكن لديك علم بان . . .» فقاطعه سوباكيفيتش يقول «ارجوكم ان تذكروا اولاً ان الشهود يجب ان يكونوا حاضرين ، لا اقل من شاهدين عن كل فريق . ولنرسل اولاً الى المدعي العام الذي ليس لديه ما يعمل الا القليل ، حتى هذا القليل يقوم به رئيس كتبه زولوتوخا وهو اكبر مرتش في العالم . ومفتش دائرة الصحة ايضاً رجل خال من الاعمال ، ومن المحتمل ان يكون في البيت ان لم يكن قد ذهب الى حفلة للعب الورق . وهناك كثير من الرجال الذين يشغلون الارض عبثاً ومنهم تروخاتشيفسكي وباغوشكين» .

فقال الرئيس موافقاً «تماماً كذلك ، تماماً كذلك» وسرعان ما ارسل كاتباً يستدعي الاشخاص المذكورين . وطلب تشيتشيكوف قائلاً «يسرني لو ارسلت في طلب ممثل مفوض عن ملاكة لي معها معاملة ، وهو ابن الاب كيريل وهو موظف في مكاتبكم» .

فاجاب الرئيس «سندعوه بكل تأكيد ، سنعمل كل شيء حسب رغبتك . انما امنعك ان تقدم اي منحة

لموظفينا . هذا طلب خاص اطلبه منك . فليس من اصدقائي من يدفع درهماً واحداً» .

وبهذا اعطى ايفان انطونوفيتش التعليمات الضرورية . ومع ان هذه التعليمات لم تكد تحوز تأييد هذا الموظف ، الا ان الوثائق اثرت في الرئيس كثيراً على ما يظهر وزاد ذلك لما راى المجموع الكلي يقارب المائة الف روبل . فحرق في عيني تشيتشيكوف لحظة او لعظمتين وعلى وجهه امارات الرضى العميق ، ثم قال «احسنت يا بافيل ايفانوفيتش ! انها صفقة رائعة حقاً !» فاجاب تشيتشيكوف «انها كذلك» .

«عمل عظيم ، اجل ، عمل عظيم !»

«اننى ادرك في الحقيقة ان لم يكن في قدرتي ان اعمل عملاً احسن منه . ان اهداف المرء من حياته لا تصبح واضحة المعالم والحدود حتى يشيد هيكل حياته تلك على اساس متينة بدلاً من اوهام الشباب العابرة» . وانطلق تشيتشيكوف من هذه البداية يلقي التهم الضافية على الشباب الحديث وليبيراليتهم . الا ان نوعاً من فقدان الثقة كان يكمن وراء كلماته . كان يبدو وكأن نفسه تقول له «يا سيدى الفاضل ، انك تتكلم هراء محضاً ولا شيء غير الهراء» . حتى انه لم يجز على النظر الى مانيلوف وسوباكيفيتش . فكانه غير متأكد مما سيراه في ملامحهما . وما كان عليه في الحقيقة ان يخشى شيئاً . فوجه سوباكيفيتش لم تتحرك فيه عضلة واحدة ، اما مانيلوف فكان تحت تأثير فصاحة تشيتشيكوف بحيث لم يكن يستطيع ان يفعل

شينا الا ان يهز براسه مطاطنا بين اللحظة والاخرى  
تاييداً له - مثله في ذلك مثل عشاق الموسيقى وهم  
يستمعون الى مغنية يصحب صوتها كمان وينافسه ،  
حين تصدر نغماً فيه من الحدة ما يفوق طاقة طائر  
السمان المفرّد .

وسال سوباكيفيتش تشيتشيكوف «ولكن لماذا لا  
تخبر ايفان جريجوريفيتش عما اشتريت بالضبط ؟  
ولماذا يا ايفان جريجوريفيتش لم تسال تشيتشيكوف  
بالضبط مم تتكون مشترياته ؟ اى جمع عظيم من  
الاقنان ، بالتأكيد ، انا نفسي قد بعته صانع العجلات  
ميخيف» .

فصاح الرئيس «ماذا ؟ بعته ميخيف ؟ اني اعرفه  
جيداً . انه رجل راجح ، وقد عمل لي في فترة من  
الفترات دروزكى . لكن . . . لكن . . . اجل ، الم  
تخبرني مؤخراً انه مات ؟»

فردد سوباكيفيتش وهو يضحك «ميخيف مات ؟ ايه ،  
لا يا عزيزى . كان ذلك اخوه . اما ميخيف نفسه فهو  
حي . جداً حتى ان صحته احسن مما كانت عليه . ومنذ  
عدة ايام صنع عربة لا يمكن صنعها حتى في موسكو .  
على اية حال ، جدير بان يتفرغ للعمل عند القيصر  
وحده» .

فقال الرئيس «انه صانع ماهر حقاً . الا ان الذى  
استغرب منه هو كيف استطعت التخلي عنه» .

\* نوع منخفض من العربات ذو اربعة عجلات . المترجم .

«هل تظن ان ميخيف هو القن الوحيد الذى تخلّيت  
عنه ؟ لقد تخلّيت ايضاً عن بروبكا ستيبان النجار ،  
وميلوشكين البناء وتلياتنيكوف الحذاء . نعم لقد بعته  
كل هؤلاء» .

ولما سأل الرئيس لِمَ فعل ذلك مع ان هؤلاء القوم  
كلهم من العمال الماهرين الذين لا غنى عنهم ، اجاب  
سوباكيفيتش بان ذلك كان مجرد نزوة طغت عليه  
جعلته يفعل ما فعل ، وهكذا فان اصل هذا التصرف كله  
هو نكرة من نكرات الجنون . ثم رفع راسه فعل النادم  
على هذا العمل التهورى ، وقال .

«مع ان الشيب وخط راسي الا اننى لم اتعلم الحكمة  
بَعْدُ» .

ثم تساءل الرئيس «ولكن كيف حدث يا بافيل  
ايفانوفيتش ان تشتري الاقنان دون الارض ؟ هل  
ننوى ان ننقلهم الى مكان آخر ؟»  
«نعم» .

«حسن جداً . اذن هذه مسألة اخرى . الى اية جهة ؟  
الى مقاطعة خارسون» .

«حقاً ؟ ان هذه المنطقة كلها اراض رائعة» واخذ  
يسهب في وصف مراعي خارسون .

ثم سأل يقول «وهل لك ارض كبيرة هناك ؟»  
«نعم ، تكفى للاقنان الذين اشتريت» .

«وهل هناك نهر او بحيرة في تلك الولاية ؟»  
«كلاهما» .

وبعد هذه الاجابة القى تشيتشيكوف نظرة لا ارادية



على سوباكيفيتش . ومع ان وجه هذا الانسان كان جامداً  
كعادته ابداً ، الا ان تشيتشيكوف قرا في وجهه انه  
يقول «ايها الكذاب ! تقول ان لك نهرا وبحيرة ، وارضاً  
ايضاً» .

كان الشهود في تلك الاثناء يتوافدون الواحد بعد  
الآخر . فوصل المدعي العام ، الذي يغمز ابداً ، ومفتش  
دائرة الصحة ، وتروخاتشيفسكى وباغوشكين وآخرون -  
وكلّ منهم على حدّ تعبير سوباكيفيتش من الذين  
يثقلون على الارض عبثاً . ومهما يكن من امر فقد كان  
تشيتشيكوف يجهل بعضهم جهلاً تاماً لا سيما وقد كانت  
المعاملة تستدعي ادخال وكلاء واشخاص آخرين لإكمال  
العدد المقرر ، وهذا ما فعلوه بادخال الموظفين  
الثانويين . وتلبية للدعوة لم يصل ابن الاب كيريل  
وحسب بل وصل الاب كيريل نفسه . واضاف كل واحد  
من هؤلاء الشهود الى امضائه سلسلة من المميزات  
والمؤهلات . اضافها احدهم بأحرف مطبعية وآخر  
بالأحرف الدارجة وآخر بخط مقلوب رأساً على عقب  
لم يعهد مثله من قبل في الأبجدية الروسية . وكان  
صاحبنا ايفان انطونوفيتش اثناء ذلك يستعمل ما يليق  
من عبارات المخاطبة . وبعد ان امضيت العقود وحفظت  
وسجلت دعي تشيتشيكوف الى دفع مبلغ تافه جداً ،  
وهو النسبة المئوية التي تتقاضاها الحكومة واجرة اعلان  
الصفقة في الحريدة الرسمية . وكان السبب في ذلك  
ان الرئيس قد امر ان تؤخذ نصف الرسوم فقط من  
المشتري الحال ، وسجل النصف الآخر بشكل ممن

الاشكال في حساب انسان آخر من طالبي تسجيل  
الاقنان .

وبعد ان اكمل كل شيء ، قال ايفان جريجوريفيتش  
«والآن لم يبق علينا الا الحلو» .

فاجاب تشيتشيكوف «وانا على استعداد لهذا ايضاً ،  
وما عليكم الا ان تعينوا الساعة . وسأكون ضئيلاً حقاً  
ان لم ادع اغطية زجاجات الشمبانيا تتطاير في الهواء لقاء  
رفقتكم الطيبة» .

«ولكننا لن نتركك تغرم شيئاً ، مهما كان ذلك  
الشيء . فعلينا احضار الشمبانيا لأنك ضيفنا ، وعلينا  
نحن ان نكرمك - انه واجبنا ، انه الفرض الواجب  
علينا . اصغوا الي ايها السادة - هيّا بنا الى بيت  
رئيس الشرطة ، فهو الساحر الذي ما عليه الا ان يغمز  
بانع السمك او تاجر الخمر اثناء سيره ، ولن نتمتع  
بطيب الاكل في بيته وحسب ، بل سنلعب الوست  
ايضاً» .

ولم يثر هذا الاقتراح اي اعتراض ، لان ذكر السمك  
فتح شهية الحضور . وبناء على ذلك ، ما كادوا يسمعون  
به حتى حدث هجوم على القلانس والقبعات . واذ كانت  
الزمرة تمر من قاعة المكاتب العامة همس ايفان  
انطونوفيتش في اذن تشيتشيكوف بانحناء لطيفة من  
وجهه الشبيه بالجرة قائلا «لقد دفعت مئة ألف روبل  
للاقنان ، ولكنك لم تدفع لي مقابل تعبى الا شيئاً  
زهيداً جداً» .

فاجابه تشيتشيكوف بهمسة مماثلة «نعم ، ولكن اي

نوع من الاقنان تظنهم ؟ انهم طائفة ضعفاء لا نفع فيهم ، ولا يساوون حتى نصف هذه القيمة» .

وفهم ايفان انطونوفيتش من هذا ان الرجل ذو شخصية قوية - رجل لا ينتظر منه ان يدفع اكثر مما فعل .

وهمس سوباكيفيتش في اذن تشيتشيكوف «وبأي ثمن اشتريت انفسا من بلوشكين ؟»

فتمتم تشيتشيكوف قائلاً «ولماذا اضفت المرأة فوروبي الى قائمتك ؟»

«فوروبي ؟ من فوروبي هذه ؟»

«المرأة اليزابيت فوروبي - اليزابيت وليس اليزابيتا» .

«لم اضف اسماً كهذا» . وانضم سوباكيفيتش الى الضيوف الآخرين .

ووصلت الزمرة اخيراً الى بيت رئيس الشرطة . واثبت الاخير انه رجل ساحر حقاً ، اذ لم يكذ يعلم بحقيقة الامر حتى دعا شرطياً شاباً نشيطاً وهمس في اذنه بشيء ما ، ثم اضاف بصوت عال يقول «لقد فهمت ، اليس كذلك ؟» ثم رتب الامر بحيث جلس الضيوف في غرفة جانبية يلعبون الورست ، بينما راحت مائدة الطعام تزخر بسمك الحفش والكافيار والسالمون والزجر والجبن واللسان المدخن والبطررخ الطازج والمعلب - كلها قد احضرت من السوق المحلية واضيفت اليها اصناف من بيت المضيف نفسه من اطباق مطبخه فطيرة محشوة بالغضاريف ، ووجنات سمكة سلمون

ضخمة ، وفطيرة اخرى محشوة بالفطر وصفائر . كان رئيس الشرطة المحترم في الحقيقة ، في مركزه ذاك كانه اب لاهل المدينة او ولي نعمتهم ، فكان يسير بين المواطنين كما يسير المرء بين اهله وذويه ويحدث في الاسواق والحوانيت كان هذه مستودعات خاصة له . وقد كان يقوم بواجباته على ما يرام حتى يتعذر علينا ان نقول فيما اذا كان هو الذي يصلح لمنصبه ذاك او ان منصبه هو الذي يصلح له . وقد استطاع ان يسوي اموره تسوية مرضية بحيث لم يفقد مرة حب موطنيه مع ان دخله قد اربى على ضعفه دخل سابقيه . وقد احبه التجار على الاخص حبا جمّاً ، لانه لم يتعال عن ان يكون لهم كما يكون الاب لاطفاله ولم يتكبر ان يأكل الطعام على موائدهم . وكانت له في الحقيقة خلافات في الراي معهم - وخلافات خطيرة في هذا الخصوص . لكنه كان دائماً يعدلها بان يخبط المستاء منهم على كتفه ويشرب معه قحاً من الشاي ويعده بزيارة في بيته ولعب الشطرنج معه . وكان يسأل عن شؤون التاجر الخاصة واذا علم ان له ابناً مريضاً وصف له العلاج اللازم . باختصار ، كان يتمتع بسمعة طيبة جداً . وحين يستقل عربته ، ليتفقد الامور ، لا يفوته في الوقت ذاته ان يلقي جملة لهذا او لذاك «طبيب ، يا ميخيتش ! لا بد ان نتم دورة لعبتنا في وقت ما» . فيرد هذا خالفاً قبعته : «صحيح ، يا الكسي ايفانوفيتش ، لا بد» . - «طبيب ، يا اخ ايفان بارامونيتش ، زرني والى نظرة على حصاني السباق .



انا واثق انه سيسبق حصانك ، ولا تنس ايضا ان تعد  
 حصانك للسباق . لنجرب» . فيستدر ذلك من هذا  
 التاجر المفتون بالخيل العداة ابتسامة مخصصة ،  
 ويقول برحابة صدر ، كما يقال ، ممسداً لحيته  
 «لنجرب ، يا الكسي ايفانوفيتش !» وحتى الباعة في  
 الحوانيت الذين كانوا يقفون عادة في مثل هذا الوقت  
 وقبعاتهم بايديهم فقد كانوا جميعاً يتبادلون النظرات  
 فيما بينهم بارتياح ، ولسان حالهم يقول «الكسي  
 ايفانوفيتش رجل معتبر !» وباختصار استطاع ان يحظى  
 بشعبية تامة ، وكان رأى التجار ان الكسي ايفانوفيتش  
 «على رغم حبه للرشوة ، لن يشي بك ابداً» .

وما ان رأى رب البيت ان المائدة مهيأة حتى اقترح  
 على ضيوفه ان يؤجلوا لعبة الورست الى ما بعد الغداء ،  
 ودعوا كلهم الى غرفة الطعام حيث كانت منذ زمن غير  
 قليل تنبعث منها الى خياشيمهم رائحة شهية وحيث كان  
 سوباكيفيتش بالذات يوجه نظاره الى سمكة حفش  
 ضخمة موضوعة على الخوان . وبعد ان تناول كل فرد  
 منهم كأساً من الفودكا الزيتية اللون - فودكا ذات لون  
 لا يرى الا في ذلك النوع من احجار سيبيريا الذي  
 تصنع منه الاختام - انكب القوم على الاشواك  
 والسكاكين ، وبعملهم هذا تجلت ميزاتهم واذواقهم  
 المختلفة . فقد استنكف سوباكيفيتش مثلاً عن الزهيد  
 التافه من الطعام وتوجه الى سمكة الحفش الكبيرة .  
 وبينما كان زملاؤه الضيوف يأكلون خفيف الطعام  
 ويشربون ويتحدثون تمكن من ان يلتهم معظم

السمكة . حتى ان رب البيت لما تذكر هذا المخلوقة  
 وتوجه اليها وهو يحمل الشوكة في يده قائلا «ما راىكم  
 ايها السادة في انتاج الطبيعة العجيب هذا ؟» تبين له  
 ان انتاج الطبيعة العجيب لم يبق منه الا ما يزيد قليلاً  
 عن الذنب . هذا بينما كان سوباكيفيتش - واثقاً ما  
 يدل عليه مظهره انه لم يأكلها - كان معنياً بغرز  
 شوكته في سمكة اخرى اقل من سابقتها حجماً ، كانت  
 ملقاة في طبق قريب . وبعد ان هجر السمك لم يأكل  
 ولم يشرب شيئاً آخر بل جلس على كرسيه ذى المتكأ  
 متجهماً راسماً .

وما كان رب البيت بالبخل بالخمر ، لأن الانخاب  
 التي شربت كانت لا تحصى . جرع اولها (كما قد  
 يتصور القارى) نخب مالك خارسون الجديد ، وثانيهما  
 نخب توفيقه في فلاحيه وتقلهم بسلام ، وثالثهما نخب  
 جمال زوجته المقبلة - تحية جعلت شفتي بطلنا ترفان  
 ابتساماً . واخيراً وجه اليه الجمع دعوة حارة اجماعية  
 بان يمدد اقامته في المدينة اسبوعين آخرين على الاقل  
 وان يسمح في الوقت نفسه بالتفتيش عن زوجة له .  
 - لا ، يا بافيل ايفانوفيتش ! لك ان تقول ما تشاء ،  
 ولكن هذا بمثابة تبريد الجو . تصل الى العتبة ، ثم تعود  
 من حيث اتيت ! يجب ان تمضي بعض الوقت معنا !  
 وسنزوجك ، اليس كذلك ، يا ايفان غريغوريفتش ،  
 نزوجك ؟

فوافق الرئيس قائلا «تماماً كذلك . اننا مصممون  
 على زواجك حتى لو قاتلتنا بالباع والذراع . لقد اوقعك

الحظ بيننا ولن تندم على ذلك ، واننا في الامر لجادون» .

فقال تشيتشيكوف باسماء «لكن لماذا اقاتلكم بالباع والذراع ؟ ان الزواج لا يأتي عرضاً . لو كانت لسي خطيبة فقط . . .»

«اذن ستكون لك خطيبة . لم لا ؟ اننا سنعمل حسب رغبتك» .

فوافق تشيتشيكوف قائلا «حسن جداً» .

فصاحت الجماعة «لله درك ! لله درك ! يعيش بافيل ايفانوفيتش . مرحى ! مرحى ! وبهذا ادنى كل واحد منهم كأسه الى كأسه ، وكان قرع الكؤوس ، واخذ هو يتلقى التحيات ، يتلقاها مرارا عديدة على التوالي . وكان مرح الجماعة في الواقع يزداد بمرور الوقت ، حتى ان الرئيس (وهو رجل شديد اللطف حين تسيطر عليه كأسه) عانق ضيف الساعة بالكلمات العاطفية التالية «يا اعز انسان ! يا اغلى صديق لى ! لا ، بل راح يرقص حول الكرسي الذى جلس عليه الضيف ويفرقع باصابعه ويفني مقاطع من اغنية شعبية . وتبع الشمبانيا نبذ هنغارى زاد في حيوية الجماعة والتهاب عواطفهم . عندئذ كان كل منهم قد نسي لعبة الوست واستسلم للصياح والجدل . ولقد بحثوا كل المواضيع التى تقبل البحث بما في ذلك الشؤون السياسية والحربية . وقد ابدى الضيوف بهذا الخصوص آراء ركيكة تافهة لو سمعوها من ابنائهم في غير هذا الوقت لصغموهم عليها صفعاً شديداً . وحلوا

العديد من القضايا المعقدة . وقد احس تشيتشيكوف كالبقية بمرح ليس له به عهد من قبل ، فتوهم انه صاحب خارسون بحق ، وراح يتكلم عن اصلاحات زراعية مختلفة وعن النظام الثلاثي لاستغلال الارض ، وعن الغبطة والسعادة في ائتلاف روحيين متشابهين . وراح يروى شعراً لسوباكيفيتش الذى كان يرمش وهو يستمع لان به رغبة شديدة للنوم . واخيراً ، ادرك ضيف الساعة ان الامور قد وصلت حدّها فطلب ايصاله الى مقره . وهينئت عربة المدعى العام من نوع دروزكي لهذا الغرض . وكان سائق العربة لحسن الحظ رجلاً خبيراً في عمله ، اذ استطاع ان يمسك الاعنة بيد واحدة وان يستند الى الخلف ويمسك تشيتشيكوف باليد الاخرى امساقة تقيه من الخوف . واستمر بطلنا يثرثر حول فتاة ذات شعر اشقر وشفتين ورديتين وغماسة على خدّها الايمن وعن رأس ماله وقراه في خارسون الى ان دخل النزل . وليس ذلك فقط ، بل اصدر اوامر عاليه الى سيليفان ان يذهب ويجمع الفلاحين الذين سينقلهم ويعدّ لائحة كاملة مفصلة عنهم . واستمع له سيليفان برهة وهو صامت ، ثم ترك الغرفة وذهب الى بتروشكا يطلب منه ان يساعد السيد في خلع ملابسه . وكما حصل ، فلم تكذ تنزع نعلا تشيتشيكوف حتى اكمل بقية المهمة بنفسه دون

• الطريقة التى يزرع بها ثلثا الارض ويترك الثلث بوراً . الناشر .



مساعدة ، وتدحرج على السرير (الذى صرف صريفاً مزعجاً عندئذ) وغرق في نوم عميق يليق من جميع الوجوه بملاك خارسون . بينما اخذ بتروشكا معطف السيد وسراويله العنابية الى الممر حيث نشرهما على سرج حصان وراح يحسّهما بالفرجون ويملا الممر كله غباراً . واذ كان يهمّ بارجاعهما الى غرفة سيده ، نظر عبر الرواق فرأى سيليفان راجعاً من الاسطبل . فتبدلت بينهما النظرات وتوصل الاثنان الى تفاهم غريزيّ - تفاهم على ان السيد نائم نوماً عميقاً وان من واجب المرء الآن ان يلتفت الى متعته الخاصة . وبناء على ذلك ، ارجع بتروشكا المعطف والسراويل الى موضعيهما ونزل السلم ثم غادر النزل برفقة سيليفان . ولم تدر بينهما كلمة واحدة عن هدف مهمتهما بل على العكس راحا يتحدّثان عن امور خارجية . الا ان مسيرهما لم يبتعد بهما كثيراً ، بل قادهما الى الناحية الاخرى من الشارع ثم الى بناية تقابل الفندق مباشرة ، واجتازا باباً زجاجياً ثم دخلا غرفة فيها بعض الزبائن الجالسين الى موائد خشبية صغيرة ملتحين وغير ملتحين ، بعضهم في معاطف فرائية والبعض الآخر في قمصان لا غير ، وآخرون في معاطف من النسيج الخشن . اما ماذا عمل سيليفان وبتروشكا بعد ذلك فهذا ما لا يعلمه الا الله . على أية حال فقد خرجا بعد ساعة من الزمن وهما صامتان صمتاً عميقاً وكل منهما يتأبط ذراع الآخر ويتشبث به تشبثاً غريباً ، وكل منهما على استعداد دائم لمساعدة اخيه عند مرورهما

بزاوية مظلمة . وصرفا ربع الساعة التالية في محاولة صعود سلّم النزل ، وهما لا يزالان مشتبكين معا ولم يتركا بعضهما لحظة واحدة . واخيراً تمكّنا من الصعود وسارا في طريقهما . ووقف بتروشكا يفكر برهة امام فراشه الصغير الحقيق . كانت المشكلة امامه هي كيف يمكن ان يضطجع عليه . واخيراً ، اضطجع على وجهه ورجلاه ترفلان على الارض . ثم اضطجع سيليفان على الفراش نفسه ايضاً ورأسه على خصر بتروشكا وهو غافل كل الغفلة عن نومه هنا لا يجوز إطلاقاً بل يجب ان ينام في مكان الخدم او في الاسطبل قرب الخيول . ولم تكد تمضي لحظة واحدة حتى غرق الاثنان في النوم وراحا يصدران شخيراً أجشّ اجاب عليه سيدهما من الباب المجاور بشخير أنفيّ ذي صفير . ولم يمض في الواقع وقت طويل حتى حذا حذوهما المريح كل من في النزل . وبدا الفندق وكأنه غارق في بحر الراحة العميمة . الا ان نوراً كان لا يزال منبعثاً من غرفة الملازم الذي وصل حديثاً من ريبازان . كان جليلاً انه مفتون بالاحذية لانه اشترى اربعة ازواج وهو يحاول الآن شراء الخامس . وقد اقترب مرّات عديدة من الفراش قاصداً ان يخلع الحذاء ويأوى الى مضجعه ، ولكنه فشل في كل مرة من هذه المرات لأن الحذاء كان مغريباً جداً بحيث لم يجد امامه بدءاً من ان يرفع اولا احدى قدميه ثم الاخرى ليتأمل في حواشي الحذاء الانيقة .



## الفصل الثامن

سرعان ما أصبحت مشتريات تشيتشيكوف حديث المدينة ، واختلفت الآراء فيما اذا كان من الصواب شراء الاقنان من بلد ونقلهم الى بلد آخر . وفي الحقيقة كان اهتمام بعض المواطنين في الامر اهتماماً بالغ الشدة . وكان آخرون يقولون «بالطبع ، لا اعتراض لأحد على ذلك . فان الاراضي في الولايات الجنوبية جيدة وخصبة ، ولكن كيف سيدبر فلاحو تشيتشيكوف امورهم بدون ماء ؟ وفي تلك المنطقة لا يوجد أي نهر» . - «لا يهم كثيراً ، اذا لا يوجد ماء ، لا بأس ، يا ستيبان دميترييفيتش ، ولكن توطينهم مسألة مشكوك فيها . انت تعرف الفلاح ، اذا استوطن أرضاً جديدة ، وتوجب عليه ان يحرقها ويزرعها علاوة على ذلك ، بينما هو لا يملك بيتاً ، ولا ملحقاته ، مروبه مؤكد مثل اثنين واثنين تساوي اربعة . سيهرب دون ان تجد له اثراً» . - «لا ، يا الكسي ايفانوفيتش ، وأرجو المَعذرة ، انا لا اتفق معك . انت تقول فلاحو تشيتشيكوف سيهربون . الروسي يتلاءم مع كل شيء ، ويتعود على كل مناخ . ارسله الى كامتشاتكا ، وإعطه قفازين دافئين ، وستراه يضرب كفيه ، ويمسك الفأس ، ويخرج ليقطع الأشجار ، ويصنع منها كوخاً جديداً له» . - «ولكنك ، يا ايفان غريغوريفيتش فأتك شيء مهم . انت لم تسأل أي فلاحين هم فلاحو تشيتشيكوف . ونسيت ان المالك لن يبيع شخصاً

معتبراً . انا مستعد ان اقطع رأسي اذا لم يكونوا فلاحو تشيتشيكوف لصحواً او سكيرين الى آخر درجة ، او تنابلة تماماً ، او شقاة مشاكسين» . - «بالضبط ، بالضبط . انا متفق معك ، صحيح لا أحد يبيع ناساً معتبرين ، وفلاحو تشيتشيكوف هؤلاء سكيرون ، ولكن يجب الانتباه الى ان ذلك هو ما يسمى بالمعنوية . هنا تلعب المعنوية دورها . إن هؤلاء عاطلون الآن لا ينفعون لشيء ، ولكن حالما يستوطنون أرضاً جديدة حتى يمكن ان يصيروا رعايا ممتازين . وهناك امثلة غير قليلة على ذلك في عالمنا الراهن ، وفي التاريخ ايضاً» . - «مستحيل ، مستحيل ، - قال مدير المعامل الحكومية - صدقوني ، هذا لا يحصل أبداً . لأنه سيكون لفلاحو تشيتشيكوف الآن عدوان قويان . العدو الأول هو القرب من ولايات اوكرانيا ، حيث يبيع الخمرة ، كما تعرفون ، بلا قيود . انا اؤكد لكم انهم خلال اسبوعين سيحبسون جرادل من الفودكا ، ويصيرون سكارى طينة . والعدو الآخر هو التعود على حياة التصعلك التي لا بد ان تلحق بالفلاحين عند الانتقال . ويجب ان يكونوا دائماً تحت مراقبة تشيتشيكوف ، وان يمسكهم بيد من حديد ، ويعاقبهم على كل هفوة ، ولا يعتمد في ذلك على شخص آخر ، بل ان يلخمهم ويصفعهم على القفا بيديه هو وكما يجب» . - «ولماذا يكلف تشيتشيكوف نفسه ، ويصفعهم على القفا . يمكنه ان يحصل على مدير اعمال» . - «أي نعم ، وكيل اعمال . كلهم نصابون !» - «نصابون ، لأن الاسياد لا



ينشغلون بأعمالهم». أيده كثيرون قائلين : «صحيح ، يجب ان يعرف السيد ، ولو قليلاً عن ادارة اعماله ، ويقدر ان يميز بين الناس . وعند ذاك سيكون له دائماً وكيل اعمال جيد» . ولكن مدير الاعمال قال - بأقل من خمسة آلاف لا يمكن ايجاد مدير اعمال جيد . ولكن الرئيس قال - يمكن ايجاده وحتى بثلاثة آلاف . ولكن مدير الاعمال قال : «أين تجده ؟ تحت أنفك ؟» ولكن الرئيس قال : «لا ، ليس تحت أنفي ، ولكنه في هذا القضاء ولا أبعد منه . وبالذات بيتر بيتروفيتش سامويلوف ، فهو مدير الأعمال اللازم لفلاحسي تشيتشيكوف !» وتفهم الكثيرون وضع تشيتشيكوف بشكل جيد ، كما أزعجتهم للغاية صعوبة إعادة اسكان هذا العدد الغفير من الفلاحين ، فأخذوا يبدون مخاوفهم الشديدة من ان يحصل كل شيء ، وحتى العصيان ، بين اناس مشاغبين ، كفلاحي تشيتشيكوف . وبهذا الصدد لاحظ مدير الشرطة ان لا خوف من العصيان ، وان سلطة مأمور مركز ما وجدت إلا لقمع هذا العصيان ، وان مأمور هذا المركز ، وإن كان نفسه لا يخرج ، إلا ان سيرسل بدلاً منه قبعته الرسمية ، وهذه القبعة وحدها ستطارد الفلاحين الى حيث يقيمون . وعرض الكثيرون آراءهم بخصوص كيفية استئصال روح التمرد التي استولت على فلاحي تشيتشيكوف . وكانت الآراء من مختلف الاصناف ، ومن بينها كانت تفوح القسوة العسكرية والصرامة الزائدة تقريباً ، وبالمقابل ، كانت هناك آراء تنم عن روح التساهل . وذكر مدير البريد

ان واجباً رهبانياً سيواجه تشيتشيكوف ، وان نسي مكانه ان يكون بين فلاحيه بمثابة الأب لتطبيق حتى التعليم الاحسانى وذكر ببناء كبير مدرسة للتعليم المتبادل في مدينة لانكاستر .

هكذا تكلموا في المدينة حتى انهم راحوا ينصحون المشتري باستصحاب الحرس الكافي لكي يؤمن وصول القافلة الى مقرها بسلام . ومع ان تشيتشيكوف شكر الناصحين نصيحتهم وقال بأنه سيكون مسروراً للجوء الى هذه الحيلة اذا اقتضى الامر ، الا انه أعلن أيضاً بان ليس هناك من حاجة ماسة للحراسة لأن الفلاحين الذين ابتاعهم قوم مسالمون كل المسالمة ، وبما انهم موافقون في الاصل على فكرة النقل فمما لا ريب فيه انهم سيسلسون القياد .

ومن النتائج الحميدة التي انبثقت عن هذه الدعاية لمشروعه ان أصبح يعدّ في عيون الناس من اصحاب الملايين لا اكثر من ذلك ولا اقل . وبناء على ذلك ، فاذا كان سكان المدينة قد احبوا بطلنا لأول وهلة (كما مرّ بنا في الفصل الاول) ، فقد احبوه الآن اكثر من اى وقت مضى . وقد كانوا في حقيقة الامر معشراً يتميزون تميزاً فريداً بالهدوء والطيبة وسلاسة المزاج وكانت احاديثهم على هذا الشكل البسيط الوديع «عزيزي الفاضل ، ايليا ايليتش» ، «اسمع ، يا اخ ، انتيباتور زخارافيتش ا» ، «لقدت يا عزيزي ايفان غرغورييفيتش» . وكانوا يضيفون دائماً لمدير البريد المدعو ايفان اندرييفيتش «شبريخين ذى ديتش ، يا



ايفان اندر"يتش ؟» (أى «أ تتكلم بالالمانية ؟»  
وباختصار كانوا في جو عائلي ممتاز . وكان الكثيرون  
منهم ليسوا بلا ثقافة تماماً . فرئيس المجلس المحلي  
مثلاً ، كان يحفظ عن ظهر قلب قصيدة «لودميلا»  
للشاعر جوكونفسكي التي كانت آنذاك في أول ذبوعها  
فاذا ما تلاها ووصل الى المقطع الذى يقول فيه «بان  
النوم خيم على غابة الصنوبر ، والوادي في هدوء» وكلمة  
«انصتوا» التي تلي ذلك ، فانه يضع في القائه من  
الايقاع التأثيرى ما يجعل المرء يتصور ان النوم  
والهدوء قد خيما على الغابة والوادي حقاً . ويبلغ  
التأثير ذروته في الحقيقة بالطريقة التي يسبل فيها  
اجفانه في تلك اللحظات . اما مدير البريد فقد كان  
اتجاهه اتجاهاً فلسفياً فكان يواظب على قراءة كتب من  
امثال «خواطر الليالى» للكاتب يونغ ، و«اسرار  
الطبيعة» لايكارتسهاوزن ، وكان يستشهد من الاخير  
بمقاطع عديدة لا يفهم سامعوه منها شيئاً . وفيما عدا  
ذلك كان ذكياً فصيحاً مغرمًا بتنميق الكلام وزخرفته ،  
فيستعمل لهذا الغرض تعابير كالتالية - «يا سيدى  
العزیز» ، «الله اعلم» ، «هل عرفت» ، «هل فهمت ؟» ،  
«هل تتصور ؟» ، «نسبياً» ، «مثلاً» ، «وبالاضافة الى  
ذلك» ، «الخب ، الخ» - تعابير يستطيع ان يملأ منها  
اكياساً . ويستطيع ان يزخرف كلامه ايضاً بطريقة  
اخرى ، وهي ان يسبل احد اجفانه فتصبح عينه بين  
الغمض والغمز - حيلة كانت تضفي على تعليقاته  
الساخرة اثرًا لاذعاً . ولم يكن زملاؤه اقل منه الماماً .

كان احدهم مثلاً ، لا ينفك يقرأ مؤلفات كرامزين  
التاريخية ، وآخر لا ينقطع عن تصفح «جريدة موسكو» ،  
وثالث لم يفتح كتاباً ابداً . والبعض الآخر كان مما  
يدعى «البعوضة» اى ذلك الذي اذا اردت ان تنهضه  
فلا بد ان تنغزه بشيء ما . والبعض الآخر كان تنبلاً ،  
قضى عمره كله مستلقياً على جنبه ، كما يقول المثل ،  
بل ومن العبت ان تجرب وتنهضه من مكانه . فانه لن  
يبارح مكانه في كل الاحوال . اما من حيث المظهر فهم ،  
كما هو معروف ، اناس يعتمد عليهم ، ولن تجد اى  
مسئول بينهم . ومع انهم في حياتهم الداخلية ينادون  
من قبل نساءهم بالقبائل مثل «ابو كرش» و«برميسل»  
و«فار» و«عزيزي» الا انهم كانوا في الواقع على قسط  
كبير من حسن النية وطيبة القلب ذوى كرم حاتمي  
يفتحون قلوبهم لكل من شاطرهم الخبز والملح او قضى  
معهم ليلة فى لعبة الورق ، وخصوصاً لتشيتشيكيوف  
الذى يعرف اسرار الفتنة بدقة واحكام . لهذه الخصائص  
الطيبة التي كان يتحلى بها اهل المدينة اصبح  
تشيتشيكيوف موضع الاعجاب والتقدير ، بحيث عاد من  
الصعب عليه ان يترك البلد الذى اينما حل فيه طننت  
في اذنيه جملة واحدة لا تتغير وهي «ابق معنا اسبوعاً  
آخر يا بافيل ايفانوفيتش» . باختصار ، اصبح يحس  
بانه محاط بالقلوب وليس له من الحرية ما يستطيع  
ان يفعل بها ما يشاء . ولكن الوقع المدهش حقاً (وهو  
امر لا يخلو من الغرابة) هو ذلك الذى تركه  
تشيتشيكيوف في قلوب السيدات . ولكي استطاع ان



أشرح هذه الظاهرة شرحاً وافياً عليّ أن أقول الكثير عن السيدات أنفسهن وأن أصف علاقاتهن الاجتماعية ومميزاتهن الروحانية وصفاً جليلاً في أوضح الألوان . ولكن أمراً كهذا سيكون شاقاً عسيراً عليّ لسببين - أولهما هو احترامي العميق لجميع نساء الموظفين المدنيين ، وثانيهما . . . أجل . . . أن الأمر نفسه صعب حقاً . على أية حال فإن نساء مدينة «ن» كن . . . لكن لا ، لا استطيع . . . إن قلبي ليخذلني . أن نساء مدينة «ن» يتميزن . . . لكن لا لا فائدة ، أن الريشة تأبى أن تتحرك على الورقة وكأنها أثقلت بالحديد . وما دام الأمر كذلك ، فسأكتفي بكلمة أو كلمتين عابرتين عن مزاياهن الطاغية وسماتهن البارزة ، وكلمة أو كلمتين عن المظهر والمنظر ثم كلمة أو كلمتين عن سلطحيات الأمور . كانت نساء «ن» يعتنين أكثر مما يعتنين بالوسامة . ويمكن اعتبارهن من هذه الناحية نموذجاً لنساء المدن الأخرى . أي انهن كن يمشين على أصول اللياقة ويتبعن قواعد الزينة ويتابعن الطراز الحديث باهتمام كبير . وهن فيما يختص بهذا الشأن يَبْزُزْنَ سيدات موسكو وبطرسبورج من حيث أن لهن ذوقاً رفيعاً في الملابس ولا يركبن في العربات إلا إذا كانت على أحدث طراز وإذا ما خرجن يصطحبن معهن الحارس الذي يرتدى البذلة المقصبة . وهن يقدرسن بطاقات الزيارة - حتى لو كتبت لسبب من الأسباب على ورقة الآس الديناري أو الاثنين الاسباتي . كانت هذه الأمور في موضع كبير من القداسة ، حتى أن صديقتين

حميمتين جداً كانت تربطهما أخوة متينة منذ أمد بعيد ، اختلفتا مرة من المرات وانقطع بينهما جبل الوداد لأن أحدهما لم ترد الزيارة للأخرى ! ومع أن الأزواج والأقارب تدخلوا بين المتنازعتين لأصلاح ذات البين ، إلا أنهم أدركوا آخر الأمر أن كل شيء في هذا العالم يمكن أن يغتفر إلا إهمال الزيارة . وهكذا بقيت كلتا السيدتين تتبادلان الجفاء على حد تعبير المجتمع المحلي . وكانت بين الحين والحين تظهر مشاهد حول الأفضلية والسبقية بين النساء - مشاهد من ذلك النوع الذي أثار في قلوب الأزواج مشاعر الغروسيّة والمغامرات حول الجنس اللطيف وحمائته . إلا أن مبارزة لم تحدث بينهم قط ، وذلك لأن كل الأزواج كانوا موظفين في خدمة الحكومة . إلا أن الخصم كان يوقع بخصمه اذى شديداً كلما سنحت له الفرصة ، وهو أمر قد يكون أكثر اضراراً بالخصم من المبارزة . أما فيما يختص بالاخلاق فقد كانت نساء «ن» محافظات جداً ، وكانت فضيلتهن تجعلهن يتميزون غيظاً إذا ما سمعن عن حادثة من حوادث الرذيلة . لا ، حتى انهن على مجرد اللين كن يسبحن سوطاً خالياً من الرحمة . أما من الناحية الأخرى ، فإذا مر ذكر من يسمى عادة «بالشخص الغائب» في جلسة كن فيها ، فانه يمر بشكل لا يسترعى الانتباه وفي غاية الكتمان ، حتى الزوج الذي يمسّه هذا الكلام يبدو وكأنه على أهبة الاستعداد ، فيما لو رأى «الشخص الغائب» أو سمع عنه ، أن يقول بلطف وتعقل «وما شأن هؤلاء القوم بين الصديق



والصديق ؟» وبالإضافة الى ذلك ، يجب ان اقول بأن نساء مدينة «ن» يشبهن عالم النساء في مدينة بطرسبورج من حيث اغراقهن في استعمال التعابير الانيقة وحرصهن على اختيار الكلمات الرقيقة . فلم تكن سيده منهن تقول «مخطت» او «عزقت» او «بصقت» . لا ، ابدأ بل كانت تقول مثلاً «زحت العبء عن انفي باستعمال المنديل» او ما شابه ذلك . وكان من المحظور ايضاً ان تقول «هذه الكأس او هذا الطبق ذو رائحة كريهة» . حتى الاشارة الى كلمة كهذه كانت لا تليق بتاتا . ولكن التعبير المناسب في هذه الحالة هو ان تقول «ان هذه الكأس او هذا الطبق لا يبدو طيباً» - او اى تعبير آخر من هذا القبيل . ومن اجل تهذيب اللغة الروسية تهذيباً كاملاً ، حذف نصف كلماتها ، فكان عليهن والحالة هذه ان يلجأن الى اللغة الفرنسية ، لأن الكلمات نفسها اذا قيلت باللغة الفرنسية كانت شيئاً آخر مختلفاً اختلافاً كلياً ، ويستطيع المرء ان يستعمل كلمات اكثر فظاظه من تلك التى كانت موضع اعتراض في الاصل . واذا شئنا ان نحصر انفسنا في نطاق الملاحظات السطحية عن نساء مدينة «ن» ، ففيما قلناه الكفاية . ولا حاجة بنا الى القول بأن التعمق اكثر من ذلك سيكشف عن خفايا كثيرة اخرى . لكن التعمق في قلوب السيدات غير سليم العواقب . فلنلزم السطحيات اذن ولنكمل الحديث . كان السيدات ما قبل ذلك لا يعرن تشيتشيكوف اهتماماً خاصاً مع انهن يعترفن له بحسن السلوك ولطف المعشر . اما الآن وقد

سرت الشائعات القائلة بأنه صاحب ملايين فقد اخذت تبرز له صفات اخرى . ولم تكن تسيطر على كل السيدات مصلحة ذاتية من وراء ذلك ، انما الواقع ان السبب هو لقب «صاحب الملايين» لا مميزات الشخص الذى يحمل اللقب فلرئين هذه الكلمة اثر بلا حدود في نفوس العالم كله : المحترمين منهم والانذال ومن هم ليسوا بأولئك ولا بهؤلاء . وصاحب الملايين يعاني دائماً من رزية الوضاعة في كل مكان - الوضاعة الخالصة لوجه الله ، الخالية من المصلحة . فكثير من الناس يعلمون جيداً انهم لن يستفيدوا منه قطميراً ، ولكنهم مع ذلك يلاحقونه بابتساماتهم ورفع قبعاتهم ويسعون جدهم ليجزور الولائم التى يعرفون انه ذاهب اليها بغية التشرّف بالمثول في حضرة صاحب الملايين . لا يمكن القول ان هذا النوع من الوضاعة استولى على سيدات مدينة «ن» بطبيعة الحال . ومع ذلك فانهن يتهاوسن في صالات الاستقبال بأن تشيتشيكوف إن لم يكن آية في الجمال فهو على الاقل كما يجب ان يكون الرجل . ومن الاسوأ لو كان اكثر سمعة او اكثر نحافة . وفي هذه المناسبة كانت تصدر تعليقات جارحة عن الأزواج النحاف وتشبيهات تصفهم بأنهم يشبهون مسواك الاسنان اكثر مما يشبهون الرجال - وتشبيهات نسوية مماثلة اخرى . واخذت السيدات يبدن اهتماماً خاصاً بملابسهن وزينتتهن . فانطلقت جماهيرهن الى السوق حتى أصبحت مكتظة بهن مزدحمة ، واصطففت عرباتهن فيها في صفوف طويلة جداً كأنها في موكب



حافل . أما التجار فكانت لهم الفرحة الكبرى عندما رآوا ان البضائع النفيسة الغالية التي تكدست لديهم منذ امد طويل دون ان تجد شاربياً يشتريها ، تصبح نجاة موضع الطلب وتنغد في لمح البصر . وحدث مرة ان ذهبت سيده الى الصلاة بثوب منفوش يكاد يملأ قاعة الكنيسة بحيث اضطر ضابط الشرطة ان يطلب من عامة الناس التراجع الى المدخل مخافة ان يتلوث ثوب السيدة . حتى ان تشيتشيكوف نفسه لم يستطع بينه وبين نفسه الا ان يدرك الاهتمام العظيم الذي اثار . وقد رجع مرة الى النزل فوجد رسالة معنونة باسمه . ولم يجد سبيلا لمعرفة المصدر الذي جاءت منه او معرفة الشخص الذي اوصلها ، لان خادم النزل قال له بان حامل الرسالة رفض ان يذكر شيئاً . كانت الرسالة تبتدى راساً بالكلمات التالية «يجب ان اكتب اليك» ثم تستمر فتقول بان هناك رباطاً روحياً وثيقاً يربط ما بين نفسيين متماثلتين . ولتأكيد هذه الحقيقة وضعت بعدما نقطاً كثيرة جداً تملاً عدداً من السطور يكاد يقارب نصف سطور الرسالة . وتلا ذلك بعض التأملات الفكرية الصادقة جداً بحيث لا اجد بداً من ان اضعها للقارى بنصها . قالت كاتبة الرسالة «واني لاتساءل ، ما هي حياتنا ؟ انها ليست غير مهددة من الثبور . واتساءل ايضاً ما هو العالم ؟ انه ليس الا جمهرة من البشر لا يفكرون» . ومن ثم تقول بانها ذرفت دمعة غالية على ذكرى امها العزيزة التي توفيت قبل خمسة وعشرين عاماً ، ومن ثم فان الكاتبة (وهذا ما فرضناه في البدء)

تدعو تشيتشيكوف الى الانطلاق معها في البراري وترك المدينة الى الابد نظراً لكابوس الضوضاء والجو الخانق الذي لا يكاد المرء يستطيع فيه التقاط انفاسه . وفي نهاية الرسالة تكشف الكاتبة عن يأس عميق بالشعر التالي :

قمرية الوادي ستنبش اعظمي  
وهديلها النواح يهتف قائلاً

من قبرها يوماً وسوف تراها  
عني لقد ماتت لغرط وحدتها واساها

اجل ، ان البيت الاخير مكسور ، ولكن لا اهمية لذلك اطلاقاً ، فالرباعيات التي نظم الشعر على اساسها هي آخر طراز من نظم الشعر في تلك الآونة . وكانت الرسالة خلوا من التوقيع والتاريخ ، ولكن العقت بها حاشية تقول بان قلب تشيتشيكوف سوف يدلّه على شخصية كاتبة الرسالة ، وانها بالاضافة الى ذلك سوف تحضر الحفلة الراقصة التي سيقومها حاكم الولاية في منزله في الليلة القادمة .

كان اهتمام تشيتشيكوف بهذه الرسالة كبيراً جداً . فقد كان فيها في الحقيقة كثير من الغموض والغرابة مما جعله يعيد قراءتها مرة ثانية وثالثة ويقول اخيراً «كم كنت اتمنى لو اعرف من ارسلها» . خلاصة القول انه اخذ ينظر الى القضية نظرة جادة ، وراح يفكر فيها اكثر من ساعة . وبعد لاي من الشرود ، تمتم بوضع كلمات



عن أسلوب الرسالة البراق ثم طواها ووضعها في صندوق المراسلات ومعها تذكرة للمسرح وبطاقة دعوة الى حفلة زواج كانت تقيم في هذا الموضع من هذا الصندوق منذ سبعة أعوام . وبعد هنيهة من الزمن وصلت دعوة الى حفلة حاكم الولاية للراقصة التي مر ذكرها . ويمكن ان نذكر على مجرى الكلام ان حفلات من هذا القبيل هي ظاهرة عامة في مدن الاقاليم ، فحين يوجد حاكم الولاية لا بد ان تكون حفلات تبعث في قلوب النبلاء مشاعر الحب والاحترام .

ومنذ تلك اللحظة طرح تشيتشيكوف جانباً كل فكر آخر ، وجعل همه الاستعداد للمناسبة المقبلة . اما هذه المناسبة المثيرة فقد جعلت تشيتشيكوف في الحقيقة يكرس للعناية بهندامه وقتاً لم يكرسه انسان منذ بدء الخليقة . اضاع ساعة كاملة في تأمل وجهه في المرأة عندما وقف امامها يدرس ملامحه المختلفة في الانفعالات المختلفة بدا اول الامر باسباغ امارات العظمة والاهمية ، على ملامحه ثم اسبغ عليها امارات التواضع الوقور المختلط بمسحة من التهكم ، ثم امارات الوقار الخالص الذي لا يخالطه شيء . وبالتالي ، اخذ يقوم بسلسلة من الانحناءات تتلام مع نوع الملامح الظاهرة على وجهه ، ويتمم بكلمات يقصد منها ان تشابه التعابير الفرنسية في وقعها في السمع (مع ان تشيتشيكوف لم يكن يعرف كلمة واحدة من تلك اللغة) . وأخيراً ، قام باجراء سلسلة اخرى مما يمكن ان نسميه «علامات الاستغراب» كضم الحاجبين وزم

الشفتين وتحريك اللسان حركات مختلفة شتى . وخلاصة القول ، انه عمل كل ما يحتمل ان يعمله انسان عندما يكون وحيداً وعندما يتأكد من انه وسيم الهيئة ومن ان احداً لا يتلصص عليه من ثقب من الثقوب . وفي النهاية ربت بيده على ذقنه تربيتاً خفيفاً وقال «هكذا تكون الوجوه» . وعلى هذا المستوى من المعنويات العالية ظل أثناء ارتدائه ملابسه استعداداً للحفلة . فكان وهو يعدل حاملة السراويل ويربط ربطة العنق يحرك قدميه حركة لا نستطيع ان نقول عنها بثقة إنها الرقص ، ولكن يمكن ان نسميها حركة الاستعداد للرقص . ولم تكن لهذا العمل نتائج وخيمة جداً ، فكل ما حدث هو ان ضرب باب خزانة الثياب ضربة جعلتها تومسك على الانقلاب وزلقت فرشاة من على المنضدة وانخبطت على الارض .

وكان لدخوله صالة الرقص فيما بعد ، اثر لا يبرزه ان آخر . وهرع كل الحضور الى ملاقاته ، وبعضهم يحمل اوراق اللعب في يده ، حتى ان أحد الرجال قطع حديثه عند نقطة هامة جداً - عند النقطة التي كان يقول فيها ان «دائرة الاراضي المحلية اجابة على هذا . . .» فقد طرح المتكلم جواب دائرة الاراضي جانباً ورمى كل تفكير آخر في الهواء وهرول الى تحية بطلنا . «بافيل ايفانوفيتش ! آه ، يا رب ، بافيل ايفانوفيتش ! يا بافيل ايفانوفيتش الكريم ، بافيل ايفانوفيتش المبجل ! يا روجي ، يا بافيل ايفانوفيتش . ها انت هنا ، يا بافيل ايفانوفيتش ! ها هو ، عزيزنا



بافل ايفانوفيتش ! اسمح لي ان احضنك ، يا بافيل  
ايفانوفيتش . هاتوه هنا ، لاقبله لاقبل عزيزي بافيل  
ايفانوفيتش قبله حارة» . وانهالت كلمات الترحيب على  
تشيتشيكوف من كل حذب وصوب واحس بأنه غارق  
في بحر من العناق . فلم يكذب ينتزع نفسه من ذراعي  
رئيس المجلس المحلي حتى وجد نفسه محتضناً بقوة  
بين ذراعي رئيس الشرطة الذي سلمه بدوره الى مفتش  
دائرة الصحة وهذا بدوره سلمه الى مدير الجبابة وهذا  
ايضا عهد به الى مهندس المدينة . حتى حاكم الولاية  
الذي كان واقفاً في تلك الآونة بين جمع من النساء ،  
يحمل في احدى يديه علبة من الحلوى وفي الاخرى كلباً  
صغيراً ، رمى من يديه في تلك اللحظة علبة الحلوى  
والكلب الصغير (وقد صدر من الكلب تاوه لهذا العمل)  
واشترك في معانقة الضيف مع بقية الجمع . وفي  
الحقيقة ، لم يكن يبدو وجه واحد لم ترتسم عليه نشوة  
السرور ، او على الاقل انعكاس نشوة السرور الظاهرة  
على وجوه الآخرين . هذه النشوة نراها ايضاً في وجوه  
صغار الموظفين عندما يأتي اليهم المدير الجديد ويفرغ  
من تفتيشه الدقيق ويبداون ينتشلون انفسهم من  
وهدة الرعب التي لفتهم اول الامر ، ويرون ان ما  
يوجب الثناء والمدح قد وجد وان باستطاعته الآن ان  
يلقى عليهم كلمات الدعاية ويمنحهم ابتسامة الرضى .  
عندئذ يستجيب كل موظف من هؤلاء بابتسامة لها قوة  
مضاعفة ، وقد يكون البعض منهم لم يسمح من المدير  
الجديد كلماته بشكل واضح ، حتى الحارس البعيد

الواقف بالباب - والذي ربما لم تمر على شفتيه ابتسامة  
قط ، فهو لا يتقن غير ضرب الجماهير وتوزيع  
الكلمات - حتى هذا الحارس يصدر قهقهة فائرة ،  
قهقهة اشبه بالشهيق الذي يصدر من الرجل عندما  
يوشك ان يعطس بعد ان يكون قد استنشق كمية غير  
قليلة من السعوط . واخذ تشيتشيكوف يوزع  
الابتسامات والانحناءات وهو راض عن نفسه تمام  
الرضى . فاحنى رأسه مرة الى اليمين ومرة الى الشمال  
انحناء جانبية كان مختصاً بها ولم تخب يوماً في فتنة من  
يراه . اما النساء فقد تجمعن حوله اسراباً مشرقة تعبق  
بالعطور من كل لون - الورد والخزامى وبنفسج الربيع .  
كانت الروائح العطرية كثيفة جداً حول تشيتشيكوف حتى  
انه بين الآونة والاخرى كان يرفع رأسه بغية  
استنشاق الهواء . اما ملابس السيدات فكانت تعرض  
خليطاً مختلفاً جداً من الانواع والاذواق : الموسليين  
والدمقس والشيفون من الالوان الباهتة العصرية التي  
لا يمكن حتى ان تجد لها صفة تنعتها بها (الى هذا الحد  
وصل الذوق الرهيف) . وكانت العُقص والاشرطة  
وباقات الزهور ترفرف على الفساتين هنا وهناك في  
ازهى فوضى ، رغم ان الذهن المنظم اشتغل كثيراً في  
خلق هذه الفوضى . وكان غطاء الرأس الخفيف لا يسنده  
غير الاذنين ، وبدا وكأنه يقول «آه ، ساطير ،  
ويوسفني فقط ان لا ارفع معي هذه الحسناء» . وكانت  
الخصور مشدودة بمشدات قوية ، فتلوح للعيون في  
ابهى شكل . (يجب التنويه بأن سيدات بلدة «ن» كلهن



عموماً بدينات قليلاً ، ولكنهن كن يشددن أنفسهن بعنف كبير ، ويتخطرن بعذوبة كثيرة ، حتى يتغرن على المرء أن يفتن إلى بدانتهم .) كان كل شيء فيهن مدروساً ومحسوباً بدراية فائقة ؛ كانت الرقاساب والاكتاف مكشوفة إلى الحد الضروري لا أكثر ولا أقل ، وكل واحدة قد عرّت ممتلكاتها ، بالقدر الذي كانت تشعر ، حسب اعتقادها ، بأنه قادر على الفتك بالرجل . أما البقية فقد اخفتها كلها بذوق غير اعتيادي : رباط خفيف من الاشرطة ، او لفاف اخف من القشدة المحلاة المعروفة باسم «قبلة» ، كان يطوق العنق بشكل اثري ، وقطع هدايية صغيرة من نسيج الباتيستة النحيل معروفة باسم «المحتشمات» تطلع من تحت الكتفين ، من تحت الفساتين . وكانت هذه «المحتشمات» تغطي من الامام ومن الخلف ما لم يعد بمقدوره أن يهلك الرجل ، بينما كانت تروحي بأن ما تغطيه هو بالذات الهلاك بعينه . ولم تكن القفازات الطويلة ملبوسة حتى الرदन ، بل كانت تترك الاجزاء المثيرة في النراعين الى الاعلى من الكوع عارية عن نية مقصودة ، وهذه الاجزاء لدى بعض السيدات على قدر من الامتلاء يُحسد عليه حتى ان قفازات جلد الجدى قد تفتقت على بعض الاذرع . وباختصار كان كل شيء ينطق بصوت عال : هذه العاصمة ، هذه باريس ، وليست ولاية من ولايات الاقاليم ! إلا انه في بعض الاماكن كانت تظهر فجأة قلنسوة لم تر الارض مثلها شكلاً ، او ريشة كثيرة الشبه بريش الطاووس ، وذلك على الضد من كل

موضة ، وحسب ذوق لا يستها لا اكثر . ولكن ذلك لا بد منه ، لأنه طبيعة سكان الاقاليم ، ولا بد أن تظهر بشكل من الاشكال . ولما وقف امامهن تشيتشييكوف اخذ يسأل نفسه قائلاً «اي هؤلاء الغائبات هي كاتبة الرسالة ؟» ورفع راسه للمرة الثانية وشمّ الهواء ولكنه جوبه على مقربة من انفه بمجموعة طيبة من الاكواع وازرار الاكمام واطراف الاشرطة والشالات المعطرة والفساتين . رقصة الغالب المرححة في اوج احتدامها . الجميع نهضوا ، وانطلقوا يرقصون : زوجة مدير البريد ، ومأمور المركز ، وسيدة تضع ريشة زرقاء واخرى بريشة بيضاء ، والامير الجورجسي تنسيخاينيليدزيف وموظف من بطرسبورج ، وآخر من موسكو ، والفرنسي كوكو ، وبيرخوبوفسكي وبيريندوفسكي .

وقال تشيتشييكوف ، وهو يتراجع الى الخلف : - ياه ! إدارة الولاية كلها منطلقة في عملها ! وعندما عادت السيدات الى مقاعدهن ، اخذ يحاول للمرة الثانية أن يعرف (من التعابير والنظرات) ايهن هي الشاعرة المجهولة . ومع ان التعابير والنظرات في هذه الحالة كانت مضللة غير كاملة الوضوح . في كل مكان ثمة ما يشي بمكنون الصدور ، بشيء مراوغ لا يمسك . وحدّث تشيتشييكوف نفسه : «اوه ، مراوغ جداً . النساء موضوع . . . - واكتفى بهز ذراعه لإكمال الجملة - شيء واضح تماماً . حاول فقط أن تصف او تنقل ما يرف على وجوههن ، كل تلك الايماضات



والتلميحات ، وستجد نفسك عاجزاً عن التعبير عنها  
بالكلمات . عيونهن وحدهما دولة لا حدود لها ، إذا  
دخلها شخص ضاع وغرق ، ولن تستطيع ان تلتقطه  
بشخص . حسناً ، حاول مثلاً ، ان تصف طريق العيون  
وحده ، البليل ، المخمل ، السكري . والله يعلم أي  
شيء هو أيضاً ! قاس ، ناعم ، وحتى دأكن للغاية .  
أو كما يقول آخرون ، في رخاء أو بلا رخاء أسوأ من  
الرخاء - فهو يعتصر قلبك ، ويلعب بروحك كلها ،  
وكانه قوس كمان . أكيد ، لا يمكنك ان تجد الكلمات .  
النصف الزيني من الجنس البشري ، وهذا كل ما تستطيع  
ان تقوله » .

أرجو المذرة ! يبدو ان كلمة سوقية افلتت من  
فم بطلنا . ولكن ما العمل ؟ هذا حال الكاتب فسي  
روسيا ! بالمناسبة إذا وقعت كلمة سوقية في كتاب ،  
فليس الذنب على الكاتب ، بل على القراء ، وقراء  
مجتمعنا الراقي قبل غيرهم ، لأنك لن تسمع منهم كلمة  
لأنقة واحدة بالروسية ، بينما هم كما اعتقد ،  
يفرقونك بالكلمات الفرنسية والالمانية والانجليزية  
بحيث تضجر ، وهم ينطقون بها محافلين على كل طرائق  
النطق المتاحة : يخنون ويلثفون اذا تكلموا  
بالفرنسية ، ويفردون بالانجليزية كما يفرد الطير ، بل  
ويقلبون سحناتهم كما يفعل الطير لدى تغريده ، بل  
ويضحكون من الذين لا يجراون على محاكاة سحنة  
الطير . ولكنهم لا يستطيعون ان يفردوا بأي شيء  
روسي ، إلا اذا استثنينا بناء بيت ريفي لهم على الذوق

الروسي . هؤلاء قراء المجتمع الراقي ، ومن خلفهم كل  
الذين يعتبرون انفسهم من الفئة الراقية . ومع ذلك فما  
اطول باعهم في التزمت ! إنهم يصرون على ان يكتب  
كل شيء بلغة ملتزمة للغاية منقاة رفيعة ، وباختصار  
المبارة يريدون ان تنزل اللغة الروسية بنفسها من  
السما مصاغة كما تنبغى الصياغة ، وتحط على  
السننهم ، بحيث لا يكون لهم الا ان يديروا افواههم ،  
ويطلقونها . وطبيعي ان النصف اللطيف من الجنس  
البشري يصعب فهمه ، ولكن يجب الاعتراف بأن قراءنا  
المحترمين اكثر صعوبة على الفهم أحياناً .

وخلال ذلك كان تشيتشيكوف في حيرة تامة من  
التأكد من صاحبة الرسالة . حاول ان يدقق النظر ،  
ورأى من الجانب النسائي أيضاً ما يعبر في آن واحد  
عن الأمل والآلام العذبة لقلب إنسان فأن مسكين ،  
حتى انه قال أخيراً « مستحيل ان أحزر أبداً » . إلا ان  
عقبة كهذه لم تكن تنقص من معنوياته العالية . وتبادل  
مع احدهم كلمات المباشرة الخفيفة بكل سهولة  
وقبول ، ثم اقترب من أخرى بخطوات متباعدة كتلك  
التي يقوم بها الغندور الطاعن في السن الذي يتسكع  
قرب السيدات . وكان اذا ما دار - بغير قليل من  
الخفة والرشاقة - الى اليمين أو الى الشمال ترك إحدى  
ساقيه تجر قليلاً وراء الأخرى ، كالفاصلة في الحروف  
أو كالذيل الصغير . كانت هذه الحيلة موضع إعجاب  
السيدات . موجز القول ، انهن بدان يرين فيه لا موضع  
اللطيف والجاذبية وحسب ، بل اخذن يلحن في وجهه



نوعاً من الهيبة العسكرية كتلك التي تبدو في وجـ  
مارس اله الحرب - وهو شيء ، كما نعرف ، لا يخيب  
أبدأ في أرضاء عيون النساء . وقد أخذ بعضهم يتنازعن  
عليه ، ولما رأيته يقضى معظم وقته قرب الباب سارع  
بعضهن في احتلال اقرب الكراسي اليه . وفي الواقع ،  
كاد ينشب صدام بين سيدتين سبقت احدهما الاخرى  
اليه وكاد يحدث مشهد مؤسف جداً ، مشهد كان سيعتبر  
مثلاً منجماً على الوقاحة وصفاقة الوجه في نظر اللواتي  
كنّ يتمنين لو قمن انفسهن بالعمل نفسه .

وكان تشيتشيكوف غارفا في الحديث مع مطارداة  
الحسنات ، او نستطيع ان نقول بان المطارداة  
الحسنات كنّ قد اوقعن تشيتشيكوف في جبالهن  
وامسكن به بان اخذن يلقين عليه عدداً لا نهاية له  
من الاحاجي العميقة التي جعلت قطرات العرق تتصبّب  
عن جبينه في محاولته حلّها ، بحيث نسي ان يؤدي  
فروض التحية وواجبات الاحترام الواجبة عليه قبل كل  
شيء لربة البيت . ولم يتذكر هذه الواجبات في الواقع  
الا عندما سمع زوجة حاكم الولاية التي كانت واقفة  
امامه منذ بضع دقائق تبدنه بالكلام . وقالت بصوت  
خافت لا يخلو من الخبث «ها نحن قد رايناك اخيراً  
يا بافيل ايفانوفيتش» . اما ما تلا ذلك من كلامها فلا  
استطيع ان اتقله الى القارى بالنص ، لانه من نوع  
الخطاب الذي يدور بين الفرسان والسيدات في الطبقة  
الراقية والذي نجده مكتوباً في القصص الشهيرة التي  
كتبها كتاب هم ابرع مني في وصف حياة الطبقات

الراقية واكثر اطلاعاً عليها . قالت زوجة الحاكم بانها  
تأمل او ان لها وطيد الامل ، بان يكون قد بقي فسي  
حنايا قلب تشيتشيكوف زاوية - حتى ولو كانت زاوية  
صغيرة جداً - لاولئك الذين قد جاز عليهم بالهجر  
والنسيان ، او ما هو بهذا المعنى . فالتفت اليها  
تشيتشيكوف لكي يرد عليها بجواب كان من المنتظر  
ان لا يقل بحال من الاحوال عن اجوبة الابطال الروائيين  
من امثال زفونسيكي ولينسكي وليدين وهريمين فسي  
ظروف مماثلة ، ولكنه ما إن رفع عينيه حتى اطبقهما  
وكان صاعقة هوت على امّ راسه .

لم تكن ربة البيت وحدها التي تقف امامه انما  
كانت تمسك بفتاة . الشعر الذهبي ، والقسمات الانيقة  
الرقيقة ، والوجه البيضوي الساهر - الوجه الذي  
يجدر به ان يكون النموذج الصالح لمريم العذراء -  
والجمال الذي يندر ان يمرّ المرء بمثله في روسيا ،  
حيث كل شيء ، مهما يكن ، يتخذ ، كما يبدو ، ابعاداً  
كبيرة سواء اكان ذلك جبلاً ، او غابة او سهباً ، او  
وجهاً او شفة او قدماً ، ذلك الجمال الذي يكون كل  
جزء فيه من قمة الرأس الى اخمص القدم في ذروة  
الاتقان ، هذا الجمال كله كان ما رآه في العربة اثناء  
الاصطدام عندما كان هارباً من نوزدريف حين اصطدمت  
عربتهما بشكل غريب سواء اكان ذلك حماقة من  
السانقين او الخيول ، وتشربكت عدة الخيول وتبرع  
العم ميتيائي والعم مينياي بفكها . وقد ارتفعت حرارة  
عواطفه الى درجة اصبح معها لا يستطيع ان يلفظ حرفاً



واحداً ، وراح يتمتم بكلمات لا يفهم معناها غير الشيطان ، كلمات لا تصدر قطعاً عن شفتي بطل من ابطل القصص العظيمة .

وقالت ربة البيت «اظن انك لم تقابل ابنتي قبل الآن . فهي حديثة عهد في التخرج من المدرسة» .

فاجاب بأنه كان سعيداً ان قابليها من قبل في ظروف لم تكن متوقعة ، وعندما حاول ان يضيف الى هذا الكلام شيئاً آخر خانه لسانه واطبق عليه . فقالت زوجة حاكم الولاية كلمة او كلمتين اخريين وسارت بابنتها لتحادث الضيوف الآخرين . ووقف تشيتشيكوف مسمراً في مكانه ، كالرجل الذي يخرج من بيته مرحاً طروباً فيذكر فجأة انه نسي في البيت امرأ خطيراً . واذا يقف في منتصف الطريق ليتذكر ما هو الامر الخطير تختفي من وجهه بشائر المرح وكان غشاوة تغطي عينيه فلا يعود يرى امامه شيئاً . وجاهد ان يتذكر ما نسيه . ربما المنديل ؟ ولكن المنديل في جيبه ، او ربما النقود ؟ النقود ايضاً في الجيب ، كل شيء في مكانه كما يبدو ، ولكن روحاً غير مرئية تهمس في اذنه انه نسي شيئاً . وها هو واقف ينظر بذهول وغضب الى الجمهور المتحرك امامه ، والعربات المنطلقة ، وإلى قبعات الفوج المار العسكرية وبنادقه ، وإلى لافتة ، دون ان يستطيع رؤية اي شيء بشكل جيد . وعلى هذا النمط اصبح تشيتشيكوف غائباً عن كل ما حوله . بيد ان السنة السيدات العذبة ما فتئت تصب في مسامعه من اسنلتها وغمزاتها ما لا عداد

له - اسئلة وغمزات توحىها الرغبة في الاستيلاء على قلبه . «هل لنا نحن المتطفلات ان نجرؤ على السؤال عما تفكر فيه ؟» . «هل لك ان تتكلم وتخبرنا عن الآفاق التي يجول فيها خيالك الآن ؟» «هل لنا ان نسأل عن اسم السعيدة الحفظ التي جعلتك تسبح في هذا الخيال اللطيف ؟» ولكنه كان يستقبل هذه الاسئلة باذن صماء وكأنها صيحة في واد . وقد وصلت جلافته في الواقع ذروتها عندما سحب نفسه من بينهن وسار يبحث عن المكان الذي استقرت فيه زوجة حاكم الولاية وابنتها . ولكن السيدات لم يكن ليتركنه بهذه السهولة . فاخذت كل واحدة منهن تبذل قصارى جهدها وتجهد بنات افكارها للابقاء عليه . ويجب ان نلاحظ ان لبعض النساء - وانا اقول لبعض النساء ، وهذا يعني ليس لكلهن - موطن ضعف صغيراً ، وهو انهن لو لاحظن فيهن شيئاً مميزاً في حسنهن ، اي جبهة ، او فماً او يدين ، يتصورن ان الجزء الاحسن في وجوههن هو اول من يلفت نظر الجميع فيهن ، ويأخذ هؤلاء يتحدثون فجأة في صوت واحد : «انظروا ، انظروا اي انف اغريقي رانع لها !» او «اي جبين متناسق فاتن !» ومن لها كتفان بديعتان تكون متأكدة مسبقاً بأن الشباب جميعاً سيكونون معجبين كلياً ، وكلما مرت بهم سيكررون «آه ، ما ابداع كتفيها !» ولن يلقوا نظرة الى وجهها ، وشعرها ، وانفها وجبينها ، واذا نظروا فكانهم ينظرون الى شيء لا يخصها . بهذا الشكل تفكر بعض النساء . وكل امرأة قطعت على نفسها عهداً بأن تكون



افتن ما يمكن في الرقص ، وتظهر كل الق ما تعتبره  
تفوقاً فيها . فزوجة مدير البريد أمالت رأسها الى جانب ،  
حين كانت ترقص الفالس ، حتى لاح في حركتها هذه  
شيء لا يمت الى الارض بصلة . لم تصطبـر سيدة  
مهذبة جداً لم تأت لغرض الرقص مطلقاً بسبب ، ما  
وصفته «اينكوموديته» \* على شكل مسمار في قدمها  
اليمنى جعلها تضطر الى لبس جزمة مسطحة ، وقامت ،  
رغم ذلك ، ببعض الدورات في جزمته المسطحة ، حتى  
لا تغرق زوجة مدير البريد بالوهم اكثر من اللازم .

ولكن ذلك كله راح هباء لان تشيتشيكوف لم  
يعرهن اذنا صاغية واخذ يقف . على اصابع قدميه -  
حتى حين ابتدا الرقص - ويجول بعينيه في القاعة  
ليعرف مقر الفتاة الساحرة ذات الشعر الذهبي وينظر  
من فوق رؤوس جيرانه واكتافهم حتى رآها آخر الامر  
جالسة بجوار امها التي كانت تضع على رأسها عمامة  
شرقية بريشة . وبدا عليه عندئذ انه قد صمم ان  
يجتاح هدفه اجتياحاً كما تفعل العاصفة العاتية ، فقد  
اندفع الى الامام اندفاعاً شديدة بتصميم اليائس حتى  
ان كوعه ضرب مدير الجبة ضربة جعلته يترنح على  
قدميه وكان سينكفي على الارض لا محالة لولا صف  
الضيوف الذي دعمه من المؤخرة . اما مدير البريد فقد  
سارع واخلى له الطريق ، لكنه التفت اليه محدقاً فيه  
بنظرة تهكم واندماش . لكن ذلك كله لم يكن يسترعي

\* بالفرنسية تلفظاً ، وتعنى هنا واعتلال . المترجم .

انتباه تشيتشيكوف ، فلم تكن ترى عيناه غير ذات  
الجمال الاشقر . كانت في تلك اللحظة تلبس في يديها  
قفازاً طويلاً ، ومما لا ريب فيه انها كانت تنهيا لغوض  
حلبة الرقص حيث كان قد اصبح فيها اربعة ازواج  
ينسجون خطوات المازوركا . وكان بين الراقصين  
بالذات ضابط باللباس العسكري منهمك روحاً وجسداً  
ويدين ورجلين ليقوم باداء خطوات لا عهد لانسان بها  
من قبل حتى في الاحلام . مهما يكن من امر ، فقد اجتاز  
تشيتشيكوف الراقصين وكاد ان يدوس على كعوبهم  
حتى اقترب من المكان الذي جلست فيه السيدة  
وابنتها . لكنه اقترب منهما بكثير من التحسب خالياً  
كل الخلو من سالف التبخر والمرح . لا ، بل كان  
يضطرب حين كان يسير ، وكل حركة من حركاته تشير  
الى عظيم ارتباك .

ومن الصعب علينا ان نقول فيما اذا كان الشعور  
الذي ثار في قلب بطلنا هو الحب . فمن الامور المختلف  
عليها هو ان يكون الرجال اصحاب هذه البنية - اي  
ليسوا بالسمان ولا بالنحاف - قادرين على الاحساس  
بشيء من هذا القبيل . ومع ذلك فان شعوراً غريباً جداً  
قد طغى عليه لم يستطع له تفسيراً . فقد لاح له ان  
قاعة الرقص بما فيها من لغط وضجيج قد اصبحت  
شينا بعيداً جداً ، وان الفرقة الموسيقية قد انسحبت  
الى ما وراء احدى التلال وان المنظر كله اصبغ مبهماً  
كالصورة التي رسمها الفنان بغير اعتناء . ومن خلال  
هذا المنظر المبهم يتألق شيء واحد فقط هو وجهه



الغادة الفاتنة : وجهها البيضوى المدور ، وقوامها  
الاهيف الرهيف التى تتميز به الفتيات خلال الأشهر  
الاولى من تخرجهن من المدرسة وثوبها الابيض البسيط  
تقريباً المحبوك بخفة وبداعة على اطرافها الهيفاء الفتية  
فى كل مواضعها ، حتى برزت بخطوطها النقية . ولا ادرى  
كيف صور له خاطره بأن قوامها الغالى شديد الشبه  
بدمية من العاج تبدو برّاقة بيضاء شفافة وسط الزحام  
المبهم البليد .

نرى هنا ظاهرة ليست قليلة الوجود . الظاهرة التى  
يصبح فيها تشيتشيكوفات هذا العالم شعراء ولو الى  
حين ، ولكن كلمة «شاعر» ستكون مبالغة كبيرة . على  
اية حال ، فقد شعر تشيتشيكوفنا لفترة قصيرة من  
الزمن انه اصبح شاباً مرة اخرى ، هذا اذا لم يكن  
ضابطاً فى الجيش . وما إن رأى كرسيّاً فارغاً بجوار الام  
وابنتها حتى سارع الى احتلاله . ومع ان الحديث ابتدا  
فاتراً بليداً ، الا ان الاحوال تحسنت بالتدريج واخذ  
يستعيد الثقة بالنفس شيئاً فشيئاً . عند هذه النقطة  
اجد نفسي متردداً فى ان اتشعب فى موضوع الحديث  
لاقول بأن الرجال ذوى المقام الكبير والمناصب العالية  
عندما يتحدثون الى النساء لا يكون لهم وزن ولا قيمة .  
بينما الضباط الصغار - اى من كانت رتبته اصغر من  
رتبة رئيس على الاقل - فهم دائماً اكثر نجاحاً . اما كيف  
يستطيعون ذلك ، فאלله وحده اعلم . فاذا نطقوا بهنة  
فارغة تجد الفتاة التى تجلس بجوارهم تهتز ضحكاً .  
اما اذا دخل وجيه فى الحديث مع سيدة وقال لها مثلاً

بأن الامبراطورية الروسية واسعة الارحاء ، او قال لها  
مجاملة تدلّ على قسط كبير من الذكاء (مهما فاحت هذه  
المجاملة بروائح الكتب) ، فانها تقع موقعاً بارداً جداً .  
حتى النكتة اذا قالها فانه يضحك هو نفسه عليها اكثر  
ما تضحك السيدة المستمعة اليه . وقد حشرت هذا  
التعليق فى حديثي هنا لكى افسر للقارى السبب  
الذى من اجله - عندما بدا بطلنا الحديث اخذت الفتاة  
تنساب . لكنه على اية حال ، كان اعمى العينين عن هذه  
الحقيقة فانطلق يقص عليها مغامرات شتى وقعت له  
فى بقاع مختلفة من العالم وبالتحديد فى ولاية  
سيمبرسك فى بيت سوفرون ايفانوفيتش بيسبتشنى ،  
بحضور ابنته اديلايدا سوفرونوفنا ، واخوات زوجها  
الثلاث ماريا غفريلوفا ، والكسندرا غفريلوفا ،  
واديلغيدا غفريلوفا ، وفى ولاية ريزان فى بيت فيدور  
فيدوروفيتش بيريكرويف ، وفى ولاية بينزا فى بيت  
فرول فاسيليفيتش بوبيدونوسنى ، وفى بيت اخيه  
بيتر فاسيليفيتش بحضور اخت زوجته كاترينا  
ميخائيلوفنا وابنتي عم عمها روزا فيدوروفنا واميليا  
فيدوروفنا ، وفى ولاية فياتسك فى بيت بيترو  
فارسونوفيتش بحضور اخت زوجة ابنه بيلاغيا يفوروفنا  
وابنة اخيه صوفيا روستيسلافنا وابنتى زوجة ابيها  
صوفيا الكسندروفنا وماكلاورا الكسندروفنا .  
وغنى عن الذكر ان بقية السيدات قد استأن استيا  
عميقاً لهذا السلوك . وقد سارت احدهن متبخرّة  
امامه لكى تشعره بهذه الحقيقة وفى الوقت نفسه مست

ابنة حاكم الولاية بكم فستانها وجعلت طرف اللعاب يلامس وجهها . اما السيدة التي كانت تجلس خلفهم فقد رمتهم بنفحة من البنفسج وبتعليق لاذع قتال . ومع هذا ، فاما ان يكون قد صم عن سماع التعليق او تظاهر بأنه لم يسمعه . ولم يكن هذا منه من الحكمة في شيء ، لأن افعال آراء السيدات لا يليق ابداً . وقد شاء له القدر ان يتعلم هذا الحقيقة ، ولكن بعد ان سبق السيف العذل .

موجز القول ، ان الاستياء بدا يعلو وجوهاً عديدة . فمهما كان تشيتشيكوف على المقام في المجتمع ، ومهما كان يملك من الملايين المقنطرة وكانت ملامحه تدل على العظمة التي لا حد لها والروح العسكرية المتوثبة ، الا ان هناك اموراً لا تستطيع ان تغتفرها سيدة مهما كان الرجل الذي صدرت عنه هذه الأمور . وهناك حالات نجد فيها المرأة ، وعلى رغم كل ما في طبيعتها من ضعف وعجز بالقياس الى الرجل ، تصير فجأة اشد قسوة ليس من الرجل فقط ، بل ومن كل شيء في الدنيا . والاستخفاف الذي ابداه تشيتشيكوف ، وهو استخفاف غير مقصود تقريباً ، اعاد بين النساء حتى الوفاق الذي كان من قبل على حافة الانهيار ، حين بدا التنافس على المقعد الى جانبه . فقد وجدن لمزات لاذعة في كلماته الجافة الاعتيادية التي القاها عرضاً . ونحن نعرف عادة ان الحضور في حفلات حكام الولايات الراقصة يؤلفون اشعاراً ينتقدون الراقصين فيها ، اما في حالتنا هذه فقد نسبت الاشعار كلها الى تشيتشيكوف . خلاصة

القول ، ان الامتعاض اخذ يعم ويزداد حتى اصبح من المفهوم ضمناً ان السيدات قد اصدرن مرسوم الاعداد بحق الاثنين ، بطلنا والفتاة الصغيرة المسكينة .

ولكن مفاجأة العن من هذه كانت في انتظار بطلنا . فبينما كانت الفتاة تتأهب وتشيتشيكوف يقص عليها احدي مفامراته السالفة ، حتى ذكر اسم الفيلسوف اليوناني ديوجين اثناء الحديث ، اذ بباب غرفة مجاورة يفتح ويظهر منه نوزدريف . ولا يعلم احد فيما اذا كان قد جاء من المقصف او خرج من غرفة جانبية كان يدور فيها لعب القمار ، وهل خرج بمحض ارادته او قذف به اللاعبون مطروداً . لكنه على أية حال ، عندما دخل قاعة الرقص كان في نفسية عالية جداً ، وكان يتأبط ذراع المدعي العام ، ويظهر انه كان يجره منذ امد بعيد لأن المسكين كان يتلفت من ناحية الى اخرى كما لو كان يفتش عن وسيلة تنقذه من هذه الرحلة البغيضة . ومما لا شك فيه انه كان في وضع لا يطاق لأنه ما كاد يحتسي نوزدريف كاسين من الشاي مع شيء من الرّوم ، حتى بدا يكذب عليه دون شفقة او رحمة . وما رآه تشيتشيكوف عن بعد حتى عزم على التضحية بنفسه . أي انه عزم على ترك وضعه العالي الذي يحسد عليه وينسل على جناح السرعة ، لأنه ادرك ان لقاءه مع القادم الجديد امر لا تحمد عقباه . ولسوء حظه ان حاكم الولاية آنذاك امسك به طالباً منه ان يكون حكماً بينه (أي بين حاكم الولاية) وبين سيدتين . كان



موضوع الخلاف هو هل ان حب المرأة يدوم او لا يدوم . وفي اللحظة نفسها انقض نوزديف على بطلنا بحملته العنيفة . فابتسم ابتسامة جعلت خديه النضريين الاحمرين حمرة الورد يرتعشان ، واخذ يصيح قائلاً «ايه يا ملاك خارسون العظيم ! هل مرّ عليك عهد طويل وانت تتاجر بالانفس التى انتقلت الى رحمة الله ؟» ثم التفت الى حاكم الولاية وقال «اظن ان سعادتك لا تعرف ان هذا الرجل يتعاطى شراء الانفس الميتة» . ثم الى تشيتشيكوف «اسمع يا تشيتشيكوف . اني اقولها لك بروح الصداقة المخلصة ، ان كل الموجودين هنا يحبونك - حتى سعادة حاكم الولاية . ولكن الامر لو كان بيدى لشنقتك ! اى والله ، اني لافعل» . وبلغت خيبة تشيتشيكوف اوجها .

واستمر نوزديف يقول «وهل تصدقنى يا صاحب السعادة ؟ ان هذا الانسان قد طلب منى ان ابيعه ما لدى من الانفس الميتة . وقد كاد الضحك يقتلنى وبا للعجب ! ما اكاد اصل الى هذا البلد حتى اسمع انه اشترى انفساً بثلاثة ملايين روبل لكي ينقلها ! طبعاً لكي ينقلها ! لقد ساومنى على انفسى الميتة ! اسمع يا تشيتشيكوف . انك خنزير ! نعم والله انك خنزير صرف ! اليس كذلك يا صاحب السعادة ؟ اليس كذلك يا صديقي المدعى العام ؟»

ولكن الدهشة التى اعترت حاكم الولاية والمدعى العام وتشيتشيكوف كانت اكبر من ان تجعل احدهم ينطق ببنت شفة . اما نوزديف النشوان فلم يكن ينتظر منهم

جواباً ، وانما راح مندفعاً في هذره ، يقول «ايه يا سيدى العظيم ! لن ادعك هذه المرة تفلت من بين يدي . لا ، الا اذا علمت ما هو معنى شراء النفوس الميتة هذا . استمع اليّ . يجب عليك ان تخجل من نفسك . نعم ، اقول هذا لاننى من اوفى الاصدقاء اليك» . ثم التفت الى حاكم الولاية وقال «هل تعلم يا صاحب السعادة اننى وهذا الرجل لم نكن نقترب ابداً . ولو جئت تسالنى يوماً وقلت «استحلفك بشرفك يا نوزديف ان تخبرنى ايهما تحب اكثر اباك ام تشيتشيكوف» لقلت لك «تشيتشيكوف والله !» ثم قال «هيا ! هيا ! ايها الصديق الحميم ! دعنى اطبع على خديك قبلة او قبليتين . انت تسمح لي طبعاً ان اقبلك يا صاحب السعادة . اليس كذلك ؟ لا ، لا تقاومنى يا عزيزي تشيتشيكوف دعنى على الاقل اطبع قبلة واحدة على خدك الابيض» . ودفعه تشيتشيكوف عنه اثناء محاولاته لطبع القبلات عنوة على خده حتى كاد يقع نوزديف بطوله على الارض . وانزوى بعد ذلك كل فرد الى ناحية واصم اذنيه عن سماع زيادة في الهراء . ولكن الكلمات التى وردت عن ابتياع الانفس الميتة كانت قد رنّت في ارجاء القاعة باعلى صوت كانت تصحبها قهقهة مدوية اثار انتباه من هم في اقصى اطراف القاعة ، الواقفين منهم والجالسين . كانت الفكرة غريبة جداً طريفة جداً بحيث وقف الجمع وليس على وجوههم غير امارات الدهشة المتجمدة الخرساء . بيد ان بعض السيدات (وهذا ما لاحظته تشيتشيكوف) اخذن



يتبادلن ابتسامات ساخرة وغمزات خبيثة ذات معان ،  
 مما زاد في بلبلته . كان كل انسان بالطبع يعرف ان  
 نوزدريف كذاب اشر ، ولن يدهنس احداً اذا انفجر  
 انفجارته السخيفة الرعناء . ولكن الرجل الفاني يصعب ،  
 في الحقيقة ، حتى ان تفهم من اي شيء مخلوق . اذ مهما  
 يكن الخبر الذي يطلقه ، ولكن لكونه خبيراً لا غير ، لا  
 بد ان ينقله الى فانٍ آخر ، على الأقل ليقول « انظر اي  
 كذبة اطلقوا ! » فيميل هذا الفاني الآخر اذنه اليه  
 بارتياح على الأقل ليقول فيما بعد « نعم ، هذه كذبة  
 رخيصة تماماً لا تستحق اي اهتمام ! » وفي اثر ذلك ،  
 وبنفس الساعة يتوجه ليبعث عن فانٍ ثالث . ليحدثه  
 بها ، وليهتف معه بعد ذلك بسخط نبيل : « اية كذبة  
 رخيصة هذه ! » وهكذا وبالتأكيد ستجوب الكذبة المدينة  
 كلها . وسيحدث بها جميع الفانين ، مهما تكن كثرتهم ،  
 حتى يشبعوا منها لا محالة ، وبعد ذلك سيعترفون بأنها  
 لا تستحق اي اهتمام ، ولا تساوي التحدث  
 عنها .

وبطبيعة الحال بلغ الحنق من بطلنا اشدّه ، فمهما  
 كانت الكلمات التي تصدر من لسان المجنون سخيفة ،  
 فهي كافية لكي تزرع بذور الشك في عقول العاقلين .  
 فاحس بطلنا احساس الرجل الذي ينتعل حذاء مدهوناً  
 دهاناً فاخراً حين يجد نفسه فجأة يغوص في اقدار  
 الاوحال . وقد حاول ان يطرح الامر جانباً وان يبسط  
 من نفسه وان يستمتع مرة اخرى . لا ، بل حاول ان  
 يشترك في لعبة الوست . ولكن ذلك كله كان عبثاً .

فقد ظلت اموره معوجة ليس الى تعديلها من سبيل .  
 وقد اخطأ في اللعب مرتين ، واصبح رئيس المجلس  
 المحلي في حيرة شديدة من امر صديقه بافيل  
 ايفانوفيتش اللاعب العاذق الماهر من قبل ، كيف يرتكب  
 خطأ جسيماً ويرمي الملك البستوني الذي كان يعتمد  
 عليه اعتماداً عظيماً ، او حسب تعبيره نفسه « كاعتماده  
 على إله » . وطبيعي ان مدير البريد والرئيس وحتى  
 رئيس الشرطة راحوا ، كما جرت العادة ، يتندرون مع  
 بطلنا ويسألونه : هل هو عاشق ، ويقولون إنهم  
 يعرفون ان قلبه مصاب ، ويعرفون التي اصاب قلبه  
 بسهمها ، الا ان كل ذلك لم يسئل عنه ، مهما ضحك ،  
 وردّ مزاحهم بمزاح . وحتى عند تناول طعام العشاء كان  
 كل شيء على غير ما يرام ، على الرغم من ان القوم الذين  
 جلسوا معه الى المائدة كانوا من لطف المعشر على قسط  
 كبير ، وعلى الرغم من ان نوزدريف كان قد اُبعد لأن  
 السيدات قد وجدن سلوكه الفاضح لا يحتمل لا سيما  
 وقد جلس آخر الامر على الارض واخذ ينتش ملابس  
 الراقصين والراقصات . كان العشاء بهيجاً جداً ، وجميع  
 الوجوه التي مرقت امام الشمعدانات الثلاثية الرؤوس ،  
 والزهور ، والحلويات والزجاجات متألقة بارتياح غاية  
 في الطلاقة . جميع الضباط والسيدات وسترات  
 الفراك وكل شيء صار مهذباً الى حد الغثيان . كان  
 الرجال يشبون من مقاعدهم ويهرعون لياخذوا الاطباق  
 من الخادم ، ويقدمونها للسيدات بخفة غير اعتيادية .  
 قدّم ضابط برتبة عقيد لاحدى السيدات صحن الصلصة



على طرف سيفه المسلول . وكان الرجال ، كبار السن ، الذين كان تشيتشيكوف يجلس بينهم يتجادلون بأصوات عالية ، مبتلعين كل كلمة ركيئة مع قطعة من السمك أو لحم البقر مبلسة بالخردل بشكل لا يرحم ، ويتجادلون في مواضيع كان دائماً يشارك فيها ولكنه كان يبدو كرجل تعب هذه سفر طويل ، ولا يدخل شيء في عقله ، ويعجز عن الاهتمام بأي شيء ، حتى وجد نفسه في وضع حرج جداً ، ولهذا وضع حداً له بأن ترك غرفة الطعام حتى قبل نهاية العشاء وعاد الى الفندق قبل مواعده المعتاد بوقت طويل .

وفي غرفته الصغيرة ذات الباب المغلقة يستنار يفصلها عن الغرفة المجاورة ، وذات الزوايا التي تطل منها الجعلان السوداء بين الحين والآخر ، جلس على كرسي متخلخل مضطرب مثل افكاره المتخلخل المضطربة . كان قلبه ينبض بالكآبة المؤلمة وكان يجتاحه احساس من الغم والكدر ، ويشعر بفراغ خانق يكاد يطبق على انفاسه .

واخذ يناجي نفسه قائلاً «سحقاً لمن اخترع الحفلات الراقصة ! فأي انسان يمكن أن يشعر فيها بالبهجة الخالصة ؟ العوز والفاقة مائتان في كل بقعة من هذه الولاية ، والناس يقيمون الحفلات الراقصة ! وهؤلاء النسوة السخيفات اللواتي يرتدين بأذخ الملابس ! ان كل واحدة منهن لا تحمل أقل من ألف روبل على كتفها ، ألف روبل جاءت من عرق الفلاح المثقل عبء بالضرائب ، أو ما هو العن من ذلك ، على حساب

ضمير الجار . نعم ، فالكلمة يعرف لماذا تنتشر الرشوة ، ولماذا تلتوى نفوس الرجال : ليحصل الواحد منهم لزوجته على لفاع أو اقمشة من مختلف الانواع لها اسماء لا يمكن أن تضبطها . فعلام كل هذا ؟ وما القصد من ورائه ؟ لكي لا تقول «صديقة» زوجته أن زوجة مدير البريد تلبس احسن من ثوبها - ولذلك اضطر الرجل المسكين أن يدفع ألف روبل ثمناً لثوب جديد ! ان الصرخة التي تدوى في هذه البلاد هي «السرور والحفلات الراقصة ، السرور والحفلات الراقصة !» والحفلات الراقصة ما هي الا جنون محض ! انها لا تتفق والروح الروسية أو الاصال الروسية ، ولا يعلم الا الشيطان سبب وجودها في هذه البلاد . فالكهل الناضج ذو المظهر الصلب والحلة الرسمية السوداء ما يكاد يخطو الى الحلبة حتى يأخذ بهز قدميه ، ورجل آخر قد يكون منغمساً في الحديث مع زميل له حول شأن من شؤون الاعمال الخطيرة ما يكاد يخوضها حتى نجده يذهب تارة الى اليمين وتارة الى اليسار كالعنزة الخرقاء ! انه التقليد الاعمى ، ولا شيء غير التقليد الاعمى ! فاذا كان الفرنسي وهو في الاربعين مثله وهو في الخامسة عشرة ، اصبحنا نتصور اننا يجب أن نكون مثله . لا ، ان الحفلات الراقصة تترك دائماً في النفس شعوراً بارتكاب الخطيئة ، ولهذا لا يحب الانسان حتى أن يفكر فيها . انها تترك عقل المرء فارغاً كلياً ، تماماً كما يفعل التحدث الى ابن هذه الحياة . فابن الحياة كثير الثروة ، واذا تحدث فهو يطرق كل موضوع يخطر



على البال ، ويتكلم بأسلوب ناعم وجمل فصيحة اختارها من الكتب دون أن يعرف حقيقة معناها ، بينما اذا تحدثت الى رجل تاجر مثلاً يلمّ بموضوع واحد المأمأ صحيحاً نتيجة تجربته ومراسه فانك ستخرج منه بفائدة عقلية تزيد عن تلك التي تخرج بها من ألف من الثرثارين . وما هي الفائدة التي يجنيها المرء من الحفلات الراقصة ؟ ولو حاول كاتب ما أن يصفها على حقيقتها ، فمما لا شك فيه أنها ستبدو سخيفة غير ذات معنى ، كالواقع الذي تقوم عليه في هذه الحياة . وهل هي من الاخلاق في شيء ؟ الشيطان وحده يعلم . وليس على المرء الا أن يفلق الكتاب باصقاً .

بمثل هذه الافكار الساخطة كانت تعليقات تشيتشيكوف على الحفلات عموماً . وقد كان سخطه ، على اية حال ، ينبع من مصدر آخر . فلم تكن ضغينته الرئيسية ضد الحفلات عامة كما كانت ضد تلك الحفلة الخاصة بالذات التي افتضح فيها أمره وعرف الناس انه يلعب لعبة غامضة غريبة . وبطبيعة الحال ، عندما اعاد النظر في هذه الحادثة المؤسفة على ضوء العقل السليم وجد أنها لن تضر شيئاً ، فبضع كلمات نابية لا قيمة لها ما دام الهدف الرئيسي قد تمّ بلوغه . ولكن الانسان مخلوق غريب . اذ اخذ الالم ينهش قلب تشيتشيكوف لهذا الاعراض الذي قوبل به من طائفة لا يكن لها اي احترام ، طائفة ادان هو نفسه غرورها وضحالة تفكيرها . وعندما اعاد النظر في الامر مرة اخرى واوسعه تفكيراً زاد سخطه اذ وجد أن

السبب في هذه الكارثة يقع عليه جزئياً . ولكن ليطمنن القارى بالاً ، فلم يكن سخطه هذا على نفسه . لان الكل منا يكمن فيه هذا النقص البسيط ، الذي يتلخص في ان يستثني نفسه من ارتكاب الاخطاء وان يبذل قصارى جهده دائماً في التفتيش على مخلوق ينحي عليه باللائمة ويلقي عليه التبعة وقد يكون هذا المخلوق خادماً او موظفاً صغيراً او زوجة ، واخيراً على كرسي صادم ان طار في اللحظة غير المناسبة حتى ارتطم بالباب بعنف فانخلع عنه ذراعه وظهره وليعرف الى اي حد يصل الغيظ . وبالمثل ، فقد فتش تشيتشيكوف على ضحية يلقي عليها تبعة ما اساءه . وكان كبش الغداء في حالتنا هذه نوزدريف . فقد صب عليه جام غضبه وشرع يضربه من كل حدب وصوب دون شفقة او رحمة كما يفعل النقيب او حتى الجنرال عندما يشتم عمدة القرية او العوزي متجاوزاً اصول الشتم الكلاسيكية المتعارف عليها ، ليضيف اليها قسطاً كبيراً جداً من بنات افكاره . خلاصة القول ، ان نوزدريف قد وضع على المشرحة ودرس حسبه ونسبه ، فكان على اسوأ ما يكون انسان .

ولكن بينما كان تشيتشيكوف جالساً في كرسيه غير المبطن تضنيه الافكار والارق ، ويكيل بالصاع والذراع لنوزدريف ولكل اهله ، وشمعة الودك تشحب امامه ، لأن فتيلها قد تغطى بقبعة سخام سوداء مهدداً بين لحظة واخرى بالانطفاء ، والليل الاعمى القاتم يطل عليه من النافذة ، وهو يتهيأ للذوبان من الفجر



المقرب ، وفي البعيد تصايحت ديكة منفردة ، وفي مكان ما من البلدة الهاجعة تماماً ربما سار رجل يخفق في معطفه الخشن ، بانس من طبقة او رتبة مجهولة لا يعرف (وا أسفاه ! ) غير الطريق التي دكته كثيراً اقدام الصعاليك الروس - وفي هذه الآونة ، كان يدور في طرف المدينة الآخر حادث قدر له ان يزيد في كدر بطلنا واحراج مركزه . ففي أزقة المدينة وشوارعها كانت تفرق عربة من الصعب ان نعطي لها اسماً ، فهي من نوع خاص قائم بذاته تشبه اكثر ما تشبه بطيخة كبيرة تكمشت قشرتها ، تحملها اربعة عجلات . وخدا هذه البطيخة ، اقصد بابيها الذين كانا يحملان آنا وطلاء اصفر ، كانا ينقلقان بشكل سيئ جداً بسبب سوء حالة المقابض والاقفال التي كانت مشدودة بحبال في بعض الاماكن والبطيخة نفسها كانت مملوءة بالنضد من القطن على شكل اكياسي التبغ ، والمساند والمخدات الاعتيادية ، ومحشوة باكياس الخبز ومختلف اشكال الكعك المصنوع من العجين المسلوق وفتائر الدجاج والمحشوة بالحنطة السوداء تطل حتى الى فوق . ومرقى العربة الخلفى يحتله شخص ينتصب الى الخدم ويرتدى سترة من نسيج يدوى زاهى اللون ، وجهه غير حليق وخطه الشيب ، وباختصار شخص يعرف عندنا باسم «الصغير» . ايقط الضجيج والزعيق اللذان ترسلهما الكلاب الحديدية والبراغي الصدئة شرطياً في الطرف الآخر من البلدة ، فرفع مطرده ، وصاح بكل ما لديه من قوة ، وهو بين النوم واليقظة «من القادم ؟» ولكنه

حين لم ير احداً قادماً ، ولم يسمع الا دربكة بعيدة ، اصطاد على ياقته حيواناً مفترساً ، وتقدم من الفانوس ، واعدمه بان قصعه تحت اظفره . وبعد ذلك ترك المطرد وغفا من جديد وفق ميثاق فروسيته . وكانت الخيول تقع ، بين الحين والآخر ، على قوائمها الامامية ، لان حوافرها لم تكن ذات حذوات ، بالاضافة الى انها كانت قليلة المعرفة بجادة البلدة المرصوفة الهادئة . سار هذا الشيء العجيب من شارع الى آخر حتى انعطف اخيراً الى زقاق مظلم ماراً بكنيسة القديس نيقولاى الصغيرة وتوقف . عند باب بيت تسكن فيه زوجة كاهن هذه الكنيسة وقفت منه فتاة ترتدى سترة قصيرة ، وتضع على راسها شالا . واخذت تقرع الباب قرعاً شديداً يحسده عليها اى رجل (فيما بعد سحب الصغير ذو السترة الزاهية اللون من رجليه ، لانه كان يغط في نوم اهل الكهف) برهة غير قليلة من الزمن حتى اثارت كلاب الحي نباحاً . وانفتح الباب اخيراً ليدخل فيه هذا الشيء العجيب السميع الى فناء البيت الضيق المرحوم بالاششاب ، وخن الدجاج ، ومختلف الاقفاص الصغيرة . عندئذ نزلت من العربة السيدة الملاكه واذا بها مدام كوروبوتشكا ! كان سبب قدومها المفاجئ هو انشغال بالها على نزوة تشتيشيكوف فظلت بعد تركه ايتها ثلاث ليال متتالية لا يغمض لها جفن . وبناء على ذلك ، وعلى الرغم من ان خيولها غير ذات حذاء ، انطلقت الى المدينة لتسال قبل كل شئ عن سعر النفس الميتة الدارج في تلك الآونة ، ولتعرف فيما اذا لم تكن قد



باعثها - لا سمح الله - بثلت الثمن الحقيقي مثلا .  
وسيعرف القارى نتائج رحلتها من حديث دار بين سيدتين ، نحتفظ له به فى الفصل القادم .

## الفصل التاسع

فى صبيحة اليوم التالى ، قبل موعد تبادل الزيارات المعتاد ، برزت سيدة بمعطف صوفى ثمين ، من رتاج بيت خشبى ، يرتقالى اللون ذى مخزن علوى صغير وصف من الاعمدة الزرقاء . وبرز معها تابع بمعطف طويل متعدد الحواشى ذو قبعة لماعة مزينة بالاشرطة الذهبية . وبسرعة وكبرياء صعدت السيدة السلم الذى انزل اليها من عربة كانت واقفة امام المدخل . وما تم ذلك حتى اقلل التابع خلفها الباب ورفع السلم الى موضعه وامسك بالنطاق الجلدى الموجود فى مؤخرة العربة وصاح بالسائق «هيا انطلق» . وسبب هذا كله ، هو نتف من الاخبار كانت هذه السيدة تتحرق شوقاً للافضاء بها الى صديقة لها . واخذت تنظر بين الفينة والاخرى من نافذة العربة فترى والحنق بالغ منها اشدّها انها لم تتجاوز منتصف الطريق بعد . بدا لها ان واجهات البيوت كانت اطول مما هى عليه فى العادة ، وعلى الاخص واجهة المستشفى الحجرى الابيض ذى صفوف النوافذ الضيقة فقد لاح انها لا تكاد تنتهى . وصرخت السيدة بعد لآى تقول «اف لهذه البناية اللعينة ! انها عديمة النهاية قطعاً !» ثم رفعت من صوتها تحت السائق

قائلة «اسرع يا اندروشكا . فيم هذا التباطؤ الشديد فى مطلع النهار ؟» وتم البلوغ الى الهدف اخيراً ، ووقفت عربة امام بيت خشبى من طابق واحد ، ذى لون رمادى غامق ونقوش بيضاء محفورة على الشبايبك ، وقام امام الاخيرة سياج خشبى طويل وحديقة ضيقة فيها بضغ شجيرات نحلية بدت بحلة بيضاء ناشزة اكتستها من غبار الطريق . وكان فى نوافذ البناية ايضاً بعض الاصص ذات الزهور وبيضاء فى قفص ترقص على ارضه تارة وتعلّق بمنقارها فى الحلقة المدلاة من سقفه تارة اخرى . وكان امام الباب ايضاً كلبان اليافان نائمان تحت اشعة الشمس . فى هذا البيت كانت تسكن صديقة السيدة الحميمة . والمؤلف يجد صعوبة فائقة فى ان يسمى كلتا السيدتين ، بشكل لا يسبب غضب الناس عليه مرة اخرى ، كما حدث من قبل ان اطلاق لقب عاللى مختلق عليهما شىء خطر . فان اى لقب تختلقه لا بد ان يكون له وجود حقيقى فى ركن من اركان دولتنا ، بسبب سعتها . وسيغضب حامل هذا اللقب حتماً غضاً يهون دونه الموت . وسيقول ان المؤلف جاء الى بلده سرّاً وعن نية مقصودة ليعرف من هو ، واى معطف يلبس ، ومن هى اغرافينا ايفانوفنا التى يزورها باستمرار ، واى الاطعمة يحب . واذا سماهما برتبهما ، فالعياذ بالله ، الامر اخطر . فان جميع الرتب والفئات عندنا الآن فى منتهى الحساسية ، بحيث يتصورون ان كل ما يضمه كتاب مطبوع يمسه شخصياً . مثل هذا الموقف شائع ، كما يبدو . يكفى ان تقول ان فى



البلدة الغلانية يوجد شخص أحق ، حتى يقولوا : هذا يعني . فتفاجأ بأن يصرخ عليك شخص محترق الحياة «أنا أيضاً شخص ، إذا أنا أحق أيضاً» وباختصار يفتن إلى حقيقة الأمر . ولهذا السبب ، وحذراً من كسل الملابس سنسمى السيدة التي وصلت إليها الضيفة كما كان أهل مدينة «ن» يسمونها بالاجماع تقريباً : أي السيدة اللطيفة من كل النواحي . وقد اكتسبت هذه التسمية بطريقة شرعية ، لأنها بالفعل لم تكن تضمن بشيء لتبدى اللطف في أرقى درجاته ، ولو كانت تتسرب ، من خلال اللطف ، خفة نشطة من النوع الانثوي ! فقد كان يطل ، وإن لم يكن دائماً ، طرف دبوس لاذع . والله يساعد المرأة التي ينغرز في قلبها هذا الدبوس ، إذا بادرت فوقفت أمامها بشيء ما ، وعلى نحو ما . ولكن كل ذلك كان مغلفاً ، بأدب آداب السلوك المتاحة لبلدة اقليبية . كانت كل حركة تقوم بها تنم عن ذوق ، بل وكانت تهوى الشعر ، وأحياناً كانت تجيد حتى التطلع برأسها حالمة - وكان الجميع متفقين على أنها بالضبط سيدة لطيفة من كل النواحي . أما السيدة الأخرى ، أي الزائرة ، فلم يكن في خلقها هذا التعدد في النواحي ، ولهذا سنسميها : امرأة لطيفة فقط . ايقظ قدوم الزائرة كلبين ، صغيرين كانا نائمين في الشمس وهما أديل الأشعث الذي كان يتشربك بشعره دائماً ، وبوبوري النحيل القوائم . واندفع كلاهما نابحاً ، وقد دوّر ذيله ، إلى الرواق حيث كانت الزائرة تخلع عنها عباءة السفر ، وتطلع في

نستان على الموضة في نقشه ولونه ، وذبول طويلة تخرج من رقبتها . وامتلات الحجرة كلها بعطر الياسمين . وحالما علمت الصديقة اللطيفة من كل النواحي المذكورة بقدوم الزائرة هرولت تركض إلى القاعة واشتبكت السيدتان في العناق والتقبيل . وزعقتا كما تزعق طالبتان تلتقيان بعد تخرجهما من مؤسسة تربوية بوقت قصير ، قبل أن تلحق أم أحدهما أن تبلغ ابنتها بأن أبا صديقتها أفقر وأقل مرتبة من أبيها . كانت القبلة تصدر صدأحة ، لأن الكلبين عادة ينبجان من جديد ، وضرباً بالمنديل جزاء على ذلك . وانسجبتا الصديقتان بعد ذلك إلى غرفة الاستقبال الزرقاء بالطبع فيها أريكة ومنضدة وردية بيضوية ، بل وحاجز له ظليلة من اللبلاب . وجري وراهما أديل الأشعث يولول ، وبوبوري الطويل ذو القوائم النحيلة . قالت ربة البيت وهي تجلس ضيفتها في ركن الأريكة «هنا ، تعالى هنا ، في هذا الركن» وحشرت وراء ظهرها مخدة طرز عليها بالصوف فارساً ، بالشكل الذي يرسم فيه الفرسان دائماً على الطنافس : الأنف بارز كالدرج ، والشفتان مربعتان . وقالت الصديقة اللطيفة من كل النواحي «كم أنا مسرورة لرؤيتك ! عندما سمعت صوت عربية قادمة عجبت ممن قد يزورني في هذا الوقت المبكر . وقالت لي برأشا أن الزائرة يجب أن تكون زوجة وكيل حاكم الولاية ، فهمت أن ابلاغهم بأن يقولوا لها أنني غير موجودة في البيت لكي أتخلص ممن ازعاجها» .

وكان بود الضيفة أن تقوم بمهمتها بالافضاء بما لديها  
من اخبار ، الا أن صبيحة استغراب مفاجئة من ربة البيت  
حوّلت مجرى الحديث مؤقتاً الى ناحية أخرى .  
صاحت وهي تنظر الى رداء الأخرى «ما اللطف هذا  
القماش !»

فاجابت الزائرة «اجل انه لطيف ، ولكن براسكونيا  
فيدروفنا تظن أن من الأفضل لو أن المربعات اصغر ،  
والرصعات زرقاء سماوية ، لا بنية . وقد بعثوا لاختها  
قطعة من هذا القماش ساحرة جداً ، يستحيل وصفها  
بكلمات . تصوّري : خطوط نحيلة جداً لا يستطيع أن  
يتمثلها الا الخيال البشرى . والخلفية سماوية اللون ،  
وبين خط وخط رصعات وحلزونات ، رصعات  
وحلزونات . . . باختصار ، من غير مثيل ! ويمكن القول  
بلا تردد : لم يشهد العالم لها مثيل» .

«يا عزيزتي ، هذه زركشة» .

«لا ، ليست زركشة» .

«آه ، زركشة !»

ويجب أن نذكر أن السيدة اللطيفة من كل النواحي  
كانت مادية بعض الشيء ، ميالة الى الرفض والشك ،  
وكانت ترفض أشياء كثيرة جداً في الحياة .

وعند ذاك اوضحت السيدة اللطيفة فقط أن هذه  
ليست زركشة اطلاقاً ، وهتفت :

«ولكن ، اهنك : بطلت كشكشات الفساتين من  
الموضة» .

«كيف بطلت ؟»

«حلت محلها الفسطونات» .

«أوى ، الفسطونات ليست جميلة» .

«نعم ، الفسطونات ، كلها فسطونات ، الوشاحات  
كلها من الفسطونات . وعلى الاكمام فسطونات ،  
والكتافيات من فسطونات . وفي الاسفل فسطونات .  
وفي كل موضع فسطونات» .

«غير لطيف ، يا صوفيا ايفانوفنا ، اذا كان كل شيء  
فسطونات» .

«اللطيفة ، آنا غريغوريفنا ، الى آخر حد . تخاط  
بدرزتين . فتحات اكمام عريضة ومن فوق . . . ولكن  
لا بأس ، سترين وتنذهلين ، وعند ذلك ستقولين  
انه . . . طيب ، تنذهلين . تصوّري . حمالات الصدر  
صارت اطول ، تلتقي في المقدمة على شكل بروز ،  
والنتوء الامامي تجاوز كل حدود . والتنورة تدور كلها  
حول الجسم ، كما كان ذلك في قبة التنورات القديمة ،  
بل ويضعون بعض القطن في الخلف ، يجعلوك «بيل-  
فام» • كاملة» .

«أوه ، ذلك فوق كل حد» - قالت السيدة اللطيفة  
من كل النواحي ، وادت براسها حركة احساس  
بالكرامة .

ردت السيدة اللطيفة فقط «بالضبط ، فوق كل حد» .  
«على كل حال ، لن تجدينى احاكى هذه الموضة . ولك  
أن تقولي ما تشائين» .

• الحساء . كلمة فرنسية كتبت في الاصل بالحروف  
الروسية . المترجم .



«انا أيضاً . . . الحقيقة ، الى اى حد تصل الموضة احياناً . . . اعجوبة لا مثيل لها ! طلبت من اختى ميلانيا ان ترسل لى تفصيلاً لمجرد المزاج . وقد بدأت ميلانيا فى خياطته» .

«اذن ، عندكم تفصيلاً ؟» - صاحت السيدة اللطيفة من كل النواحي ، وصوتها لا يخلو من انفعال .  
«بالطبع ، وارسلتها اختى لى» .

«يا روحى ، اعطيها لى بحق كل مقدس» .  
«أه ، وعدت بها براسكوفيا فيدروفنا . الا اذا كان بعدها» .

«ومن سيلبسها بعد براسكوفيا فيدروفنا ؟ سيكون هذا مستغرباً جداً . من ناحيتك ، اذا كنت ستفضلين الغربيات على اقاربك» .

«ولكنها مى أيضاً من قريباتى» .  
«قريباتك من بعيد طبعاً ، من جهة الزوج . لا ، يا صوفيا ايقانوفنا ، هذا لا يستطيع حتى ان اسمع منك . يعنى تريدان ان تنزلى بى هذه الالهانة . . . الظاهر اننى اضجرتك ، الظاهر انك تريدان ان تقطعى اية علاقة بى» .

ولم تعرف صوفيا ايقانوفنا المسكينة ماذا تفعل . وشعرت بين اية نارين شديديتين وضعت نفسها . هذه نتيجة فلتان اللسان ! وكانت مستعدة ان توخر لسانها الاحمق بالابر عقاباً على ذلك .

وخلال ذلك قالت السيدة اللطيفة من جميع النواحي :  
«طيب ، كيف حال فاتنك ذاك ؟»

«ومل تعريفين ما الذى دفعنى الى المجيء هنا ؟» - قالت الزائرة واخذت تلهث انفاسها بسرعة شديدة وظهر ان مزيداً من الكلمات كانت تحوم فوق شفيتها كما تحوم الصقور استعداداً للانقضاض على الفريسة . ولا يطاوع انساناً قلبه على مقاطعتها وهى فى حالتها هذه الا الذى يخلو قلبه من الشعور الانسانى بوصفه «صديقاً حميماً» . وكانت ربة البيت صديقة من هذا النوع تماماً ، فبادرت حالاً تقول :

«انى لأعجب كيف يستطيع المرء ان يمتدح هذا الرجل او يعجب به . وفى رأيى انه سافل وضعيف فى ادنى درجات السفالة والوضاعة . ولو رايتك لقلت له هذا الكلام فى وجهه» .

«نعم ، لكن استمعى لما ساقوله لك» .  
«اجل ، انى اعرف ان بعض الناس يرون فيه الجمال والسحر ولهذا يسمونه ساحراً . اما انا فانى ارى انه ليس من هذا فى شىء . الم ترى شكل انفه الغريب ؟»  
«دعيني ، دعيني فقط ان احدثك ، يا روحى ، يا آنا غريغوريفنا ، اسمح لى ان احدثك . انها حكاية فاهمة ، حكاية فاضحة ، «سكونابل استوار» - قالت الضيفة وفى سحنتها ما يشبه القنوط ، وصوتها ضارح تماماً . ولا ضمير فى ان تذكر ان فى حديث كلتسى السيدتين . الكثير من الكلمات الاجنبية ، والعبارات الفرنسية الطويلة جداً احياناً . ولكن مهما كان تقدير المؤلف للمنافع المنقذة التى تقدم اللغة الفرنسية لروسيا ، ومهما كان تقديره لعادة مجتمعنا الراقى



الحميدة فى التعبير عن نفسه بهذه اللغة طيلة ساعات اليوم ، مدفوعاً ، طبعاً ، بشعور الحب العميق لوطنه ، فإنه رغم كل ذلك لا يستطيع أن يحمل نفسه على أن يدخل عبارة بأية لغة أجنبية كانت الى قصيدته الروسية هذه . فلنتابع القول اذن ، باللغة الروسية . «ما هى هذه الحكاية ؟»

«انك لا تستطيعين ان تتصورى حالتى النفسية افقد زارتني زوجة الاب كيريل هذا الصباح - انت تعرفينها ، ليس كذلك ؟ وهل تعلمين حقيقة زائرنا الظريف ومن تبين ان يكون ؟»

«معقول انك تريدان ان تقولى : اكان يغازل زوجة الكاهن كيريل ؟»

«اوه ، لا يا عزيزتى ! لو كان هذا كل ما فى الامر لما كان شيئاً . اسمعى ما قالته لى زوجة الاب كيريل . قالت ان سيدة ملاكة اسمها مدام كوروبوتشكا وصلت الليلة السابقة الى بيت الكاهن . وصلت شاحبة اللون وهى ترتعش هلعاً وراحت تحدثها عن أشياء يقف لها شعر الانسان رعباً ! حوادث لا يستطيع المرء تصديقها بغير جهد جهيد ، وكأنها من نسج الخيال ! ففى هدأة الليل وبعد ان اوى الناس الى مضاجعهم ، سمعت دوى قرع مخيف على الباب ، وصوت انسان يصرخ قائلاً : «افتحوا الباب والا كسرناه» تصورى ! وكيف بعد هذا يستطيع المرء ان يقول عنه انه جذاب ؟»

«وما هو شأن مدام كوروبوتشكا فى الموضوع ؟ هل هى فى مقتبل العمر ام على قدر من الجمال ؟»

«اوه ، لا يا عزيزتى ! انها عجوز بلغت من العمر عتياً» .

«يا للغرابة ! اذن هذه هى خطيبته ؟ ان اللعنة تحقق على اذواق السيّدات اللواتى وقعن فى حبّه» .

«اجل ، ولكن القصة لا تقف عند هذا الحد . اتعرفين ؟ لقد دخل على هذه العجوز وهو مدجج بالسلاح من قمة رأسه الى اخمص قدمه ، وقال لها بيعينى الانفس التى ماتت لديك أخيراً . وكان جواب مدام كوروبوتشكا بالطبع معقولاً جداً . فقد قالت له «كيف ابيعك هذه الانفس وقد فارقت الحياة ؟» ولكنه اجاب «لا ، لا انها ليست ميتة . هذا ما اقول لك . فانا الذى اعرف حقائق الامور . واقسم لك انها ما تزال حية» . خلاصة القول كان مشهداً غريباً جداً ، وتراكم اهل القرية وتعالى صراخ الاطفال وصياح الرجال ، ولم يفهم احد حتى الآن سبب ذلك كله . وما سمعت بنفسى هذا الكلام حتى كاد يغشى على من الهلع ، ورحت ارتجف ارتجافاً لا تستطيعين تصوره . حتى ان وصيفتى ماشكا قالت لى «انظرى الى وجهك فى المرآة يا سيدتى العزيزة ، لترى كم هو شاحب» . فأجبتها «لا وقت لى» لذلك اذ يجب ان اذهب الى صديقتى آنا غريغوريفنا واحمل اليها هذه الاخبار» . ولم اصبح لحظة واحدة فى طلب العربية . غير اننى عندما جلست فيها وسألنى السائق عن الجهة التى اتجه اليها لم استطع النطق بكلمة واحدة ، ووقفت احدثق فيه ذاهلة ولا ريب انه ظن بى



مسيًا من جنون . ايه يا آنا غريغوري فنا لو تعلمين مبلغ اضطرابي !»

فعلقت ربة البيت تقول «اية قصة عجيبة هذا ! وماذا يعنى الرجل بالانفس الميتة ؟ ان هذه الكلمات تتعدى ادراكي . ومن الغريب ان الحديث عن الانفس الميتة اخذ يدور بين الناس للمرة الثانية . كان زوجي يقول لي بان نوزدريف يكذب ولكن يجب ان يكون فى كذبه شىء من الحقيقة» .

«تصورى حالتى اذن عندما سمعت هذا كله وقد قالت كوروبوتشكا لزوجة الكاهن انها اصبحت ضائعة لا تدري ماذا تفعل ، لان الرجل رمى لها خمسة عشر روبلا واجبرها ان توقع ورقة ما . تأملى المرأة الضعيفة التى لا حول لها ولا قوة والتى لا تعرف شيئاً من شؤون الاعمال ، يرغمها هذا الانسان على بيع نفوسها الميتة ! تصورى مشاعري عندما اسمع ان قصصاً كهذه لا تزال تحدث فى هذه الايام ! تصورى . . .»

«لا بد ان يكون هناك شىء اكثر من النفوس الميتة التى تبدو للعيان» .

فوافقت الاخرى قائلة «لا بد ان يكون كذلك» . ولكن ملاحظة صديقتها هذه وقعت فى نفسها موقع الدهشة والاستغراب واثارت فيها حبّ الفضول . فارادت ان تعرف ما الذى يمكن ان تدل عليه كلمة «اكثر» . ولذلك راحت تقول «وما الذى تظنينه وراء هذا كله ؟» «لا ، اخبرينى اولاً ماذا تظنين انت» .

«ماذا اظن ؟ انى حائرة لا أدري من الامر شيئاً» .

«اذن اخبرينى بماذا تفكرين» .

واضطرت الزائرة ان تعترف بانها مشتتة الفكر لا تستطيع ان تعمل فكرها باتزان ، بل انها تخشى على نفسها مساً من الجنون ، ولذلك فهي بحاجة الى العطف والنصيحة .

فقالت ربة البيت «اذن ، اليك ما اعتقده بشأن النفوس الميتة» - فرفعت الضيفة اذنيهاً حالاً ، (او بالاحرى ارتفعت الاذنان بنفسهما) واجرت بعض التعديل على وضعها بحيث كادت تصبح جلستها نموذجية ، وعلى الرغم من انها ذات وزن لا يستهان به الا انها اتخذت مظهر الريشة الطائرة فى مهبّ الرياح .

تماماً مثل سيد روسى متحمس للصيد والقنص ، اذ يقترب من غابة يتوقع ان يقفز منها بين لحظة واخرى ارنب بري انهكته الكلاب المطاردة ، فيتحول كله مع حصانه وسوطه الطويل المرفوع الى لحظة جامدة ، الى بارود ، على وشك ان تقرب النار منه . فغرز عينيه فى الهواء المضرب ، وهو يوشك ان يلحق قنصه ، ويشويه قبل ان يذبحه ، وغير خائف ان يشور ضده السهب الثلجى الشاسع كله ، وينثر نجومه الفضية على شفتيه ، وشاربيه ، وعينه ، وحاجبيه ، وفى قبعته الغرائية .

وابتدأت ربة البيت بالقول «النفوس الميتة . . .» فتساءلت الضيفة بانفعال شديد : «هى ماذا ؟ هى ماذا ؟»

«هى ، هى . . .»

«تكلّمى ، اخبرينى بحق السماوات» .

«هى بدعة تخفى وراءها أمراً آخر . فغاية الرجل الحقيقية هى - هى ان يهرب بابتنة حاكم الولاية» .

كان هذا الاستنتاج غريباً غير منتظر ابدأ على الزائرة اللطيفة فغدت عند سماعه قطعة من الدهشة الاصيلة الشاحبة المتجمدة . وصرخت وهى تضرب يداً بيد - «يا الهى ! ليس فى طاقتى ان اتصور هذا !»

«هذه هى الحقيقة . وقد عرفتُها فى الساعة التى فتحت فيها فمك بهذا الحديث» .

«اذن كفى البنات تعليماً فى المدارس . ها هى ابنة حاكم الولاية قد تعلمت ، فانظري النتيجة !»

«أى والله ! وقد قيل لى انها تشلفظ بكلمات الخجل من ان ارددها على مسامعك» .

«ان قلب المرء ليعتصر أسى عندما يرى التدهور الخلقى الذى وصلنا اليه فى هذا الزمان» .

«وعلى الرغم من ان بعض الرجال اضاعوا عقولهم فى هواها فهى تافهة فى كل صفاتها لا تستحق الذكر .

وازيدك علماً ان طباعها لا تختمل» .

«آه ، يا حياتى ، يا آنا غريغوريفنا ، انها تمثال ، وجهها خال من أى تعبير» .

«أى نعم ، متصنعة ، ومتصنعة جداً ، يا ربى ، كم هى متصنعة ! لا اعرف من علمها ذلك ، ولكنى لم ار اية امرأة لها مثل مباهااتها» .

«انها تمثال ، يا روحى ، وشاحبة كالصوت» .

«آوه ، لا اعتقد ، يا صوفيا ايفانوفنا . تحمّر وجهها بشدة» .

«كيف هذا منك ، يا آنا غريغوريفنا . انها مبيضة كالطبشورة ، تماماً كالطبشورة» .

«ذات مرة جلست قربى ، يا عزيزتى . الحمرة بسمك الاصبع ، وتتساقط من وجهها قطعاً كما يتساقط ملاط الجدران . امها علمتها ، فهى نفسها غنجة ، ولكن ابنتها مستفوق عليها» .

«طيب ، تفضلى . اخلفى انت ما تشائين من يمين ، ولكننى مستعدة فى هذه اللحظة ان احرم من اولادى وزوجى وكل ضيعتى ، اذا كان لها ولو قطرة ، وحتى ذرة ، وحتى ظل من حمرة» .

«ما هذا الذى تقولينه ، يا صوفيا ايفانوفنا !» -

قالت السيدة اللطيفة من كل النواحي ، وضربت كفاً بكف .

فقالت السيدة اللطيفة «آه» ، انت تدهشينى حقاً ، يا

آنا غريغوريفنا» - وضربت كفاً بكف ايضاً .

ولكن ارجو الا يستغرب القارى من ان السيدتين كلتيهما لم تتفقاً فيما بينهما على ما رآته كلتاها فى

وقت واحد تقريباً . ففى العالم ، بالفعل ، اشياء كثيرة لها هذه الخاصية ، وهى اذا نظرت اليها سيدة لاحت

بيضاء تماماً ، واذا نظرت اليها سيدة اخرى لاحت حمراء ، حمراء كالفراولة .

تابعت السيدة اللطيفة تقول :

«طيب ، اليك دليلاً آخر على انها شاحبة الوجه . انا اذكر ، وكانما حدث ذلك الآن ، اننى كنت جالسة قرب



مانيلوف ، فاقول له «انظر ، كم هي شاحبة !» صحيح يجب ان يكون الانسان ابله مثل رجالنا حتى يعجب بها . اما ظريفنا . . . اه ، كم يبدو لي مرقفاً ! لا يمكن ان تتصورى ، يا آنا غريغوريفنا ، الى اى درجة يبدو لي مرقفاً .

«نعم ، ومع ذلك فهناك سيدات ابدین له بعض الاهتمام» .

«انا ، يا آنا غريغوريفنا ؟ لن يمكن ابداً ان تقول ذلك عني . لن ، ولن ! . . .»

«ولكننى لا اعنيك ، وكانما لم يكن احد غيرك» .

«لا ، ولن ! يا آنا غريغوريفنا ! اسمح لى ان

انبهك الى اننى اعرف نفسى جيداً . الا اذا كان ذلك

يخص بعض السيدات اللواتى يمثلن دور المحصنات» .

والآن ، اعفرينى ، يا صوفيا ايفانوفنا ! واسمحي

لي ان اقول لك لم تحصل معى مثل هذه الفضائح . مع

الاخريات ممكن ، ولكن ليس معى . هذا ما ارجو ان

اقوله لك» .

«ولماذا انزعجت بهذا الشكل ؟ فقد كانت هناك

سيدات اخريات ، بل وكانت هناك مَنْ تدافعن لياخذن

مقاعد قرب الباب ، ليجلسن اقرب اليه» .

وبعد هذه الكلمات التى تفوهت بها السيدة اللطيفة ،

كان لا بد ان تعقبها عاصفة ، ولكن من الغرابة الشديدة

ان كلتا السيدتين هذات فجأة ، ولم يعقب ذلك شئ .

تذكرت السيدة اللطيفة من كل النواحي ان تفصيل

الفيستان الجديد ليس فى حوزتها ، والسيدة اللطيفة

فقط فطنت الى انها لم تتعرف بعد على اية تفاصيل عن هذا الاكتشاف الذى جعلته صاحبة مخلصه ، ولهذا حل السلام بينهما بسرعة . وعلى العموم لا يجوز القول ان اياً من السيدتين كانت فى طبيعتهما تميل الى ايداء الناس ، وخلقهما ، بشكل عام ، خال من اى خبث ، بل مجرد ان رغبة صغيرة قد تولدت اثناء حديثهما لا شعورياً ومن تلقاء نفسها فى ان تلسع احدهما الاخرى . لمجرد ان اياً واحدة منهما تجد قليلاً من المتعة حين تقول للاخرى كلمة جديدة لاذعة ، وكان تقول «هاك ، خذى ، تسلمى ، كلى !» ذلك لان رغبات من مختلف الاشكال تظهر فى قلوب الرجال والنساء على حد سواء .

«لكن اكثر ما يعيرنى هو كيف يمكن لرجل مثل

تشيتشيكوف الطارىء على الولاية ان يتورط فى عمل

كهذا العمل . لا شك ان له شركاء فى الجريمة» - قالت

السيدة اللطيفة فقط .

«هذا لا شك فيه ، واستطيع ان اقول ان نوزدريف

هو احد هؤلاء الشركاء» .

«اكيد ؟»

«لا مرأى فى ذلك . فقد عرفت عنه مرة انه جرب ان

يبيع اباه ! او على الاقل فقد قامر عليه فى اللعب» .

«حقاً ما تقولين ؟ لقد اثرت كوامن استغرابي . لم

اكن اتصور ان لنوزدريف دوراً فى هذه القضية» .

«اما انا فقد كنت دائماً اتنبأ بهذا» .

«ولك ان تتصورى . صحيح ما اكثر الاشياء التى



تحصل في هذا الدنيا ! ولكن هل كان من الممكن التنبؤ ، عند ذاك ، أنت تذكرين ، وتشيتشيكوف قد وصل الى بلدتنا لتوه ، بأن يحدث مثل هذه الضجة الغريبة نسي مجتمعنا ؟ آه ، يا آنا غريغوريفنا ، ليتك تعرفين كم ارتعبت ! لو لا مودتنا وصداقتنا . . . لكنت . . . لكنت حقاً على حافة الهلاك . . . والى ايمن المهرب ؟ ماشكا تراني شاحبة كالموت وتقول لي «مولاتي العزيزة ، انت شاحبة كالموت» . - فاقول «لم اعد اهتم بذلك الآن» تلك كانت الحال . وما ان دخل نوزدريف ، اوه ، حتى لا ادري ماذا اقول» .

كانت السيدة اللطيفة تود كثيراً ان تطلع على العزيز من التفاصيل عن الاختطاف ، في اى ساعة حصل ، وما الى ذلك . ولكنى ما اكثر ما تود . اعلنت السيدة اللطيفة من كل النواحي صراحة بأنها لا تعرف شيئاً . ولم تكن تجيد الكذب . شئ آخر ان تفترض ، ولكن حتى الافتراض ، في مثل هذه الحال ، يجب ان يبني على اقتناع داخلي . ولو كانت تشعر باقتناع داخلي فانها ستقدر ان تدافع عن نفسها ، وعندها ليحرب اى محام كبير مشهور بموهبته في قهر آراء الآخرين ان يتبارى في هذه القضية ، فسيعرف ما هو الاقتناع الداخلي . وما اقتنعت به كلتا السيدتين اخيراً ، بشكل كلى ، في ان ما كانت تفترضانه سابقاً لم يكن الا مجرد افتراض ، لم يكن شيئاً غير اعتيادى . ونحن ومن على شاكلتنا ، من الناس الاذكياء ، كما نسمى انفسنا ، نتصرف بهذه الصورة تقريباً ، تعتبر جدالاتنا العلمية

دليل اثبات . في البداية يعالجها العالم معالجة كرجل منزلف ، يبدأ بتهيب واعتدال يبدأ بسؤال في غاية الوداعة : اليس من هناك ؟ ألم ياخذ هذا القطر اسمه من منطقة معينة ؟ او الا تعود هذه الوثيقة الى عهد آخر اقدم ؟ ام هل نحن متأكدون من انهم يعنون بهذا الشعب شعباً آخر مختلفاً ؟ وسرعان ما يستشهد بهؤلاء وغيرهم من الكتاب القدامى ، وما ان يرى اى تلميح او مجرد ما يراه تلميحاً حتى يمتطى صهوة جواده ، ويتشجع ويتناظر مع الكتاب القدامى ببساطة ، وي طرح عليهم الاسئلة ، بل ويجيب هو نفسه عنها ناسياً كلياً انه بدأ بافتراض متهيب . فقد صار يتصور الآن انه يراه ذلك ، وان ذلك واضح ، وينتهى النقاش بهذه الكلمات «هذا حصل بالشكل التالى ، والشعب الفلانى يجب ان يعنى الشعب الفلانى ، ومن وجهة النظر هذه يجب ان ينظر الى الموضوع ا» وبعد ذلك يعلن على الملأ من على المنبر . وتذيع الحقيقة المكتشفة حديثاً في العالم ، جامعة حولها المحققين والاتباع .

كانت السيدتان ما تزالان تتجادلان بحدة وصياح ، عندما دخل الغرفة عليهما المدعى العام - بحواجب كثة وعينين رامشتين وقسمات لا حراك فيها . فسارعتا فور المسارعة لأطلاعه على ما لديهما من انباء ، بالاضافة الى تفاصيل وافية عن شراء الانفس الميتة وعن مشروع هروبه مع ابنة حاكم الولاية واربكتاه كلياً ، بحيث انه لم يستطع ان يفهم شيئاً ، مهما اطال وقفته في مكانه لا بريم ، رامشاً بعينه اليسرى ، ضارباً لحيته بمنديله



ليزيح عنها ذرات التبغ . وبعد هذا انطلقنا الى المدينة لتنوير أهلها . وكانتا بحاجة الى ما يزيد قليلا عن نصف ساعة لتنفيذ هذه المهمة على الوجه الاكمل .

كانت البلدة في هيجان شديد ، وكل شيء فسى فوران . ويا ليت أحداً استطاع ان يفهم شيئاً ما . السيدات لم يكن قادرات الا على احداث البلبلة بين الجميع ، ولا سيما بين الموظفين الذين ظلوا ذاهلين مصعوقين لبعض الوقت . فغداً مثلاً كل فرد من طائفة الموظفين كممثل تلميذ المدرسة ، وقد اغتتم الفرصة رفاق له آخرون استيقظوا قبله ، فذروا في عينيه قبضة من السعوط وهو ما يزال نائماً . وعندما استنشق السعوط متمللاً بكل قوة انسان نائم ، استيقظ ، وثب من سريره ، وحرق كالابله ، مبجلقاً عينيه في كل الجهات ، ولا يستطيع ان يفهم أين هو ، وماذا حصل له ، ثم يتميز بعد ذلك الجدران المضاء بشعاع الشمس المائل ، وضحك زملائه ، المختبئين في الزوايا ، والصباح الطالع المطل من النافذة ، بالغابة المستيقظة الصدمة بالالوف من اصوات الطيور ، والجدول المشف المتألق بتعرجاته هنا وهناك بين القصب النحيل ، المرقت كلية باجساد الاولاد العراة الداعين الى السباحة ، وبعد ذلك ، أخيراً ، يشعر بأن في انفه سعوطاً . تلك بالضبط . كانت حالة اهالى البلدة وموظفيها في الوهلة الاولى . كان كل واحد منهم يتوقف مبجلقاً عينيه كالخروف . كانت الانفس الميتة ، وابنة حاكم الولاية وتشيتشيكوف يختلطون ويتشربكون في

رؤوسهم بغرابة غير اعتيادية . وفيما بعد فقط ، بعد الصعقة الاولى ، صاروا وكأنهم يميزون بينهم ، ويفصلون بعضهم عن بعض ، واخذوا يطالبون بايضاح ، ويفضون ، وهم يرون الامر يعزى على كل ايضاح . ما هذا اللغز ، في الحقيقة ؟ ما لغز هذه النفوس الميتة ؟ لا يوجد اى منطق في النفوس الميتة ، تباع وتشترى . واى احمق سيشتريها ؟ وبأى نقود ممسوحة سيشتريها ؟ ولاى غرض وفى اى عمل يمكن ان يحشر هذه النفوس الميتة ؟ وما علاقة ابنة حاكم الولاية فى هذه القضية ؟ فاذا كان يريد ان يأخذها ، فما حاجته لشراء النفوس الميتة ؟ واذا كان يريد شراء النفوس الميتة فما حاجته لاخذ ابنة حاكم الولاية ؟ هل يريد ان يهدى لها هذه النفوس الميتة ؟ وما هذه السخافة التى تسرى فسى البلدة ؟ واى ادارة هذه ، اذا كنت ما ان تلحق ان تدير راسك ، حتى تجد شائعة قد شاعت . ويا ليت لو كان لها معنى . . . ولكنها شاعت ، ومعنى ذلك كان هناك موجب ؟ . . . فما هو الموجب فى النفوس الميتة ؟ لا يمكن ان يكون لها موجب . يعنى مجرد سخافات ، سفاسف ، ثرثرات حمقى ! والله أعلم اى شيء آخر ! وباختصار كلام فى كلام . واخذت المدينة كلها تتحدث عن النفوس الميتة وابنة حاكم الولاية ، عن تشيتشيكوف والنفوس الميتة ، وعن ابنة حاكم الولاية وتشيتشيكوف . وطلع كل شيء الى الخارج . والبلدة التى كانت تبدو هاجعة هاجت كالزوبعة . وخرج من مهاجعهم كل التنابلية والكسالى الذين ظلوا عدة سنين منطرحين فى اريدتهم



المنزلية ، ملقين اللوم على الاسكاف الذى صنع لهم  
جزمات ضيقة لا يستطيعون السير فيها ، او على  
الخياط ، او على حوزيهم السكير . كل الذين قطعوا منذ  
زمان كل صحبة ، ولم يكونوا يعرفون غير صحبة المالك  
سرحان ، اذا صح التعبير ، والمالك نائم ، وهما اسمان  
معروفان مشتقان من الفعلين «سرح» و«نام» الواسعي  
الانتشار عندنا فى روسيا ، مثلما تعنى عبارة «قام  
بزيارة السيد غافى والسيد شاخر» الغاط فى نومة  
اهل الكهف على جنبه او على قفاه وفى كل الاوضاع  
الاخري المصحوبة بالشخير ونخير الانف واللوازم  
الاخري) كل الذين لم يكن فى الامكان اغراؤهم بالخروج  
من البيت حتى فى دعوتهم الى مائدة حساء سمك الحفش  
النفيس الذى يكلف مائتى روبل ، مع شرائح من هذا  
السمك الدسم الضخم وكل انواع الفطائر التى تذوب فى  
الفم . وباختصار ظهر ان البلدة كثيرة السكان ،  
كبيرة ، وماهولة بكل انواع الواقدين . ظهر شخص  
يدعى سيسوى بفتوتيفيتش وآخر باسم ماكدونالد  
كارلوفيتش ، وهما شخصان لم يسمع بهما احد من  
قبل ، وصار يتردد على غرف الضيوف رجل طويل جداً ،  
ذو ذراع مصابة ، اطول حتى من اى شخص رآته  
العين . وظهرت فى الشوارع مركبات مغلقة وعربات  
وحجلات من شتى الانواع . واختلط الحابل بالنابل .  
ان شائعات كهذه ربما ما كانت ستثير اى اهتمام ، اذا  
كانت قد وقعت فى وقت آخر وفى ظروف اخرى ، ولكن  
بلدة «ن» ، لم تكن قد تلقت اية اخبار ، منذ زمن بعيد ،

بل ولم يحصل فيها ، خلال ثلاثة اشهر ، ما يسمونه فى  
العواصم «كوميراجيه» . وذلك ، كما هو معروف ،  
بمناسبة وصول اغذية فى الوقت المناسب ، بالنسبة  
للبلدة . وظهر فى خضم تفسيرات البلدة رايان مختلفان  
تماماً . وانقسمت المسائل الموضوعية على بساط البحث  
الى قسمين - مسألة الانفس الميتة ، ومسألة ابنة  
الحاكم . وتشكل تبعاً لذلك فريقان - فريق الرجال  
وفريق النساء . اما فريق الرجال ، وهو اقل الفريقين  
احساساً بلا جدال ، فقد حصر اهتمامه فى الانفس  
الميتة . بينما شغل فريق النساء نفسه فقط فى القضية  
المزعومة عن خطف ابنة الحاكم . ويمكن ان نذكر هنا  
(لصالح النساء) ان فريقهن كان ابرع خطة واشد حيلة  
من الفريق المنافس ، وقد يكون سبب ذلك انهما كهن  
الدائم فى ادارة البيوت وتدبير امورها . ولهذا سرعان  
ما اتخذت القضية عند السيدات شكلاً محدداً واضحاً ،  
وتبلورت بجلاء لا يدحض ، وتبدت لا يشوبها من الريب  
شائبة . وقال بعضهن ان تشيتشيكوف كان غارقاً فى  
حب الفتاة منذ امد طويل وان الاثنين كانا يلتقيان فى  
ضوء القمر ، وان حاكم الولاية كان على وشك القبول  
(لا سيما وقد رأى ان تشيتشيكوف غنى كيهودى) لولا  
عقبة اكتشفها فى الطريق وهى ان تشيتشيكوف كان  
قد هجر زوجته له (اما كيف توصلت السيدات  
المحترمات الى ان يعرفن انه كان متزوجاً ، فهذا لا

\* من الكلمة الفرنسية "Le commérage" أى الاقاويل .



يزال غامضاً حتى الآن) وان السيدة المهجورة السالفة الذكر - وقد اضناها زوجها الغائن حباً - ارسلت كتاباً مؤثراً جداً لحاكم الولاية ، ولما رأى تشيتشيكوف ان الاب والام سوف لا يمنحانه القبول صمم على اختطاف البنت . وفي حلقات اخرى كانت القصة تروى على شكل آخر . فقد اكد قسم منهن ان تشيتشيكوف لا زوجة له ، لكنه كرجل حنكة ودهاء رأى ان يطلب يد الفتاة بان يوقع امها في حباله اولاً ويوثق بينه وبينها عرى لا تنفصم ثم يتقدم بعد ذلك بطلبه المنشود . ولكن الام ، مخافة ان تقترب الخطيئة في دينها واحساساً منها بوخز ضميرها ردت على تشيتشيكوف برفض صريح . وبعد ذلك كله فكر تشيتشيكوف بالخطف المزعوم . وقد اضيفت ، طبعاً ، حواشى مختلفة من البراهين والايضاحات تتناسب مع مدى ما وصلت اليه القصة في ارجاء المدينة . ان المجتمعات الواطئة في روسيا مفرمة جداً في الحديث عن الفضائح التي كانت تحصل في المجتمعات الراقية . ولهذا اخذت الاحاديث تجري عن ذلك في مساكن حقيرة لم يقع بصر اهلها على تشيتشيكوف ، ولم يعرفوه ، وحصلت اضافات وايضاحات اكثر . واخيراً ، وصل الخبر بما عليه من تعديلات الى اذن زوجة حاكم الولاية نفسها . وبطبيعة الحال بلغ استياؤها اشده لدى سماعها هذه القصص ، ولها الحق ان تفعل بوصفها امّاً لعائلة واول سيدة في المدينة وربة بيت لم يتطرق اليها الشك يوماً من الايام حول هذه الاشياء . وكان على

ابنتها الصغيرة المسكينة ، نتيجة ذلك ، ان تتحمل - على براءتها - اقسى تقريع سمعته فتاة في السادسة عشرة .

وانهمرت سيول كبيرة من الاسئلة والاستجابات والتوبيخات ، والتهديدات ، والتعنيفات ، والاستمالات ، حتى ان الفتاة انفجرت تبكى ، وراحت تنتحب ولم تستطع ان تفهم اى كلمة ؛ بينما تلقى البواب امراً بان لا يسمح لتشيتشيكوف مطلقاً بدخول البيت .

وبعد ان انهى فريق السيدات مهمته مع زوجة حاكم الولاية ، انهال على فريق الرجال بغية اقناعهم بوجهة نظرهم وكسبهم الى ناحيتهم ، مؤكدات ان النفوس الميتة ما هي الا اختراع لتحويل الانظار حتى تنجح مهمة الهروب بالفتاة . وقد تحول في الواقع اكثر من رجل وانضم الى فريق النساء ، على الرغم من ان هؤلاء المنشقين قد تعرضوا لشتائم من رفاقهم السابقين مثل (ايتها المعجوز الشمطاء) و(ايتها الانثى) والقباب اخرى مسينة للرجال .

وبالاضافة الى ذلك ، فمهما حاول الرجال ان يسئلوا انفسهم وان يتقدموا الطليعة الى الميدان فانهم لا يستطيعون ان يضاهوا النساء في التنظيم وترتيب الصفوف . وقد كان كل امر عند الفريق الاول عتيقاً مشوشاً غير منسجم لا معنى له او في غير موضعه وعلى اسوا ما يرام . ولم يكن يملأ رؤوسهم غير الخلافات والتفاهات والبلبل والفوضى في التفكير . خلاصة القول ، تجلّت عندهم كل خصائص الرجال عامة



من خشونة وغلظة عاجزة عن تدبير البيت او المبادرة الى الاستنتاج ، طبيعة تظل دائماً وابداً كسولا عديمة الثقة مليئة بالشك والتهيب الدائم . فقد اعلن فريق الرجال مثلاً بان القصة هراء كلها وان هرب ابنة حاكم الولاية هو اقرب ما يكون الى تاليف رجل آثم من رجال الجيش ، وان السيدات يكذبن عندما يتهمن تشيتشيكوف بهذا العمل ، وان النساء مثل كيس النقود يحتفظن بأى شىء تضعه فيه ، وان الموضوع الذى يستحق الاهتمام فى الحقيقة هو النفوس الميتة - الشىء الذى لا يعلم معناه الا الشيطان . الا ان هناك شيئاً ما غير مألوف فى طبيعة الامور . سبب واحد جعل فريق الرجال يتأكد من ان النفوس الميتة هى شىء غير مألوف فى طبيعة الامور - وهو انه كان قد تعيّن حديثاً حاكم عام ... حدث اثار القلق العظيم ، طبعاً ، فى نفوس الموظفين المدنيين جميعهم لما يترتب على ذلك من تنقلات واحكام تأييبية ، كما يترتب عليه من ولانم رسمية يتفضل الحاكم العام عادة بتشريف موظفيه بالحضور اليها . وكان يدور فى تفكير هؤلاء المواطنين ما يلى «يا للهول ! انه لو علم بالوقائع التى تدور الاحاديث الآن عنها فى المدينة فسيقوم الدنيا ويقعدنها وينزل على رؤوسنا البلوى التى لا نستطيع بعدها سماع نهاية هذه الاحاديث» . وعلى الاخص ، مدير الدائرة الطبية ، فقد شحّب لونه اذ تصور ان الحاكم الجديد قد يظن ان «النفوس الميتة» تدلّ على مرضى فى المستشفيات المحلية قتلهم الحمى لقلة العناية بهم . اليس من

المحتمل ان يكون تشيتشيكوف مندوباً للحاكم العام لا اكثر ولا اقل ، ارسله ليقوم بتحقيقات سرّية ؟ وبناء على ذلك ، اسرّ (اى مدير الدائرة الطبية) بظنه هذا الى رئيس المجلس المحلى الذى كان عازماً اول الامر ان يقول «هراء» ، الا انه شحّب فجأة حينما فكر فى نفسه يقول «وكيف فيما لو كانت النفوس التى اشتراها تشيتشيكوف ميتة حقاً ؟» - تفكير مرعب ، لا سيما وقد سمع بتسجيل البيع وقام بنفسه بدور الوكيل عن بلوشكين ! ما الذى سيحدث اذا وصلت هذه الاخبار الى اذنى الحاكم العام ؟ وذكر هذا لبعض اصدقائه الذين انقلبوا بدورهم صفر الوجوه ، لان الرعب اسرع انتشاراً من الطاعون واشد منه فتكاً . وفجأة اكتشف الجميع فى انفسهم ذنوباً لا وجود لها . وكانت كلمة «نفوس ميتة» تحمل اليهم اصداً غامضة ، حتى اخذوا يتصورون انها تنطوى على ايماءات الى جثتين دفنتا على عجل نتيجة حادثتين وقعت فى وقت ليس بالبعيد . الحادثة الاولى وقعت لبعض التجار من سولفيتشيفودسك وفدوا الى البلدة للاشتراك فى سوقها ، وبعد ان باعوا بضائعهم اقاموا مأدبة صغيرة لاصدقائهم تجسّار اوستيسيسولسك ، مأدبة اقاموها على اساس روسى بتحسينات المانية - شراب اللوز ، البونش ، البلزم وغيرها . وانتهت المأدبة بعراك ، كما هى العادة . اثخنوا السولفيتشيفودسكيون فى زملائهم اوستيسيسولسكيين الى حد الموت ، ولكن دون ان ينجوا هم من كدمات فى الضلوع والصدر دلت على



الحجوم الهائلة لقبضات الذين أسلموا الروح . بل ان احد المنتصرين تهشم "عرنيته" على حد تعبير المقاتلين ، اى ان انفه قد سحق ، حتى لم يبق منه على وجه الا ما يزيد عرضه عن نصف اصبع . واعترف التجار فى المحكمة بذنبهم ، موضحين انهم اساءوا التصرف قليلا . وسرت شائعات بانهم عرضوا اربعة آلاف روبل على كل رأس مذنب . والقضية كلها ، بشكل عام غامضة جداً . وقد ظهر من كشوف التحقيقات الرسمية ان تجار اوستيسيسولسك قد توفوا بسبب غازات الفحم ، ولهذا دفنوا باعتبارهم محروقين . اما الحادثة الثانية التى حصلت قبل مدة قصيرة ، فكانت كالآتى : وجهت الى فلاحى الحكومة من قرية "ام القمل" بالتعاون مع نفس الفلاحين من قريتي "الخنزير المنصى" و"المشاكس" تهمة استئصال شافة شرطة الريف ممثلة بالمختار دروبياجكين الذى اكثر التردد على قريتهم بشكل زائد ، وهو امر كان اسوا من التحدى الخبيثة فى بعض الأحيان . والسبب فى هذه الزيارات ، هو ان الشرطى الضعيف القلب ازاء الجنس الآخر كان يغازل نساء القرية وفتياتها . لا شيء مقطوع بصحته ، ولو ان الفلاحين فى افاداتهم ذكروا بوضوح ان هذا الشرطى كان فاجراً كهر ، وانهم حذروه مرات عديدة ، بل وطردوه ذات مرة عارياً من بيت تسلل اليه . وبالطبع كان الشرطى مستحقاً للعقاب على نزوات قلبه الضعيف ، ولكن لا يجوز فى نفس الوقت التسامح مع فلاحى "ام القمل" و"المشاكس"

على تصرفهم الكيفى ، اذا كانوا قد ساهموا ، فعلاً بالقتل . ولكن القضية كانت غامضة ، وقد وجد الشرطى فى الطريق ، وسترته الرسمية اسوا من خرقه . اما وجهه فقد تغير جداً ، بحيث لا يعرف به . وتنقلت القضية بين المحاكم ، ووصلت اخيراً الى المحكمة العليا ، حيث قد اجمعت الاراء فى بادى الامر على ما معناه : لما كان غير ثابت بالضبط من الذى اشترك من الفلاحين فى القتل ، والفلاحون كثيرون ، ودروبياجكين قد فارق الحياة الآن ، ولن ينتفع ، حتى ولو حكمت المحكمة لصالحه - بينما الفلاحون ما يزالون احياء ، ومعنى ذلك ان قرار المحكمة لصالحهم سيكون ذات اهمية كبيرة بالنسبة لهم ، فقد تقرر تبعاً لذلك : ان المختار دروبياجكين نفسه هو المسؤول ، بفرضه مضايقات مجحفة بحق فلاحى "ام القمل" و"المشاكس" ، وقد توفى اثر نوبة صرع ، وهو فى طريق العودة على زلاجة . وبدأت القضية ، وكأنها قد سُدَّتْ ، ولكن الموظفين ، بسبب مجهول ، اخذوا يتساءلون عما اذا كانت للنفوس الميتة الآن علاقة فى تلك القضية . ولزيادة متاعب الموظفين ايضاً ، حدث فى تلك الآونة بالذات ان وقع فى يد الحاكم المحلى وثيقتان فى غاية الاهمية . كانت اولاهما تشير الى ان هناك فى تلك الولاية ، حسب الدلائل والتقارير ، مزيّف للنقد يتستر تحت اسماء مختلفة ، ولهذا يجب البحث عنه بكل جدٍ ونشاط . اما الوثيقة الاخرى فكانت كتاباً من حاكم ولاية مجاورة بشأن شرير ائيم نشر الرعب فى تلك الولاية ، وفى



لهجة الكتاب ما يوحى بالتعذير بأنه اذا ظهر في مقاطعة مدينة «ن» أى شخص مشتببه به لا يستطيع ابراز وثيقة او جواز سفر ، فيجب القاء القبض عليه حالا . وقد الت هاتان الوثيقتان الرعب والفزع فى قلب كل انسان . لانهما اثارتا كل الاحتمالات والتقديرات السابقة . وبالطبع لم يكن فى الامكان الافتراض بأن ذلك اشارة الى تشيتشييكوف على نحو ما ؛ وعندما استعرض كل منهم الوضع حسب وجهة نظره تذكر ان لا احد يعرف من هو تشيتشييكوف ، بينما كان كلام تشيتشييكوف عن نفسه وتعابيره الغامضة ، اجل . تعابيره الغامضة تدل على انه قاسى كثيراً فى سبيل الحقيقة عندما كان فى خدمة الحكومة ، وان له اعداء يطلبون حياته . وكانت استعادة هذا الكلام غذاء لتفكير الموظفين . فربما كانت حياته حقيقة فى خطر ؟ وربما كان هناك حقيقة من يبحث عنه ؟ وربما كان قد قام حقيقة بعمل ما ؟ اما فى واقع الامر ، من هو ؟ لم يكن يبدو عليه انه مزيف نقود ، بله لص ، لأن مظهره الخارجى كان فى اعلى درجات الاحترام . لكن من هو ؟ واخذ هؤلاء السادة الموظفون يطرحون على انفسهم هذا السؤال الذى كان يجب ان يوجهوه فى البداية ، اى فى الفصل الاول من قصيدتنا هذه . واخيراً ، صمم الموظفون على اجراء تحقيق مع اولئك الذين اشترى منهم النفوس حتى يتسنى لهم الاطلاع على الاقل على ماهية المشتريات وما وراها وفيما اذا كان قد اوضح لاحدهم - عرضاً - عن مآربه الحقيقية او اطلع احدهم على هويته . وكان اول من

قصده فى هذا الشأن - طبعاً - كوروبوتشكا . الا ان المعلومات التى اخذوها من هذا المصدر كانت ضئيلة جداً . كانت مجرد رواية عن انه اشترى منها بعض النفوس بخمسة عشر روبلا ، ووعدا بأن يشترى منها كمية من الريش وبضائع اخرى فى المستقبل لانه متعهد الشحوم للحكومة ، وهذا امر يدل الى حد ما على ان الرجل سافل خاصة وان هناك شخصاً آخر مماثلاً اشترى كمية من الريش الا انه غش كل من عاملوه ، وغش زوجة الاب بالذات بمبلغ اكثر من مائة روبل . وما قالتها فيما بعد كان تكراراً تقريباً لما قالتها وكانت نتيجة التحقيق النهائية مع السيدة ان اقتنع الموظفون بانها عجوز غبية ثرثرة . اما مانيلوف فقد اجاب بأنه يستطيع ان يتكلم عن تشيتشييكوف كما يتكلم عن نفسه وانه مستعد للتضحية بكل ثروته فى سبيل ان يحوز على عشر المواهب التى يحوزها بافيسل ايفانوفيتش . واخيراً ، قطب حاجبيه بعدة والقى خطاباً يمدح فيه تشيتشييكوف بأحسن التعابير الخلاصة داعماً اقواله بمشاعر شتى من الصداقة والعواطف بوجه عام . وكان خطابه فى الحقيقة كافياً للدلالة على الاحاسيس العاطفية الجياشة فى قلب المتكلم ولكنه لم يثر السبيل امام سائليه فى الموضوع الذى يبتغون . اما سوباكيفيتش فقد اجاب بأنه يعتبر تشيتشييكوف انساناً ممتازاً وان النفوس التى باعها له كانت حية بكل ما فى الكلمة من معنى ، ولكنه لا يستطيع ان يجيب عما قد يحدث لها فى المستقبل ،



وان اى كارثة قد تحل بالنفوس اثناء نقلهم سوف لا تكون غلطته لأن الله سبحانه وتعالى هو رب الجميع وفى يده مقادير الامور ، وان الحميات والعوارض المميتة الاخرى كثيرة جداً فى هذا العالم ، وهناك امثلة على قرى هلكت برمتها بالأوبئة والامراض . وبعد هذا كله ، وجد الموظفون انفسهم مضطرين الى اتباع طريقة اخرى ، ومع انها لا تستساغ الاّ انها تستخدم غالباً - الاّ وهى ارسال خدم بكل هدوء كى يتصلوا بخدم الشخص الذى يطلبون المعلومات عنه ، وان يعرفوا منهم (اى من الخدم) بعض التفاصيل عن حياة سيدهم السابقة وماضيه . ولم يستطيعوا الحصول حتى من هذا المصدر الاّ على النزر اليسير لأن بتروشكا تكرم على سائليه فقط برائحة غرفته ، واقتصرت اجوبه سيليفان على ان سيده كان فى خدمة الدولة ، واشتغل ايضاً فى الجمارك . لهذه الطبقة من الناس عادة غريبة للغاية . اذا سالت احدهم سؤالاً مباشراً عن شىء ما ، لم يتذكر شيئاً ، ولا يلم كل شىء فى ذهنه ، بل يكتفى بالرد انه لا يعرف ، واذا سألته عن شىء آخر اخذ ينسج ، ويتحدث بتفاصيل لا تريد ان تعرفها . باختصار ، كان المجموع الكلى للمعلومات التى حصل عليها الموظفون هو جهل هويّة تشيتشيكوف . لكنه يجب ان يكون انساناً ما . وعلى ذلك فقد تقرر ان يعقد اجتماع للبحث النهائى فيما يجب عمله ، وفيمن يمكن ان يكون تشيتشيكوف ، وفيما اذا كان شخصاً يخشى جانبه ويجب اعتقاله لأنه انسان لا يستحق الاحترام ،

او فيما اذا كان شخصاً يستطيع ان يرهيبهم ويعتقلهم لانهم هم انفسهم الذين لا يستحقون الاحترام . وقرّ الراى على عقد الاجتماع فى بيت رئيس الشرطة الذى يعرف عنه القراء انه اب وراع للمدينة .

## الفصل العاشر

وما ان اجتمع الموظفون فى البيت الذى سبقت الاشارة اليه ، حتى راى كل واحد منهم ان الآخرين قد اصابهم الهزال فاصبحوا ارقّ عوداً من جراء هذه المتاعب المثيرة . اجل ، فان تعيين الحاكم العام الجديد ، والاشاعات المندلعة ، ووصول الوثيقتين الخطيرتين السالفتين - كل هذه الامور تركت آثاراً جلية على ملامح كل فرد من الحضور . واصبحت بعض المعاطف كبيرة على لابسيها ، وذوت بعض البنّى مثل بنية رئيس المجلس المحلى ومدير الادارة الطبية والمدعى العام . حتى ان شخصاً باسم سيمون ايفانوفيتش (ولم يكن يدعى باسم عائلته ابدأ لسبب ما ، انما كان يلبس فى الاصبع خاتماً اعتاد ان يبهز به ابصار صديقاته السيدات) صغر حجمه حتى كاد يسقط خاتمه من اصبعه . لكن كان هناك عدد من الافراد الوقحين - كما يحدث دائماً فى شذائد كهذه - استطاعوا ان يحتفظوا بكامل قواهم الجسدية والعقلية ، وان كانت الاخيرة لا تزيد حجماً عن الذرة البسيطة . وكان مدير



البريد احد هؤلاء . كان معتدل المزاج ، وفي مناسبة كهذه كان يقول «لقد عرفناكم ايها الحكماء الكبار ، فقد راينا منكم ثلاثة او اربعة ياتون ويذهبون ، بينما نحن نجلس على هذه المقاعد منذ ثلاثين عاما» . وكان موظفون آخرون يردون على ذلك عادة «وضعك جيد . شبريخن زى ديتش يا ايفان اندريتش . انت مسؤول عن البريد تتلقى وترسل الطرود . الا اذا تتحاييل فتغلق المكتب قبل الموعد بساعة ، او تأخذ رسماً اكثر على استلام رسالة من تاجر جاء متأخراً عن الموعد المقرر ، او ترسل طرداً ممنوعاً - وبالطبع ، كل انسان هنا سيكون قدسياً . ولكن قد يتردد عليك كل يوم شيطان لا يفتا يدس في يدك شيئاً ، وانت لا تريد ان تأخذه ، ولكنه يدسه لك . بالطبع لست مثقلاً بالاعباء ، فانت والد ابن واحد . ولكن هناك ، يا اخ ، هذا وذاك من الناس ، يمن الله عليهم كل سنة بابن او ابنة . ونغمته تختلف عن نغمتك» . بهذا الشكل كان يتكلم الموظفون . ولكن ليس من شأن المؤلف ان يحكم فيما اذا يجب ان يقف الانسان ضد اغراءات الشيطان ام لا . الا ان الميزة الطاغية في هذا الاجتماع كانت غياب ما يعرف عادة «بالذوق» . ونحن الروس ، بوجه عام ، لا نظهر بالمظهر اللائق في الاجتماعات الجادة ابتداء من اجتماعات الفلاحين في القرى الى مختلف انواع اللجان العلمية وغيرها لاننا ما لم نجد قائداً ذا سلطة معنوية يسيطر بها على الباقيين فان الامور دائماً تنقلب الى فوضى . لماذا يجب ان يكون ذلك كذلك ؟ لا يستطيع امرؤ ان يجيب . على اية حال ،

نجاحاتنا تتجلى في الاجتماعات التي يكون موضوعها الولائم والحفلات - اي الاجتماعات التي تعقد في النوادي والمطاعم ذات الادارة الالمانية . ولكننا مستعدون ، على ما اظن ، لكل شيء ، في كل لحظة . ومثل هبة الريح ننشر فجة الجمعيات الخيرية والتشجيعية ، وما نشاء من الجمعيات . وقد تكون الغاية نبيلة ، ولكن لن تشر شيئاً ابداً . ولعل مرجع ذلك اننا نشعر بالرضى عن انفسنا فجة ، ومنذ البداية ، ونعتبر كل شيء قد انجز . فمثلاً ننشى جمعية خيرية للفقراء ، ونعتبر بمبالغ كبيرة ، ونقوم على الفور تكريماً لهذه المكرمة بمادبة غداء لجميع الموظفين الكبار في المدينة ، ننفق فيها ، بالطبع ، نصف مجموع المبالغ التي تبرعنا بها . ونصرف النصف الآخر على استئجار مقر فاخر للجنة الجمعية ، فيه تدفئة وحراس ، وبعد ذلك لا يبقى للفقراء من كل المبالغ غير خمسة روبلات ونصف ، وحتى هذا المبلغ لا يتفق جميع اعضاء اللجنة على وجوه انفاقه ، ويأخذ كل عضو بتزكية احد اقاربه . مهما يكن من امر ، فان اجتماعنا الحالى لم يكن من هذا النوع ، انما هو اجتماع دعت اليه الضرورة لبحث الكارثة التي تهدد كل موظف من الحاضرين . وبالتالي عليهم ان يكونوا اكثر تلاحماً ووثاماً ولكن ما حدث كان العكس . وبلاضافة الى التباين العظيم فى الآراء ووجهات النظر التي طرحت آنذاك ، فقد كانت تظهر على جميع المتكلمين موجة طاغية من التردد والحيرة جعلتهم يؤكدون اموراً فى لحظة معينة ثم يعودون الى نقضها فى اللحظة التي



تليها . الا ان امرأ واحداً على الاقل لاح انهم اتفقوا عليه ، وهو ان مظهر تشيتشيكوف وحديثه كانا على درجة من الاحترام لا يمكن ان يكون معها مزيفاً او لصاً متستراً . اقول ، لاح انهم كلهم متفقون على هذه النقطة من البحث حتى ظهرت صيحة فجائية من مدير البريد الذي كان جالساً منذ مدة مضت مستغرقاً في التفكير .

صاح يقول «استطيع ان اخبركم من تشيتشيكوف ا»

فاجاب الجميع في هياج شديد «من اذن ؟»

«انه ليس غير الكابيتين كوبيكين»

«ومن يكون هذا الكابيتين كوبيكين ؟»

فنشق نشقة من السعوط (فعل ذلك وغطاء العلبة مفتوح نصف فتحة مخافة ان يتدخل غريب فيدخل اصابعه المتسخة فيها) وراح يقص القصة التالية .

### قصة الكابيتين كوبيكين

«بعد انتهاء حملة نابليون عام ١٨١٢ ، ارسل انسان جريح الى بيته ، اسمه الكابيتين كوبيكين . وكان هذا الشاب عنيداً جريئاً يتدفق حيوية ويضفي حيويته هذه على كل شيء . امامه سواء كان في العمل ام كان في السجن . وبما انه فقد ساقه وذراعه في معركة

كراسني او معركة لايبزيغ (لا يهم ايهما) ، ولم يكن في تلك الايام تعويضات للجنود الجرحى ولم يعد قادراً على العمل بيده اليسرى فقط ، لذلك انطلق ليري اباه في امر تدبير قوته . ولم يكن في قدرة الاب ان يعيل ابنه لسوء الحظ ، واطلع الابن على ذلك . فصمم الكابيتين على الذهاب الى بطرسبرج وطلب المساعدة منها نظراً الى انه خاطر بحياته في سبيل وطنه واهرق الكثير من دمه في الدفاع عن بلاده . ولكم ان تتصوروه في عربة الشحن التي اقلته وهو يطل على العاصمة - العاصمة التي لا شبيه لها في مدن العالم ! وانبسطت امام عينيه صور الحياة كلها ، صور كانها الف ليلة وليلة قام بتكوين اجزائها نيفسكي بروسبكت وشارع جوروخايفا والبروج الملتفة التي لا حصر لها والجسور التي لا تستند الى شيء - نينوى اخرى كانت في الواقع مبسوطة امام عينيه . وتنقل يبغى استنجار موضع للسكن يستقر فيه لكنه وجدها كلها تزخر بالسنان والسجاد العجمي وفاخر الاثاث ، وراى ان استنجارها يعنى استهلاك القسم الاكبر من ماله . حقاً ان المرء اذا سار في شوارع بطرسبرج فانه يخيل اليه انه يشم الروبلات بالآلاف ، ولكن جيب صديقنا كوبيكين كان خالياً الا من بضع قطع نحاسية وقليل من الفضية لا تكفي لشراء ضيعة على اية حال . واخيراً ، تمكن من ايجاد مأوى له فيما يشبه العانة حيث تكون حصة النازل فيه طاساً من حساء الكرنب وقشرة من خبز ، مقابل روبل واحد في اليوم . ولما شعر بأنه لا



يستطيع ان يقيم طويلا على حصة كهذه ، استشار  
الناس فيما يفعل . فقالوا له «ماذا تفعل ؟ الحكومة  
ليست هنا ، انها فى باريس ، ولم ترجع الجيوش من  
الحرب بعد . لكن هناك لجنة مؤقتة ومن الافضل ان  
تذهب اليها وترى ما يمكن ان تفعل لك» . فقال  
«حسنا ، ساذهب الى اللجنة واقول لها اننى اهرقت  
دمى وضحيات بحياتى فى سبيل وطنى» . واستيقظ  
مبكراً صباح ذات يوم وحلق لحيته بيده اليسرى (لان  
تكاليف الحلاقة غير ذات بال ! ) وانطلق بساقه الخشبية  
ليقابل رئيس اللجنة . ولكنه سال اولاً عن محل سكنى  
الرئيس فقيل له ان بيته فى «كورنيش القصر» . ولم  
يكن البيت كوخ فلاح طبعاً ، انما كان يعج بالشبابيك  
المتألقة والمرايا الضخمة والتماثيل والخدم ومقابض  
الابواب النحاسية ! انه فى الواقع من ذلك النوع من  
المحلات التى لا تدخلونها الا بعد ان تشتروا قطعة  
رخيصة من الصابون وتغسلوا انفسكم بها ساعتين  
كاملتين . وقام على المدخل ايضاً بواب ضخمة بهراوة  
فى يده وياقة مطرزة على عنقه كأنه كلب سمين  
افطس الانف اتخم اكلا . مهما يكن من امر  
فقد تمكن صديقنا كوبيكين من الوصول بنفسه  
وبرجله الخشبية الى صالة الاستقبال . وانزوى  
فى احدى الزوايا خشية ان يصدم كوعه الصينى  
المذهب ، وجلس ينتظر وهو مغتبط جداً لوصوله قبل  
ان يغادر الرئيس فراشه وقبل ان يقدم الخدم له  
الطشت الفضى اللماع لغسيل وجهه . ومع كل ذلك فقد

انتظر اربع ساعات حتى جاء خادم الصباح يقول «سيكون  
الرئيس هنا حالا» . كانت الغرفة عندئذ تعج بالناس  
وكانها خلية النحل . وما غادر الرئيس غرفة الافطار  
ودخل الى صالة الاستقبال حتى حمل معه . . . ايه . . .  
اية عظمة واية فخخة ، انها ابهة العاصمة كلها ! واخذ  
يتنقل بين الحضور من شخص الى آخر وهو يقول «ماذا  
تريد ؟ ماذا تريد ؟ ماذا تستطيع ان افعل لك ؟ ما  
شأنك ؟» واخيراً وقف امام كوبيكين ، فقال كوبيكين  
له «اننى اهرقت دمي وفقدت ساقاً وذراعاً فى سبيل  
بلادى ، ولا قدرة لى الآن على العمل . فهل لى ان  
اجرؤ اذن واطلب القليل من المساعدة اذا كانت القوانين  
تسمح بها ؟ او منحة او معاشاً تقاعدياً او اى شئ  
من هذا القبيل ؟» عندئذ نظر الحاكم فراى ان احدى  
ساقيه كانت حقاً خشبية وان الكم الايمن المعلق فى  
معطفه كان فارغاً . فقال له «حسن جداً ، ارجع لى  
مرة ثانية فى غضون بضعة ايام» . فشعر كوبيكين  
بسرور لدى سماعه هذا الكلام ، وقال فى نفسه «الآن  
فمت بمهمتى» ولكم ان تتصوروا كيف راح يعرج على  
الرصيف ، وكيف عرج على حانة فى الطريق واحتسى  
كاساً من الفودكا ، وكيف طلب ضلع خروف وعصير  
البرتقال واشياء اخرى للغداء ، ثم كيف طلب زجاجة  
من الخمر وكيف ذهب الى المسرح فى المساء . باختصار ،  
اعطى نفسه حقها على خير ما يرام . وبالتالي ، رأى فى  
الشارع فتاة انجليزية كأنها الاوزة فى تيهها ، فاندفع  
يعدو خلفها برجله الخشبية . ولما رأى انه لن يلحق



بها قال لنفسه «لكن ، لا . لتذهب هي وامثالها الى الشيطان ! سانتظر حتى اتسلم تقاعدى . فقد كفى ما قمت بصرفه حتى الآن» . وذهب بعد يومين او ثلاثة ايام لمقابلة رئيس اللجنة مرة ثانية . وقال له «يسرنى ان اعرف ان كنت تستطيع الآن ان تعمل لى شيئا لقاء دمي الذى اهرقت والامراض التى عانيت والجروح التى بها اصببت فى خدمة الوطن والجيش» . فقال له الرئيس «يجب ان اخبرك اولاً ان قضيتك لا يمكن البت فيها دون مصادقة من الحكومة العليا . وبغير هذه المصادقة لا نستطيع ان نعمل شيئا . وانت ترى ان معظم الامور تبقى معلقة حتى رجوع الجيش من الحرب . كل ما يمكننى ان انصحك به هو ان تنتظر عودة القيصر وان تتجمل بالصبر اثناء ذلك . وتأكد انهم عندئذ لن يغضوا الطريق عنك» . على اية حال فهذا ما لم يكن يريده كوبيكين ، فقد كان ينتظر ان يتسلم منحة مقدارها الف روبل فى التو والساعة . وبدلاً من «اشرب وامرح» كانت النتيجة «انتظر فالوقت لم يحن بعد» . وهكذا ، فمع ان راسه كان مليئاً باطباق الحساء وشرائح اللحم والفتيات الانجليزيات ، الا انه هبط السلالم الآن مطأطئ الاذنين خافض الذنب ومنظره فى الواقع كمنظر الكلب الذى كب عليه الطباخ سطل ماء . فترون ايها السادة ان حياة بطرسبرج قد غيرته تغييراً ليس بالقليل منذ ان ذاق طعمها لأول مرة . فلا يعرف غير الشيطان كيف سيعيش بعد الآن . وازدادت الامور فى وجهه تعقيداً اذ تصور انه لن يتمتع بشئ، حلو بعد

الساعة . ويجب ان تذكروا دائماً ان للرجل فى عنفوان شبابه شهية الذنب . واذ مر صاحبنا بمطعم راي خادماً فرنسياً بوجه مستدير وقميص هولاندى ومعطف ابيض كالثلج يحضر طبقاً فاخراً جداً من الطعام يكاد ياكل نفسه ، واذ مر امام حانوت للفواكه راي الطيبات مائلة للمجانين من الناس تطلب منهم ان يشتروها بمئة روبل للجنة الواحدة . تأملوا معى اذن حالته ! ويمكننا ان نقول انه راي سمك (السالمون) والبطيخ فى ناحية والمبلغ المؤلم الذى سيدفعه للحنة مقابلها فى ناحية اخرى . وفكر فى نفسه قائلاً «دع اللجنة تفعل بي ما تشاء ، ولسوف اذهب اليها واقيم ضجعة كبرى ، وساخبر كل موظف فيها ان لى الحق بان افعل ما اريد» . ووجدت وقاحة هذا الرجل الجراءة فى العودة الى اللجنة بالفعل . وقال له الرئيس «ماذا تريد ؟ ما الذى جاء بك للمرة الاخرى ؟ فقد اعطيتك التعليمات التى يجب ان تتبعها» . فاجاب يقول «اجل معى التعليمات ولكنى لن اتبعها . انى اريد شيئاً من الطعام» . فقال الرئيس «بعض الحلم ، ايها الكابيتين . ان الشئ الحقيقى الذى تريده (اذا سمحت لى بذكره) هو بعض الصبر . ستقبض مكافأة مناسبة ، فلا يليق ان يترك فى عوز من ضحى فى خدمة الوطن» . ولكم ان تتصوروا ان هذه الكلمات دخلت من احدى اذنى كوبيكين وخرجت من الاذن الاخرى .

ما الذى يجب عمله مع شخص مثل كوبيكين ؟ ورأى الرئيس ان اتخاذ اجراءات حازمة اصبح امراً حتمياً .



وقال له «حسناً جداً ، اذا كنت ترفض القناعة بما اعطيت وترفض أن تبقى هادئاً في انتظار البت في قضيتك ، فعلى اذن أن أجد لك ماوى . ايها الشرطى خذ هذا الرجل الى مكان سكنه» . فتقدم شرطى كان واقفاً بالباب طوله ثلاثة اذرع وعلى كتفه بندقية - شرطى لديه المؤهلات لكى يحرس مصرفاً مالياً كبيراً ، ووضع صديقنا فى عربة الشرطة . ففكر كوبيكين فى نفسه وقال «على الاقل سوف لا ادفع هنا اجرة الركوب . وفى هذا بعض السلوى» . وبعد أن سارت بهما العربة قليلاً قال لنفسه مرة أخرى «لقد قالوا لي فى اللجنة ان اذهب وافتش عن وسائل أخرى امتع بها نفسي ، وما انا افعل» . مهما يكن من أمر ، فلا أحد يعلم الآن ماذا حدث لكوبيكين ولا الى أين قاده المصير . لقد غرق على حد قول الشاعر فى بحر النسيان ، واندفنت اعماله فى اعماقه . لكن اسمحوالى ايها السادة ان الم شعث القصة . فقد ظهر بعد شهرين من هذه الحادثة عصابة من قطاع الطرق فى غابات ريازان . ولم يكن رئيس هذه العصابة غير - «فقاطعه رئيس الشرطة قائلا «لكن اسمح لي ، لقد قلت ان الكابتن كوبيكين فقد ذراعه وساقه ، بينما تشيتشيكوف . . .»

لم يكن هناك داع لزيادة فى القول ، اذ ضرب مدير البريد جبهته براحة يده ، ودعا نفسه مجنوناً امام الجميع ، ولم يكن فى مقدوره أن يفهم كيف لم يخطر هذا الأمر فى ذهنه منذ بداية القصة ، واعترف بصحة المثل القائل «الروسى ذكى بعد فوات الأوان» . مع انه

قد جرب أن يصحح خطاه ذاك بقوله ان علم الميكانيكا فى انجلترا قد وصل الى درجة تصنع فيها السيوف من الخشبية بحيث يتمكن لابسها اذا ما ضغط على لولب أن يخفيه عن الانظار .

ولكن الجميع كانوا فى شك من أن تشيتشيكوف كان الكابتن كوبيكين بالفعل ، واعتقدوا أن مدير البريد قد سرح به الخيال . وهم بالمناسبة لم يقصروا ، من جانبهم ، ومضوا ابعد متأثرين فى فطانة مدير البريد . وقد بحثت نظريات مختلفة أخرى ، منها أن تشيتشيكوف هو نابليون وأن الانجليزى منذ قديم الزمان يحسد روسيا على كونها بلاداً كبيرة شاسعة ، بل وطبعت عدة صور كاريكاتورية يصور فيها الروسى يتحدث مع انجليزى كان يمسك خلفه كلباً من مقوده ، وهم يعنون به نابليون ، والانجليزى يقول «حذار ، اذا لم يعجبني شيء ما ، فسأطلق عليك الكلب !»

ولعلمهم الآن قد اطلقوه من جزيرة هيلانه . وهو الآن يتسلل الى روسيا ، وقد يكون تشيتشيكوف فى حقيقة امره ليس شخصاً بهذا الاسم . وبالطبع لم يصدق الموظفون بذلك ، بل جعلهم ذلك يفكرون فى الأمر ، على اية حال ، وفى خضم تفكيرهم هذا ، اقتنع كل واحد منهم بأن تشيتشيكوف ، اذا ادار وجهه جانباً ، فسيشبه تماماً صورة نابليون . بل أن مدير الشرطة الذى كان فى الجيش اثناء حملة نابليون عام ١٨١٢ ، ورأى نابليون شخصياً لم يكن فى وسعه الا أن يقر أن نابليون ليس اطول قامه من تشيتشيكوف فى كل



الاحوال ، وان نابليون فى هيئة جسمه لا يمكن ان يقال ايضاً انه سمين جداً ، ولكنه ليس النحيف بشكـل ملحوظ . ولربما يصف كل هذا بأنه غير مستحب ، والمؤلف ايضاً مستعد ، لارضائهم ، بأن ينعت كل هذا بهذه الصفة ، ولكن من سوء الحظ ان كل ذلك حصل كما يروى ، والاعجب من ذلك ان البلدة لم تكن فى الانحاء القصية من البلاد ، بل على العكس ، لم تكن بعيدة عن كلتا العاصمتين ، وعلى أية حال يجب ان يذكر ان حوادث هذه القصة قد وقعت بعد ان طرد الفرنسيون من روسيا بسنوات غير غديدة . وفى ذلك الوقت انقلب كل مالكي الاراضى عندنا ، والموظفين ، والتجار ، والباعة فى المخازن ، وكل المتعلمين ، بل وحتى الاميون الى سياسيين عتاة لمدة ثماني سنوات على الأقل . وصارت جريدة «وقائع موسكو» وجريدة «ابن الوطن» تقرأن بحماس غير قليل وتداولتهما الايدي حتى كانتا تصلان الى القارىء الاخير مرقاً لا تصلح لآى استعمال . وبدلاً من الأسئلة المعتادة «بكم بعت كيل الشوفان ، يا عم» او «كيف استفدت من الثلج الذى سقط البارحة» صاروا يقولون «ماذا تكتب الصحف ، ألم يطلقوا سراح نابليون من الجزيرة مرة اخرى ؟ وكان التجار أشد الناس خوفاً من ذلك ، لأنهم كانوا يؤمنون كلياً بتنبؤ نبي كان قد امضى ثلاث سنوات فى السجن . وقد وصل هذا النبي من مكان غير معلوم ينتعل حذاء من ليف ويلبس فروة تفوح برائحة سمك فاسد قوية ، وذكر ان نابليون هو المسيح الدجال وسوف يهرب من سجنه

فى الجزيرة يوماً ما ليمارس السلطة الكبرى على العالم . وسجن النبي جزاءً على نبوته ، ولكنه قد ترك تأثيره ، على كل حال ، واثار التجار كلياً . وظلوا لزمن طويل ، حتى اثناء عقد الصفقات المربحة ، وتوجههم الى الحانات لتثبيتها بالشماى يتحدثون عن المسيح الدجال . ووجد الكثيرون من الموظفين ونبلأ القوم أنفسهم يفكرون فى ذلك ايضاً ، واصيبوا بعدوى الصوفية التى كانت رانجة ، كما هو معروف ، وعلى الموضة . وراوا فى الحروف التى يتألف منها اسم نابليون معنى خاصاً يعادل رقم ٦٦٦ اى اسم ابليس الذى تنبأ به سفر الرؤيا . ولهذا فلا عجب اذا وجد الموظفون أنفسهم منقادين الى التفكير فى هذه النقطة ، الا انهم سرعان ما صحوا ، وقد فطنوا الى ان خيالهم تمادى اكثر من اللازم ، وان الامر ليس كذلك تماماً .

وصمم الموظفون ان يسألوا نوزدريف ، كآخر ملاذ يلوذون به ، اذ لم يكن هو اول من ذكر الانفس الميتة وحسب ، بل كان يبدو انه على علاقات متينة مع تشيتشيكوف . ومعنى ذلك انه يعرف بلا شك شيئاً من ملابسات حياته ، فلنحاول مرة اخرى ما سيقولـه نوزدريف .

غرباء هؤلاء السادة الموظفون ، ومن ورائهم جميع المراتب الاخرى . فقد كانوا يعرفون جيداً ان نوزدريف كذاب ، ولا يمكن التصديق بكلمة واحدة ، مهما تكن تافهة من اقواله ، ومع ذلك فقد لجأوا اليه بالذات . وما اغرب مخلوق فى الدنيا من انسان لا يؤمن بالرب ،



والكنه يؤمن بأن انفه اذا حكه ، فسيموت لا محالة .  
ويتغافل عن رائعة شاعر واضحة كالنهار ، مبنية كلها  
على الانسجام وحكمة البساطة الرفيعة ، ولكنه يتهاوت  
على ما يكتبه طائش يشوش ويلفق ويحطم ويفسد  
الطبيعة فيعجبه هذا العمل ، ويظل يصيح « انه معرفة  
حقيقية لأسرار القلب ! » وطوال حياته لا يحملهم محمل  
الجد ، ويؤول أخيراً الى اللجوء الى امرأة من العوام  
تعالج بالتمتعات والبصقات ، او في احسن الاحوال  
يبتكر هو نفسه مستخلصاً من قاذورات يتصور لسبب  
لا يعلمه الا الله ، انه يشفى مرضه . طبيعى من  
الممكن ان نعذر السادة الموظفين بقدر ما بسبب  
وضعهم الصعب بالفعل . فالناس تقول الغريق يتشبث  
بالقشة الصغيرة ، وهو في الوقت ذاته لا يفكر في ان  
الذبابه وحدها يمكن ان تتركب قشة ، بينما وزنه أثقل  
بما لا يقاس ، ولكنه في تلك اللحظة لا يستطيع ان  
يتصور ذلك ، فيتشبث بالقشة . وبهذا الشكل تشبث  
سادتنا بنوزدریف . وبناء على ذلك أرسل رئيس  
الشرطة مذكرة بيد مأمور خاص فهرع هذا في نفس  
اللحظة بجزمته الطويلة العنق ، وخداه متوردان ، ممسكاً  
بحسامه متجهاً الى مسكن نوزدریف . كان نوزدریف في  
ذلك الوقت منهمكا في عمل هام جداً ، هو من الاهمية في  
درجة جعلته يلزم غرفته اربعة ايام متتالية ، وكان  
يتناول طعامه من النافذة ولا يقابل زائراً ابداً . والعمل  
المشار اليه كان يتكون من وضع علامات سرية على  
عدد كبير جداً من اوراق اللعب بحيث يتمكن من الاعتماد

عليها اكثر مما يعتمد على صديق حميم . وبقي من العمل  
ما يستغرق اسبوعين على الأقل ، وكان على بورنيسرى  
طوال هذا الوقت كله ان ينظف سرة جرو كلب حراسة  
ضخم بفرشاة خاصة ، ويغسله ثلاث مرات في اليوم  
بالصابون . ولم يكن يحب بطبيعة الحال ان تغزى  
عزلته ، وبدأ اول ما بدأ بإرسال المأمور الى  
الشیطان . لكنه حالما علم من الرسالة المرسلة اليه  
ان هناك ضيفاً عند مدير الشرطة حديث العهد باللعب ،  
راى ان زيارة كهذه لن تكون عديمة الجدوى . فلانت  
عريكته . وفتح باب غرفته ورمى على كتفيه اول رداء  
وقع بين يديه وشرع في الرواح . وكانت افادات  
نوزدریف وشهاداته وافتراضاته متعارضة مع افتراضات  
السادة الموظفين حتى اوقعت الاضطراب حتى فسى  
تخميناتهم الأخيرة . لقد كان بالتأكيد رجلاً لا وجود  
للكشوك عنده ابداً . فقد كان له من التصميم والثقة  
بقدر ما لافتراضاتهم من خلخلة والتهيب . وقد اجاب  
على كل سؤال سأل به اياه الموظفون بشبات وحزم . وقال  
بان تشيتشيكوف قد اشترى حقيقة انفساً ميتة بمبلغ  
عدة آلاف من الروبلات . وفي الواقع انه (اى  
نوزدریف) باعه بعضها ، وما زال يرى ان ليس هناك  
ما يمنعه من ان يفعل . وبالتالي اجاب بالاجاب على  
سؤال بشأن ما اذا كان تشيتشيكوف جاسوساً ام لا ،  
واضاف يقول بان تشيتشيكوف كان يُعرف منذ ايام  
المدرسة التى قضاها معه « بالمخبر » ، وقد دق رفاقه  
عنقه مراراً لهذا السبب . حتى اضطر لوضع مائتين



واربعين علفة على صدغه ، اى انه كان يريد ان يقول اربعين ، ولكن مائتين جاءتا على لسانه من تلقاء نفسها . واجاب الشاهد بالاجاب على سؤال فيما اذا كان تشيتشيكوف مزيفاً للنقود ام لا ، واستشهد بقصة تدل على مهارة تشيتشيكوف المتناهية فى هذا المضمار ، وهى ان السلطات علمت ذات يوم ان فى بيت تشيتشيكوف مليونى ورقة مزيفة من ذوات الروبل وبناء على ذلك ختمت ابواب البيت بالشمع واحاطته من كل ناحية بالحرس المسلح . فما كان من تشيتشيكوف الا ان ذهب فى ظلمة الليل وغير الاختام الشمعية بأخرى جديدة ورتب اموره بحيث لما 'فتش البيت وجد ان النقود المزيفة كانت نقوداً صحيحة أصيلة ! وبالإضافة الى ذلك ، لما سنل عما اذا كان تشيتشيكوف قد اعدّ خطة للهرب بابنة الحاكم ، وعما اذا كان صحيحاً انه (اى نوزدريف) شرع فى مساعدته واغوائه على هذا العمل ، اجاب الشاهد بأنه لو لم يشرع فى ذلك لما كان فى الامكان تنفيذ المشروع . وعند هذه النقطة نهض الشاهد اذ أدرك انه قد كذب كذبة يمكن ان تسبب له الكثير من المتاعب . ولكنه لم يكن يستطيع مقاومة لسانه - فالتفاصيل التى كانت تتأرجع على طرف هذا اللسان كانت خلاصة جداً حتى انه راح يذكر اسم القرية التى كانت تقع فيها الكنيسة التى اتفق الاثنان على عقد القران فيها واسم الكاهن الذى سيجرى العقد ومقدار الاجر الذى سيدفع له (خمسة وسبعين روبلا) . وجزم أيضاً بما يل - ان الكاهن

رفض بادية ذى بدء اجراء مراسيم القران حتى هدده تشيتشيكوف بأنه سيفضح الحقيقة التالية ، وهى انه (اى الكاهن) كان قد زوج ميخائيل (وهو بانع حبوب فى المدينة) من قريبته . وجزم أيضاً بأن تشيتشيكوف كان قد هيا عربة لنقل العروسين وعدداً من خيول المواصلات فى مراكز تبديل الخيول على الطريق . لا ، فالرواية التى رواها نوزدريف وصلت حداً من التفصيل راح يذكر فيه اسماء بعض الحوذية ! وبالتالى سببر الموظفون غوره فى ما اذا كان من الممكن ان يكون تشيتشيكوف هو نابليون ، ولكنهم ما لبثوا ان ندموا على خطواتهم هذه ، لأن نوزدريف راح يهذر هذراً طائشاً لا عهد لهم بمثله من قبل . واخيراً ترك معظم المستمعين الغرفة ولم يبق غير رئيس الشرطة (آملا ان يجمع المزيد من المعلومات) . حتى هو اضطر آخر الامر الى تكذيب المتكلم بايماة تقول «الشيطان وحده يعلم ما الذى يقوله هذا الانسان !» وعرف الموظفون ان المرء لا يمكن ان يجنى من الشوك العنب . وبقي الموظفون فى وضع أسوأ من ذى قبل ، وكانت النتيجة انهم لم يستطيعوا ان يعرفوا قط حقيقة تشيتشيكوف . واصبحت واضحة طبيعة انسان . انه حكيم ذكى ومدير فى كل الاشياء التى تخص الآخرين ، ما عداه . يسدى النصائح الرشيدة الحازمة فى ظروف الحياة الصعبة ! يصيح الجمهور «راس داهية ! اى طبع صلب له !» ولكن ما ان يقع هو فى مصاعب حياتية حتى يتلاشى هذا الطبع ، ويرتبك هذا الرجل الصلب ، ويتبين فيه



جبان بانس ، تافه ، طفل هزيل او مجرد مانع ، كما  
ينعته نوزدريف .

كل هذه الاقوال والآراء والشائعات اثرت ، لسبب  
مجهول ، فى المدعى العام ، اكثر من غيره . وكان  
تأثيرها فيه من القوة ، بحيث انه ، حين وصل الى  
بيته ، اخذ يفكر ، ويفكر ، حتى مات بلا سبب ولا  
علة ، على حد التعبير الشائع . لا احد يعرف هل اصيب  
بالفالج او بشئ آخر . الا انه ما ان قعد ، حتى انكفا  
من الكرسي على وجهه . وصاحوا وصفقوا يداً بيد على  
حكم العادة «آه ، يا رب !» وارسلوا فى طلب الطبيب  
ليحجم له ، ولكنهم اكتشفوا ان المدعى العام ما هو الا  
جثة بلا روح . وعند ذلك فقط عرفوا ، بحسرة ، ان  
المرحوم كانت له روح بالفعل ، ولو انه لم يكن يظهرها  
قط ، بسبب تواضعه . ومع ذلك فقد كان مجي الموت  
مرعباً للصغير والكبير على حد سواء . فالرجل الذى كان  
الى وقت قصير يتحرك ، ويلعب الورق ، ويوقع مختلف  
الاوراق ، وكان مرموقاً جداً بين الموظفين بحاجبيه  
الكثيفين ، وعينه الرامشة ، هو الآن مسجى على طاولة ،  
وعينه اليسرى لم تعد ترمش ، ولكن احد حاجبيه كان  
مرفوعاً قليلاً فى تساؤل . والله وحده يعلم عم كان  
المرحوم يتساءل ، ولماذا مات ، ولماذا عاش .

الا ان ذلك لا يقبله العقل ، على كل حال ! ولا يتفق  
مع أى شئ ! من المستحيل ان يفرغ الموظفون انفسهم  
بهذا الشكل ، ويخلقوا هذه السخافة ، ويبتعدوا عن  
الحقيقة بينما حتى الطفل نفسه يعرف ما هى المسألة !

وسيقول ذلك الكثيرون من القراء ، ويؤنبون المؤلف  
على مجانبته للاحتمال ، او يصفون الموظفين المساكين  
بالحمقى ، لأن الانسان كريم فى استخدامه لكلمة  
«احمق» ومستعد لان يلصقها بجاره عشرين مرة فى  
اليوم . يكفيه ان يكون جانب واحد من جوانب خلقه  
العشرة احمق ليوصف بالاحمق على حساب الجوانب  
التسعة الجيدة . ومن السهل على القراء ، وهم ينظرون  
من ركن عليانهم الهادى ، حيث الاق مكنشوف لهم ،  
ان يحكموا على كل ما يجرى فى الأسفل ، حيث لا يرى  
الانسان غير الشئ القريب منه . وفى المدونات  
العالمية لتاريخ البشرية الكثير من القرون الكاملة التى  
يبدو شطبها ومحوها ممكنين ، لانها غير ضرورية .  
فهناك الكثير من الضلالات فى العالم تبدو الآن لا يمكن  
ان يقوم بها حتى الطفل . فكم من الطرق المعوجة  
المسدودة الضيقة ، المنبعة المنحرفة بعيداً اختارتها  
الانسانية فى سعيها للوصول الى الحقيقة الازلية ، بينما  
كان مفتوحاً امامها الطريق المستقيم ، كالطريق  
المؤدى الى هيكل عظيم مخصص ليكون مقراً للقيصر !  
فهو اوسع الطرق كلها ، وافخرها ، منور بالشمس  
ومضاء طوال الليل بالانوار ، ولكن الناس تجاوزته ،  
وسارت فى الظلام الدامس . وكم من مرة ، حتى بعد  
ان تزودوا بالرسالة المنزلة من السماء ، زانغوا  
وانحرفوا سواء السبيل ، ووقعوا من جديد وفى وضع  
النهار فى مغارات نائية مسدودة ، وانزلوا من جديد  
غشاء العمى على عيون بعضهم البعض ، منجذبين الى



السراب الخادع ، ووصلوا الى حافة الهاوية ، ليسال بعضهم بعضاً فيما بعد : اين المخرج ، اين الطريق ؟ ان الجيل الحالى ، يرى كل شىء الآن بوضوح ، وتدهشه الضلالات ، ويضحك من سخافات سلفه ، ولا يرى ان تلهب النار السماوية تلك المدونة التاريخية ، ليصرخ كل حرف فيها وليشار اليه بالبنان من كل مكان ، يشار اليه ، الى الجيل الحالى ، ولكن الجيل الحالى يضحك ويبدأ بثقة فى النفس واعتداد فى سلسلة من الضلالات الجديدة ، سيضحك منها الخلف ايضاً فيما بعد .

هذا ، ولم يكن تشيتشيكوف يعلم من الامر شيئاً . فقد أصابته قشعريرة خفيفة والتهاب فى الحلق جعله يلزم غرفته ثلاثة ايام كان فيها يغرغر حلقه باللبن وعصير التين وقد اكل الفاكهة التى استخرج منها العصير ، ووضع على عنقه كمادة من البابونج والكافور . وكوسيلة لقضاء الوقت اخذ يعمل قوائم مفصلة جديدة عن الانفس التى اشتراها . ثم راح يطالع كتاب «الدوقة دولا فالير» \* وينبش فى حقيبه ويقلب الاوراق والادوات الاخرى التى وجدها فى صندوق المراسلات ، وقد وجد ان كل شىء من هذه الاشياء على ما يرام من الترتيب . ولم يستطع ان يعلل لماذا لم يزره احد من اصدقائه الموظفين للسؤال عن حالة ، لا سيما وقد رأى قبل مدة بسيطة عربات مدير البريد والمدعى العام

\* «الدوقة دولا فالير» - رواية الكاتبة الفرنسية م . جاليس (١٧٤٦-١٨٣٠) . الناشر .

ورئيس المجلس المعلى واقفة امام الفندق . فتعجب ثم ازداد عجباً ومز كنفه وراح يذرع الغرفة جيئةً وذهاباً . ولم يلبث ان شعر بالتحسن الملحوظ واحس برغبة فى الخروج الى الهواء الطلق مرة اخرى ، فحلق كمية غير قليلة من الشعر النامى على وجهه ولبس بهمة كادت تشق سراويله ورش على نفسه ماء الكولونيا ، ولف نفسه بالبيسة دافئة وربط خده وانطلق عبر الشارع . وكان اول ما عزم عليه هو الذهاب الى بيت الحاكم . وراحت تحوم فى رأسه افكار خاصة بشأن ابنة الحاكم حتى نسي نفسه واخذ يبتسم مداعباً افكاره .

وما ان وصل الى البيت بهمّ بخلع لفاعه حتى حياه البواب بقوله ، «لديّ اوامر تمنعنى من السماح لك بالدخول» .

فبهت تشيتشيكوف وصاح مندهشاً «ماذا ؟ الا تعرفنى ؟ انظر الىّ مرة اخرى لتعرف من انا» . فاجاب البواب «انا اعرفك طبعاً ، وقد رايتك اكثر من مرة قبل الآن . ولكنى امرت بأن اسمح لكل انسان بالدخول عدا السيد تشيتشيكوف» .

«حقاً ؟ ولمَ ذلك ؟»

«هذا ما امرت به وعلىّ تنفيذه» . قال ذلك ولم يتقدم بالطبع لتناول ما سيخلعه تشيتشيكوف كما كان يفعل فى المرات السابقة وباللطف السابق . وقد اتضح لديه ان تشيتشيكوف (ما دام السادة قد رفضوا قبوله زائراً) لا بدّ ان يكون سافلاً .



فقال تشيتشيكوف لنفسه «أنا لا أفهم هذا» وغادر المكان متخذاً طريقه الى رئيس المجلس المحلي ، ولكن الموظف المذكور بدا عليه انفعال شديد عند رؤية تشيتشيكوف حتى انه لم يستطع ان يلفظ كلمتين متتابعتين ، وانما اخذ يهذر هذراً جعل الضيف ورب البيت في دهشة داهشة . وتعجب تشيتشيكوف وهو يترك البيت مما يمكن ان تعنيه تمتعات الرئيس الغريبة التي لم يستطع ان يفرق فيها بين الراس والذنب . وبالتالي زار رئيس الشرطة ونائب الحاكم ومدير البريد بالتتابع . لكنه كان في كل حالة اما ان يرفض قبوله او يجد ان المقابلة غريبة فيها قدر كبير من التعطف والتهيب وتشيتت الفكر والاحراج ، حتى انه بدا يخشى الجنون على مستقبله . وقد حاول مرة واخرى ان يتكهن بالسبب وكان نصيبه الفشل الشديد . وعلى هذا ، راح يتجول في المدينة على غير هدى دون ان يدرك ما اذا كان الجنون قد اصابه او اصاب الموظفين . واخيراً عاد الى الفندق في حالة يرثى لها من الحيرة والذهول - عاد الى المكان الذي خرج منه عصر اليوم نفسه بمعنويات عالية يحسد عليها . واحس برغبة تدفعه الى ان يعمل شيئاً فطلب الشاي وهو لا يزال مستغرباً من وضعه الشاذ الغريب ، وكان على وشك ان يصبه في الكوب عندما فتح الباب ودخل نوزدريف .

وبدا يقول «يقول المثل «ليس كثيراً ان تمشي يوماً كاملاً لتقابل صديقاً» ، وقد كنت مآراً قرب النزل حينما

رايت نوراً من نافذتك . وقلت لنفسى «ما رايك في ان تصعد وتزوره ؟ انه على الأرجح لم ينم بعد ، ها ! ها ! انى ارى شايّاً على مائدتك . حسناً ، اذن سأشرب معك قدحاً لأننى تناولت طعاماً بائساً وبدات احس بشغل على معدتى . قل لخدمك ان يعبى لى غليوناً . اين غليونك ؟»

فاجاب تشيتشيكوف بعفاف «انا لا ادخن ابداً» .

«هراء ! كائننى لا اعرف اى مدخنة انت ! ما اسم خادمك ؟ فاخرامى ! تعال الى هنا» .

«اسمه بتروشكا وليس فاخرامى» .

«حقاً ؟ لكن كان عندك رجل اسمه فاخرامى . اليس كذلك ؟»

«لا ، ابداً» .

«اذن يجب ان يكون خادم ديريبين هو من افكر فيه . اى انسان محظوظ ديريبين هذا ! له عمة تشاجرت مع ابنها لانه تزوج امة من الاقنان فتركت كل ثروتها له - لديريبين . آه لو كان لى عمة من هذا النوع احتياطاً لطوارى المستقبل ! لكن ، قل لى ، لماذا كنت مختبئاً ؟ اظن انك تفوص في الامور المبهمة وتنغمس في بطون الكتب» . (اما ما الذى جرى نوزدريف الى هذه الاستنتاجات ، فلا احد يدري - على الاقل تشيتشيكوف .) «بالمناسبة ، اريد ان اخبرك عن امر يرضى نعره الدعاة لديك» . (وهذا الاستنتاج عن نكرة الدعاة عند تشيتشيكوف لا مبرر له في كلام



نوزدريف) «وذلك ان ترى التاجر ليخاتشيف وهو  
يخسر كومة كبيرة من النقود في اللعب. بشرفي كنت  
ستضحك ! وكان معنا شخص اسمه بيربنديف كان  
يقول ليت تشيتشيكوف كان هنا ، انه كان سيضحك من  
اعماق قلبه » . (وفي واقع الامر فان تشيتشيكوف لم  
يقابل في حياته منذ ان ولد شخصاً باسم بيربنديف .)  
«مهما يكن من امر ، فعليك ان تعترف يا صديقي بأنك  
قد أسأت لي يوم ان لعبنا الشطرنج معاً ، لكن ،  
بما اننى ربعت اللعبة فلن أحمل لك حقداً . بالمناسبة ،  
اننى الآن عائد من بيت الرئيس وعليّ ان أخبرك بان  
الرأى العام في المدينة ثائر عليك ، لأن كل انسان  
يعتقد بأنك مزيف نقود . وقد استدعيت شخصياً  
وسئلت عنك . ولكنى دافعت عنك في كل صغيرة  
وكبيرة واخبرت الموظفين اننى كنت معك في المدرسة  
وانى عرفت اباك . لقد رددت السائلين في الواقع  
خاسئين » .

فقال تشيتشيكوف وهو ينهض من مجلسه «تقول  
انهم يعتقدوننى مزيفاً ؟»

فقال نوزدريف «نعم . لكن لماذا رحمت تخيف الناس  
كلهم بأعمالك ؟ ان بعض الناس قد مسهم الجنون من  
جراً ذلك ويقولون عنك بأنك لص متستر او  
جاسوس . حتى ان المدعى العام توفي أمس من هذه  
الاخبار وسيدفونه غداً » . الا تكون هناك ؟ ولكن القوم  
يكادون يطيطون ذعراً من الحاكم العام الجديد لانهم  
يظنون انه سوف يخلق لهم المتاعب بشأنك .

بالمناسبة ، يقال عنه انه رجل متكبر يدس انفه في  
كل شيء . فاذا كان ذلك كذلك ، فان عواقب النبلاء  
لن تكون محمودة ، لا سيما وهم قوم يستحقون  
التعاضى . اجل ، بشرفي ! اذا ما اعتزل الحاكم العام  
الجديد في مكتبه وامتنع عن حضور الحفلات فستكون  
العواقب اوخم ما في الحسبان ! بالمناسبة ، ان  
مشروعك خطر يا تشيتشيكوف » .

فتساءل تشيتشيكوف بقلق ظاهر «اى مشروع  
تعنى ؟»

«ماذا ؟ مشروع خطف ابنة الحاكم . على اية حال فلا  
اكتحك الحقيقة اذا قلت لك باننى كنت اتوقع شيئاً  
من هذا القبيل . وما رايتك معها في الحفلة الراقصة  
حتى قلت لنفسى «آه ، آه ! لا يمكن ان يكون  
تشيتشيكوف هنا لغير ما سبب !» اما انا شخصياً  
فاعتقد ان اختيارك غير موقت ، لانى لا ارى فيها اية  
ميزة اطلاقاً . بينما هناك ابنة اخت صديق لى اسمه  
بيكوسوف - فتاة لا غبار عليها ! آية من الجمال في  
ثياب انسان !»

فتساءل تشيتشيكوف وعيناه تتسعان «اى شيء  
بالله هذا الذى تتكلم عنه ؟ وكيف يمكننى ان اختطف  
ابنة حاكم الولاية ؟ اى شيء تعنى بالله ؟»

«ماذا ؟ ماذا ؟ اى شخص كتوم ارى ؟ ان كل  
قصدي من المجيء اليك هو ان امد اليك يد  
المساعدة . اصغ لى . انك اذا ادنتنى ثلاثة آلاف روبل  
فساقوم بتكاليف الزواج وباعداد العربدة وخیول



المواصلات . يجب ان احصل على هذا المبلغ ولو من  
في سبيله .

كان تشيتشيكوف طوال الوقت الذى يهذر فيه  
نوزدريف يفرك عينيه كي يتأكد فيما اذا كان حليماً ما  
يرى ويسمع . فاتهمه بالتزييف واتهامه بمشروع  
الاختطاف وموت المدعي العام (وكانه كان بسببه)  
وقدوم الحاكم العام الجديد - بكل هذا جعله يشعر بأنه  
في منتهى البؤس وفي قرارة اليأس .

وقال لنفسه «حيث ان الامور قد وصلت الى هذا  
الحد فمن الافضل ان لا اتلکا ويجب ان اغادر حالا» .  
وما تخلص من نوزدريف بأسرع ما يستطيع حتى ارسل  
في طلب سيليفان وامره ان يستيقظ مع الفجر لتنظيف  
العربة ولتهيئة كل شيء للسفر في السادسة صباحاً .  
ومع ان سيليفان اجابه «سمعاً وطاعة يا بافيل  
ايفانوفيتش» . الا انه تلكأ برهة على الباب . ومن ثم  
امر تشيتشيكوف بتروشكا ان يخرج له الحقيبة المغبرة  
من تحت السرير ، ثم اخذ يكوم فيها الجوارب  
والقمصان والياقات (النظيف منها والمتسخ) والاحذية  
واحدى التقاويم وادوات مختلفة اخرى خليطاً بعضها  
فوق بعض . وقد وضع كل شيء في الحقيبة كما تناولته  
يده ، فقد كان هدفه ان يحول دون ما قد يجد من  
عوائق عند السفر في الصباح . هذا بينما كان سيليفان  
المتلكئ يترك الغرفة ببطء - ببطء شديد جداً - ثم  
راح ينزل السلم بالبطء نفسه (تاركاً في كل خطوة من  
خطواته آثار قدميه الموحلتين) ووقف اخيراً يحكّ

رأسه . اما ماذا يعنى هذا الحكّ ؟ وما هذا كله بشكل  
عام ؟ اهو انزعاج من عدم تمكنه من الإلتقاء المقرر  
ليوم غد بصاحبه في معطفه البانس المحسزم بحزام  
عريض في حانة ام هو علاقة غرامية مع فتاة في مكانه  
الجديد ، واضطراره ترك وقفته المسائية عند البوابة  
في إنتظارها ، وإمساكه يدها البيضاء بأدب جم فسي  
تلك الساعة التي يهبط فيها المساء على البلدة ، وفتى  
في ثوب احمر يضرب على البلايكا امام جمع من الخدم ،  
وخليط من الشغيلة يتكلمون بأصوات هادئة ؟ ام مجرد  
اسف على ترك مكان صار عامراً بالدق ، في مطبخ  
الخدم ، وهو متدثر في فروته قرب الموقد مع صحن  
حساء بلقّم هشّة ، ليعود من جديد الى التجوال في  
المطر والوحل ، وكل منغصات الطقس السيئ الاخرى ؟  
فلن يستطيع احد ان يجيب ، لأن هذا الحكّ عند  
عامّة الروس يمكن ان يعنى أى شيء من مائة شيء .

## الفصل العادى عشر

بيد ان الامور لم تجرى وفق رغبة تشيتشيكوف .  
اولاً ، لانه نام اكثر من عادته - هذه واحدة . وثانياً ،  
عندما صبحا من نومه وسأل عما اذا كانت العربة مهيأة  
وكل شيء جاهزاً ، قيل له لا هذا ولا ذاك - هذه ثانية .  
واستعد ونفسه مشتتة غضباً ان يلقي على سيليفان  
امضّ تعنيف مرّ به في حياته ، واخذ ينتظر بفارغ  
الصبر سماع ما قد يدافع به الخادم عن نفسه . ولا



حاجة بنا الى القول بأن سيليفان حالما ظهر بالباب اخذ  
يقدم المعاذير المعتادة التي يقدمها الخدم عادة عندما  
يكون السفر المستعجل أمراً حتمياً .

قال على مهله «بافيل ايفانوفيتش ، ان الخيول بحاجة  
الى حذوات» .

فاجابه تشيتشيكوف قائلاً «ايها الغبي ! لماذا لم  
تقل ذلك من قبل ايها المجنون اللعين ؟ ألم يكن لديك  
وقت كاف لحذوها ؟»

فوافق سيليفان بقوله «بلى ، لقد كان . واحدى  
العجلات ايضاً تحتاج الى اطار جديد لأن وعورة الطريق  
أبليت الاطار القديم . ثم ، ان صندوق العربدة نفسه  
اصبح بالياً بحيث لا يحتمل سير مرحلتين» .

فضم تشيتشيكوف قبضته واقترب من سيليفان  
كأنما سيلكمه ، فتقهقر الأخير خوفاً وانزوى كالكلب  
في ناحية . وصاح عليه «يا سافل ! هل تنوى ان تهلكنى  
وتحطم اضلاعي في الطريق ايها الابله اللعين ؟ لم يكن  
لديك اى عمل لثلاث اسابيع خلت ، والآن في آخر  
لحظة تجيئنى وانت تتلعثم وتلعب دور المجنون ! كان  
عليك ان تعلم ذلك قبل الآن . هل عرفت ان لم  
تعرفه ؟ اجبني حالا» .

فاجاب سيليفان وهو يمد رأسه «نعم لقد عرفت» .  
«اذن ، لماذا لم تخبرني عنه ؟»

لم يكن لدى سيليفان جواب حاضر ، فاستمر يمد  
رأسه وراح يخاطب نفسه بهدوء «يا ويحي ، كيف  
تصرفت ! كنت اعرف كل شيء ومع هذا لم اقل» .

واستمر تشيتشيكوف يقول «والآن ، اذهب حالا  
واحضر حداداً . وقل له ان ينجز كل شيء في ساعتين  
على اكثر تقدير . هل تسمع ؟ واذا لم تفعل ذلك فاني  
سأجلدك جلدأ لم تعهده في حياتك من قبل» . وكان  
الغضب في الواقع قد اخذ من تشيتشيكوف مأخذه .

فاتجه سيليفان الى الباب كما لو كان ذاهباً لتنفيذ  
الاوامر ، لكنه وقف واضاف يقول «وذلك الحصان  
الارقط يا سيدى ، الا تظن من الانسب ان نبيعه لأنه  
ليس الا ندلاً . فوجوده عائق لا مساعد» .

«ماذا ؟ انتتظر منى ان اذهب الآن الى السوق  
ليبيعه ؟»

«اجل يا بافيل ايفانوفيتش ، فهو مظهر خداع فقط لا  
يصلح لشيء ، لأنه بطبيعته حيوان خبيث جداً ، لم ار  
في حياتي مطلقاً حيواناً خبيثاً مثله» .

«مجنون ! عندما أريد ان ابيعه فسوف ابيعه . اما  
انت فلا تتعب دماغك فيما لا يعينك ، بل اذهب واحضر  
حداداً وليكن كل شيء جاهزاً في غضون ساعتين ، والا  
خلعت شعر رأسك وضربتك حتى اخفى سحتك .  
انصرف ! اسرع !»

فانصرف سيليفان ، وثار ثائرة تشيتشيكوف فرمى  
على الارض خنجره الذى كان يحتفظ به دائماً كوسيلة  
لفرض احترامه على من قد يحتاجون الى ذلك . ثم صرف  
ربع الساعة التالية في مساومة اثنين من الحدادين -  
وكانا من ذلك النوع السافل من الرجال الذين اذا علموا  
ان أمراً ما مطلوب بسرعة راحوا يطلبون الأجر اضعافاً .



وفي الواقع لم يستطع تشيتشيكوف بثورته ومياجه وهو يمنحهما القاب اللصوصية والنهب والابتزاز ان يؤثر فيهما ، اذ رفضا ان يخفضا من الاسعار التي طلباها - وهذا ما يتفق تمام الاتفاق مع طبيعتهما . وليس ذلك وحسب ، بل صرفا منذ ان بدأ بالعمل حتى انتهيا منه لا ساعتين فقط بل خمس ساعات ونصف ساعة . وسنحت الفرصة لتشيتشيكوف اثناء ذلك ان يستمتع بتلك المتعة السارة التي يعرفها جميع المسافرين ، الا وهي الجلوس في غرفة خالية خاوية الا من نثار الخيوط ونفايات الاوراق وما اشبه ذلك ، حين يكون الشخص لا هو بالمسافر ولا بالمقيم ، ويرى من النافذة المارين المتعرجين المتحدثين عن امورهم الرخيصة ، والرافعين ابصارهم بفضول احمق لينظروا اليه ، ثم يمضون في حال سبيلهم ، مما يعكر اكثر الحالة النفسية للمسافر المسكين الضجر . وكل ما يحيط به ، وما يراه سواء اكان الحانوت المقابل له ، او راس عجوز تسكن البيت المقابل ، وتقرب من نافذة ذات ستائر قصيرة ، كل ذلك مقرف له . ومع ذلك فهو لا يترك النافذة . ويقف سارحا تارة ، او موجها اهتماما مثلوما الى كل شيء يتحرك امامه او لا يتحرك ويقتل من الانزعاج ذبابة تطن في ذلك الوقت وتضرب الزجاج تحت اصبغه . لكن لكل شيء نهاية . وجاءت اللحظة المنتظرة اخيراً ، حين وضعت الامتعة في العربة ووضع اطار جديد للعجل التالف وانتعلت الخيول بالنعال الجديدة وانصرف الحدادان المفترسان بغنيمتهما . ووضع في

العربة زغيفان ساخنان اشتريا لتوهما ، وحشر سيليفان شيئاً لنفسه في مقعد الحوذي ، وصعد بطلنا الى العربة اخيراً ، فيما كان النادل الذي خرج لتوديعه بمعطفه القطني القصير ملوحاً بقبعته ، وخدم الفندق ومختلف الخدم والحوذية لاسياد آخرين قد تجمعوا ليروا كيف يغادر سيد غير سيدهم ، وفي مختلف الظروف الاخرى التي تصاحب المغادرة ، والعربة المنضلة عادة من قبل العزاب والتي تتوقف طويلا في البلدة ، والتي لا بد ان القارى قد ضجر منها الآن . وفكر تشيتشيكوف « الحمد لله » وانطلقت العربة تدرج عبر بوابة الفندق وتهتز فوق البلاط الحجري . ففكر تشيتشيكوف بذلك ورسم علامة الصليب . قرع سيليفان بالسوط . جلس بيتروشكا الى جانبه من جهة اليمين وقد تعلق لبعض الوقت على موطن العربة ، وجلس بطلنا في وضع اروح على سجادة جورجية ، ووضع وراء ظهره مخدة جلدية ، وحشر الرغيفين الساخنين . الا ان شعوراً غريباً لم يستطع تحديده استولى عليه وملا عليه صدره عندما راح ينظر الى البيوت والشوارع والبساتين التي قد لا يراها فيما بعد مرة اخرى . وما إن دارت العربة عند احد المنعطفات حتى وجد انه مضطر الى الوقوف فجأة لان موكباً كبيراً جداً لجنائزة لا نهاية لها كان يسد الشارع . انحنى تشيتشيكوف الى الامام وهو في العربة وسأل بيتروشكا عما يدل عليه موكب الجنائزة ، فاجابه بأنه يدل على انه المدعى العام . فاحس



بصدمة مؤلمة وسارع برفع خيمة العربية واسدال الستائر على نوافذها وانزوى في ركن من مؤخرتها . اما سيليفان وبتروشكا فقد خلعا قبعتيهما عندما وقفت العربية وجلسا يشاهدان المشييعين اثناء سيرهم بعد ان تلقيا تعليمات حازمة بان لا يطرحا التحية على اى خادم يعرفانه . ومضى هو ايضا يراقب بتهيب من خلال زجاجة الحاجز الجلودى على جانب العربية : كان يسير خلف النعش جميع الموظفين حاسرى الرؤوس . ومع ان تشيتشيكوف اوجس خيفة - لفترة من الزمن - من ان يظن اليه بعضهم وهو في العربية ، ولكن لم يلتفت احد اليه ، لان بالهم كان مشغولا بشيء آخر . وفي واقع الامر ، حتى الاحاديث البسيطة التى تدور عادة بين المشييعين في مواكب كهذه لم تكن تدور بينهم . فقد كان تفكير كل واحد منهم منصرفا الى مشكلته الخاصة فقط ، الى خبر وصول الحاكم العام الجديد والطريقة التى سينتهجها في ادارته ومدى ما سيلحقه من الاذى منها . وتبع هؤلاء المشييعين عدد من العربات كانت تطل من نوافذها وجوه سيدات يرتدين ثياب الحداد . غير ان حركات ايديهن وشفاههن كانت تدل على انهن مستغرقات في احاديث حيوية - قد تكون حول الحاكم العام الجديد والحفلات الراقصة التى ينتظر ان يقيمها وزينتهن والاعيبهن الخاصة التى لا تنتهي وفي اخر الموكب مر عدد من العربات الفارغة . وحالما مرت تمكن بطلنا من الاستمرار في طريقه ، فرمى خيمة العربية الى الخلف وراح يناجي نفسه «ايه ايها الصديق

الطيب ، لقد عشت حياتك ، لكنها انتهت الآن ! ستقول الصحف انك مت مأسوفا عليك لا من اهلك وعشيرتك وحسب ، بل من البشرية جمعاء . وانك كنت انسانا محترما وابا رؤوما وزوجا طاهرا لا تشوبه شائبة ، وانك ذهبت الى قبرك بين دموع ارملتك واطفالك ومعارفك . لكن هذه الصحف لو اضطرت لسبب من الاسباب ان تعلن قولها هذا لوجدت ان السبب الحقيقي في حاجبيك الغليظين الذين بلغا من الضخامة ما عهد للناس به من قبل» . ثم امر سيليفان ان يحث الخطى ، وقال «ومع ذلك فلا ياس من مقابلتى لهذا الموكب لانهم يقولون ان مقابلة الجنائزة فال حسن» .

وانعطفت العربية الى بعض الشوارع الضيقة غير المطروقة التى تكون محاطة بأسيجة خشبية والتى تدل عادة على قرب الانتهاء من ضواحي المدن . وانتهى البلاط الحجرى وتلتها حباء الطريق العام واخذت تظهر على جنبات الطريق صفوف الاحجار الدالة على علامات الفرستات والعمال الذين يصلحون ويرمون ، والقرى ذات اللون الرمادى وفنادق فيها سماورات ، وفلاحات وفلاحون يهرعون من العظائر والشوفان ملء اكمامهم ، ومشاة باحذية متهرئة يلوح على المرء منهم انه قطع ثمانمائة فرستا ، ومدن صغيرة بأشخاص وضعت فيها براميل ملاى بالطحين المعد للبيع وعرضت فيها احذية وارغفة صغيرة وتوافه اخرى ، وحواجز الطريق ، وجسور شبتت من كثرة الترميم ، وآفاق شاسعة من الحقول ممتدة الى اليمين والى



الشمال ، وفارس راكب يحمل صندوقاً اخضر مقفلاً بالحديد كتب عليه «بطارية ال . . . المدفعية» ، واخايد طويلة حرثت حرثاً جديداً كان ينعكس لونها اخضر واصفر واسود على وجه الحقول - واختلطت بهذا كله اصوات غناء ذات نفس طويل وذرى شجر الصنوبر سابعة في الضباب ، ونغمات الاجراس البعيدة المدى وسحائب لا نهاية لها من الغربان السحيم والافق الذي لا حد له . آيه ، روسيا ، روسيا ، من منزلي الجميل في بلد غريب لا ازال اراك ! فيك كل شيء مسكين مشوش لا يليق . ليس فيك ما يبهج العين ولا ما يخيف النفس من روائع الطبيعة . فيك لا يرى المرء المدن ذات العمارات الضخمة المتعددة النوافذ الشامخة شموخ الصخور ، ولا الشوارع الباهية ، ولا الاطلال التي تكسوها الاعشاب ، ولا الشلالات تحيط بها الاغصان الدائمة الاخضرار ويصدر منها الهدير الذي لا ينقطع ، ولا الاجرفة الهاوية تبلبل العقول بضخامة صخورها ، ولا منظر الكروم والعليق وملايين الورود البرية وتلالا زرقاء لا يحصى لايامها عدد تكاد تبدو امام السماء الفضية الصافية وكأنها نوع من الخيال . فيك كل شيء منبسط مكشوف . مدتك بارزة فوق السهل الاملس المنبسط وكأنها النقط او العلامات ، ولا شيء كائناً ما كان مما يخلب البصر او يسحره . لكن اى سر و اى قوة قاهرة تشدني اليك ؟ اى شيء ذلك الذي يرّدد ويعيد في اذني الاغنية الحزينة التي تحلق على طول حدودك وعرضها ؟ و اى عبء تحمل تلك

الاغنية الي ؟ لماذا تعول في قلبي وتنتحب وتحرّ فيه ؟ وما الذي تقوله هذه النغمات التي تعانق روحي وتضمّمها بالهم وتحوم حولى نافثة ولولاتها ؟ ما الذي تطلبينه منى يا روسيا ؟ ما هو الرباط الخفي الذي يصل ما بيني وبينك ؟ ولماذا تنظرين اليّ هذه النظرات ؟ ولماذا يصوب لي كل شيء فيك عينين ملؤهما الشوق والحنين ؟ حتى في هذه اللحظة التي اقف فيها وافكر ذاهلاً مستغرقاً متحيراً في مساحاتك الشاسعة وآفاقك الواسعة يلوح لي ان ديمة منذرة محمّلة بالامطار المتجمعة تخيم فوق راسي . ما ذاك الذي يتنبأ به اتساعك الذي لا حد له ؟ الا يتنبأ بان ستنهض فيك ذات يوم افكار مثلك لا حد لها ؟ الا يتنبأ ايضاً بان سينبعث منك ذات يوم الابطال القدامى اذا ما وجدوا المجال لإبراز مواهبهم مرة اخرى ؟ وكيف يطوينسي جبروت عظمتك وينعكس في كياني بسحر عجيب غريب ، ويومض في عيني وميضاً يتعدى ما تعهده الطبيعة من وميض ؟ نعم ، انك تسفرين في الحقيقة عن مرآى غريب براق سماوي ! يا روسيا ، يا وطني الحبيب ! وصاح تشيتشيكوف في سيليفان يقول «قف ، قف ايها المجنون !»

وقد مرّت اثناء قوله هذا عربة ترويكاً - في مهمة حكومية - تفرقع على احد جانبي الطريق ثم اختفت في عاصفة من غبار . اما الشتائم التي تلقاها سيليفان من تشيتشيكوف لانه لم يتجنب الطريق بغفة ، فلم تكن وحدها التي انصبت عليه ، فقد قدّم له حصّة مماثلة



من الشتاءم شرطي ريفي بشاريين كالذراع طولاً كان في العربة الاخرى .

اى شيء غريب جذاب بـل اى شيء خيالي خلاّب ذلك الذى تدلّ عليه كلمة «الطريق العام» ! وكم هي لذينة لذاتها هذه الطريق العامة ! فاذا كان اليوم يوماً جميلاً (وان كان بارداً) في خريف عذب ، فاضمم اليك عباءة سفرك واسحب قلنسوتك على اذنيك واستكنّ براحة في احدى زوايا العربة قبل ان تسري آخر رعدة في اوصالك ، وسيطرّد الدفء الناشئ الجديد برد الخريف ورطوبته . وكم هو جميل ذلك النعاس الذى يأتيك متلصصاً ويسبل جفنيك والخيول سائرة في طريقها خبيّاً ! وستظل اثناء نعاسك برهة من الزمن تسمع انفاس الخيول المتتابعة وقرقة العجلات ، ولكنك ستستغرق اخيراً في دور الشخير . واذا ما استيقظت - فماذا ستري ؟ ستجد أنك قد قطعت خمس مراحل وان القمر مشرق في السماء وانك قد وصلت الى بلد غريب مليء بالكنايس والقباب الخشبية والابرار المسوّدة والبيوت البيضاء نصف الخشبية ! واذا ما وقعت اشعة القمر هنا وهناك فتكاد ترى الجدران والشوارع والارصفة وقد اكتست بالحلل - حلل مبقعة بالظلال الفاحمة السوداء ، تبدو الاسطحة الخشبية بالنسبة لها اكثر بريقاً تحت اشعة القمر الشاحبة المنصبة عليها . ولن ترى انساناً في ناحية ، فالكل غارق في النوم . لكن ، لا . ففي احدى النوافذ المنعزلة يتلألأ نور تحته يصلح احد الحرفيين الطيبين حذاءه

او يسحب الخباز قطعة من عجين . ايها الليل ، وايتها القبة السماوية ، كم هو كامل ظلام قبّتك التى لا حدّ لها - كم هي شامخة وكم هي سحيقة اغوارها الممتدة في سكون لا يدركه من الاحاسيس الا السمع ! وما يزال الليل ينفث انفاسه المهددة المنعشة في وجهك حتى تستغرق ثانية في غفوة شاحرة . ويلتفت اليك جارك المسكين مغضباً وقد بدا يشعر بثقلك عليه ، ومن ثمّ تصحو مرّة اخرى ، ولكنك لا ترى امامك الا غير المعابر والحقول . حيثما وقع بصرك تجد الخلاء القفر . ولكن الحروف الدالة على علامات الفرستات تقفز فجأة امام عينيك ! الصباح في انبلاج والرعشة في عودة ، وقد استطعت ان ترى خطّ الافق الذابل يشعّ بالتدريج خيطاً ذهبياً باهتاً . والرياح تزداد حدة وانتعاشاً ، وانت تلتف بعباءتك التفافاً . لكن كم هو عظيم هذا الانتعاش وكم هو مدهش هذا النوم الذى يطويك مرّة اخرى ! ها هي هزة ! وتعود الى وعيك آخر الامر . الشمس الآن في كبد السماء ، ومن ثمّ تسمع صيحة قائلة «رويداً ، رويداً» وتلتفت فتري عربة شحن زراعية تطلّ من طريق جانبي . ومن تحتك ترى صفحة ممتدة من الماء يعجزها سد منيع ووجه الصفحة يتلألأ تحت اشعة الشمس كأنه لوح من نحاس . وعلى ناحية من المنحدر تنتشر اكواخ الفلاحين ثم بيت السيد ، وفي حدّ الاخير كنيسة القرية وصليبها الذى يشعّ كالنجم . وتحمل الريح الى اذنيك اصوات ضحكات الفلاحين بينما تشعر في قرارة نفسك بشبهة ليس الى



مقاومتها من سبيل . ايتها الطريق العامة الطويلة ، ما أعظمك ! كم مرة في كلالتي ويأسي انطلقت ماشياً عبرك فوجدت العزاء والسلوى ! وكم مرة اتبعت هديك فحللت عليّ الافكار العجيبة والاحلام الشعاعية والانطباعات الغريبة المدهشة ! كانت تخالـج تشيتشيكوف في هذه اللحظة رؤى ليست طبيعية عادية كلـها . دعنا نحدق في نفسه ونشاطره اياها . ظلّ باديّ ذي بدء لا يعي شيئاً مطلقاً لأنه مشغول البال جداً يريد ان يستيقن من انه قد تخلص من المدينة حقاً . ولكنه حالما رأى انها اختفت امام ناظريه كلياً بمطاحتها ومصانعها ومنشئاتها الاخرى ، وليس ذلك وحسب ، بل حتى غاصت ابراج الكنائس الحجرية تحت الافق ، عندئذ بدا يعي الطريق واختفت من مخيلته مدينة «ن» تمام الاختفاء كأنها شيء لم يعهده منذ الصبي . ثم اصبحت الطريق بدورها شيئاً لا يهمه ايضاً . وراح يغمض عينيه ويرمي برأسه على الوسائد . وليغتنم المؤلف هذه الفرصة ويتكلم بأسهاب عن بطله ، فقد منعه (اي المؤلف) أشياء كثيرة من ان يفعل ذلك - نوزدريف والحفلات والسيدات والمؤامرات المحلية وآلاف التوافه التي تظهر توافه فقط اذا ما وضعت في كتاب ، ولكنها في الحياة الواقعية امور لها اهميتها . دعنا نطرح هذه الاشياء جانباً ونشرع في العمل .

اما فيما اذا كانت الشخصية التي اخترتها لبطلـي سترضي القارى ، فهذا بالطبع شيء مشكوك فيه كل

الشك . على أية حال ، فالسيدات لن يرضين عنه ، لأن الجنس اللطيف يتطلب من البطل الكمال . والعياذ بالله ، اذا حصلت لطخة نفسية او جسدية ! نعم ، فلن يهمّ العمق الذي يسبر به المؤلف غور نفسية البطل ، ولن يهمّ ذلك الوضوح الذي يصور به صورته كما لو كانت تنعكس على مرآة ، فلن يعترفن له بفضل فيما فعل . والواقع ان بدانة تشيتشيكوف وتقدمه في السن يعملان ضده . والصفة الاولى في البطل جريمة لا تغتفر ، ومعظم السيدات في حالة كهذه سيسحن بوجوههنّ عنه قائلات لأنفسهنّ «اوف ، اى وحش هذا !» نعم ، والمؤلف على علم بذلك . الاّ انه وان لم يستطع - ابقاء على حياته - ان يتخذ انساناً فاضلاً ليقوم بالدور الرئيسي في القصة ، فقد تكون في القصة قضايا لم تطرق بعد ، وقد يبرز فيها كل الفنى الروحي الروسي الذي لا يحده حد . فهي تصوّر الى جانب تشيتشيكوف الفلاح بالفضائل التي جباه بها الله ، والفتاة الروسية الرائعة التي لا تضاهيها في العالم فتاة اخرى في جمال الروح الانثوية ذلك الجمال الذي تمتد جذوره الى الطموح النبيل والكرامة الاصيلية . ولو قابلنا في الواقع هذه النماذج الروسية بمثيلاتها في الشعوب الاخرى ، لبدت هذه جامدة عديمة الحياة كما يبدو كتاب جامد لا حياة فيه اذا ما قوبل بنص كتاب ينبض بالحياة والروح . نعم ، فمن حركة فكرية تظهر في روسيا ، يتضح جلياً ان هذه الحركة هي من صميم الطبيعة السلافية ، بينما هي الزبد



الذى يطفو على السطح في الامم الاخرى . لكن لماذا  
اتكلم هكذا ؟ وما الذى ارمى اليه من وراء هذا  
الحديث ؟ انه لمن العار حقاً على مؤلف بلغ منزلة  
الرجال منذ امد بعيد وربى نفسه على دراسة نفسه  
وتمحيصها تربية عنيفة ، وثقف نفسه تثقيفاً محترماً  
ان يعطي المجال لهذه التحقيقات التافهة حول نقطة  
كهذه . فلكل شيء دوره ومكانه وزمانه . وكما كنت  
اقول ، فلم يكن بوسعى ان اختار شخصية فاضلة  
لبطلتي . وساخبركم عن السبب . السبب هو ان قد مر  
وقت طويل جداً على استعمال كلمة «فقير» لكنه ذو  
فضيلة» . السبب هو ان كلمة «رجل محترم» اصبحت  
كلمة مبتذلة . السبب هو ان «الرجل المحترم» قد  
انقلب الى حصان وليس من كاتب الا ويركبه ويجلده  
بمناسبة وبغير مناسبة . السبب هو ان «الرجل المحترم»  
قد اגיע حتى لم تبق لديه ذبالة من فضيلة ولم يبق  
في جسمه الا الجلد والعظم . السبب هو ان «الرجل  
المحترم» يخفَى دائماً عن الانظار . السبب هو ان  
«الرجل المحترم» قد فقد احترام كل انسان . لهذه  
الاسباب اعود فاؤكد ان الوقت قد حان لنشد سافلا  
الى النير . تعالوا اذن نشد هذا السافل الى النير .  
كانت ابتداءات بطلنا معتدلة كل الاعتدال ، غامضة  
كل الغموض . كان والداه فى الحقيقة من الاعيان ولكن  
الابن لم يشبههما بحال من الاحوال . على اية حال فقد  
حضرت ميلاده امرأة قريبة له ، قصيرة بدينة ، وقالت  
وهي ترفعه بين يديها متعجبة «انه غير ما كنت اتوقع

ان يكون . كان يجب ان يشبه احد ابويه ، ولكنه كما  
يقول المثل - لا لأمه ولا لأبيه بل رمته الريح فسي  
قارعة الطريق» . هكذا نظرت الحياة لتشيتشيكوف  
بامتعاض مرير ، فكان كالنافذة التى تجمع عليها الصقيع  
فاصبحت تحجب النور : لا صديق له ، ولا زميل فى  
المدرسة . غرفة صغيرة ذات خزائن حقيرة لم تفتح  
صيفاً ولا شتاء ، اب عليل عليه دنار بطانته من جلد  
الخروف ، وقدمه حافية تلفها الرباطات ، ما ينفك  
يزفر زفرات حارة عميقة ويذرع الغرفة جيتة وذهباً  
ويبصق فى علبة رمل ، وهو نفسه يقضى الفترات  
الزمنية بالجلوس على مقعد خشبى ، الريشة فى اليد  
والحبر يصبغ اليدين والشفيتين ، وكان يسمع فى فترات  
اخرى عبارة مأخوذة من كتاب تقول «لا تكذب ابداً ، بل  
اطع رؤساءك واراع الفضيلة فى قلبك» . واصوات  
جرى نعال لا تنتهى رائحة غادية فى الغرفة ، واذا ما  
اضنت الصبى واجباته القاتلة فحاول ان يحل دفتره  
بصورة من بنات افكاره سمع دائماً صوتاً مجلجلاً يصيح  
به قائلاً «ها انت تتغابى مرة اخرى !» وهناك وقت  
عسير يحس فيه احساساً مألوفاً ابداً ، لكنه مزعج  
ابداً ، يتبع الكلمات السابقة حينما تفرك اذنا الصبى  
فركا مؤلماً بين اصبعين طويلتين ملتويتين عند الطرف -  
هذه هي الصورة البائسة لطفولة لم يعد تشيتشيكوف  
يذكر منها غير اطياف باهتة . لكن كل حال تحول ، وكل  
شيء فى هذا العالم قابل للتغيير والتبديل الفجائيين .  
ففى ذات يوم من اطلالة الربيع عندما ذاب جليد الانهار ،



انطلق الاب وابنه الصغير في تليزكا • يجرهما جواد اشقر من النوع الذي يسميه اصحاب الخيول «سوروكا» (اي عقق) ، ويسوقها احذب قليل الحجم هو رب العائلة الوحيدة من الاقنان التي يمتلكها تشيتشيكوف الاكبر ويقوم في بيت تشيتشيكوف بكل الاعمال . وسار بهم سوروكا يوماً ونصف يوم كاملين ، قضاوا الليل بينهما في نزل على جانب الطريق ، وقطعوا نهراً واكلوا فطائر باردة ولحم خروف مشوى ووصلوا اخيراً الى المدينة . وظهرت الشوارع في عيني الفتى بمظهر براق غير مألوف . ففغر فاه ذاهلاً . وانعطفت العربّة في زقاق موحد استدعى الوحل فيه جهد سوروكا الجهد ومسبات السائق والسيد ، ووصلت اخيراً الى رتاج حظيرة فيها بستان صغير للفواكه فيه بعض الشجيرات ، وشجرتان مبرعتان من التفاح ، وسقيفة صغيرة قذرة حقيرة هي كل المنشآت التابعة للبيت الذي جار عليه القدر . هنا عاشت احدى اقارب تشيتشيكوف ، عجوز مسنة ذاوية كانت تنزل الى السوق بنفسها وتجفف جواربها على السماور . وما إن رأت الصبي حتى ربتت على خديه وابدت الرضى عن صحته . واتضح له الحقيقة الآن ، وهي انه سيعيش عندهما فترة من الزمن يذهب فيها الى المدرسة . وعزم الوالد بعد ان استراح ليلة ان يعود الى بيته . ولم تتخلل الدموع الفراق بين الاب والابن . انما اعطى الاب

• عربة مكشوفة بربيع عجلات . المترجم •

الصبي قطعة نحاسية او قطعتين ، ثم القى عليه (وهذا هو الاحم) النصائح التالية ، «اصنع لي يا بني . اجتهد في دروسك ولا تكسل ولا تتغاب . وليكن همك قبل كل شيء . استرضاء معلميك . وما دام هذا النهج نهجك فالنجاح حليفك ، وستبرز اقرانك حتى لو حرمك الله من نعمة العقل ولو اصابك الفشل في الدروس . ولا تندمج كثيراً مع الرفاق فانهم لا ينفعون ، واذا كان لا بد من ذلك فلتكن صداقتك مع اكثرهم غنى فقد يفيدونك ذات يوم . ولا عليك ان تكرم او تقرى منهم احداً ، بل دعهم هم يكرمونك ويقرونك . واخيراً ، وقبل كل شيء ، احتفظ ووفر كل كوبيك لديك . فاهم ما في الحياة هو توفير النقود . ان الرفيق والصديق يخيان ظنك دائماً وهما اول من يجفوك ان حلت بك ضائقة ، ولكن الكوبيك لن يتخلى عنك مهما عظمت النازلة التي تلم بك . وفي هذه الدنيا لن يتعذر عليك عمل شيء ولن تعجز عن الوصول الى ما تبتغي بمساعدة النقود وعونها» . وما إن القى الاب هذه النصائح حتى ضم ابنه اليه وقفل عانداً . ومع ان الابن لم ير اياه بعد ذلك ابداً الا ان كلمات الاب غرقت في اعماق نفسه واستقرت في زواياها .

وفي اليوم التالي حضر بافلوشكا الصغير المدرسة لأول مرة ، ولكن نفس الصبي لم تستكشف عن اية موهبة خاصة في اي فرع من فروع العلوم التي يتلقاها . انما كانت ميزته البارزة هي المثابرة والترتيب . اما من نواحي الحياة العملية فقد نما عنده



ذكا، خارق . ففي أسرع من لمح البصر فهم كيف يجب أن تسير الامور وحذق فنّها . ومنذ ذلك الوقت اخذ يسلك سلوكاً خاصاً نحو زملائه بحيث اذا ما قدموا اليه هدية - وشدة ما كانوا يفعلون - لم يكن يكتفي بعدم ردّها مثلها اليهم بل كان في بعض الاحيان يضع الهدايا في جيبه ويبيعها لرفاقه . ومع انه كان صبيّاً - كما هو - الاّ انه تمكن من ان يصبح عصامياً . فلم يقصر كوبيكا واحداً من العطية الثافية التي اعطاها له والده ، بل زاد في الواقع الى ذخيرته في السنة نفسها بأن صنع عصفوراً من الشمع ودهنه وباعه بمربع غير قليل . وبالتالي ، ومع مرور الزمن ، شرع يشتغل في صفقات اخرى - هي بالذات بيع المأكولات . فكان يتخذ مجلسه قرب الاولاد الذين يحملون وفرة من النقود ، واذا ما بدت على احد هؤلاء الموسرين امارات الاعياء (وهذا يعنى انفتاح شهيته) دسّ له من تحت المقعد قطعة من الفطير او كعكة زنجبيل ثم تقاضى الثمن حسب شدة الشهية وحجم القطعة . وقضى ايضاً شهرين في تدريب الفار احتفظ به في قفص خشبي صغير في غرفته . ولما وصل التدريب الى نهايته آخر الامر كان الفار يقف على رجله الخلفيتين ويضطجع وينهض ثانية امثالاً لاوامر يلقيها عليه . ثم باع هذا المخلوق بكمية محترمة من النقود . وهكذا بمرور الزمن بلغت مدخراته خمسة روبلات وبناء على ذلك صنع لنفسه كيس نقود ، وابتداً يملا كيساً آخر ممثالاً . لكن سلوكه تجاه اصحاب النقود

كان اكثر دقة واتقاناً . فلم يكن باستطاعة امرى ان يجلس في مقعده بالهدوء الذي كان يجلس به . وبهذه المناسبة يجب ان نذكر ان معلمه كان رجلاً يحب الهدوء وحسن السلوك قبل كل شيء ، ولم يكن يطبق الاولاد الاذكياء الماهرين لانه كان يظنهم يضحكون منه . وبناء على ذلك ، فكل من استرعى انتباه المعلم بذكائه في يوم من الايام كان يكفي منه انتقاله من موضعه او تحريك حاجبيه حتى تثور ثائرة المعلم عليه فيطرده من الغرفة ويعاقبه عقاباً لا رحمة فيه . وكان يقول ، «ايه ، يا لك من ظريف ! عندي دواء لوقاحتك وقلّة احترامك لمعلمك ! اننى اعرفك اكثر مما تعرف انت نفسك ، ولا كبحنّ جماحك واجعلك تجثو على ركبتيك» . ومن ثم يضطر الصبي التعيس لسبب لا يعلمه ان يخرّ على الارض راكعاً حتى تنهرا ركبته وان يقيم على الجوع يوماً كاملاً . وكان المعلم يقول «ان المواهب والكفاءات هراء في هراء ، ولن احترم الاّ السلوك الحسن . وساعطي العلامات الكاملة لأولئك الذين يحسنون السلوك حتى لو لم تساعدكم مواهبهم على تعلم الابجدية . اما اولئك الذين ارى فيهم الميل للدعابة والمزاح فلن يكون نصيبهم الاّ الرسوب حتى ولو كانوا يفوقون صولون علماً» . ولهذا السبب نفسه كان المعلم يكره المؤلف كريلوف لانه يقول في احدى قصصه «من الاحسن ان تشرب الخمر ولكن تعرف عملك» . وغالباً ما كان الاستاذ يقص على تلاميذه كيف كان في سالف الايام معلماً في المدرسة وكان الصمت



يخيم عليها حتى يسمع المرء طنين الذبابة وكيف كانت تنقضى السنة دون أن يعطس تلميذ أو يسعل في غرفة الدراسة ، وكيف كان الصمت كاملاً فلا يحسّ انسان بوجود انسان . وفي لمح البصر ادرك تشيتشيكوف عقلية المربي ، وعدل من سلوكه بحيث يرضيه . فلم يكن يتحرك له حاجب أو يطرف له رمش خلال ساعات الدراسة مهما تلقى من خلفه من قرصات . وإذا ما قرع الجرس ركض سابقاً زملاءه ليقدّم لمعلمه القبعة المثلثة الزوايا التي اعتاد ان يلبسها الاستاذ ، ومن ثمّ يكون اول من يترك غرفة الدراسة ليقابل المعلم في الطريق اثناء عودته الى البيت لا اقل من مرتين أو ثلاثاً حتى تسنح له الفرصة في كل منها أن يرفع له قبعته محيياً . وقد اثبت هذا المشروع نجاحه الكلي . فكان طوال اقامته في المدرسة ذا حظوة كبرى ولما تركها حاز على علامات كاملة في كل موضوع ، وشهادة دراسية وكتاباً نقش عليه بالاحرف المذهبة «جائزة الاجتهاد المثالي والسلوك الممتاز» . كان عندئذ قد كبر فأصبح فتى حسن المنظر وبلغ السن التي تطلب الذقن فيها موسى الحلاقة . وفي تلك الآونة مات والده ، مختلفاً له بيتاً ، واربعة صدارات متهرّنة ومعلمين وكمية قليلة من النقود . يتضح من هذا أن الوالد كان بارعاً في اسداء النصائح عن توفير النقود لا في توفير النقود . فبإع تشيتشيكوف البيت القديم وما يحيط به من الارض بالف روبل ، وانتقل بقرنه وقرن العائلة الى العاصمة

حيث شرع يؤسس بيتاً جديداً وهو يريد أن يلتحق بخدمة الحكومة . وفي الوقت الذي كان فيه تشيتشيكوف يفعل ذلك ، حدث أن فقد ناظر مدرسته (لغبانه أو لسبب آخر من هذا القبيل) خدمته فسي المدرسة والتي اختزن فيها الكثير من الصمت وحسن السلوك . وجرّهُ حزنه الى الخمر . ولما لم يبق لديه حتى ما يفى بهذا الغرض اعتزل مريضاً يائساً جائعاً ، فسي خص معظم كتيب . ولكن بعض تلاميذه السابقين - اولئك الصبية الاذكياء الماهرين الذين كان يتهمهم بالوقاحة وسوء السلوك - سمعوا بعائلته التي يرثي لها فجمعوا له من النقود ما استطاعوا حتى انهم باعوا بعض حاجاتهم الضرورية ، الا تشيتشيكوف فانه لما طلب اليه ذلك ادّعى بعجزه وسأوهمهم على تقديم قطعة واحدة فقط من فئة البياتاك . ردّها له زملاؤه القدامى في وجهه صائحين «اوّه ! يا لك من بخيل !» اما المربي المسكين فلم يكده يسمع بما عمله تلاميذه السابقون حتى دفن وجهه بين يديه وانفجرت الدموع من مقلتيه الذابلتين كما تنفجر من عيني الطفل اليانس ، وتمتم بصوته انضعيف يقول «لقد بعنكم الله اليّ كي تبكوني على فراش موتي» . ولما سمع بانبياً تشيتشيكوف تنهد تنهداً عميقاً وقال «ايه يا بافلوشكا . كيف يمكن أن يتغير الانسان ! لقد كنت تلميذاً طيباً ذات يوم ، ولم تسبب لي المتاعب ، ولكنك الآن أصبحت متكبراً حقاً !» لكننا يجب أن لا نستنتج . قطعة فضية قيمتها خمسة كوبيكات . الناشر .



من هذا ان شخصية بطلنا اصبحت قاسية متجهمـة  
او ان ضميره قد تجمد حتى ننفي عنه كل ذرة من  
الشفقة والعطف . وحقيقة الامر انه كان يحس بهاتين  
العاطفتين وكان يسره جداً ان يقدم العون والمساعدة  
لمعلمه القديم لو لم يستدع ذلك المساس بذخيرته  
التي قرر ان تبقى سليمة لا يمسه احد . وبكلمات  
اخرى نقول ، ان نصيحة الوالد التي قال فيها «احتفظ  
ووفر كل كوبيك» اصبحت قانوناً صارماً لا يخرق عند  
الابن . الا ان الشاب لم يكن الدافع عنده لجمع النقود  
هو حب النقود لذاتها ولم يكن مصاباً بغريزة البخل  
وجمع المال . انما كانت تحوم امام عينيه صور الحياة  
وملذاتها واطايبها - صور عن العربات والبيت المؤثث  
بفاخر الاثاث والولائم الفخمة . وعلى امل الحصول على  
هذه الاشياء يوماً من الايام راح يدخر كل كوبيك  
ويضيّق على نفسه وعلى الآخرين ، واذا ما مر به غني  
في عربة فخمة يجرحها جوادان متمائلان مسرعان كان يقف  
مفكراً تفكيراً عميقاً ثم يقول لنفسه فعل من يصحو من  
النوم ، «لا بد ان هذا الرجل كان موظفاً اخصائياً في  
دوائر المالية ، فكان تسريعه بسيطاً جداً !» خلاصة  
القول ، ان كل ما يختص بالثروة والغنى كان يؤثر فيه  
تأثيراً لا يمحي . حتى حين ترك المدرسة ، لم يروح  
عن نفسه بعملة يستجم فيها ، اذ كانت رغبته شديدة  
جداً في الحصول على عمل والدخول في سلك الحكومة .  
الا انه مع كل ما احتوت عليه شهادته من مديح  
وتقريظ لم يتمكن الا بعد عناء شديد من تنسيب اسمه

في وظيفة صغيرة بمرتبة قدره ثلاثون او اربعون روبلا  
في السنة . ومع كل ذلك ، وعلى بؤس الوظيفة التي  
حصل عليها فقد صمم ان يتغلب على كل العقبات وان  
يصل الى النجاح بالانتباه الشديد الى عمله . وقد ابدى  
في الواقع من الصبر والعصامية والاقتصاد ما يستحق  
الاعجاب . فكان يجلس منذ الصباح الباكر حتى هزيع  
متأخر من الليل منغمساً في عمله الحقيير من نسخ  
الوثائق الرسمية بحماس في الروح والجسد لا يعرف  
الكلال ، وينام على المكاتب في غرف الدائرة ، وكان  
ياكل ما تأتي له مع العارس صاحب النوبة . لكنه كان  
يحاول دائماً ان يظل نظيفاً مرتباً وان يحافظ على  
بشاشة ملامحه وقد جرب ان ينكسب حركاته سمات  
الخفة والرشاقة . ويمكن ان نذكر عابرين ، ان زملاء  
الموظفين كانوا على قدر غريب من البساطة ، ذوى اشكال  
لا تستحب ، وكانت لبعضهم وجوه كالخبز الذي اسيء  
خبزه ، وخدود متورمة ، وذقون متقلصة ، وشفاه  
مشققة متقرحة . ولم يكن في الحقيقة منهم انسان  
جميل . هذا الى ان نفمة شرسة كانت دائماً في اصواتهم  
كما لو كانوا يفكرون في ضرب من معه يتكلمون . وقد  
اتضح من تصريحاتهم المتكررة لباخوس ان الطبيعة  
السلافية لا يزال فيها شيء من الوثنية . إلا ، بل كانوا  
يدخلون غرفة المدير وهم لا يزالون تحت تأثير الخمر ،  
وبما ان رائحة انفاسهم لم تكن عطرة جداً فسرعان ما  
يصبح جو الغرفة غير عطر ايضاً . وبطبيعة الحال ، بين  
موظفين على هذه الشاكلة ، لم يفشل تشيتشيكوف في



استرعاء الانتباه وإلغات النظر لانه كان على النقيض من زملائه في كل شيء - في المرح ورقة الصوت واهمال المشروب اهمالا كلياً . غير ان السبيل لم يكن امامه سهلاً . اذ كان يرأسه لسوء حفظه ، رئيس كتبة كان منحوتاً للتبلد وقوة الاستمرار . فهو دائماً بعيد المنال ، على الوتيرة نفسها ، لم يتسم في حياته قط ولم يسأل مرة من المرات عن صحة احد معارفه . ولم يعده امرؤ ابداً يختلف في الشارع او في البيت عما هو عليه في مكتبه ، او مبدئياً اقل اهتمام بأى شيء مهما كان ذلك الشيء او شارباً او منغمساً في نشوة الكاس او مستسلماً لذلك المرح الغريب الذي يستسلم له حتى اللص اذا نمل . لا ، لم تكن لديه ذرة واحدة من هذا ، بل لم تكن لديه ذرة واحدة من أى شيء ، حسناً كان ام سيئاً . شخصية سلبية تمام السلبية كان لها اثر غريب . وعلى هذا المنوال ذاته كانت تقاطيع وجهه الرخامية الذابلة التي لم تكن تذكر رانيها بشيء ، كانت على قسط كبير جداً من التناسق الجامد . وكانت آثار الجدري المنتشرة في وجهه هي الشيء الوحيد الذي يضمه الى ذوى الوجوه التي يقول فيها المثل الدارج «مشى عليها الشيطان في الليل يطحن فولا» . وباختصار ، كان يلوح وكان أى امرئ لا يستطيع ان يقرب هذا الرجل او ينال رضاه . غير ان تشيتشيكوف حاول جهده . فقد اخذ بادى ذى بدء باستمالته في كل التوافه من الامور . فكان ينظف ريشته بكل عناية واذا ما اتم ذلك وضعها حسب رغبته عند كوعه ، ثم ينفض

الغبار ورماد التبغ عن المكتب ويكنسه ويعضر مفرشاً جديداً لمجبرته ، ويعتنى بقبعته - احقر قبعة عرفها العالم - ويهيئها له في الوقت المحدد لانتها العمل ، ويمسح ظهره بالفرجون اذا ما تلمطخ بجير الحائط . الا ان كل هذه الامور مرت دون ان تسترعى انتباه الرئيس ، وكان شيئاً لم يكن . واخيراً ، حشر تشيتشيكوف انفه في عائلة رئيسه وفي حياته البيتية ، وعلم ان له بنتاً راشدة هي ايضاً بوجه مشى عليه الشيطان ذات ليلة يطحن فولا . هنا ظهرت فرصة لشئ هجوم جديد ! وبعد ان عرف اى كنيسة تزور يوم الاحد اخذ يقابلها فيها بملبس مرتب وقميص منشئ . وسرعان ما تكلل مشروعه بالنجاح والتوفيق . وتردد رئيس الكتبة الجاف بعض التردد ، لكنه ما لبث ان انتهى بدعوته الى تناول العشاء . ولم يكن باستطاعة اى رجل من زملائه في المكتب ان يخبرك كيف توصل تشيتشيكوف في فترة وجيزة الى الانتقال الى بيت رئيس الكتبة وان يصبح ضرورة لازمة في البيت لا غنى عنها . فاصبح يشتري الطحين والسكر ويعامل البنت معاملة الخطيبة وينادى رئيس الكتبة «بابنكا» . ويقبل احياناً يد بابنكا . وقد ظن الموظفون في الواقع ان الزواج في نهاية شباط (اى قبل الصوم الكبير) بل وراح الأب الجاف يوصى السلطات بشأن تشيتشيكوف حتى تمكن هذا من الحصول على وظيفة شغرت آنذاك هي

• يا ابتاه • المترجم •



وظيفة رئيس كتبة . وكان ذلك ايذاناً بنهاية العلاقة بين تشيتشيكوف ومضيفه لانه اسرع الى تعبئة اغراضه خلسة في حقيبته ، وفي اليوم التالي كان في بيت جديد . وانقطع فيما بعد عن مناداة رئيس الكتبة بيابنكا وعن تقبيل يده وانتهت حكاية الزواج نهاية فجائية كما لو لم تكن موضوع بحث في يوم من الايام . الا انه لم ينس يوماً ان يضغط على يد مضيفه السابق اذا ما قابله او يدعوه الى تناول الشاي معه . اما من الناحية الاخرى ، فكان رئيس الكتبة - مع ما هو عليه من الجمود وعدم المبالاة - يهز رأسه ويتمتم قائلًا ايه ، يا صديقي العزيز ! لقد ازددت كبرياء ، لقد ازددت كبرياء !

كانت الخطوة السابقة اصعب الخطوات التي كان على بطلنا ان يجتازها . فقد اصبحت الامور بعدها اكثر سهولة واسرع نجاحاً . وكان يسترعي الانتباه اينما حلّ لا سيما وقد نسي نفسه على كل ما هو ضروري في هذه الحياة - الخلق الجذاب والصبر الجميل والاجتهاد العظيم في شؤون الاعمال . واذ كان متسلحاً بهذا الدهاء ، فقد تمكن من الحصول على ترقية الى مركز يوصف عادة بانه "مركز تخين" ، فاستغله الى اقصى حدود الاستغلال . وقد جرى في تلك الايام تحقيق شديد في موضوع الرشى ، ولكنه لم يخش - لا ، بل استفاد منه لتدعيم مركزه ، مظهرًا بذلك الدهاء الروسي الذي لا يخفق في ان يبلغ الاوج فيما يتعلق بالابتزاز . اما طريقته في ادارة الاعمال في مكتبه فقد كانت كما يلي . حالما يأتي اليه المدعي او مقدم الطلب ويمدّ يده الى

جيبه ليخرج النقود ، يمسك تشيتشيكوف بيده مبتسماً ويصبح متعجباً " لا ، لا ، لا ! بالتأكيد انا لست . . . لكن لا ، لا ! هذا واجبنا ، وان عمله فرض علينا . ولسنا بحاجة الى مكافآت اذا قمنا بما هو واجب . اما بشأن قضيتك فيجب ان يستريح بالك . سيتم كل شيء غداً . اذا تفضلت باعطائي عنوانك ؟ لا حاجة بك ان تكلف نفسك عناء الحضور مرة اخرى لان الوثائق سترسل الى بيتك بسهولة" . ويعود صاحب المعاملة الى بيته وهو يكاد يطير فرحاً ، ويقول لنفسه "لقد كنا بحاجة ماسة الى رجل كهذا منذ امد بعيد . ان هذا الرجل جوهرة لا تقدّر بثمن" . ويجلس في بيته يوماً ويومين وثلاثة ايام ينتظر رسولا يحمل الوثائق ، لكن دون جدوى . ثم يعود الى الدائرة مرة اخرى ليجد ان قضيته لم تمسّها يد بعد . واخيراً يقابل "الجوهرة التي لا تقدّر بثمن" . فيعلو صوت تشيتشيكوف برقة ادب ولباقة يقول ، وهو يمسك بيد زائره ويضغط عليها "الحقيقة ان لدينا عملاً كثيراً جداً ! ولكن مسالتك ستعجز غداً ، واني متأسف جداً لتأخيرها" . وتظهر على وجهه اثناء ذلك تعابير معزّية جذابة . لكن الوثائق لاتصل الى بيت صاحب المعاملة لا في الغد ولا في اليوم الذي يليه ولا في اليوم الذي يلي الذي يليه . وبناء على ذلك يفكر فيما اذا كان عليه ان يعمل شيئاً . وما يكاد يسأل حتى يجاب بان عليه ان يدفع شيئاً للناسخين . فيقول "حسناً ، لا ضير في ذلك . وقد اعددت قطعة او قطعتين من فئة ربع الروبل" . فيكون الجواب "اوه ، لا ، لا . ان ربع



الروبل لا تكفي للناسخ ، فهو يتقاضى روبلا كاملاً .  
«ماذا ؟ روبل لكل ناسخ ؟» - «طبعاً ، وهل في ذلك ما  
يدعو الى التذمر ؟ سيتقاضى الناسخ نفسه ربع روبل  
فقط اما الباقي فيذهب الى الرئيس» . وعلى ذلك  
يستشيط صاحب المعاملة المضلل غيظاً لهذه الطريقة من  
اختلاس النقود ويلعن سلوكهم الشائن العاتي .  
ويتحسر قائلاً «كان الانسان قبل اليوم يعرف ما يفعل .  
كان اذا اعطى المدير ورقة مالية اصبح الامر في يده .  
اما الآن فيضطر بعد انتظار اسبوع الى اعطاء كل  
ناسخ روبلا كاملاً لكي تسير اموره كما يشتهي . الى  
الشیطان بهؤلاء الموظفين المحترمين !» وكان الحق كل  
الحق مع الرجل في سخطه هذا ، فما دام قد انتهى دور  
المرتشين وما دام المديرون قد أصبحوا ذوى مكانة  
واحترام - كما يقولون - فلماذا يوعزون الى الكتبة  
والموظفين بأن يقوموا لهم بأعمال الخصوصية ؟ وبمرور  
الزمن انفتح امام تشيتشيكوف مجال اوسع ، فتشكلت  
لجنة للاشراف على اقامة مبان للحكومة وقد رشح عضواً  
فيها فائت انه من انشط الاعضاء . وشرعت اللجنة  
بالعمل دون تاخير ، ولكن المباني المذكورة لم تتم في  
غضون ست سنوات . وقد يكون السبب في ذلك ان  
الطقس قد اعاق عملية البناء او ان المواد التي  
استعملت كانت من النوع الذي لا يسمح لمبان كهذه بأن  
تعلو عن الاساس . وفي الوقت نفسه شاهد اهل المدينة  
بيتاً جميلاً ذا هندسة غير حكومية يقام لكل عضو من  
اعضاء اللجنة . من الواضح ان التربة التي اقيمت عليها

اساسات هذه البيوت كانت اصلح من تلك التي اقيمت  
عليها بناية الحكومة المنكودة . وبالمثل ، فقد بدت  
مظاهر الرخاء على كل اعضاء اللجنة واكملوا نصف دينهم  
بالزواج . حتى ان تشيتشيكوف لأول مرة في حياته ،  
مجر القوانين الحديدية التي فرضها على نفسه من كبت  
شديد وحرمان لا يرحم ، ولطف من حدة التقشف  
في الامتناع عن اطايب الحياة التي كان قادراً ايام  
شبابه على الامتناع عنها . نقول ، ان بعض الحاجات  
الكالمية اخذت تظهر في بيته ، فاستخدم طاهياً ماهراً ،  
واخذ يلبس القمصان الكتانية ، واشترى لنفسه بذلة  
من نوع لا يلبسه احد في المقاطعة ، ولبس الثياب ذات  
النقوش المربعة بالوان حمراء ، وبنية زاهية ، واشترى  
حصانين اصيلين (كان يقودهما بلجام واحد) ، وتعود  
ان يستحم باللبن المخلوط بماء الكولونيا ويفرك جسمه  
بافخر انواع الصابون حتى يكسب جلده مسحة من  
الصفاء .

الا ان الاحوال لا تدوم ، فقد ظهر على المسرح فجأة  
مدير جديد - رجل عسكري شديد التعصب في عدائه  
للمرتشين ولكل ما يشذ عن القانون . وفي اليوم التالي  
لوصوله طلب دفاتر الحسابات واكتشف مواضع النقص  
والكميات المفقودة . وتنبه الى البيوت الجميلة السابقة  
الذكر والمبنية بناء مدنياً غير حكومي . ونتج عن ذلك  
تنقلات عامة . فاحيل كثير من الموظفين على التقاعد ،  
واستردت الحكومة بيوتهم ، وحوّلتها الى ملاجئ مختلفة  
او الى مدارس لابناء الجنود . وهكذا خرب الصرح القديم



الى الارض هاوياً - وخاصة تشيتشيكوف . فكان المدير يتمتع امتعاضاً شديداً من وجه تشيتشيكوف بالذات . اما لماذا كان ذلك بهذا الشكل ؟ فمن الصعب ان نجيب . لكنه امر يحدث غالباً في حالات مماثلة لا نعرف له سبباً . مهما يكن من امر ، فقد ابغضه المدير بغضاً قَتَلاً لكن المدير على ما هو عليه من عقلية عسكرية لم يكن على علم بالدهاء الوافر في العقلية المدنية . لذلك لم يمض وقت طويل حتى تمكنت عصابة جديدة من الموظفين بمظهر من الحصافة والكياسة ومقدرة على المداينة والرياء ، ان تعيد اليه وداعته . فوجد الجنرال نفسه في ايدي لصوص ابرع من سابقهم ، لصوص لا يتسرب اليهم الشك ، ظنا منه انه اختار النخبة الصالحة ، وراح فوق ذلك يفتخر بان له عيناً ناقبة في ادراك المواهب . وما لبث الموظفون المذكورون ان اخذوا يكيلون له الثناء على نفسيته وشخصيته . ونتيجة لذلك توهم ان الدائرة التي يعمل فيها قد تحولت الى مؤسسة لاكتشاف كل ما يشذ عن القانون . ففي كل مكان وفي كل حالة كانت تطارد هذه المخالفات كما يطارد الصياد بخطافه الحوت السمين . وقد برهنت هذه الرياضة على نجاح تام . ففي برهة وجيزة اصبح كل صياد من القوم المذكورين يمتلك عدة آلاف من الروبلات . عندئذ ارتد عدد كبير من العصابة السابقة الى الطريق السوى ، وسمح لهم بالعودة الى وظائفهم . ولكن تشيتشيكوف لم يستطع بوسيلة من الوسائل ان يتخذ الى الرجوع سبيلاً ، مع

ان السكرتير الاول للجنرال والمدير الحقيقي لشؤونه - مدفوعاً بمبالغ مختلفة من الاوراق المالية - حاول جهده ان يدافع عن صالح بطلنا . ويظهر ان الجنرال كان من صنف من الرجال الذين وان كانوا يقادون من انوفهم بسهولة (شريطة ان يجرى ذلك دون علمهم) الا انه اذا تمسك بفكرة في رأسه فانها تثبت فيه كالسمسم الذي لا يقتلع . وكل ما استطاع فعله ذلك السكرتير الداهية هو ان يمزق الوثيقة الرسمية التي تدل على سوء سيرة تشيتشيكوف عند الحكومة - حتى هذا لم يستطع فعله الا بعد ان قدم استرحاماً للجنرال باسم زوجة تشيتشيكوف واطفاله (الذين لم يكن لهم وجود في الواقع) .

وقال تشيتشيكوف لنفسه «حسناً ، لقد بذلت جهدي ولكني اخفقت في كل شيء حتى الآن . ان ندب الحظ لا يجدي فتيلاً . فالى العمل» . وصمم عندئذ ان يبدأ حياته من جديد وان يتسلح بالصبر والعصامية مرة اخرى . ولكي يسهل عليه ذلك ، كان عليه طبعاً ان يغير المدينة التي يسكن فيها . ومع هذا فقد اخفقت مساعيه فترة من الزمن . ووجد نفسه اكثر من مرة مضطراً الى تغيير وظيفته الى وظيفة اخرى لأقل اشارة . وكانت هذه الوظائف كلها على احقر واتعس ما تكون . غير انه وهو الرجل المتناهي في الاناقة ، لم يمنعه اختلاطه بزملاء اقل ما يقال فيهم انهم لا يعرفون ما هي الاناقة ، من ان يحافظ على حبه الفطري لكل ما هو محترم المظهر وعلى غريزته التي كانت تقوده الى تزيين مكتبه بالزخارف



الخشبية المصقولة والى احلال الترتيب والنظام في كل مكان . ولم يكن يسمع في وقت من الاوقات لكلمة نابية ان تتسرب الى حديثه ، وكان يشعر باستياء شديد اذا ما مرت في حديث الآخرين اشارة مهينة الى ما يختص بالكبرياء ، والمناصب . وسوف يسر القارى ايضا اذا ما علم ان بطلنا كان يبدل ثيابه يوماً بعد يوم ، وفي ايام الصيف عندما تستد الحرارة كان يبدلها كل يوم ، لان اقل شك في رائحة كريهة كان يسبى الى تأنقه . ولهذا السبب نفسه كان - عندما يأتى اليه بتروشكا - يحشو منخريه بقطعتى قرنفل . باختصار ، كان المساس بالوجهة والكبرياء يؤذى نفسه ويضر بها حتى كانت تمر عليه اوقات تنهار فيها اعصابه وكأنها اعصاب فتاة ، وهذا مما يزيد امتعاضه من العمل مع رجال لا معرفة لهم بالاحتشام في هذه الحياة . وعلى الرغم من تمسكه الشديد بهذه العادات الا ان اوقات الضائقة والشدائد غيرت من صحته فبدأ عليه شيء من الترهل . وكان قد أخذ يسمن ويتخذ تلك الاشكال المدورة المعتبرة التي وجده القارى فيها ، حين تعرف عليه ، وحين كان يتطلع الى نفسه في المرأة كان يفكر غير مرة عن اشياء كثيرة لطيفة منها ما يتصل بالنساء ، ومنها ما يتصل بالطفولة ، وكانت الابتسامة تشبع هذه الافكار . وكان اذا ما رأى نفسه في المرأة لم يتمالك ان يصيح «يا للعذراء المقدسة ! اى وحش قبيح ارى ؟» ويروح فيما بعد يفكر مدة طويلة في هذه القضية بانفعال شديد . لكنه تجمل ذلك كله بالصبر

والجلد . وانتهى به الامر الى الاشتغال في دائرة الجمارك . ويمكن ان نقول ان هذه الدائرة كانت الهدف الذى يطمح اليه في سره منذ امد طويل ، لانه لاحظ الرشاقة الاجنبية التى يتحلى بها موظفوها ، ولاحظ انهم يرسلون بين الفترة والاخرى هدايا من الصينى والقماش النفيس الى اخواتهم وعماتهم . . . بل الى صديقاتهم عموماً . نعم ، وكان يناجي نفسه ويتنهد قائلا «هذه هي الدائرة التى يجب ان اكون فيها . مدينة على الحدود ، وزملاء ذوو ذوق . عندئذ ساصبح قادراً على اقتناء القصص الكتانية الممتازة» . ويمكن ان نقول ان افكاره كثيراً ما كانت تتجه الى نوع من الصابون الفرنسى يكسب الجلد ابيضاضاً والحدود نظارة وبهاء . واسم هذا الصابون لا يعلمه الا الله ، لكنه على الاقل يمكن الحصول عليه عند الحدود فقط . وكما اقول ، فقد كان تشيتشيكوف يصبو دائماً الى الجمارك ، ولكن اعاقته عن تقديم الطلب اليها - برهة من الزمن - اللجنة البنانية وما فيها من خيرات متنوعة مدرارة . وكان على حق في ان يرى في الاخيرة طيراً في اليد ، والاولى طيراً على الشجرة . ولكنه صمم الآن - مهما كانت الظروف - ان يتخذ الى الجمارك سبيلاً . وقد اتخذ هذا السبيل وقد بدأ العمل الجديد بحماس شديد مصدره انه كان يعتقد ان الطبيعة قد خلقتة خلقاً خاصاً ليكون موظفاً في الجمارك . وفي الحقيقة كان ما ابداه من النشاط والبصيرة الثاقبة وحضور الذهن شيئاً لم يعهد ولم يحلم به من قبل . ففي اربعة اسابيع على اكثر



تقدير احاط الاحاطة التامة بشؤون الجمارك واصبح على علم بكل صغيرة وكبيرة فيها . فلم يكن يتقن الكيل والميزان وحسب ، بل كان يستطيع ان يقدر عدد الاذرع في لفة القماش ، او اذا كانت مادة اخرى فانه ياخذ منها رزمة في يده فيعرف عندئذ عدد الارطال التي كان سيسجلها الميزان . اما عند التفتيش ، اجل ، فقد اعترف زملاؤه بان له حاسة الكلب الشموم . ولا يستطيع المرء الا ان يعجب بالصبر والاناة اللتين كان يتحلى بهما اذ يفتش كل زر وعروة في الشخص الظنين . وهو اثناء ذلك كله محتفظ بادب صامت وبرودة في الدم تفوق مدى التصور . وفي الوقت الذي يكون فيه المهربون يرغون غيظا والزبد يعلو اشداقهم ويتمنون لو بدّلوا ضحكة سحنته بصفعة قوية رنانة ، تجده هادئا لا تتحرك عضلة في وجهه ولا ينقص لطفه ذرة واحدة ، ويتمتم قائلا «هل تسمح لي بان تكلف نفسك عنا الوقوف ؟» او «الرجاء ان تفضلني بالدخول الى الغرفة التالية يا سيدتي ، حيث ستعنتي بك زوجة احد الموظفين» ، او «ارجوك ان تسمح لي بان اجر هذا السكين في بطانة معطفك» (ومن ثم يروح ينتزع البطانة قطعة قطعة بفتور وبرود كالبرود الذي يخرج به امتعته من حقيبته الخاصة) . حتى ان رؤساءه اعترفوا بانه شيطان في عمله اكثر منه انسانا . فكانت غريزته مدهشة جدا في التفتيش في عجلات العربات وصواريها وفي آذان الخيول وفي محلات يجب على المؤلف ان لا يفكر بها حتى في خياله - محلات لا يسمح الا لرجال

الجمرك بالتدخل فيها . وتكون النتيجة ان يصبح المسافرين التعميس الذي قطع الحدود ضائعا في بحر من الحيرة ، يتصبّب عرقا ويفور جسمه الفورة تلو الاخرى ، ويقبع يرسم علامة الصليب «مه ، مه ، مه ، مه !» ويشعر هذا المسافرين في الواقع ان مثله مثل التلميذ الذي دعاه الناظر ليلقي عليه بعض التعليمات فكان نصيبه بدلا من ذلك ان ضربه ضربا مبرحا . وخلاصة القول ، ان تشيتشيكوف قطع رزق المهربين فترة من الزمن . وقد اوقع اليهود البولونيين بالذات في حالة من اليأس والقنوط . وكانت استقامته ونزاهته من المناعة حتى لا تكاد تبدو طبيعية . فكان يتعفف عن المال البسيط الذي يمكن الحصول عليه من البضائع المصادرة التي كانت لا تسلم للحكومة عادة توفيرا للعناء الكتابي . ولا حاجة بنا الى القول ايضا ، ان عملا كهذا بحماس طاغ لا مصلحة من ورائه قد استرعى انتباه الموظفين وتبعاً لذلك انتباه السلطات . وعلى هذا فقد وصلته ترقية ما لبث بعدها ان وضع مشروعاً متيناً لاكتشاف المهربين شريطة ان تخول له السلطة اللازمة لتنفيذه . وخوّلت له هذه السلطة حالا ، كما اعطيت له صلاحية لا حد لها في اجراء اي نوع من البحث والتفتيش . كان هذا هو كل ما يريد . وحدث ان تأسست قبل ذلك شركة للتهرب على خطط مرتبة منظمة ، وكان هذا المشروع يبشر بالملايين . ومع ان تشيتشيكوف كان على علم بها من قبل الا انه قال لرسول الشركة الذي جاء لشرائه اول الامر «لم يحن الوقت بعد» . لكنه الآن - وقد



أصبح زمام الأمور في يده - أرسل كلمة للعصابة يقول فيها «ان الوقت قد حان». ولم يكن مخطئاً في حساباته ، فقد استطاع في غضون سنة واحدة ان يحصل على ما لم يكن ليحصل عليه في عشرين سنة من خدمة امينة . والحكمة نفسها هي التي جعلته يرفض في ايامه الاولى ان ينشئ علاقات مع الشركة ، لانه لم يكن عندئذ شيئاً يستحق الذكر ولن يكون له في الغنائم شيء يذكر . اما الآن ، فالمسألة مسألة اخرى ويستطيع ان يطلي ما يريد من شروط . وبالإضافة الى ذلك ، ولكي تسير الأمور على ما يرام ، لم ينس أن يتواطأ مع موظف مسؤول آخر من أولئك الموظفين الذين - وان شاب شعرهم - إلا أن عزائهم تخور أمام المغريات . فاجرى العقد وباشرت الشركة العمل . وقد بدا العمل في غاية التوفيق . لكن معظم القراء في الغالب يعرفون القصة التي كثر ترديدها حول الماعز الاسباني عبر الحدود ولكل معزى منها جلدان تحمل بينهما ما فيه الكفاية من الدنتلات التي تباع بمليون روبل . ولن أعيد القصة مرة ثانية ، إلا أنني أقول ان رحلات كهذه لم تقع قبل ان يصبح تشيتشيكوف رئيساً للجمارك ، وانه لو لم تكن له يد في المشروع لما استطاع يهود العالم اجمع ان يكللوه بالنجاح . ولما تمت ثلاث رحلات او اربع من هذه الرحلات الماعزية الضخمة حتى غدا تشيتشيكوف وشريكه يملكان اربعمائة ألف روبل دفعة واحدة . وهناك من يقدرون ان ارباح الاول منهما بلغت نصف المليون لانه بذل جهداً اكبر في هذا الشأن . ولا

يعلم إلا الله ما هو الرقم الذي كان سيصل اليه ربحهما لو لم يقطع عليهما ترتيباتهما طارىء سي . نقول ، ان الشيطان لسبب ما اضاع احساس الموظفين المتأمرين فراحا يتنابدان بالحديث وانتهى الامر بينهما الى خصام . ذات مرة اثناء جدال عنيف قال تشيتشيكوف لزميله - وقد يكون نشوان ساعته - «يا ابن الكاهن» ، ومع ان هذا الوصف هو الحقيقة الاكيدة بالنسبة للزميل ، إلا انه استاء منه ورد على تشيتشيكوف بصوت حاد عال يقول «انت الكاهن ابوك» . واضاف نكاية في تشيتشيكوف يقول «نعم ، هذه هي حقيقتك ، وليكن هذا معلوماً لديك» . ومع انه قلب لتشيتشيكوف ظهر المجن ورد التحية بأحسن منها وتوج عمله هذا بالتأكيد الأخير ، إلا انه لم يقنع إلا بأن ارسل خطاباً سرّياً للسلطات . ويروي آخرون رواية اخرى عن نزاعهما هذا ، فيقولون انه كان بسبب امرأة كانت على حد التعبير الذي وصفها به رجال الجمارك «كانها لباب اللفت في نضارتها وعنفوانها» ، وان اشقياء قد استؤجروا ليهاجموا بطلنا في زقاق مظلم ، وان المشروع منى بالفشل ، وقد تبين ان تشيتشيكوف وزميله كانا مخدوعين لان السيدة كانت تكن الود لكابيتين اسمه شمشاريف . على أية حال فلا يعلم الحقيقة إلا الله . ولندع القارىء الفضولي يستنبطها بنفسه اذا اراد . اما ما حصل في الواقع فقد كان ان اكتشفت الاتصالات بالمهربين اكتشافاً تاماً . ومع ان الموظف نفسه قد وقع في المكروه ، إلا انه اغرق



زميله . ووقع الموظفان تحت طائلة التحقيق وجردا مما يملكان واجبرا على تسجيل كل ما عملاه . ولم يتحمل زميل تشيتشيكوف وطاة خطيئته فادمن على شراب حسب العادة الروسية . اما تشيتشيكوف فقد واجه الامر بالحزم ، وعلى الرغم من جهود السلطة الجهيذة في معرفة مغامره الا انه استطاع ان يخفى قسما منها ، ولجا الى كل الحيل والالاغيب التي يتقنها رجل حنكه الزمان فغبر زملاؤه خبرة واسعة . فلم يترك وسيلة مجدبة دون ان يستخمنها - الاخلاق السمحة والخطب المثيرة والنفاق والرياء وحشو راحة اليد بالنقود بين آونة واخرى . وكانت نتيجة ذلك ان ما لحقه من الفضيحة كان اقل مما بزميله ، وان نجا من محاكمة فعلية بتهمة جنائية . بيد انه خرج مجردا من كل راسماله ، مجردا من كل ما جمعه ، مجردا من كل شيء ، وكان هناك راغبون في كل هذه الاشياء . نقول ، ان كل ما تبقى لديه هو عشرة آلاف روبل ادخرها ليوم عاصف ، واربعة وعشرون قميصا كتانيا وعربة صغيرة من النوع الذي يقتنيه العزاب ، وخادمان اسمهما سيليفان وبتروشكا . نعم ، وقد دفع العطف موظفى الجمرك الى ان يعطوه بعض قطع الصابون التي كان يستحسنها لنضارة الخدود . وهكذا وجد بطلنا نفسه موهونا مرة اخرى . فما هذه المصائب المتجمعة التي انصبت على راسه ؟ - لكنه كان يسميها «المقاساة في سبيل الحقيقة» . وسيظن القارى ظنا لا مراء فيه ان تشيتشيكوف بعد هذه الصدمات والمعن وتقلب الحظوظ - اى بعدما ذاق مرارة الحياة

وصابها - سينسحب بنفسه (وبالعشرة آلاف روبل الغالية) الى ركن هادى في مدينة ريفية حيث يقبع مرتديا عباءته يستمع الى الفلاحين وهم يتشاجرون في ايام الاعياد او يذهب (ترويجا عن النفس) الى بانح الطيور ويجس الفراخ اذا كانت تصلح للحساء فيقضي حياة هادئة ليست عبثا . لكن شيئا كهذا لم يحدث ، وهنا علينا ان نعترف بقوة شخصيته . وبكلمات اخرى ، مع انه قد اصاب بما كان سيعتبره معظم الرجال دمارا وتثبيطا وقضاء على الآمال الا انه ظل محتفظا بهيبته . وقد شعر - وهو المنبوذ الساخط المستاء من العالم اجمع - بثورة على القدر الظالم وتبرم من معاملة الرجال . غير انه لم يتمالك الا ان يكرر المحاولة مرة اخرى . وباختصار ، كان ما ابداه من الصبر يزيد عن نوع الثبات الالمانى المتخشب - الثبات الذى يرتد اصله الى دورة دمه البطيئة الوسنى . ولكن الامر عند تشيتشيكوف لم يكن كذلك ، لان طبيعته تجعل تدفق الدم في عروقه غنيا ، وكان عليه ان يبذل الكثير من قوة الارادة ليكبح في نفسه جماح العناصر الثائرة التى تؤشك ان تنفجر وتعربد في طلب الحرية . وقد فكر ثم فكر ، ولاح له في تأملاته المنطق .

وقال لنفسه «كيف صرت الى ما صرت اليه ؟ ولماذا لاحقنى سوء الحظ هكذا ؟ ومن يترك فرصته تضيع الآن في الخدمة عند الحكومة ؟ الجميع يحصلون . لم اسيء في حياتي الى فقير ، ولم اسلب ارملة ، ولم اطرده



مخلوقاً من بيتي . كان كل همي دائماً ان اغنم من اولئك الذين يملكون اكثر مما يستحقون . ولم اكن - زياده على ذلك - التقط الحب الا حيث يلتقطه كل انسان ، ولو لم افعل لالتقطه غيري بدلا مني . اذن لماذا ينجح الآخرون بينما اهوى انا الى الحضيض ؟ ما انا ؟ ولماذا اصبح ؟ وكيف استطيع في المستقبل ان انظر الى وجه ايّ اب شريف ؟ وكيف اتخلص من عذاب الفكرة التي احملها عن تحطيمي ؟ وماذا سيقول ابنائي عنّي في السنين المقبلة الا ان ابانا كان حيواناً لم يخلق لنا شيئاً نعيش من ورائه ؟»

ويجب ان اشير هنا الى مدى التفكير الذي كان تشيتشيكوف يكرسه لسلالته المقبلة . والحق اقول ، انه لو لم يطرق عقله دائماً هذا السؤال القائل «لماذا سيقول اطفالسي ؟» لما انغمس في افعاله بهذا العمق . ومع ذلك فقد كان كالقطعة الحذرة التي تختلس النظر يمتة ويسرة لترى فيما اذا كانت ربّتها ستأتي قبل ان تستطيع اختطاف شيء ما وقع تحت مخلبها (سواء كان زبدة ام دهنًا او شحم خنزير او كناري او اي شيء آخر) . - كان مثل صاحبنا مؤسس الاسرة المقبلة مثل هذه القطعة ، يبكي ويندب حظه دائماً الا ان عينيه لا تتغاضيان عن شاردة ولا واردة . فاحتفظ بتوقد ذهنه ونشاطه وابقى على قدح فكره واعماله ، وكان كل ما يحتاج اليه هو خطة يسير عليها . لذلك كله ، مرة اخرى استجمع قواه ، ومرة اخرى خاض غمار الحياة ، ومرة اخرى حشر نفسه في كل شيء ومرة اخرى ترك

الجو النقي المحترم الى حياة القذارة والانحطاط . وبكلمات اخرى اشتغل في وظيفة كاتب للدعاوى - ريثما يتيسر له عمل افضل - وهي وظيفة لا مكانة لها ، يتزاحم عليها الكثيرون ، ولا يحترمها حتى صغار الموظفين في المحاكم ، والوظيفة دعت اليها الضرورة ينظر اليها الجميع بفضفاضة واستخفاف . ولكن الحاجة الماسة ارغمت تشيتشيكوف عليها . ومن بين المهمات التي عهد اليه بها هي ان يقدم لمجلس الخزينة بضع مئات من الفلاحين كانوا يعملون في مزرعة حلّ بها الخراب . وقد حلّ الخراب بهذه المزرعة من مرض اصاب الماشية ومن سفالة المديرين ومن اخفاق الموسم ومن الاوبئة التي تقتل احسن العمال ، واخيراً وليس آخراً ، من ادارة صاحبها الحمقاء الذي اعدّ لنفسه بيتاً في موسكو على احدث طراز وبعزق كل كوبيك لديه بحيث لم يبق له ما يقيم به اوده فاضطر الى رهنها بكل ما فيها من فلاحين . كان الرهن الى خزينة الدولة في تلك الايام بدعة ينظر اليها بكثير من التحفظ ، فاضطر تشيتشيكوف ، كوكيل في القضية ان يستفسر من كل الموظفين الذين يعينهم الامر (ونحن نعرف ان ابسط المسائل القانونية لا يمكن ان توضع موضع التنفيذ الا اذا صيبت في حلق كل كاتب زجاجة من الماديرا سلفاً) ، وان يبين لهم - مخافة ما قد يجد من الاعتراضات القانونية - ان نصف الفلاحين قد ماتوا .

فساله السكرتير «هل هم مسجلون في لوائح



الاحياء ؟» واجاب تشيتشيكوف «نعم» ، فاكمل السكرتير يقول «اذن ما الذى يخيفك ؟ اذا ماتت نفس من النفوس تولد اخرى تحل محلها» . وبهذا هبطت على بطلنا افكار ملهمة لم تطرق عقلا بشرياً من قبل ، وراح ينجى نفسه قائلا «يا لبساطتى ؟ لقد كنت افتش عن قفازى بينما هو معلق طول الوقت في نطاقى . اجل ، افلو قمت بشراء ألف نفس ميتة قبل صدور اللوائح الجديدة فسيعطينى مجلس الخزينة العام مائتى روبل لكل نفس ، وساجد نفسي عندئذ براسمال قدره مائتا ألف روبل مثلاً ! واللحظة الحالية هي الوقت المناسب اذ قد حلت اوبئة في مختلف ارجاء البلاد ، وقد مات عدد كبير من النفوس والحمد لله ، وقد اخذ الملاكون في هذه الآونة يلعبون الورق ويقيمون الولائم ويصرفون النقود بغير حساب وراحوا ينضمون الى خدمة الحكومة فسي بطرسبورج . واملاكهم بناء على ذلك سائرة الى الخراب والدمار ، فهي تدار كيفما تيسر الامر ، ولا يستطيع اصحابها دفع الضرائب عنها الا بشق الانفس سنة بعد اخرى . واذا كان ذلك كذلك ، فسوف يسرهم ان يتنازلوا عن انفسهم الميتة بدلا من دفع الضرائب عنها . بهذه الوسيلة سوف اجمع من المال غير قليل . هناك بعض المصاعب طبعاً ، لكنى يجب ان استعمل كل الدهاء لئلا اتجنب الفضيحة . لقد اعطى الانسان عقلا ليستعمله لا ليطرجه جانباً . واحدى مزايا هذا المشروع هو انه غير محتمل الوقوع ، واذا ما طرا طارى فلن يصدق انه انسان . حقيقة ان شراء الفلاحين او رهنهم

دون الارض هو عمل غير قانوني ، ولكنى استطيع ان اتظاهر بسهولة اننى اشتريهم لنقلهم الى مكان آخر . والاراضي في توريدا وخارسون لاتكاد تساوى شيئاً ، وليس على المرء الا ان يصلحها . اذن الى خارسون سوف اتقلهم وليعيشوا هناك طويلاً ! وسيكون تسجيل نفوسى الميتة على ادق الاصول القانونية ، واذا ما طلبت منى السلطات اثباتاً بشهادة فسايرز لهم كتاباً من رئيس الشرطة الخراسونى . واخيراً سيكون اسم القرية المنتظرة في خارسون «تشيتشيكوفوى» ، بل الافضل «بافلوفسكى» حسب اسمى الاول . هكذا نبت في عقل بطلنا هذا المشروع الغريب الذى قد يرضى عنه القارىء او لا يرضى ، ولكن المؤلف راض عنه بكل تأكيد ، لانه لو لم يخطر ببال تشيتشيكوف لما رأت هذه القصة النور .

وبعد ان رسم على نفسه علامة الصليب ، حسب العادة الروسية ، راح منطلقاً بمشروعه . واخذ بحجة التفتيش على مكان يستقر فيه يتفحص زوايا الامبراطورية الروسية ، موجهاً اهتمامه الى تلك التى حلت بها الكوارث الطارئة كاخفاق الموسم وارتفاع نسبة الوفيات او اى شيء آخر يمكنه من شراء الانفس بأرخص سعر مستطاع . لكنه لم يختر الملاكين اختياراً غابراً ، انما اختار اولئك الذين توسم فيهم الخير ورأى انهم يلائمون ذوقه وتوقع ان يعقد معهم الاتفاقيات دون عناء . وكان يحاول اول ما يحاول - سواء على اساس التعارف ، او الافضل من ذلك على اساس الصداقة - ان يحصل على



النفوس مجاناً حتى يتجنب تكاليف الشراء . وبهذه المناسبة يجب ان لا يلومني قرائي اذا لم تعجبهم الشخصيات التي وردت على هذه الصفحات ايما اعجاب . فالخطا ليس بخطي انما هو خطأ تشيتشيكوف لانه سيد الموقف وعلينا ان نتبعه حيث سار . واذا ما ندّد بي قرائي ، ايضاً ، لشيء من الغموض او لنقص في الايضاح عن بعض الشخصيات الرئيسية فجوابي على هذا بان منحى الكتاب ومغزاه العام لن يتضحاً منذ البداية . مثل ذلك مثل المسافر الذي يدخل المدينة ، او العاصمة ، لأول مرة ، فينطبع عندئذ في ذهنه للوهلة الاولى طابع من الغموض ويبدو كل شيء امام عينيه رمادى اللون على وتيرة واحدة وتظهر اعمدة دخان المصانع وصفوف المعامل لا نهاية لها ، ولكنه مع مرور الوقت تنجلي امام عينيه معالم البنايات ذات الطوابق الستة والحوانيت والشرفات ومناظر الشوارع العريضة وخليط من الابراج والاعمدة والمسلات - كل هذا ضمن اطار من الضجة والصخب والعجائب التي لا حد لها مما توصل اليه عقل الانسان ويده . اما الطريقة التي اتبعها تشيتشيكوف في مشترياته الاولى فالقارى على علم بها . وسيعرف ايضاً تبعاً لذلك كيف تطوّرت الامور ، وما مرّ به بطلنا من النجاح والافقار ، وكيف كان عليه ان يتذرّع بالعزم ليتغلب على مشاكل هي اكثر صعوبة من سابقتها ، وبأى قوة جبارة كانت تتحرك مجريات هذه القصة الممتدة الاطراف ، وكيف يترتب على ذلك كله ان ينفصح الافق حتى ينتهي كل

شيء فيه منحى العظمة والشاعرية . نعم ، فلا تزال هناك فرستات عديدة ستقطعها فرقة مكونة من رجل وعربة من النوع الذي يقتنيه العزّاب وخادم اسمه بتروشكا وسائق اسمه سيليفان وثلاثة خيول من المستشار الى الارقط عرفناها باسمائها واحداً واحداً . وبالإضافة الى ذلك ، ومع اننى قد قدّمت وصفاً كاملاً لمظهر بطلنا الخارجى ( كما هو تماماً ) الا اننى قد اسأل عن تعريف شامل لشخصيته الخلقية . اما انه ليس بالبطل الذى يتحلّى بالفضائل والكمال ، فهذا امر يجب ان يكون واضحاً منذ الآن . اذن ماذا يكون ؟ هل هو نذل ؟ ولماذا ندعوه نذلاً ؟ ولماذا نقسو هذه القسوة على رجل مثلنا ؟ لقد انعدم الاندال من الوجود في هذه الايام . بل هناك اناس اصحاب شهامة لطاف . ولكنك قد تجد اثنين او ثلاثة اهانوا انفسهم بأن عرضوا خدودهم للصفح على الملا . وحتى هؤلاء يتحدثون الآن عن الفضيلة . من الافضل ان ندعوه جشعاً . ان الجشع وحب التحصيل خطأ شائع عند معظم الناس ، وهو السبب في نزوات كثيرة ، وكثيرة جداً توصف عادة بانها « غير شريفة » . وشخصية من هذا القبيل ، في الحقيقة فيها عنصر من القباحة . ولكن القارى ان شاء تجواله في الحياة قد يجلس مع شخصية من هذا النوع وقد يقضى مع صاحبها اطيب الاوقات ، ولكن سيكون اول من ينظر اليه نظرة المتسائل اذا ما علم انه يتزيّا بزى بطل في رواية او قصة . لكنه حكيم جداً ذلك القارى الذى اذا قابل شخصية كهذه يتفحصها بامعان



ويسبر غورها الى الاعماق بدلا من ان ينكمش عنها بامتعاض . وما من شيء في شخصية الانسان الا وهو قابل للتبديل والتغيير في طرفة عين - لا شيء فيها الا وقد تنبثق منه سوسة اكلة تمتص منها العصاره الحية في لمح البصر . فلن تبدو لك في الانسان العاطفة الطاغية وحسب ، بل ستبدو لك عاطفة أخرى من احط الدرجات في رجل خلق لأمر أجل من هذا . وهذه العاطفة الأخرى تقوده الى نسيان واجباته العظيمة وفرائضه المقدسة فيرى الجلال والتقديس في اتفه الامور . ان عواطف الانسان كرمال الشاطئ لا يحصى لها عدد ، وهي بلا شك أكثر تنوعا . وتبتدى كلها ، رفيعها ووضيعها ، في خدمة الانسان ، ثم تتدرج حتى تصبح سيده المستبد . سعيد ، إذن ، هو ذلك الانسان الذي ينتخب من سلسلة العواطف البشرية عاطفة نبيلة ساعة بعد ساعة ستنمو هذه الغريزة وتتكاثر الى ان تصبح خيرا عميما ، وساعة بعد ساعة ستغوص اعماق واعماق في جنان نفسه السرمدية . غير ان هناك عواطف لا يستطيع الانسان ان يتخلص منها ، ولدت معه منذ ولادته ولا حيلة له في تركها . وعلى هذه العواطف تسيطر قواه العليا فتكبتها ، ولكنها تظل تناديه وتابى السكوت حتى نهاية حياته وستأخذ دورها الكامل في مجال الحياة ، سواء تسترّت تحت جناح الظلام ام تزيّت بزي سيتحوّل الى نور يضيء أرجاء العالم . وهي في كلتا الحالتين قد انبثقت لصالح الانسان . على هذا المنوال قد يكون منشأ العاطفة التي جرّت تشيتشيكوف

الى ان يعمل ما عمل دون ان يكون نفسه شاعرا بما يعمل ، وعلى المنوال نفسه قد يكمن وراء الجوهر البارد شيء يجعل الرجال يتدللون يوما امام حكمة الله السرمدية . وهناك نقطة أخرى غامضة ، وهي لماذا طلعت تلك الشخصية في هذه القصيدة التي توشك ان تنشر . اما ان لا يرضى الناس عن بطل ، فهذا ليس من الاهمية في شيء ، فالذي يهمنى هو استحسانهم الذي لا بد منه تحت ظروف معينة وفي مواقف معينة . فلو لم يتوغل المؤلف كثيرا في نفس تشيتشيكوف ولو لم يحرك في اعماقها ما انكمش واختبأ عن الانظار ولو لم يكشف عن افكار بطله التي لم يكن هذا البطل ليكشف عنها حتى الى اعزّ اصدقائه وفي الواقع لو اظهر المؤلف تشيتشيكوف كما اظهر هذا نفسه لأهل مدينة «ن» ولما نيلوف وللباقين - لكان علينا عندئذ ان نطمئن الى انه سيحوز على رضى كل قارى وسيعدّه هذا انسانا لطيفا جداً . وقد لا يكون من الضروري ان نصور تشيتشيكوف للقارى بهذه الصورة التي رسمناه بها فجعلناه مائلا امام العين بشكله وهيئته ونفسيته حتى نترك له (اي للقارى) من هدوء البال ما يستطيع به بعد فراغه من مطالعة الكتاب من ان يعود الى اعتكافه وعبادته للعب الورق الذي هو السلوان والمسرة الكبرى لخيرة الروس كلهم . نعم ، يا قارئى هذا الكتاب ، ليس فيكم من يكثرث عن صدق لرؤية البشرية وهي تتعزى . وتقولون «ولم نفعل ذلك ؟ وما قانده ؟ الا نعرف من قبل ان في البشرية كثيرا مما



هو ثقيل محتقر ؟ الا يكفي ان نرى بأن اعيننا الكثير من المزعجات ؟ كان من الافضل لو وضعت لنا قصة لطيفة جذابة ننسى بها انفسنا قليلاً . وعلى هذا الطراز يخاطب الملاك مأمور املاكه فيقول «لماذا جئت تخبرني ان شؤون املاكى متدهورة ؟ اننى اعرف هذا دون مساعدتك . اليس عندك شيء آخر تنبئنى به ؟ ارجوك ان تسمح لي بنسيان هذه الحقيقة ، او دعنى ابقى جاهلها . ولك منى اطيب الشكر» . ومن ثم يروح هذا الملاك يصرف على ملذاته النقود التى كان يجب ان يصرفها في تعمير املاكه . والعقل الذي يمكن ان يكتشف مصدراً غير متوقع للتأثيرات العظيمة نائم الآن . بينما انتهت ضربة مطرقة عملية بيع ضيعة في مزاد علني ، وما لكها رحل ليطوف في العالم ، وينسى ، وروحه من التطرف مستعدة لكل القبائح الذي كان هو نفسه يرتعب منها من قبل .

وقد يتعرض المؤلف للامامة من الذين يدعون «بالوطنيين» الذين يجلسون بهدوء في زواياهم يجمعون الاموال ويصبحون رأسماليين على حساب الآخرين . نعم ، واذا ما حدث شيء مما يسمونه مأساة بسمعة الوطن - كنشر كتاب عن الحقائق المرة مثلاً - فستجدهم عندئذ يخرجون من مخابثهم كالعنكبوت التي لمحت ذبابة تقع في نسيجها . وسيصيحون قائلين «هل حسن ما اظهرت للعالم وتركت الناس يلوكون الحديث حوله ؟ ان الذي وصفت يمسنا وهو من شأننا نحن . هل هذا هو سلوك المواطن الصالح ؟ لماذا تريد من

الاجانب ان يفترضوا ان كل شيء لدينا على غير ما يرام واننا خلو من الشعور الوطنى ؟» اجل ، فليس في الحقيقة من جواب يجاب به على هذه الملاحظات الحكيمة ، وخاصة فيما يتعلق برأى الاجانب فينا . لكن رويدك لقد عاش في يوم من الايام في زاوية من زوايا روسيا البعيدة مواطنان روسيان . احدهما كان رجلاً طيباً اسمه كيفا موكيفتش وهو اب له عائلة ، كان لين العريكة وكان سائراً في حياته بعباءة يتدثر بها . ولم يكن يكثر لشؤون بيته ، وسبب ذلك انه كان قد ركز اهتمامه في التفكير والتأمل في الطبيعة . وكان في هذه بالذات منهمكا في مسألة فلسفية يصيغها عادة في السؤال التالي ، «لقد ولد الحيوان عارياً . ولماذا كان ذلك كذلك ؟ لماذا لا يولد الحيوان كما يولد الطير - اى بأن يفقس من بيضة ؟ ان الطبيعة اعلى من الادراك مهما حاول المرء ان يسير غورها» . كان هذا هو محور تفكير كيفا موكيفتش . لكن هذه ليست هي النقطة الرئيسية . اما الآخر فكان اسمه موكى كيفوفيتش ، ابن الاول . كان ما نسميه - نحن الروس - بطلاً . اذ بينما كان والده يفكر في مولد الحيوان كان مزاج الابن العنيف ابن العشرين سنة يناضل نضالاً جباراً في سبيل تطوره ، غير انه لم يستطع ان ينجز امراً دون ان يحدث معه حادث مماثل في الجبروت والعنف . كسر مرة اصبع احد الناس ومرة اخرى لكم شخصاً على انفه ، حتى اصبح يهرب منه كل انسان وكل حيوان - من الخادم حتى الكلب في الساحة ، ولم يسلم من ذلك حتى



فراشه في سريره فقد تناثر قطعاً . هكذا كان موكي  
 كيفوفيتش . ومع هذا فقد كانت روحه خفيفة لطيفة .  
 لكن هذه ليست هي النقطة الرئيسية ، بل النقطة  
 الرئيسية كانت تتمثل في الواقع التالي . اذ كان الجيران  
 والخدم يأتون الى الاب قائلين ، «سيدنا العزيز كيفا  
 موكيفيتش ، ماذا انت عامل لنا بموكي كيفوفيتش ؟ اننا  
 لا نرتاح منه ، فهو يرى نفسه اكبر مما هي» . فكان  
 الاب يجيب «ان هذا لعب منه فقط ، ان هذا لعب منه  
 فقط . وماذا تنتظرون منه غير هذا ؟ لقد فات اوان  
 الخصام معه ، ولو حاولت ان افعل فسيتهمني الناس  
 بالخشونة والفظاظة . انه مغرور في الحقيقة بعض  
 الغرور ، ولكني لو وبخته امام الناس فسيصبح هذا  
 مدار الحديث وسيلقبه الناس بالقاب الكلاب . واذا  
 فعلوا ذلك فسوف يمسني القول لانني ابوه . ثم اني  
 ايضاً مشغول بالفلسفة ولا وقت لدي لهذه الاشياء في  
 بعض الاحيان ، ولكنني ابو موكي كيفوفيتش هو  
 ابني ، وهو عزيز جداً على قلبي» . واكد لهم كيفا  
 موكيفيتش مرة أخرى وهو يضرب صدره بيده ، و اضاف  
 ان ابنه لو راي ان يظل سادراً في لعبه ذاك ، فليس  
 له - اي للاب - ان يصرح بالحقيقة او ان ينفصل عن  
 ابنه . وبعد ان تلفظ كيفا موكيفيتش بهذه الكلمات  
 المليئة بالحنان الابوي ، ترك موكي كيفوفيتش لأعماله  
 البطولية وعاد بنفسه الى تأملاته المحبوبة التي كان  
 موضوعها الآن المسألة التالية «لنفرض ان الفيلة بدات  
 تفقس من البيض ، الا تكون قشرة هذه البيضة من

السماك بحيث لا تخترقها قنابل المدافع وهذا ما يدعو الى  
 اختراع اسلحة من نوع جديد ؟»  
 وهكذا ، فاننا نرى بانتهاء هذه القصة اثنين من سكان  
 زاوية هادئة من زوايا روسيا ، يريان - كما لو كانا  
 يطلان من نافذة - يجيبان جواباً متواضعاً عن الاتهامات  
 الموجهة من جانب الوطنيين المتحمسين ، المنشغلين  
 بهدوء حتى الآن بفلسفة من الفلسفات او بطرق الاثراء  
 على حساب وطنهم الذي يحبون ، وهم لا يفكرون في  
 ان يتجنبوا فعل ما هو شائن ، بل في ان لا يتحدث  
 الناس عن كونهم يقومون بهذا الفعل الشائن . نعم ،  
 فالشعور الذي يثير من يسمون بالوطنيين ليس من  
 الوطنية في شيء اطلاقاً . انما هنالك شيء آخر يكمن  
 وراءه . ولم الخوف من قول ذلك ؟ ومن ذاك الذي سيرفع  
 الصوت عالياً ل اظهار الحقيقة ان لم يكن المؤلف نفسه ؟  
 ان رجالاً مثلكم - يا مواطني الزائفين - ليرتجعون  
 رعباً من العين التي تستطيع ادراك الامور ، فانتم  
 انفسكم ترتعون من توجيه نظرة عميقة الى شيء ما ،  
 وتحبون ان تمرروا عيونكم غير المفكرة على كل شيء  
 خطفاً . وبعد ان تضحكوا ملء قلوبكم على نكبات  
 تشيتشيكوف - وربما تمدحون المؤلف على براعة  
 الملاحظة او طرافة الخاطرة - ستشعرون بكبرياء  
 متعاطفة في انفسكم وستبتسمون ابتسامة ملؤها الرضى  
 وتقولون «اجل ، اننا لا ننكر ان هناك في بعض  
 المقاطعات افراداً على جانب من الغرابة والسخرية وان  
 هناك سفلة انذالا لا ضمير لهم» .



بيد انكم اذا ما جلستم هادئين وحيدين واخذتم  
تحاسبون انفسكم ، فمن منكم لا يحسن صنعا اذا ما  
راح يسبر غور نفسه ويطرح عليها السؤال الرزين  
التالي «ليس فتي عنصر من تشيتشيكوف ؟» ولماذا لا  
يكون ؟ ومن منكم لا يحتمل ان يمر به في الشارع ذات  
يوم احد معارفه ، فيلكز جاره ويقول بسخرية لا تكاد  
تخفى «انظر ! هو ذا تشيتشيكوف ! ان الذي مر بنا هو  
تشيتشيكوف نفسه !»

لكننا كنا نتكلم بأعلى أصواتنا بينما كان بطلنا لا  
يزال نائما في العربة ! وقد تردد اسمه كثيرا ونحن  
نسرّد قصة حياته ، ولا بدّ انه قد سمعنا ! وهو دائما  
فزع سريع الغضب اذا ما وردت سيرته بغير احترام .  
وقد لا يهتم القارى فتيلا لأغضاب تشيتشيكوف ، ولكن  
خصام المؤلف مع بطله معناه الخراب ، اذ لا يزال عليه  
ان يمشي مع تشيتشيكوف ، يدا بيد ، مسافات بعيدة  
المدى .

وصلدت صيحة من تشيتشيكوف تقول «ايه ، ايه ،  
يا سيليفان !»

فاجاب سيليفان بصوت ناعس «ما المسألة ؟»  
«ما المسألة ؟ ما بالك تسوق ناعسا ؟ اسرع حرك  
نفسك قليلا !»

وكان سيليفان في الواقع جالسا منذ مدة طويلة  
بعينين نصف مغمضتين ويدين لا تستحنان الجياد  
الوسنى الا بمسّها باللجام على اردافها بين فترة  
واخرى . اما بتروشكا فقد اضاع قبعته وكان منحنيا الى

الخلف حتى ارتاح راسه على ركبتى تشيتشيكوف -  
وهو امر استدعى ايقاظه بكلمة . وتحمس سيليفان  
وجاد على الارقط ببضع ضربات على ظهره جعلته يركض  
خبيا ولوح سيليفان للجميع بسوطه من فوق ، وغمغم  
بصوت مترنم رخيم : «لا تخف !» وما إن حذا زميلاه  
الآخران حذوه حتى راحت العربة تدرج الى الامام كأنها  
حبة من خرز . وشعد سيليفان صوته وصاح «هيه ،  
هيه !» بينما كانت تعاريج الطريق تهزّه صاعدا نازلا  
على مقعده . وآنكا تشيتشيكوف في الوقت نفسه على  
الوسادة الجلدية داخل العربة وابتمس ابتسامة الرضى اذ  
احس ان العربة تنطلق كالريح . واى روسى لا يحب  
ان يسرع ؟ ومن منا لا يتوق بعض الاحيان الى ان يطلق  
لجياده العنان ويلقي لها الحبل على الغارب ويصيح قائلا  
«الا فليذهب العالم الى الشيطان !» وكيف لا تحبها نفسه  
هذه اللحظات ، وفيها شيء رائع عجيب اذ يحس المرء  
ان قوى جبارة ترفعه فكانه على جناح ، فيجد انه  
يطير والى الناحية المعاكسة كل شيء آخر يطير - علامات  
الفرستات والتجار على عربات الشحن والغابة ذات  
الخطوط المعتمة التى يرسمها شجر التنوب والصنوبر  
والتي قد يسمع منها صوت بلطة الحطاب ونعيق  
الغراب . نعم ، ومن خلال ذلك البون الشاسع المدى  
الذى يكتنفه الغموض تتقدم الطريق الى ، ولا يبدو  
للعين شيء ساكن غير السماء والغيوم الخفيفة التى  
يشقها القمر . ايه ايتها الترويكّا ، ايتها الطائر ، من  
اخترعك ؟ لا يمكن ان تولدي إلا في شعب عالي الهمة ،



في ارض لا تحب المزاج ، بل تنداح منبسطة لتكون  
نصف العالم ، فيظل المسافر يعد صَوَى الطريق ويعد  
حتى تتعب عينيه . وقد يظن المرء ان واسطة السفر  
هذه لا دهاء فيها . إنها غير مثبته بمسامير حديدية ،  
ولكنها صنعت على عجل بالفاس والازميل ، وضم بعضها  
الى بعض فلاح حاذق من يارسلافل . وسائقها ليس المانياً  
في جزمة طويلة الساقين ، بل ملتج مورد الخدين يقعد  
على شيء لا يعلم ما هو إلا الله . ولكن ما إن يرفع  
جسمه ، ويقرع بسوطه ، ويطلق صوته بالغناء حتى  
تنطلق الخيول كالعاصفة ، وتصير قضبان العجلات  
دائرة واحدة متماسكة ، والطريق وحده يهتز ، والماشي  
يتوقف صانحاً في فزع ، وتنطلق الترويكــا  
وتنطلق ! . . . ولا يبقى إلا الغبار يدوم في البعيد ،  
ويتلولب في الهواء .

وانت ، يا روسيا ، الست انت ايضاً ، تنطلقين  
مثل ترويكـا خاطفة لا تسابق ؟ الطريق يتزويج تحتك  
كالدخان ، والجسور تهدر ، وكل شيء يتراجع ، ويبقى  
الى الخلف . ويتوقف المتفرج مصعوقاً بهذه الاعجوبة  
الالهية . العلها بارقة هبطت من السماء ؟ ما هذه الحركة  
التي تشير الفزع ؟ وما هذه الروح غير المنظورة فسي  
تلك الخيول التي لم ير العالم مثلها ؟ آه ، يا خيول ،  
يا خيول ، واية خيول ! اهي الزوابع مخفية في اعرافك !  
اهي اذن مرهفة السمع تتوهج في كل عصب منك .  
سمعت صوت اغنية مألوفة تغنى في الاعالي ، فوترت  
صدورها النحاسية على الفور ، وهي لا تكاد تمس الارض

بحوافرها ، وتحولت إلى خط واحد ممدود طائر فسي  
الهواء ، منطلقة بروحي من الرب ! روسيا ، الى اين  
انت تنطلقين ؟ اجيبيني . انها لا تجيب . جرس يملأ  
الهواء برنين عجيب ، والهواء يرعد ، ويصير ريحاً ،  
ويتحول الى مزق . كل شيء على الأرض يمرق عانراً ،  
وتنظر الشعوب شزراً وتتنحي الشعوب والدول الأخرى  
فاسحة الطريق لها .



مقطعاً صغيراً من مشهد مسرحى صغير ، كان قد اعجبه ، على كل حال ، اكثر مما قراته له سابقا ، قال : «كيف يمكنك ان لا تبدأ بعمل كبير ، ولك هذه القدرة على حدس الانسان ، وتصويره بوضع لمسات ليطلع امامك حياً ! ان ذلك جرم تماماً !» وفى اثر ذلك اخذ يصور لى ضعف بنيتى ، وعلى ، التى يمكن ان تبتز حياتى فى وقت مبكر . وضرب لى مثلاً فى سرفانتس الذى كتب بعض الروايات الصغيرة الرائعة جداً والجيدة ، ولكن لو لم ياخذ بكتابة «دون كيخوت» لما احتل تلك المكانة التى يحتلها الآن بين الكتاب ، وختاماً لكل ذلك اعطانى موضوعاً من عنده كان يريد هو نفسه ان يكتبه على شكل قصيدة ، وما كان سيعطيه لشخص آخر ، حسب قوله . وكان ذلك موضوع «الانفس الميتة» .

ويشير غوغول فى موضع آخر أورده فيما بعد (الرسالة الثالثة ، فى «الرسائل الاربع» لاشخاص مختلفين بخصوص «الانفس الميتة») الى ان المسودات الاولى للقصيدة كانت مكتوبة بنبرات مختلفة قليلاً واكثر جهامة ، وشخصياتها تشبه «الغيلان» . وقد شعر غوغول بضرورة تغيير هذه الطريقة بعد قراءة القصيدة فى بيت بوشكين (كان ذلك فى نهاية ١٨٣٥ او فى النصف الثانى من عام ١٨٣٦) . «حين بدأت اقرا لبوشكين الفصول الاولى من «الانفس الميتة» بما فى ذلك ما كانت عليه من قبل اخذ بوشكين الذى كان يضحك دائماً عند قراءتى (وكان مولعاً بالضحك) يتعبس شيئاً فشيئاً ، واخيراً صار فى منتهى الجهامة . وما ان انتهيت

## تعليقات

صدر المجلد الاول لاول مرة فى عام ١٨٤٢ فى كتاب مستقل بعنوان : «مغامرة تشيتشيكوف او الانفس الميتة . قصيدة ن . غوغول» . موسكو . ١٨٤٢ . ترجع بداية العمل فى هذه القصيدة الى عام ١٨٣٥ . والرسالة التى ارسلها غوغول الى الكسندر بوشكين ، بتاريخ ٧ تشرين الاول ١٨٣٥ - وهى الرسالة التى طلب فيها ان يعطيه موضوعاً لمسرحيته المقبلة «المفتش العام» تتضمن ايضا المعلومات الاولى عن «الانفس الميتة» : «بدأت اكتب «الانفس الميتة» . الموضوع امتد ليصير رواية طويلة جداً ، واعتقد انه مضحك جداً . . . احب ان اظهر فى هذه الرواية جانباً واحداً على الاقل من روسيا» . وغوغول ، فى ابلاغه بوشكين هذا المشروع المعروف له يبدو وكأنه يستأنف حديثاً قد بدأه من قبل .

وفى ما بعد ، تحدث غوغول فى «اعترافات مؤلف» عن الظروف التى قدم فيها بوشكين له موضوع «الانفس الميتة» : «كان يحثنى منذ زمن بعيد على البدء بمؤلف كبير ، واخيراً ، وذات مرة ، بعد ان فرغت من قراءتى



القراءة حتى قال بصوت ملّوع : «يا الهى ، كم هى  
موحشة بلادنا روسيا !» اذهلنى هذا . . . ومنذ ذلك  
الحين اخذت لا افكر الا بتخفيف الانطباع المرهق الذى  
يمكن ان تتركه «الانفس الميتة» .

فى خريف ١٨٣٦ استأنف غوغول العمل فى «الانفس  
الميتة» الذى كان قد بدأ فى بطرسبورج استأنفه فى  
فيف (سويسرا) ومن ثم فى باريس . وهو يبلغ صديقه  
الشاعر فاسيلى جوكوفسكى فى رسالة مؤرخة فى ١٢  
تشرين الثانى : « . . . كل ما بداته قد راجعته من  
جديد ، وفكرت اكثر فى الخطة كلها ، وانا الآن اسير  
بها بهدوء كمدونة تاريخية . ومنذ ذلك الحين بدت لى  
سويسرا افضل ، وجبالها الرمادية الليلية الزرقاء  
الساوية الوردية اخف واشف . ولئن انجزت هذا  
العمل بالطريقة التى يجب ان يتجز فيها . . . فإى  
موضوع ضخم اصيل سيكون» . وحسب خطة غوغول  
الجديدة يجب ان لا يكرس محتوى العمل الجديد للجوانب  
المظلمة من الحياة الروسية فقط ، وبدلاً من تصوير  
روسيا من «جانب واحد» يتحدث غوغول الآن عن  
«روسيا كلها ممثلة فيه» . وفى الرسالة المذكورة الى  
جوكوفسكى لم تعد «الانفس الميتة» تسمى رواية (كما  
فى رسالته الى بوشكين) بل «قصيدة» . والسطور  
التالية التى وردت فى رسالة الى الكاتب والمؤرخ  
والصحفى ميخايل بوغودين بتاريخ تشرين الثانى ١٨٣٦  
تشير الى تلك التغيرات : «العمل الذى انكب عليه الآن  
واكدح . . . لا يشبه رواية قصيرة ، ولا رواية . . . انه

طويل ، طويل ، فى عدة مجلدات . واذا اعاننى الرب  
فسأنجز قصيدتى ، كما يجب ، انها ستكون اول عمل  
ابداعى معتبر لى . روسيا كلها منعكسة فيه» .

ورسائل غوغول فى تلك الفترة الى معارفه وذويه  
مشبعة بالرجاءات لتزويده بمختلف المعلومات فى  
موضوع «القضايا المثيرة للفضول» ولا سيما تلك التى  
«يمكن ان تحصل عند شراء النفوس الميتة» . ويطلب  
غوغول من جوكوفسكى : «ابلىغ بوشكين بذلك ، فقد  
يجد هو ايضاً شيئاً من جانبه» . وكل هذه المادة  
ضرورية للاستمرار فى القصيدة .

فى شباط ١٨٣٧ يصل الى غوغول ، وهو فى باريس ،  
نبأ مقتل بوشكين . ويكتب غوغول من روما : «كل متعة  
حياتى ، كل متعتى الرفيعة اختفت معه . لم اكن اقدم  
على اى شىء بدون نصيحته . . . وعملى العالى ، الموحى  
منه ، هو ابداعه . . .» والآن يعتبر غوغول «الانفس  
الميتة» بمثابة «وصية مقدسة» لبوشكين . (رسالة الى  
ف . جوكوفسكى بتاريخ ١٨ نيسان ١٨١٧) .

فى اواخر عام ١٨٤٠ انتهى العمل فى المجلد الاول  
بشكل عام ، واخذ غوغول يعده للطبع . وفى كانون  
الاول يبلغ الكاتب سيرغى اكساكوف فى رسالة من  
روما : «انا الآن اعد المجلد الاول من «الانفس الميتة»  
فى صيغته النهائية . اغير ، وانقح ، واعيد العمل كلياً  
فى اشياء كثيرة . . .»

وساعد فى استنساخ القصيدة الاديب فاسيلى بانوف  
قريب سيرغى اكساكوف ، والذى صاحب غوغول فى



رحلته الى ايطاليا ، وبعد ذلك ساعد في الاستنساخ بافيل انينكوف ، الناقد والنائر وكاتب المذكرات . وقد خلف انينكوف رواية بديعة يصف فيها كيف جرى استنساخ القصيدة في صيف ١٨٤١ في روما .

«بعد ان يضح نيقولاى فاسيليفيتش الكراسية امامه . . . كان يستغرق فيها كليا ، ويبدأ بالاملاء بتوازن وانتشاء ، وباحساس وزخم تعبير جعل فصول المجلد الاول من «الانفس الميتة» يكتسب في ذاكرتى نكهة خاصة . كان ذلك اشبه بالهام هادى متدفق باتساق يولده عادة الادراك العميق للموضوع» .

وحين استنسخ انينكوف «قصة الكابيتن كوبيكين» التى اتارت في مؤلفها الاحساس بارتياح واضح عثر انينكوف عن شكه في ان تنشر القصة في يوم ما . فأجاب غوغول بثقة في النفس : «النشر شئ، هين كل شئ، سينشر» . «وتجلى شعور المؤلف بالارتياح النفسى بقوة اشد ، عند وصف حديقة بلوشكين . وانا اذكر ان حماسة الاملاء لم تبلغ هذا العلو في غوغول كما بلغته في هذا الموضع ، مع الاحتفاظ بكل الطبيعة الفنية . حتى ان غوغول نهض من مقعده (والظاهر ان طبيعة ما يصفه مرء امام عينيه في تلك اللحظة) وصاحب املاءه باشارة فخورة آمرة . وبنهاية كل هذا الفصل السادس المذهل كنت منفعلا ، فوضعت الريشة على الطاولة ، وقلت بصراحة : «اعتبر هذا الفصل ، يا نيقولاى فاسيليفيتش ، شيئا عبقرياً» . كوّر غوغول بقوة الكراسية الصغيرة التى كان يملئ منها ، وقال بصوت

نحيل لا يكاد يسمع : «صدقنى ان بقية الفصول ليست اسوأ» .

في تشرين الاول ١٨٤١ عاد غوغول الى موسكو عن طريق بطرسبورغ لاستنساخ «الانفس الميتة» بشكل نهائى وطبعها .

في ٧ كانون الاول قدّم غوغول المخطوطة الى الرقيب ايفان سنيغиров ، وقد رجاء ان يبدى رايه فيما اذا كانت لجنة الرقابة في موسكو ستسمح بها .

وفيما بعد تحدث غوغول الى صديقه الكاتب والصحفى بيتر بليتينيف (رسالة مؤرخة في ٧ كانون الثانى ١٨٤٢) عن الوقائع التى حصلت في اجتماع اللجنة : «ما ان سمع غولوخفاستوف \* الذى كان يحتل مكان الرئيس اسم «الانفس الميتة» حتى جأر بصوت الرومانى القديم : «لا ، هذا لا يمكن ان اسمح به ابداً . النفس خالدة ، ولا يمكن ان توجد نفوس ميتة . ان المؤلف يحارب الخلود» . ووضح للمراقبين ان المقصود فى ذلك الاقنان المسجلون فى الاحصاء ، فزاد ذلك من انزعاج المراقبين . فان ذلك غير مسموح به ، ان ذلك يعنى الخروج على نظام القنانة» . كما لم تنفع حماية سنيغريف الذى كان قد قرا المخطوطة . والى جانب معارضة «المراقبين-الاسيويين» عارض «المراقبون-الاوربيون» . وقد قال احدهم ، وهو نيكيتا كريلوف

\* مساعد ناظر الدائرة التعليمية الموسكوفية ، وعضو رقابة . الناشر .



استاذ القانون الرومانى فى جامعة موسكو : «مهما قلت  
فان الثمن الذى يدفعه تشيتشيكوف . . . الروبلين  
والنصف التى يدفعها للنفس الواحدة ، تقلق  
النفس . . . ان هذا لا يمكن ان يسمح به لا فى فرنسا ،  
ولا فى انجلترا ، ولا فى ان مكان . . . ثم ان اى اجنى  
لن يأتى الينا بعد هذا» .

واسترجع غوغول المخطوطة من لجنة الرقابة فى  
موسكو خائفا من منعها ، وسلمها لبيلينسكى الذى كان  
مسافرا الى بطرسبورغ وكان غوغول يعتمد على مساعدة  
اصدقائه فى العاصمة وهم - اوديفسكى • وبليتنوف  
وسميرنوف • • - فى تسهيل طريق «الانفس الميتة» الى  
الرقابة . وبالفعل ، سمحت الرقابة فى ٩ آذار بنشر  
القصيدة مع بعض التعديلات ، ولكن بحذف «قصة  
الكابتن كوبيكين» . وفى الاول من نيسان ابلغ الكسندر  
نيكيتنكو الذى راجع المخطوطة كريب ، ابلغ غوغول  
ان «من المستحيل تماما السماح بقصة كوبيكين ، وما  
من احد بمن فيهم ذوو السلطة ، يقدر ان يبقى عليها ،  
وانت نفسك ستوافق ، بالطبع ، على اننى غير قادر على  
ان افعل شيئا فى هذا الخصوص» .

ومع ذلك فقد قرر غوغول ان يبقى على «القصة» بكل  
ما يملك من جهد . فقد كتب الى نيكيتنكو فى ١٠

• كاتب وفيلسوف وناقد وصحفى . الناشر .

• • اميرة متقربة من الامبراطورة صديقة غوغول .  
الناشر .

نيسان : ان القصيدة ، بدونها ، «ستصاب بثقب لا يمكن  
ترقيعه بشئ» و«هذه القطعة ضرورية ليس لربط  
الاحداث ، بل لجذب اهتمام القارى وتسويقه بانطباع  
تلو انطباع . . .» ويغير غوغول الرواية ، منزلا رتبة  
الشخصيات ، اذا صح القول : كبير القوم ، الجنرال ،  
يصير مجرد «رئيس» وليس من بين زواره جنرالات .  
ويبلغ غوغول صديقه بليتنوف فى ١٠ نيسان «اننى  
حذفت كل الجنرالات ، بل وحذفت حتى اسم «كورنيش  
القصر» تحاشيا لان يتبادر الى الذهن قصر الشتاء  
الموجود فى هذا الكورنيش مع قصور كبار الموظفين  
البارزين . كما حذفت من خلق كوبيكين صفات من مثل  
التزمت وشدة الحساسية ويوافق غوغول حتى على تغيير  
اسم البطل («اذا كان اسم كوبيكين يضايقهم فانا مستعد  
الى تسميته ب«بياتكين» وما شاءوا» يكتب الى نيقولاى  
بروكوبفيتش ، فى ١٥ نيسان خائفا ، كما يبدو ، من  
ان يتبادر الى الذهن الشقى كوبيكين الذى كان اسمه  
شائعا فى الفولكلور الشعبى فى ذلك الحين . ولكن لم  
تظهر حاجة الى ذلك فى هذا الخصوص . فقد سمح بنشر  
الصيغة المعدلة من الرواية (النص المنشور فى الطبعات  
الحديثة ، بما فى ذلك الطبعة الحالية ، قبل خضوعه  
للرقابة) كما عدلت الرقابة اسم القصيدة : اذ كتب  
نيكيتنكو بالحبر الاحمر العنوان الجديد : «مغامرة  
تشيتشيكوف او . . .» فوق عنوان الكتاب القديم  
«الانفس الميتة» (والقصيدة فى الطبعات المعاصرة تصدر  
تحت الاسم الاول) .



وبينما كان الكتاب يطبع رسم غوغول نفسه غلافاً له . وهذا الغلاف مهم كمثال للتصميم الغروتسكى بشكل واضح ، والذي يجمع فى تأليف عجيبة مواضيع الحياة اليومية ، وصور الناس والحيوانات ، مع عدد كبير من الجماجم الانسانية مما يناسب ، من جهة ، المحتوى الغروتسكى نفسه ، وقد قاد ، من جهة اخرى ، الى التقاليد القديمة فى الزخرفة الغروتسكية الحائطية بجمعها الفريد لتفاصيل الطبيعة الجامدة ، والعالم النباتى والحيوانى والانسانى .

وصدر الكتاب فى اواخر آيار . وتركز اهتمام الراى العام كله على عمل غوغول الجديد هذا ، وقد اثارته من قبل قراءات فصول منفصلة منه (ابتداء من صيف ١٨٣٧ ، على اقل تقدير ، قام غوغول لعدة مرات بقراءة مقاطع من القصيدة فى بيوت مختلفة) وحمسته الشائعات عن تعقيدات الرقابة . ويذكر بيلينسكى : «كل الاهتمام الادبى ، وكل الاسئلة الصحفية مركزة الآن على غوغول» .

ومن بين التقييمات الاولى لهذه القصيدة احد المدونات من يوميات الكاتب الكسندر غيرتسين الذى صار فيما بعد ثورياً وشخصية اجتماعية ، مؤرحة فى ١١ حزيران : «الانفس الميتة» لغوغول كتاب مدهش ، تقريع مريع لروسيا الحالية ، ولكن لا يخلو من امل» .

بقلم يورى مان

ترجمة غائب طعمة فرمان

مع خيالي : علي مولا